
قصة
عنترة بن شداد

قصة

عنترة بن شداد

فارس بني عبس

تأليف

يوسف اسماعيل

من ادباء الدولة الفاطمية

منشورات

دار التربية : بغداد

السعر دينار واحد ونصف

نشأتــــه

نشأ عنترة في احضان بني عبس وكان اسود اللون صلب العظام فكان اذا نظر تطاير من احداقه الشرر ففرح به والده شداد .

ما زال الفتى يكبر ويشتد حتى شاع ذكره وذاع صيته ولما سمع به الملك زهير امر باحضاره فلما جاءوه به رآه من أعجب الغلمان وكان عمره لا يزيد على اربعة أعوام .

وكلما كبر اشتد وكان مع صغر سنه شديد البطش فاذا تجاسر عليه احد اذاقه الويل حتى كثرت الشكوى فضاق والده شداد بشكاوى القوم فأعطاه قطيعاً من الأغنام .. وكان للملك زهير عبيد ترعى إبله كما كان لكل ولد من اولاده رعاة وعبيد ولزهير ولد يقال له شاس ، ذو بأس وقوة وله عبد يسمى راجي طويل القامة شديد السواد وكان لبني عبس غدير يقال له (ذات الآصاد) وهو أحسن غدير في البلاد وفي يوم من الايام اجتمع على الغدير الرعاة والارامل والايتام ووقف العبد راجي يسقي ابل سيده ، ويمنع سائر الناس فتقدمت منه عجوز كانت ذات نعمة ، وأخذت تستأذنه لكي يسمح لها أن تسقي غنماتها فما كان من العبد إلا أن لطمها على وجهها لطمة تلقيها على ظهرها وتكشف للرجال سوأتها فتضاحك العبيد وكان عنترة حاضراً فأخذته النخوة العربية وصاح في العبد قائــلا : ويلك كيف تفضح الاحرار فهجم العبد على عنترة ولطمه لطمة لو أصابت غيره لمات فاذا بعنترة يمسك العبد ويرفعه ويلقيه على الارض ثم يضربه ضربة تقضي عليه فهجم العبيـد على عنترة بالعصي والحجارة فتلقاه بعصى معه وضرب باليمين والشمال فلم يستطيعوا أن يصلوا اليه .. وقد عفى الملك عنه ولم يعاقبه بعد سمع القصة وعلم ان عنترة انما كان يدافع عن العرض .

ولما عاد الى الحي وجد ان فعله قد انتشر في القبيلة واحاطت به النساء والبنات تسألنه عن حاله وكان ممن احاط به عبلة بنت عمه مالك .

وكانت عبلة أجمل من القمر وكانت تمازحه وتكثر الكلام معه وهي في عمر أصغر من عنترة .

* * *

كان عنترة في احد الايام قد ساق الجمال عند الصباح وجلس على الارض يذكر عبلة وبينما هو كذلك اذ تسلل اسد من الجبال فرآه عنترة وقام اليه ومسكه بين يديه وضربه على عينيه فخر الاسد كما يخر الجبل الاشم وأنشد عنترة يقول :

أنا الاسد الموصوف والبطل الذي تخاف الورى من شدتي وطعاني

وترهبني اسد الفلا وليوثها وما احد الا يخاف مكاني

وقد خرج الرجال لحرب مرة وكان عنترة بين النساء فهجم سبعون فارساً على النساء فما كان من عنترة الا ان قتل ما قتل وطعن رئيسهم وقتله ففر الجميع هاربين تاركين الغنائم والنساء فلما علم الملك زهير فرح كثيراً وخلع عليه خلعة من أفخر الملابس وقال له : « اذهب فهكذا تكون الفوارس » .

عنترة العاشق القوي

أكثر عنترة من التغزل بابنة عمه عبلة بأشعاره حتى تناشدت بها العرب وقيل بعضها بين يدي (شاس) بن الملك زهير والربيع بن زياد . وكان في مجلس شرب ، وكان عندهما عمرو أخو عبلة ، فقال (شاس) لقد أعجب هذا العبد بنفسه وترفع عن العبيد ، فقال الربيع : (والله ما اطمعه في ذلك الا أبوك وأخوك مالك)فثارت نفس عمرو وقال : (والله لئن سمعته يذكر اختي في شعره لاسفكن دمه)فلما كان الصباح ركب عنترة جواده واخواه بين يديه يسوقان الجمال في المرعى ، وكان أخوه شيبوب من أفرس الشباب ، اذا عدا لحق بالغزلان ، وكان اولاد الملك زهير قد ذهبوا الى وليمة عند عمهم (أسيد) حيث طلبوا منه ألا يبعدهم عن الحي ويسقيهم على بعض روابي الرعيان فأرسل عبيده بالاغنام والطعام والمدام الى ربوة خضراء مشرفة على الصحراء ، حولها عيون جارية ولحق بهم اولاد الملك زهير العشرة وهم شاس ، وقيس ، ودرقة ، ومالك ، وخداش ، والحارس ، وكثير ، وجندل ، وجندب ، ونهشل . ولما جلس القوم اكلوا وشربوا ، ثم مد مالك عينيه فرأى عنترة عند سفح الجبل ومعه اخواه فقال لاخوته : (هذا عنترة بن شداد الذي افتخر على العرب وساد ، ثم امر احد العبيد بان يذهب ليدعوه اليهم ليشاركهم مجلسهم هذا ، فقال شاس لأخيه : (إني اراك تحسب هذا العبد شيئاً كبيراً وتنسب اليه قدراً خطيراً ووالله لولا خوفي ان انغص على أبي وليمة الامس لضربت رأس هذا العبد

النحس ، ولئن حضر الآن على هذا المدام لاضربن عنقه بهذا الحسام) وبينما شاس وأخوه مالك في هذا الحوار ، اذ سار في الجو الغبار وانجلى عن ثلاث مائة فارس كانهم الليوث والعوابس ، فلما خرجوا من تحت الغبار وقربوا من المرعى ورماحهم تتلوى كالافاعي انفصل منهم عشرة فرسان أبطال شجعان . وكان أولئك القوم من بني قحطان ، خرجوا من ارضهم حتى اتوا أرض بني عدنان ، وصادف مرورهم على مراعي بني عبس فرأوا الجماعة يشربون المدام ، فقال بعضهم لبعض : (احملوا بنا على هذه العصابة لنأخذهم أسارى ثم انهم حملوا عليهم ، وبادروهم بضرب السيف فلما رأى ذلك بنو عبس تواثبوا الى الخيول واختطفوا الرماح وطبقت عليهم فرسان اليمن فسمع عنترة بن شداد صياحهم وقد مدوا الى بني عبس رماحهم ، فخاف عليهم أن تصبهم الأعداد ، لا سيما لاجل مالك بن زهير الذي أحبه ، فصاح في أخيه شيبوب واسرع حتى أدرك مقدم القوم (فاتك بن محبوب) فانقض عليه ، وطعنه بين ثديه ، فانطرح قتيلا بدمائه وحمل بعده على الرجال ، ففرقهم ذات اليمين وذات الشمال ، ونثرهم بالحسام فوق الرمال .

فلما شاهدوا ذلك الهول . لم يبق منهم إلا من طلب الهرب ، ونظر عنترة الى ذلك وتفقد اولاد الملك زهير لخوفه على مالك ، ورآهم سالمين وكان العبيد الذي في المراعي قد نقلوا الخبر الى بني عبس ، فخاف الملك زهير على أولاده وركب في فرسانه ، ومضت من خلفه الفرسان . ولما وصلوا الى مكان القتال اذا بعنترة قد فرق القوم ، فعاد بنو عبس الى الخيام وعنترة بين أيديهم كأنه الأسد الضرغام .

ففرح الملك زهير على سلامة اولاده ، وشكر عنترة على حسن جهاده وسألهم عن الحادثة فحدثوه بجلية الخبر وما فيهم إلا من اثنى على عنترة وشكره ، ولما وصل الملك زهير إلى مضاربه جذ لاولاده الوليمة وأجلس عنترة الى جانبه وسقاه من شرابه ، وخلع عليه من ملابسه خلعة موشاة بالذهب ، وأركبه فرساً من أجود خيل العرب وقلده بسيف محلى بالذهب وقال لأبيه شداد : (لا تخفض بعد اليوم منزلة عنترة برعي الجمال بعد ما بدا منه ، ولا تمنعه من غزو الابطال ، حتى يقال ان لبني عبس شاباً يذل الفرسان ، وسماه زهير من ذلك اليوم « حامي بني عبس وفارس كل من طلعت عليه الشمس » .

ارتفع موضع عنترة وزاد في عبلة طمعه ، وكانت هي سبب فصاحته لانه كان كلما ذكرها أنطلق لسانه بالشعر الرقيق ، حتى وقعت هيبته في قلوب الانام ،

وسمعت بذلك الشعر أم عبلة وأبوها ، غير انها لم يكترثا به ، فلما كثر الحديث عند أم عبلة دعت عنترة اليها ، وقالت له : « يا عنترة ، سمعت انك تحب ابنتي وتذكرها في شعرك »

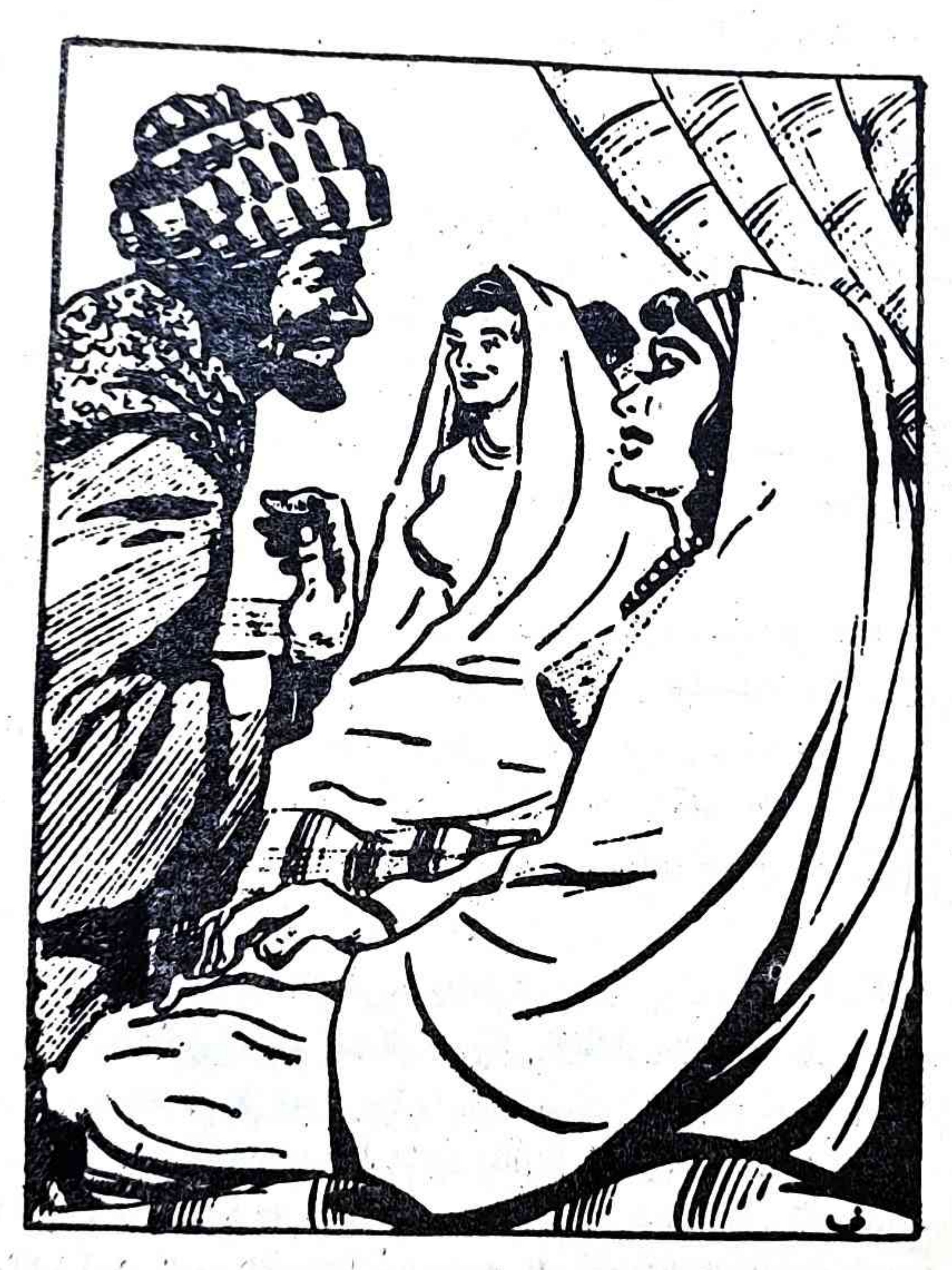
وكانت عبلة بجانبها وقد أرخت ذوائبها ، وسمعت أمها تقول لعنترة ذلك المقال، فتبسمت عن ثغر نادر المثال فازداد بعنترة الهيام ، وقال : « يا سيدتي ، هل رأيت من يبغض مولاته . ! أي والله أحبها وحبها لا أنكره وصوتها لا تبرح ناظري ، وقالت له : سأطلب لك من زوجي أن يزوجك « خمية » جارية ابنتي عبلة فليس لها شبيه في الجمال ولا حاز مثلها رجل من الرجال ، فتبسم عنترة في حسرة وقال والله ما أتزوج غير من يهواه الفؤاد ، فهمست عبلة في أذن عنترة « بلغك الله أمانيك » وشاعت أبيات عنترة في جميع القبائل فأزداد حقد أخي عبلة وأثار عليه شاس بن الملك زهير والربيع بن زياد ، فواعداه على قتله .

وكان لشداد بنت من غير سمية يقال لها « مروة » وكانت متزوجة في بني غطفان برجل يقال له « الحجاج بن مالك » . فأتفق أن الحجاج زوج أخته فلما جاء وقت العرس واعلنت في الحي الدعوة جاءت « مروة » لكي تدعو شداد أباها وعمها وأخاها وأقاربها ، وأجتمع الرجال والنساء وفي السير بعد أن استأذنوا من الملك « زهير » هذا وقد سبقت النساء الفرسان بنصف يوم وخرجت النساء بعلهم في الهوادج . وقد أرخين الذوائب وأبرزن وجوها مثل البدور ، والجواري أمام الهوادج والعبيد متقلدين السيوف وعنترة معهم وهو من دون العبيد راكب على جواد يمشي الى جوار عبلة يحدثها .

مالت الشمس الى الاصفرار فحملوا الرجال ، ونزلوا على غدير هناك فتولى عنترة حراسة النساء الى اليوم التالي .

فلما ارادت العبيد أن ترفع الهوادج ، فاذا بالغبار قد ملأ القفار ثم أنكشفت الغبرة عن مائة فارس كأنهم الليوث في أوائلهم فارس ينادي (الثأر . . الثأر . . البدار . . البدار . .) .

وكان شاس بن الملك زهير والربيع بن زياد بعد ان تآمرا على اغتيال عنترة وضعا عليه العيون فلما علما بسيره مع بني عبس الى بني غطفان . . اتفقا على ان يبادروه بمن لديهم من الفرسان . . وكمنوا له في وادي الغزال ، وحاولوا أن يهاجموه



عنتر يقول : وهل رأيت من يبغض مولاته

في الظلام وإذا بهم يفاجأون بمائة فارس قد أغاروا عليهم ونادوا بهم اثبتوا يا فتيان قبل أن تطير رؤوسكم ، فلما سمع بسام عبد الزبيع ذلك المقال نبه اصحابه للقتال وقال للفرسان من أنتم وما شأنكم ؟ فقال المقدم لبسام : (لقد أتينا لسفك دماءكم ونهب اموالكم لا سيما اذا كان فيكم عبد السوء عنترة بن شداد) .

وكان هؤلاء الجماعة من قوم يقال لهم بنو المصطلق والمقدم عليهم (غالب بن وثاب) وكان عنترة قد قتل له أخاً .

فسار في مائة فارس يطلب بني عبس يأخذ بالثأر ، وهو يقول : (إن كان عبد بني عبس قد قتل أخي ، فأنا اقتل ساداتهم وأعود برأس ذلك الاسود ولم يزل سائراً حتى أشرف على وادي الغزال وكمن بمن معه من الرجال ثم انفذ أحد العبيد ليأتيه بالخبر ، فمضى وعاد وأخبره بأن بني عبس قادمون على الأثر ، وبعد قليل تصل النساء وبينهم عنترة .

فلما سمع بسام كلام المقدم قال : أسعدنا الحظ لأن كلا منا ما اتى إلا لقتل عنترة ونحن ايضاً ارسلنا موالياً من بني عبس في طلبه حتى نسقيه كأس عطبه . لأنه أصاب بعضنا بالظلم والعدوان .

فقال مقدم القوم : لا نريد منكم مساعدة ، ولكن عاهدونا على أنكم لا تكونون علينا ، فعاهدهم بسام ، وقد رأى ذلك صواباً في قضاء حاجة مولاه فطاوع غالباً وجاراه لاصحابه : (ستكونون على اي حال منصورين . . لأننا رأينا عنترة وقد أضعف هؤلاء القوم وأصبحوا في مثل عددنا ما تمكنهم من أخذ الحريم وان رأيناهم قتلوه قاتلناهم حتى تدركنا الرجال . . نخلص نحن النساء ونبلغ من قتل عنترة ما نشاء . فقالت ، افعل ما تريد ...

واشهروا مرهفات نصالهم ، وقصدوا عنترة ، وكان يحرس وقتئذ ركب النساء والاولاد فلما اقتربوا منه صرخت النساء وبكى الاطفال ونظر عنترة إلى عبلة فرأى دموعها تنحدر على خديها وسمية وام عبلة تصيحان بالويل والحرب . . وقد خشينا على العرض فتقدم عنترة الى ام عبلة وقال لها : أتزوجينني عبلة حتى أرد هذه الخيل من أول حملة ، فقالت ويلك يا عنترة .. أفي مثل هذا الوقت يكون المزاح والاجساد قد كرهت الأرواح . فقال عنترة «لا» وحق خالق الصباح. ان وعدتني بذلك رددت هذه كلها على أعقابها واعطيتك كل غندها فقالت « دونك الخيل ولك ما تريد » . : غير انها لم تكن تضمر له الوفاء .

أما عنترة فلما سمع ذلك سر وركب الجواد ونهياً وأمر العبيد بترك الجمال ... وحل الرحال وقال لأخيه شيبوب أحمى بنبالك ظهري وأنا اتلقى الخيل بصدري وما كاد يهجم عليه القوم حتى صاح بهم وإذا بسيفه قد طوق النحور . وخاض في الاحشاء

ولم يلبث ان أهلك منهم ثلاثين فارساً .

وكان جواد عنترة قد جهد ومل ووهن عزمه واضمحل . فنزل عنـــه وركب غيره من الخيل المغيرة ، وعاد إلى المجال .

اما عبيد بني عبس فلما رأوا ما فعل عنترة بالقوم انقطعت ظهورهم ، وقال لهم بسام : « ويلكم .. اشكر الله ان وقع لنا هؤلاء القوم . . وقاتلوا عنا في هـــذا اليوم ، فقد فدونا بأنفسهم من هذا البلاء .

ونظر مقدم القوم غالب إلى ما أصاب اصحابه من العذاب وقال : يا للمصيبة لو علمت ان الامر يفضي الى هذه الحالة لسبقت إلى قتل هذا الشيطان قبل ان يفعل ما فعل ولكني اهملت أمره ، ثم وثب الى الميدان فصدم عنتر صدمة تهز الجبال وحمل عليه حتى طعنه بين ثدييه وانقض على باقي أصحابه فشردوا في الجبـــال فنظرت عبيد الربيع إلى فعله فولوا الادبار .

وعاد عنترة وسنانه تقطر من الدم فلقيته عبلة وهي تبتسم ، وأمر العبيد فجمعت اسلاب القتلى وساقوا الخيول .

وساروا في أمان فوصلوا والناس في الولائم وأخبرت النساء رجالهن وما جرى من عنترة ، فما كان منهم إلا من أثنى عليه ، وأخبروه كيف صان عنترة الحريم ، فزادت رغبة شداد فيه وقبله بين عينيه وأخذه بيده ليجلسه بين الشرفاء فأبى وعاد ووقف مع العبيد وقال: لا والله يا مولاي فعجبت فرسان العرب من أدبه وأجلسوه بين الفرسان وما أن عاد القوم إلى مضاربهم حتى سمعوا الصياح في جميع الجنبات والغبار قد خيم على الروابي . فقال شداد لقد نزلت بنا الدواهي واقتحموا المضارب فرأوا النساء في خوف والبنات في شدة الهلع وقد اثخن الغزاة من بقي من فرسان بني عبس بالجراح وكان السبب في ذلك ان الملك زهير كان قد ركب في فرسان بني عبس وسار بهم إلى بني قحطان يطلب عدوا ، وكان الملك زهير قد بلغه ان المتغطرس سائر اليه فشق ذلك عليه وقام بفرسان بني عبس ليلقاه في الطريق وترك في الحي أخاه زنباع في نفر قليل وسار ولكن سار هو في طريق والمتغطرس في طريق اخر في تلك البطاح فوصل المتغطرس إلى ديار بني عدنان فوجد الحي من السكان والتحم بمن بقي في الحي من الرجال ، وفي ذلك الوقت أشرف شداد ابن قراد وعنترة وشيبوب فقال شداد لعنترة : « هيا وارني اليوم منك ما سمعت

عنك » فقال « نعم يا مولاي ليس الخبر كالعيان » ثم وثب الى فرسه وانتظم بين الفرسان ونادى فيهم « اقتحموا القوم لنأخذهم اسارى وسل حسامه وانقض على الاعداء وهو يصرها وأبصر المتغطرس بن فراس هذا الحال وهو قائم على رابية في تلك التلال فهاله أن رأى خيله ترتد وقد وجلت سروجها من أصحابها فتحدر من الرابية بمن معه وقد أكثروا الصياح فرجعت الخيل المنهزمة لما رجع اميرها والتهبت نيران الحرب وزاد سعيرها فالتقاها عنترة ومن معه من الفرسان بالصدور حتى انزلوا بالاعداء البلاء .

ومن العجائب الغريبة ان بساماً عبد الربيع بن زياد خرج في هذا اليوم وقاتل مع بني عبس قتالاً يحير الأذهان وانهزم حتى أقبل عنترة ومن معه من الابطال المشهورين فشاهد من عنترة فعالاً تحير منها عقله فزاد حسده وصار يتوقع فرصة في الحرب ، وحمل على المتغطرس مع بقية الفرسان ليتمكن من عنترة في هذا المجال ، ولما اشتد القتال صوب بسام إلى عنترة بن شداد ليقتله ويفوز بالحظوة عند مولاه الربيع بن زياد وما دنى عنترة ليطعنه في ظهره حتى أصابته نبلة في صدره فوقع قتيلا وكان الذي قتل بساماً هو شيبوب أخو عنترة ، وكان عنترة قد أوصاه بأن ينزل عبلة من الهودج ويلاحظ خدمتها وخدمة النساء فظل شيبوب عندهن ، حتى رأى الأعداء حول عنترة فخاف عليه وعدا نحوه ورأى بساماً قد عدا إلى أخيه عنترة بانسان فارسل له نبلة القاه بها .

وكان المتغطرس قد وصل وأخذ يرد جماهير رجاله وقد هربوا من وجه عنتر فشق عليه ذلك واستقبل عنتر فصدمه بالرماح ، وسالت الدماء من كثرة الجراح فاشتد بعنترة الغضب واقتحمه اقتحام الأسد ، وطعنه بشدة فغاص الرمح في أحشائه ففر من بقي من أصحابه، وتبعهم فرسان بني عبس حتى بددوهم في تلك الفلوات وقامت عبيد بني عبس فجمعت الاسلاب وعادوا إلى الاحياء بعد أن فرقوا الاعداء . .

أقبل الملك زهير وهو لا يصدق أن أهل الحي في خير ، فخاف أن يكون هذا من عدم التوفيق ، ولما رأوه اقبل استقبلوه بالبشرى ،وأخبروه ما فعل عنترة ، فقال الملك لله در عنتر ولئن طال عمره ليسودن على كل محارب ، ثم انه ترجل ودخل على تماضر زوجته . وبعد ان رحبت بقدامه اخذت تمدح عنترة وتقول : « والله لقد حمى الحريم ، فعظمت عنده منزلته ، ثم أمر بذبح الأغنام وأجتمعت حوله السادات

والفرسان والامراء الشجعان وحضر الربيع بن زياد وأتى ايضاً بنو قراد ، وزخمه الجواد ، ومالك وشداد .

وكان عنترة قد وقف للخدمة مع العبيد فقال الملك ، لن تجلس إلا بين السادات ولا شربت قدحي الا معك ، ثم امره بالقرب منه فتقدم وبش في وجهه وتبسم ، وقد قدم للجميع الطعام ، ودارت عليهم الكاسات وعزفت القيـــان ، وضربت بمزاهرها الجواري المولدات ، وطابت لهم الأوقات ، وقد جعل الملك زهير عنترة خاصته ونديه وسميره وكليمه ، وكلما أراد أن يقف في الخدمة منعه وسقاه ، وقربه وأدناه ، الى أن لعبت الخمرة بعقل شاربها ، وتفرقت العرب الى مضاربها ، وقدم الملك زهير شداد اليه وقربه وخلع عليه ، وأركبه فرساً من كرائم أفراسه ، وخلع على عنترة خلعة لا يلبسها الا الأكابر ، وعمه بعمامة معلمة بالذهب وقلده بسيف يدعو إلى العجب وخرجوا من بين يدي الملك زهير وهم بأنعم بال ، وأوفر خير .

ولما قرب شداد من ابياته ، ترجل عنترة ومشى في خدمته حتى وصل الى خيمته والطيب يفوح من ثيابه وقبل عنترة يديه وقال له : يا مولاي لماذا لم تعرف حقي كما عرفه القريب والبعيد ، وتبلغني منك ما أريد ؟

فقال : ، قل لي ما حاجتك حتى اقضيها وأبلغ نفسك وأمانيها ؟

وكان شداد يظن أنه يطلب نوقاً يقتنيها أو ابياتاً يسكن فيها . فقال : « يا مولاي اني احب أن تلحقني بك في النسب وتنزع عني عار العبودية بين العرب ، وأنا أكافئك بشيء لا يقدر عليه إنسان واترك سادات العرب تخدمك في كل مكان وأساويك بملوك الزمان فلما سمع شداد كلام عنترة ، قال والله لقد حدثتك نفسك بأمر يحفر لاجله رمسك ولقد لعبت خلعة الملك زهير بعطفيك ، ودخل كلامه في اذنيك وازتدت أن تضعني وترتفع ، وتتركني حديثاً لمن تحدث وسمع ، والله ما بقي لك جواب على هذا الكلام إلا ضربِ الحسام .

ثم جرد حسامه ، وهجم عليه ففرت العبيد من بين يديه وسمعته زوجته سمية ، فخرجت من الخباء مكشوفة الرأس منشورة الذوائب منزعجة الحواس ، ووقعت على صدر شداد وقبضت السيف بيدها وقالت : « لا أمكنك من قتله ، لانني ما انسى فعاله وما أظنك تنكر صنيعه واعماله ، وإن كان قد طلب منك شيئاً فان

السكر قد غير عقله » .

وما زالت بزوجها حتى سكّن غضبه ، ثم ادخلته الخباء وأضجعته والسكر قد غلب عليه .

وأما عنترة فانه استعظم ذلك واستكبر فعلته واستحى أن يصبح في أبيات بني قراد ، فقام وقصد أبيات مالك بن الملك ومضى اليه وامر العبيد ان يستأذنوا له بالدخول عليه وكان مالك قد عاد من وليمة أبيه وهو فرحان بما نال عنترة من المرتبة الرفيعة لأنه من أصدقائه ومحبيه ، فلما هم أن ينام دخل عليه عبده وأستأذن منه بدخول عنترة عليه فاندهش لذلك ، وقال لعبده « مره بالدخول فوالله هذه أبرك الليالي بزيارة عنترة والمكان من الرقيب خالي ، فدخل وهو كئيب حزين » فقال له مالك « اهلا وسهلا ومرحبا » ، ثم قربه وأجلسه جانبه وسأله عن حاله ، فحدثه بما فعل ابوه شداد حين طلب أن يلحقه به في النسب ، وكيف أراد قتله من شدة الغضب ، وأنه لولا سمية لجرعه كأس المنية فقال له مالك: والله يا عنترة لقد جنيت على نفسك بما عملت فما الذي حملك على ما فعلت فاطلعني على امرك ولا تخفه في صدرك ، وأنا أبلغ معك في تدبيري غاية الجهد .

فاضطرب عنترة عند ذلك بما سمع من كلام مالك وقال : « والله يا مولاي ما حملني على هذا إلا الهوى الذي هدد كتمانه مني العزائم والقوى : ولولا تلهب قلبي بالنيران لما وضعت نفسي في الهوان فاعلم يا مولاي اني احب عبلة بنت عمي مالك بن قراد وهي التي طيرت من عيني لذيذ الرقاد ، وابتلتني بطول العناء والسهاد ، وما طلبت من أبي النسب الا لكي اتسبب الى وصالها بهذا السبب ، وألقي نفسي في سبيلها في كل عطب لأملأ عين أبيها بالفضة والذهب فاما أن أبلغ الأرب أو أهلك على بعض فرسان العرب ، والآن وقد انقطع مني الرجاء، ولم يبق لي في هذه الارض مقام إلا مع الوحوش في البرايا والآكام حتى القي كأس الحمام ثم زاد به الأمر فتنهد وبكى .

فلما انتهى عنترة من شكواه وتصاعدت زفراته تساقطت الدموع على وجناته فقال له مالك . « أنا اعلم ان عبلة تحتجب عنك اليوم في خباها حتى لا تراها لان أباها علم انك تطلب من ابيك ان يلحقك بنسبه وتطلب الزواج منها ، وخير لك ان لا تلم بأبياته فلربما ألقاك في بعض المهالك ولا تأمن على نفسك بعد ذلك ،

والصواب ان تقيم عندي هاهنا حتى اتحدث مع ابي وندبر لك تدبيراً حسناً ، فقال عنترة : « والله يا مولاي ما عدت استطيع أن اقيم في الحي إلى ان تنطفي هذه النار ؛ ولم تعد لي عين أبصر بها عمي مالك ، واخوه وولده عمرو والربيع ابن زياد واخوك شاس .

وقطع هو ومالك ساعات الليل في الحديث عن الغرام واستعانا على السهر بشرب المدام ، الى أن صار وقت الفجر وكان ضوء النهار يتنفس فركب عنترة الجواد واعتد من بيت مالك بعدة الجلاد ، وسار حتى بعد عن الابيات وهو لا يدري الى اين يذهب من الجهات ، وقد ضاقت عليه المذاهب وغلقت في وجهه كل الجوانب ، وصار يهيم ذات اليمين وذات الشمال بين الروابي والتلال ، الى تضاحي النهار واتسع البر في عينيه ففاضت دموعه وتهاطلت على خديه وتذكر فعل أبيه وقومه معه بعد ذلك الصنيع الذي صنعه ، فأنشد يقول :

اعاتب دهراً لا يلين لعاتب	وأطلب امناً من صروف النوائب
وتوعدني الأيام وعدا يغرني	وأعلم حقاً انه وعد كاذب
خدمت اناساً واتخذت اقارباً	لعوني،ولكن اصبحوا كالعقارب
ينادونني في السلم يا بن زبيبة	وعند اصطدام الخيل،يابن الاطايب
وأولا الهوى ما ذل مثلي لمثلهم	ولا خضعت اسد الثرى للثعالب
سيذكرني قومي اذا الخيل أصبحت	تجول بها الفوسان بين المضارب
فياليت ان الدهر يدني احبتي	الى كمال يدني الى مصائبي

ثم انه سافر في غير مقصد ، وأصبح الحي يموج بحديثه ، وحديث أبيه شداد ، وشمتت به الاعادي والحساد ، وقالوا يا فضيحتنا بين العرب اذا علموا ان العبيد شاركونا في الحسب والنسب .

وسمع ابو عبلة هذا الحديث فزاد به الغضب ، وقال ما بقي لنا غنى عن قتل هذا العبد . فاذا انتصر له الملك زهير وولده مالك ، وعجزت عن ذلك ، قتلت انا ابنتي عبلة .

فقال له شداد : « اما قتله جهراً فليس بصواب ، خوفاً من الملك زهير ، ولكن نحن نهلكه بحيث لا يعلم به احد ، في صيدا أو قنص

ثم ان مالك قلق لغياب عنترة فأخبر والده فقال له والده : « ويلك لماذا لم تخبرني

من قبل لكنت زوجته بمن شاء ، فقال مالك « والله خفت وقوع الفتنة بعـــد أن رأيت أن حاسديه اكثر من محبيه ، فقال الملك « يجب أن ارسل من يأتي به ، فقال مالك « سأذهب انا » .

ولم تمض مدة حتى حضر عنترة برفقة مالك وقد سامح شداد عنترة أما مالك بن شداد وولده فقد قرر أبيهما على تزويج عبلة .

وكان عنترة قد دخل على امه «زبيبه» فقامت اليه وهي لا تصدق انها تراه فقد كانت يحبه اكثر من أخويه لانه جعل بيتها كبيوت الاكابر وجعلها تفتخر على كل اصحاب المفاخر ، وكان قد أهدى لابيه واعمامه كل ما وقع بيده في هذا السفر .

ولما استتروا في الخيام جمع الملك زهير اولاده العشر كما دعا اخويه (اسعد) و (زنباغ) وجماعة من السادات واضرموا النار ودارت الكاسات ولعبت الخمر بعقول السادات عندئذ قال زهير لولده مالك : (في مثل هذا الوقت يستحب سماع كلام عنترة من لسانه ، فانه والله سيد شعراء زمانه) ، فارسل مالك من ساعته في طلب عنترة ، وما هي إلا ساعة حتى حضر ، ودخل وسلم ، واطلق لسانه وتكلم ، ففرح به اولاد الملك زهير ، وما منهم الا من رحب به وتبسم .

اما الملك زهير فقد رد عليه السلام . وقال له : (يا ابا الفوارس ، لا يلذ لنا عيش ولا مسرة ، الا أن تكون معنا في كل حضرة) فقبل عنترة يده ، ودعا له ثم قدموا بين يديه الطعام .

فسر الملك زهير ، لما سمع عنترة واثنى عليه وشكره واهـــدى اليه جاريتين بكرين ناهدين مضمختين بالمسك والعنبر ، وفي عنق كل جارية عقد من الجوهر ، وقال له : (يا ابا الفوارس ، والله لو كنت عندي لالحقتك بنسبي ، وشاركتك في حسبي ولو عيرتني بذلك جميع قبائل العرب واولوا المناصب والرتب .

واما شاس فانه غلب عليه الكمد والحرج فقام من عند ابيه وخرج وفي قلبه من عنترة نار تتأجج ، ومكث عند الملك زهير ، حتى انشق حجاب الظلام ، وتبلج نور الفجر وقد لعبت برأسه الخمر ، هو ومالك ثم ابعدا عن السرادق فتوادعا هنالك ، وسار عنترة واخوه شيبوب ، حتى وصل الى خيام بني قراد فرأى نيرانهم زائدة الاتقاد ، فاستغرب ذلك وسأل امه عن الخبر ، فقالت له : (ان اباه شداد واخوته

ركبوا وساروا في عشرة فرسان للبحث عن غنيمة .

وسأل عن ابيه شداد واعمامه فقالت له النساء انهم ساروا يطلبون غنيمة منذ اقبل الليل بظلامه ، وقلوبنا خائفة عليهم لان العبيد اخبرونا ان الغنيمة في يد قيس بن ظبيان الحارثي فارس ارض اليمن كلها ومبيد الابطال ومذلها وهم الذين اخبروا مولاك عنها اليوم ، وقالوا له ان الرجل قد نزل على غدير ارض الدوم ، فقال شداد وانا اسير اليه وانتزع الغنيمة من يديه ثم ركب معه اخوه مالك ورحمة الجواد وتمام العشرة من الاجناد وطلبوا غدير ارض الدوم ، فقال عنترة : وحق ذمة العرب لقد ركبوا طريق الخطر ، وساروا على غزلان قيس بن ظبيان فارس بني قحطان وانا اعلم انهم معه يخسرون ولا ينالون ما يشتهون ، وانا لا استطيع ان اتركهم ولو انهم ساروا وما اعلموني لانهم احتقروني ثم ودع عبلة وقال : « يا مولاتي هذه ليلة ما أظن ان ارى مثلها في المنام .

فملك عنترة قلب عبلة بهذا المقال وقالت له أمها : (انت اليوم يا عنترة اعز من عندنا من الرجال ، ونحن ما حجبنا عبلة عنك الا لما سمع ابوها من كلام الحساد .

وعاد عنترة الى بيته وأخذ رمحه وتقلد حسامه وخرج مع اخيه شيبوب وسار في طلب ابيه واعمامه .. فلما أبعد عن البيت قال له شيبوب : « اعلم يا أخي ان قلبي غير مستريح لمسيرك اليهم لأن كل ما تفعل معهم ضائع .. وبعدك غير نافع » .

قال عنترة « لماذا يا شيبوب ؟ » فقال يا أخي اعلم ان امراة أبيك شداد قالت لي من أول الليل حذر أخاك من مالك وولده عمرو فقد عولا على قتله وهما يكتمان هذا الأمر وسمعت من عبلة مثل هذا الكلام ، وقد أمرتني ان أحذرك منهما فعلى نفسك الملام » .

فقال عنترة « ويلك يا شيبوب ، انا ما سمعت من سمية شيئاً من هذا المقال » فقال شيبوب « يا أخي ما أمكنها ان تحدثك وانت بين النساء والرجال ، وانت كنت أول الليل عند الملك زهير ، ولولا ذلك لكان ابو عبلة قد القاك في مهلكة عظيمة . والصواب اننا اذا لحقنا بالقوم وهم في القتــال نأخذ حذرنا منهم والا اغتالونا شر اغتيال » .

فقال عنترة « ويلك يا شيبوب سوف اريك من يلوم نفسه على القبائح ومن هو الذي تحل به الفضائح ، وسترى من منا الخاسر ومن مـــنا الرابح » ثم ان عنترة

اركض جواده ، وضاعف اجتهاده، حتى هجم الحزن واشتعل البر، وإذا هما بفارس، في الحديد غاطس ، وهو راكب على جواد ينهب الطريق ودرعه في الدماء غريق ..

قال عنترة : « والله ان هذا ابئس التشاؤم » ثم تأمل في ذلك الفارس وإذا هو احد رفاق ابيه شداد ، وفيه جرح عميق، وله زفير وشهيق ، فقال له عنترة : ما هذا الحال يا ابن العم ؟ « فقال والله يا ابا الفوارس ما طلع سهمي بهذه الغنيمة » إلا بهذه الجراح العظيمة وقد جاروا علي واخذوا من حصتي فتبسم وقال ويلك ما معنى هذا الكلام فقال لقد سرنا مع ابيك واعمامك من أول الليل حتى نكبس بني قحطان ، ونأخذ الغنيمة ونرجع بالامان نرأينا قيس بن ظليان يحرسهم فلما أحس بنا حمل علينا وطلبنا وأول ما طعن طعنني انا ، وبعدي طعن عمك وو لدمواخذهما اسيرين ثم دار قومه بنا كسباع البرية وفي أقل من ساعة قتلوا منا أربعة واسروا البقية وهربت انا في الفلا وقد اصابني هذا البلا فان كنت تريد ان تلحقهم فهاهم بين يديك وإن أردت السلامة فارجع واقبل مني ما أشير به عليك » .

قال عنترة « لا وذمة العرب لا عدت حتى اوشح الكل بحسامي واخلص ابي واعمامي وانطلق انت امامي وان كنت عجزت عن المسير فانزل الى جانب الغدير حتى أعود اليك » .

وسار مع اخيه حتى أشرف على القوم والخيل تنساق امامهم كالحمير وقيس بن ظليان على اثرهم وشداد ومن معه في الوثاق وقد كانت ارواحهم تبلغ التراق فحانت من قيس التفاتة فرأى عنترة وهو يركض من ورائه فجمع اصحابه وتلقاه ثم دنا منه حتى قاربه وقال له « ويلك من تكون فاني ارى جلدتك جلدة العبيد وهمتك همة الصناديد» فقال له عنترة الويل لك سوف تعلم من الهالك من الفرسان اذا انطرحت قتيلا تأكل لحمك العقبان وتشرب دمك الغربان .

هزيمة قيس

ثم حمل على قيس بساعد شديد وقلب اقوى من الحديد وجالا واوسعا في المجال وتطاعنا طعناً يقرب الاجال وتشيب منه الاطفال .. وأبصر شيبوب ان أخاه على عدوه استطال فصار ينادي يا ويلكم أطلبوا لانفسكم النجاة يا بني قحطان قد ادركتكم بنو عبس وغطفان وقتل مقدمكم قيس بن ظليان .

فلما سمع القوم الصياح طلبوا شيبوب بالرماح وقالوا له كذب تشاؤمك وساء

بمقالك وخابت آمالك ولما قربوا منه جعل يرميك بالنبال فيشك بها مقاتل الرجال وكلما أدركته الخيل افلت منها مثل الغزال فكانوا يتعجبون من فعاله ، وظنوا أنه شيطان في صورة انسان ، ولم يحمل عليهم ويمنعهم المسير حتى تعثر في حجر فوقع وادركته الخيل وحل به الاسف والتلف ، واذا بعنترة قد طلع كأسد البيداء وسنانه يقطر من دم الاعداء ، وادرك اخاه وهو على تلك الحال فكشف عنه الرجال ونهب مهج الابطال ، وأبصر بنو قحطان افعاله فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وما نجا منهم الا من كان له عمر مديد ، والباقون انطرحوا على وجه الصعيد ، واستولى عنترة على الغنيمة وخلص قومه من المهالك ، وفرحوا كلهم سوى عمه مالك ، فان الموت كان اهون عليه من ذلك الا انه شكر عنترة مع من شكر واظهر له خلاف ما اضمر .

وعاد القوم يسوقون الغنائم ، بعد ان كانوا يساقون كالبهائم واخذ عنترة يعاتبهم ويقول لهم لماذا سرتم وما اعلمتموني بالحال ؟ فقال له شداد نحن سرنا وانت عند الملك زهير في مسرتك وكنت مرهقاً من سفرتك فتركناك حتى تستريح. ثم أنهم ساروا طالبين الاوطان حتى أدركهم المساء فنزلوا على غدير كثير النبات فاستراحوا هناك الى أن طلعت الشمس وامتد نورها على البوادي فساروا حتى اشرفوا على الاحياء واذا الملك زهير يتنزه على غدير ذات الآصاد ومن حوله أولاده والى جانبه الربيع بن زياد ولما أشرف شداد وابصر الملك راكباً عدل اليه ، وسلم عليه وقدم الغنيمة بين يديه ، وحدثه بما جرى وكيف خلصهم عنترة بعد ان اباد الفرسان وقتل قيس بن ظبيـــان فتعجب الملك زهير من حديثه وقال يا شداد لا تعامل عنترة بعد اليوم معاملة العبيد ولا تمنعه مما يريد واحفظ له هذه المكرمة مع ما تقدم له من الاحسان على طول الزمان وانا ناصح لك بهذا الكلام ولا اريد لك الا الخير والسلام فاغتاظ من هـــذا الكلام وكذلك جماعة من الحساد مثل شاس بن الملك زهير والربيـع بن زياد ومالك بن قراد . وفرح مالك بن الملك زهـــير به لأنه كان من المحبـــين لعنترة . وقسم الملك زهير الغنيمة بينهم بالسوية وتركها لهم بالكلية . فلما عرف كل واحد سهمه وحقق من قسمه وهب عنترة جميـع غنيمته لأبيه وعمومه وقال عنترة (يا قوم العبد وما تملك يداه ملك لمولاه) فتعجب العرب من فعاله وفصاحة مقاله .

ولما فرغت الابطال من قسمة الاموال . دعا الملك زهير عنترة وقال له « يا ابا الفوارس قد عولنا اليوم ان نشرب على هذا الغدير فأنشدنا من شعرك المطرب لان كرام الجياد تشرب على الصفير فأنشد من فوره يقول :



وقال عنترة لعبلة « هذه الجواهر في عنقك أبهى منها »

لقد جاءك الأمر الذي انت طالبه فعش سالما قد امنتك عواقبه
وهذا غدير انت اعذبت ماءه ولولاك ما نُهلت عليه سحائبه
مليك له كل البرية أعبد تخر له طوعاً وتخشى عواقبه

طرب الملك زهير من هذا الشعر الجميل وامر العبيد فأحضروا المدام ونحروا النوق والأغنام وجهزوا فاخر الطعام وطابت لهم الأوقات ونقرت الدفوف من سائر الجنبات .

وبعد ان آوى عنترة الى مضجعه تأجج الشوق لعبلة في قلبه وارقة خيالها فقام الى بيت مالك بن زهير ليقضي عنده بقية الليل فلما دخل بكى بين يديه وجلس امامه واشتكى اليه وجده وهيامه فأشفق عليه مالك وقال له : يا ابا الفوارس وزينة المجالس لقد كملت خصالك وبانت لنا أفضالك وأما شكواك من حب عبلة وقلت ناصرك في هواك فأنا ابذلت الروح في سبيل رضاك واسعفك بمالي حتى تبلغ مناك وغداة غد نصل الى الحي واتحدث مع ابيك شداد واسأله أن يلحقك بنسبه ويدخلك في حسبه فان لم يفعل هجرنا الديار وعملنا على خطف عبلة لتعيش معها بعيداً عن المنازل فلما سمع هذا الكلام زاد بكاء وهاجت نيران جواه وقال : والله يا مولاي لا فعلت ذلك ابدا ولا سبيت عبلة حتى لا تشمت فيها العدى ولو شربت كاس الردى فاني ان فعلت ذلك تناولني الناس بالملام وقالوا ما برح عنترة يفعل فعل اللئام ومالي غير الصبر ولو تقلبت منه على الجمر غير انني اطلب منك أن تسأل مولاي شداد ان يلحقني بنسبه فان لم يفعل حلفت يميناً ألا اركب جواداً . ولا احضر في حرب ولا جلاد

العاشق المنافس

هذا ما كان من امر عنترة ، اما بنو عبس فقد كان اكثرهم يحسدون عنترة ويتمنون له الموت ، لما ناله من المنزلة بعد رعي الجمال ورق العبودية ولا سيما عمه مالك ابو عبلة ، فانه كان يشتهي له كأس المنية لأنه فضح ابنته بشعره واشاع حديثها في سائر الجهات .

وكان للربيع بن زياد اخ يسمى عمارة الوهاب وكان مليح الصورة معجباً بنفسه كل الاعجاب يحب مغازلة النساء ، ويقضي في ذلك الصباح والمساء ، فلما سمع ما وصف به عنترة عبلة من الأشعار اشتعل قلبه بلهيب النار وانتهز فرصة غياب عنترة مع مالك بن زهير في غزوة لديار بني مازن وأرسل عجوزا الى بيت مالك بن قراد ،

وقال لها ازيد منك ان تنظري لي عبلة هل تستحق الوصف الذي وصفها به عبد شداد ، فان كانت كما قال فيها خطبتها من ابيها ، فذهبت العجوز في الحال ودخلت على ام عبلة فاستقبلتها احسن استقبال . ولما رأت عبلة اندهشت من جمالها وظرفها ودلالها ، وقدها واعتدالها ، ثم مازحتها ولاعبتها وحدثتها وضاحكتها فرأت من حديثها ما يذهب بعقول الرجال ويفوق السحر الحلال فعادت إلى عمارة الوهاب ووصفتها له باطناب ، وقالت له « والله يا ولدي لقد كنت استجهل عنترة كلما سمعته يذكرها في شعره ويتصبب بها في نظمه ونثره حتى ابصرتها فعلمت انه ما انصفها ، لانها اعظم مما وصفها والرأي عندي ان تبادر الى خطبتها وان تسرع في طلبها .

فلما سمع عمارة ذلك الكلام لعب به الغرام وقام من وقته ولبس افخر ثيابه واسبل شعره على كتفيه وتطيب وتعطر وركب جواده وحوله جماعة من العبيد في خدمته وسار حتى التقى بمالك ابي عبلة واخيها عمرو وكانا عائدين من الصيد فسلم عليهما احسن سلام وزادا عليه بالتحية والاكرام ثم أن عمارة قال لمالك : (لقد جئتك يا عماه خاطباً كريمتك راغباً فلا تردني خائباً لأكون قريباً منك ولأبعد عنها عنترة الذي فضحها بين العرب)

قال الراوي : وما زال عمارة من مثل ذلك حتى خجل منه مالك وقال له : (ان ابنتي امتك وانا لك خادم وقد زوجتك اياها وأنا غير نادم)

ثم تقدم الى عمارة ووضع يده في يده وعاهده وعاقده ثم عادوا الى الحي وعمارة يعد بهلاك عنترة بن شداد ، ولما اخبر عمارة اخاه الربيع بن زياد بما كان بينه وبين مالك بن قراد ، قال له الربيع « والله يا عمارة ما أنا براض من مصاهرة مالك ولا بقربك ، ولكن اذا كنت تريد ذلك فاجزل المهر واكثره واجتنب عنترة واحذره ، لانه شيطان مارد يقهر العدو المعاند) .

فلما سمع عمارة كلام الربيع قال له : ما هذا الكلام يا اخي ? ومن عنترة في الكلاب حتى تخاف منه سادات العرب ويعادي مثل عمارة الوهاب وكيف يعارضني فيما اريد وكم في خدمتي مثله من العبيد » .

قال الراوي :وفي تلك الليلة أقبل مالك بن زهير وعنترة وفرسان بني عبس من ديار بني مازن ومعهم الغنائم الكثيرة والتحف الوفيرة وخرجت للقائهم الأحباب والأصحاب وكان يومهم اعظم يوم مشهود ، نشرت فيه الرايات والبنود ، وكان أشدهم فرحاً الملك زهير بعودة ولده مالك سالم من غزوة بني مازن فقد كان يحبه

اكثر من جميع اولاده، لانه كان اكثرهم كمالاً واصدقهم مقالاً فلما التقوا ترجل مالك وقبل يدأبيه وتقدم عنترة وقبل ركابه واخذ مالك يحدث أباه عما جرى أثناء غزوته وما فعل عنترة من جليل الأفعال وما ابداه من شجاعة عند لقاء الأبطال فسر الملك زهير وقال لمالك : (والله يا بني لقد شاد عنترة لهذه القبيلة عزاً مديداً وسير لها ذكراً حميداً) :

ولما وصل عنترة إلى بيوت بني قراد تلقوه بالفرح والحبور وأظهروا بعودته السرور إلا عمه مالك بن قراد كان يكلمه بلسانه والنار تأجج في جنانه وقد ساءه رجوعه سالماً من الحروب وكان يود لو انه قتل بين الطعن والضرب ثم ان عنترة وزع عليهم ما عاد به من الأموال ومضى إلى بيت امه (زبيبة) فلما رأته تلقته بالعناق وأطفأت بتقبيله الأشواق ولما استراح خلع عدة الحرب واستلقى في فراشه وجلست امه مع أخويه عند رأسه فأخذ يسألها عن عبلة وأحوالها وهل ذكرته في غيبته فقالت امه (بالله يا ولدي دع عنك عبلة لا تذكرها ولا تفكر فيها ولا تنتظرها)

فلما سمع عنترة من أمه هذا الكلام جمدت عيناه وتقلصت شفتاه واستوى جالساً وقال لها ما معنى هذا الكلام . قالت لقد زوجها أبوها بعمارة بن زياد فكاد يغشى على عنترة وسرح خياله وهاج بلباله . ثم قال وقد ظهر الغضب على محياه : (والله لا بد أن أفني بني زياد ولو كانوا اكثر من قوم ثمود وعاد . فقالت (زبيبة) لا تعجل يا ولدي في أمرك ولا تضيق دائرة صبرك لان عبلة لا ترضى بذلك ولو وقعت في اعظم المهالك وقد سمعتها تقول : « لو قطعوني ارباً ما طاوعت أبي وأخي فيما طلبا » وكذلك امها لا تطاوع اباها على ما أراد لانها تكره ذكر بني زياد فقال عنترة : (والله لامزقن شمل بني زياد ولاقتلن عمارة) . فلما سمع اخوه شيبوب كلامه قال: (ما عليك يا ابا الفوارس دع عنك هذا لي فسوف امضي الى عمارة وادخل عليه واستل روحه من بين جنبيه قال عنترة : (انا اعلم انك قادر على هذا العمل ولكن اصبر حتى اركب الى الملك زهير وابنه مالك فاستشيرهما في ذلك) .

فلما اقبل الصباح اعد شيبوب جواد عنترة فركبه الى الملك زهير فخرج اليه مالك وسأله عن الخبر فقال يا مولاي تبيت اعداؤك مثل ما بت البارحة ، فانها كانت ليلة سوداء كالحة . فلما سأله مالك عن السبب اخبره بزواج عبلة من عمارة ، وما فعله عمه مالك ، وقال انه عقد العزم على قتل عمارة وسائر بني زياد ، فقال مالك وقد صعب عليه الأمر (والله يا أبا الفوارس لقد خاب عمارة وخسر عمك في التجارة وما دام الأمر

قد بلغ إلى هذا الحد فأنا اتولاه ولرد عنك كيد بني زياد فطب نفساً وانتظر حتى اسأل مولاي شداد ان يلحقك بنسبه فاذا فعل خاطبت عمك ابا عبلة في هذا الامر واقول له ان عنترة احق بينت عمه وسأستعين على ذاك بأبي الملك زهير وان لم يقبل شداد خطبت انا عبلة من أبيها وجعلتها على اسمي حتى ينقطع طمع عمارة وغيره فيها ثم اماطل اباها في المهر واحرمه من ان يزوجها طول الدهر فلما سمع عنترة من مالك هذا المقال سكت عنه الغضب وقال له (لا عدمتك يا مولاي من مشير وحام) ثم مضى معه إلى بيت الملك زهير وتقدم اليه وسلم عليه فرحب بعنترة وحياه واخذوا يسيرون حول البيوت يتفقدون المراعي والمناهل وخرجت معهم سادات العشيرة من المنازل وكان من جملتهم بنو زياد وبنو قراد وكان عمه يركب إلى جانب مالك ابي عبلة فلما رآه عنترة اضطرم قلبه بنيران الغيرة ولكنه صبر مؤملا الخير من وعد مالك بن زهير .

فلما اشتد الحر بدأوا يتفرقون وعندئذ قال مالك لعنترة (يا أبا الفوارس اسبقني أنت الى الحي حتى أتحدث الى شداد) ثم انه لحق بشداد وانفرد به وقال له(يا شداد الى متى تمنع ولدك عنترة حقه من نسبك مع أن سائر قبائل العرب تحسدك عليه وعلى ماله من مكارم الأخلاق أتحسب أن في العرب والعجم من يقدر على أن يلقاه إذا سل حسامه أو من يضاهيه في فصاحته اذا أبدى كلامه ؟ ان الرأي عندي ان تعتز بسيفه وتلحقه بنسبك فوالله ان لم تفعل فسيأتي عليك يوم تتمنى فيه تراب نعليه)فلما سمع شداد ذلك ظهر على وجهه الغضب وعبس وقطب ثم قال ومن قبلي من العرب فعل هذا حتى أفعله انا اتريد يا مولاي ان تعريني من ثوب الشرف وتلبسني اثواب الذل حتى يقال ان شداد سبى امة سوداء ولدها عبداً ثم ادعى انه ولده والحقه بنسبه حتى يعتز بسيفه او ينجو من حيفه) .

قال مالك يا شداد ومن من العرب جاءه من امة لمثل هذا الولد وأنكره واستعبده وما حمده والله ان عنترة ما ولدت مثله امة ولا حرة ومن رأيي ان تسن هذه السنة في العرب فيقتدي بك اهل العقل والادب .

فقال شداد (والله يا مالك ان ضرب النصال أهون علي من هذا السؤال واريد من انعامك ان تمهلني حتى أرجع فكري وانظر امري) .

ثم ذهب شداد وعاد مالك وقد ذهب كلامه بلا طائل وعلم انه قد اضاع الكلام مع قوم غير كرام لا يعرفون الجميل ولا يرعون الذمام ثم قصد ابياته فوجد عنترة في

انتظاره وقد زاد اشتعال ناره فقص عليه ما جرى له مع مولاه شداد فخفق من عنترة الفؤاد وفاضت الدموع من عينيه وكاد ان يخشى عليه . وقال (وحق خالق الانس والجان لا ركبت ظهير حصان ولا حضرت في حرب وطعان ولا أقمت بعد هذا الحديث في الأوطان ولا بد لي ان أكافيء كلا ما فعل في حقي إن ساعدني الزمان فقال له مالك (يا أ الفوارس ولماذا ترحل من الديار وتهيم بالأقطار ومثلي من يرد عنك شر عداك ولا بدلي أن ابلغك مناك ولو هلكت روحي من أجلك) ثم انه قدم الطعام وأحضر شيئاً من المدام وقضى معه نهاره يشرب العقار ومناشدة الاشعار.

* * *

وكان عمارة في ذلك اليوم في وليمة عند مالك بن قراد هو وجماعة من بني زياد وقد نحر مالك الجزور وصفى الخمور وبات عمارة يتناول الكاسات ويغترف بالطاسات ومالك وولده عمرو يتقربان اليه ويتسابقان في الخدمة بين يديه لأن ما في عبس بعد الملك زهير اعلى من بني زياد ولا اكثر مالاً ولا اعرف رجالاً ولا سيما الربيع بن زياد لانه كان ينادم الملوك الكبار ويحادثهم بالاخبار ويناشدهم الأشعار ويرسلون اليه الخلع من سائر الأقطار وكان حافظ اشعار العرب ، ومشهوراً بالفضل والأدب .

ولما خرج عمارة من بيت مالك وهو ثمل من الخمر يتمايل من السكر اذا بعنترة يقابله في طريقه فقال له عمارة : ويلك يابن زبيبة ، أين كنت البارحة ومواليك ينتظرونك لتحضر وليمتهم الطافحة ، فلو كنت معنا اكرمتك وخلعت عليك ، لانك تستحق الاكرام بما سمعنا عنك من الأفعال العظام » فلما سمع عنترة كلامه اخفى ما في قلبه من الكمد واظهر الصبر والجلد ثم هاجت بعنترة البلابل فصاح بعمارة صيحة كالرعد الهائل ، وقال له: ويلك يا عمارة هل ضاقت عليك الأرض ذات الطول والعرض حتى تتزوج بعبلة بنت مالك وتلقي نفسك في المهالك ؟ أما علمت اني بها هائم ام انت من البهائم ، أو ما سمعت مالي فيها من الاشعار التي سارت بها الركبان في الاقطار . اما تعلم ان دون عبلة خرق القتاد ؟ ولو كان خاطبها عاد بن شداد ؟ »

فلما سمع عمارة كلام عنترة همهم وزمجر وقال لعنترة : « ويلك ما هذه الوقاحة لعلك سكران او خالط عقلك جنان على اني سمعت عنك ما هو اعظم من هذا الهذيان لأنك تارة تريد ان تلتحق بمولاك في النسب وتارة تريد ان تخطب بنات

سادات العرب فوالله يا بن الملعونة لئن ذكرت عبلة او طلبت الحاقك بالنسب لاقطعن بهذ الحسام رأسك ولاهدمن اساسك واخمد انفاسك .

فلما سمع عنترة كلام عمارة صار الضياء في عينيه كالظلام وهان عليه شرب كاس الحمام وقال : « والله يا عمارة انك اذل وأحقر من أن تشهر في وجهي الحسام ، او من ان تقاومني في مقام . وأنا والله لولا حرمة الملك زهير لأزلت هــذا العجب الذي يلعب بعطفيك ، وأطرت رأسك من بين كتفيك » فلما سمع عمارة من عنترة هذا الكلام جرد الحسام ، وهجم به على عنترة وقال له : « ويلك يا عبد السوء يا يا فاقد الادب من انت حتى تجرؤ على سادات العرب ؟ فعند ذلــك أشهر عنترة الحسام وهجم على عمارة هجمة الاسد الضرغام ، وعندئذ تقدمت العبيد بينهما ودخل شيبوب بين الاثنين ، وصرخ عليهما وقد ارتفع الصياح في ابيات بني قراد فخرجوا من الخيام وسعوا على الاقدام وفي أوائلهم ابو عبلة واخوه شداد وزخمة الجواد ، فلما وصلوا فرقوا بينهما وصاح مالك بعنترة وقال له :« والله يابن الملعونة ان وقعت بك في غير هذا المكان لا بد ان اخضب يدي من دم نحرك واريح العرب من شرك» فلما رأى العبيد ان مالك بن قراد قد استخف بعنترة وادراه وهو قد ذل بين يديه ورجع طمعوا فيه وداروا حواليه بالعصى والحجارة وطلبوه بكل وقاحة وجسارة حتى اشرف منهم على الهلاك ، ووقع معهم في الارتباك وصار شيبوب يدافع عنه ويمانع وهو واقف ذليل خاضع .

وبينما هم كذلك واذا بمالك بن زهير قد اقبل وسيفه في يده شاهداً له و كأنه الاسد القسور وعبيده من حوله يركضون وفي ايديهم العصي والسيوف ومالك يصيح فيهم . دونكم وعبيد بني قراد اكشفوهم عن عنترة بن شداد، ومن ظفرتم به اقتلوه وألحقوه بقوم عاد ، فعندها علت الضجات وتهاجمت العبيد وجرت الدماء على الصعيد ودار بينهم قتال شديد وتندم مالك بن زهير الى عنترة وقال له . « ويلك اهذا كله يجري عليك وانت صابر ? لماذا لا تبذل سيفك في هؤلاء اللئام فقال يا مولاي ان العبد يكرم لاكرام مولاه ولولا ذلك ما تركت احداً على قيد الحياة ثم حدثه بما جرى مع عمارة حتى استوفى العبارة .

وكان الخبر قد وصل مع العبيد الى الحي فانقلبت برحاله وتبادرت جميع ابطاله ووصل الخبر الى الربيع بن زياد وقيل له ادرك اخاك في ابطال بني زياد واخوته واقاربه وعشيرته وهو يقول (والله يا بني الاعمام ما كنت اريد ان يتعرض اخي

لهذا الشيطان وقد نهيته عنا فما انتهى وما فعل الا ما اشتهي) ثم ان الربيع حث جواده حتى وصل الى المكان المعمعة فنظر إلى أخيه عمارة وهو يصيح في عبيده ويحرضهم على عبيد مالك بن زهير الذين قتلوا من عبيده ثلاثة ومن عبيد مالك ابن قوار اربعة فحمل الربيع على عنترة والسيف في يده مشهور وكان عنترة قد استحضر جواده فركب وتقلد بسيفه واعتقل برمحه ووقف كأنه الأسد المصور وكان مالك بن زهير قد استحضر السلاح والجواد فركب وتصدى للربيع بن زياد وقال له ارجع يا ربيع والا فركب الخيل تخوض في النجيع فلما رأى عنترة ان مالك بن زهير قد عول على قتال الربيع قوي قلبه وانفرج عنه همه وكربه وتأهب للقتال وحدثته نفسه بأن يلتقي بجميع بني زياد ويفنيهم الى آخر الأجيال فبينما هم كذلك واذا بالملك زهير قد اقبل في اولاده وهو يركض بجواده وحوله جماعة من فرسانه واجناده يصيحون ويقولون يا ويلكم كفوا عن القتال وإلا حل بكم الوباء .

كان الملك زهير في ذلك اليوم قد علم بأن احد ملوك ارض اليمن راكب اليه بعساكر لا يعرف لها اول ولا آخر .

وحينما بلغت الملك زهير هذه الأخبار شغلت منه الافكار فلبس عدة حربه وركب الجواد وسعى ليكشف الخبر . وكان ولده مالك في قتال الربيع بن زياد ولما رأى العبيد ان الملك زهير قد اقبل كفوا ايديهم عن القتال وتقدم عمارة الى قدامه بحال الاذلال ، وقال : « ايها الملك ما بقي لنا في ارضك مقام ان لم تأذن لنا بقتل عنترة في هذا المقام » وقال الربيع : « والله لولا قدومك ايها الملك فى هذه الساعة لكانت هلكت منا جماعة ، ولنحكم السيف بيننا وتقاضينا بالحرب لأن هذا العبد داخله الطمع في القبيلة وأنت كنت السبب لأنك تقربه وتدنيه وترفع شأنه وتعليه وكذا ولدك مالك لا يأكل ولا يشرب الا معه ويعلي مقامه وموضعه ونحن ايها الملك ما نصبر على هذا الهوان ولا نقعد تحت الاهانة في هذا المكان ولا بد لنا ان نرحل اكراماً لعنترة من وطننا ان لم تمكنا قتله او تبعده عنا » فقال لهم الملك يا بني عمي حدثوني عن سبب هذه الفتنة التي جلبت علينا هذه المحنة ، فأخبره الربيع بأن عمارة خطب عبلة من ابيها ، وانه كان تلك الليلة عنده يشرب المدام مع اخيها وحدثه كيف التقى به عنترة في الطريق ، وجرد عليه الحسام ، وكلمه بقبيح الكلام ، فلما سمع الملك من الربيع ذلك علم ان عنترة مظلوم ، وانهم ما فعلوا ذلك الا لكي يكيدوه ويطردوه ويبعدوه وكان الملك زهير قد نظر إلى عنترة لما أشرف عليهم وهو

بعيد عن المعمعه لا يدنو اليهم ، فرق له قلبه ، وقال في نفسه ، والله ما هذا العبد بين اهله الا مثل الدرة اليتيمة عند من لا يعرف لها قدراً ولا قيمة ، ولكن لم ير ان يخاصمهم لأجل حاجته اليهم ، واعتماده في ذلك الوقت عليهم ، حين سمع الخبر الذي سمعه من ملحم بن حنظلة واخيه يزيد ومن جميع الأبطال الصناديد وعندئذ تقدم مالك ابو عبلة وبكى أمام الملك زهير وقال : « ايها الملك ائذن لي بالرحيل من هذه الديار ، والا انتهكت ابنتي في سائر الأقطار او اعطنا هذا العبد السوء حتى نقتله ونكشف عنا العار » . قال الملك زهير : (اما قتله فلا ندعك عليه لانه دخل على بيوتنا واكل من طعامنا ، واستظل بظل حمايتنا وذمامنا واما ابعاده عن الديار فليس لي شأن في هذا الابعاد ، وانما هو لابيه شداد ..)

هذا كله يجري ومالك بن زهير واقف قدام ابيه وهو ينظر إلى الحاضرين ليرى هل منهم احد يتكلم بالحسنى في حق عنترة فلم يجد من يتكلم بالخير فيه ، وما راى الا اعداءه وحاسديه فصبر على المضض وعلم انه اذا تكلم لا يقضى له غرض هذا.وعنترة لا يدري ماذا يصنع لأنه ان غضب ورحل لا يطيق قلبه ذلك لاجل محبته لعبلة بنت مالك . وان بدل فيهم سيفه لا يبقى له وجه ان يرجع إلى بيوت القوم فلا يرى محبوبته عبلة ولا يكون له سبيل ، فما وجد لنفسه احسن من الصبر .

هذا ، ثم استدعى الملك زهير شداداً اليه وقال له : « يا شداد ، هؤلاء القوم قد تعاونوا على عبدك فافصل بينهم بما تريد ، وانا على ما تحكم به شهيد » فقال شداد : ايها الملك قد حرت في هذا الأمر ، فان أخي لا أقدر أن اغضبه ، وهذا العبد لا يستحق الضرب حتى اضربه . لأنه اليوم يعد من الفرسان ، وقد صار له شأن وأي شأن وما بقي في الامر الا طرده او يعود الى ما كان عليه من رعي الجمال ، ويخلي عنه الحرب والقتال بني عبس لا يحتاجون اليه على أي حال ، وان نطلق بشعر على غير عادة رعاة الجمال، أوخلع عنه ثوب الصوف ، سقيته كأس الحتوف ولا بد لي ان اخرج هذه الحماقة من رأسه ، وأهدمه من أساسه . فقال الملك زهير : يا شداد أحضر عنترة وأشرط عليه ما تريد قدامي وأفصل الأمر أمامي .

دعا شداد بعنترة فترجل وسعى اليه وقبل يديه وفاضت الدموع من عينيه فقال له : ويلك يا عنترة وقد رأيت ما جرى فارجع الى ما كنت عليه من رعي الجمال واذا عجلت بقتلك في الحال . وانا لا أقدر ان احسب القبيلة وانحرف معك ولا أن اترك أخي واتبعك فقال عنترة يا مولاي افعل ما تريد واحكم علي حكم

الموالي على العبيد وانا من اليوم لا اقصر عن رعي جمالك وحفظ جميع أموالك ، ولا أركب جواداً ، ولا احمل السلاح ولا اقول في غدو ولا رواح ..!

« ولما شهد عليه الملك زهير ، أنطفأت نـــار الشر بعد الاتقاد وشمتت بعنترة الاعادي والحساد ، وبعد ذلك قال لهم الملك زهير : « يا بني الاعمام خذوا أهبتكم للقتال حتى أسير بكم الى من أراد ان يسير اليكم طالباً محو آثاركم ، وسبي عيالكم وأخذ أموالكم ، وخروب دياركم .. فلما سمع القوم كلامه ثارت الحمية ولعبـــت بأعطافهم نخوة الجاهلية وقالوا أيها الملك من هو هذا السائر الينا ونحن معروفون بين العرب الكرام بفرسان المنايا والموت الزؤام ، فأخبرهم الملك بقصة بني طيء ، وما جمع عليهم ملجم ابن حنظلة وأخوه شارب الدماء من الجيوش التي جمعناها من كل حي ، ثم قال لهم يا بني الأعمام انتم تعلمون ان بني طيء هم جمـــرة بني قحطان والآن قد ساروا الينا واجتمعوا علينا ، واذل الناس من يغزى في دياره ، ويطـــأ اعداؤه جوانب اقطاره ، وقد عولت أن أسير بكم اليهم ، وأهجم عليهم فلا تبيتوا الا وانتم تحت السلاح ، معولين على الحرب والكفاح ، لاني اريد ان نسير غداً عند الصباح فأجابوه بالسمع والطاعة وتفرقت على ذلك تلك الجماعة .

وفرح عنترة بكثرة الجموع التي اجتمعت على القوم ، وعلى انهم سيحتاجون اليه في ذلك اليوم ، ثم انه دخل على امه زبيبة فوجدها حزينة كئيبة باكية ومتألمة لما وصل اليها فقال لها : دعي عنك هذا البكاء والحزن ، فوالله العظيم لابلغ مـــا أريد رغم أنف الجميع واهشم رأس عمارة وأخيه الربيـع » . فقالت : « والله يا ولدي ان عبلة تهواك كما تهواها ، وتعد نفسها جارية وانت مولاها ، واليوم كانت عندي وقد خلت البيوت من الرجال ، ووجدتها لما جرى عليك باكية ، وبما اصابك شاكية وقالت لي طيبي قلبه وأزيلي كربه ، فوالله ما انسى جميله ولا صحة وداده ، ولا اطاوع أبي على مراده » .

فلما سمع عنترة هذا المقال انجلت عن نفســـه الهموم والآلام ، واتسع صدره وانشرح ، وداخله السرور والفرح .

ولما اقبل الصباح امر عنترة اخويه شيبوب وجرير ان يسوقا الجمال وكان الحـــرب قد أصبح يموج كما يموج البحر اذا لعبت به ريح الشمال ، ومـــا انتصف النهار حتى خرج الابطال وتلاحقت الرجال ، وقد غاصوا في الحلق وتنكبوا بالدرق . وركبوا الخيول السبق ، وركب الملك زهير وهو غائص في الحديد ، مسربل بالزرد النضيد ،

ونشرت على رأسه راية العقاب ، والتفت حوله العشائر والاحزاب وبقي في الحي ولداه شاس وقيس ومعهما خمسمائة فارس لكي يكونوا للحي بمنزلة المحافظ والحارس ، وساروا تاركين الحي طالبين بني طي .

هذا ما كان من الملك زهير وبني عبس ، وأما ما كان من بني طي فانهم رحلوا عن ديارهم في اثني عشر الف فارس من كل مدرع ولابس ، والكل بالدروع والمغافر ، والسيوف البواتر ، ولكن الملك زهير أخطأ في التقدير بالسير لانهم اختلفوا في الطريق لسعة البر والقيعان ، وكان الأسبق بنو طي فوصلوا إلى بني عبس عند طلوع الشمس وأمتلأت بهم الروابي والبطاح ، وسدوا منافس الهواء بأسنة الرماح ، ورآهم الرعيان قبل أن يصلوا إلى المراعي ، وقد ظهروا من رؤوس الروابي والشعاب فعادوا إلى الحي على الأعقاب ، ونادوا بالويل والثبور وعظائم الأمور ، فنفرت الرجال وركبت الأبطال وركب شاس وأخوه قيس في مقدمة الفرسان وتبادرت اليها الشجعان من كل جانب ومكان . . وركبت بنو قراد وفي أوائلهم مالك وزخمة الجواد والأمير شداد ، وما بعدوا عن المضارب حتى طلع عليهم غبار بني طي من كل جانب ، ولمعت الأسنة مثل الكواكب ، ورأى قيس بن زهير الأهوال فخاف على الأهل والعيال ، وقال لبني عبس لقد أخطأ أبي مسيره ، ولكن قد كان ما كان ، والآن لا ينفعنا الإثبات الجنان ، والصبر على الضرب والطعان ، ثم انهم تأهبوا للحرب والقتال وتقدمت الابطال إلى المجال وأبصر عنترة هذه الحال ففرح وقال والله اليوم أبلغ الأمال . ثم التفت إلى أخيه شيبوب وقال له ويلك ما الذي تشير علي به من الفعال فقال له شيبوب اذا قبلت مني ما أقول فانك لا بد أن تبلغ المأمول ، وتلحق بالنسب والحسب ، وتفتخر على سادات العرب . وان لم تنل اليوم ما تريد فستظل محسوباً من جملة العبيد ، فقال له عنترة ولأجل ذلك استشرتك فاخبرني ماذا أفعل .. قال شيبوب الرأي انك تسوق النوق والجمال ، وتصعد إلى بعض التلال ، فاني أعلم ان أصحابنا سوف يهزمون وانهم سوف يلجأون اليك فاذا دعوك لنصرتهم فلا تركب جواداً ولا تمارس حرباً ولا جلاداً حتى يلحقك بالنسب مولاك شداد ويشهد على نفسه انك ولد له من جملة الاولاد ، وان لم يفعل ذلك وطلب منك النصر ، فلا تفعل وقل له : (إنا عبد يا مولاي وما جرت عادة أن يتقابل العبيد مع السادات ، وانت بالأمس منعتني عن ركوب الخيل وحمل السلاح ، فاشهدت علي الملك وسادات القبيلة واستحلفتني الا امس السيوف والرماح ، فأنا لا

أدخل تحت هذه الحومة ولا أخلع ثياب الخدمة)

فلما سمع عنترة هذا الخطاب رآه عين الصواب ثم أخذ العصا بيده وساق الجمال وطلع إلى ذيل الجبل الذي يسمونه العلم السعدي ووقف هناك لينظر كيف يكون الحال ، وأعد له شيبوب الجواد وربط له سيفه في السرج وأخذ الرمح وتبعه إلى ذلك المكان ، وبقي عنترة يرقب ما يجري بين بني طي من القتال ، وشيبوب يقول له (اليوم يومك يا بن السوداء ، فابشر ببلوغ الآمال) !

* * *

واندفع بنو طي مثل السيل العظيم ، وانتشروا على بني عبس انتشار الليل البهيم فالتقوا بهم واشرعوا إلى صدورهم أسنة الرماح وجرى الدم وساح وحلق الموت على الفرسان كما تحلق الطير وعلم بنو طي بغياب الملك زهير فاجترأوا على بني عبس واحاطوا بهم من كل الجهات حتى ضاقت عليهم الأرض والفلوات فتراجعوا إلى أذيال الحي وانجرح هيس ابن الملك زهير جرحاً أشرف منه على الهلاك فحملوه الى المضارب وتبعهم القوم ودارت القتال بين الاطناب وخاضت في بطون القتلى حوافر الدواب وخرجت الكواعب وهن منشورات الذوائب ممزقات الثياب واختار بنو عبس ضرب الرقاب على العار ولما استمر القتال قال مالك ابو عبلة لأخيه شداد وقد انجرح في موضعين ورأى الموت الأحمر رأي العين : (ويلك يا أخي أين عبدك عنتر ولماذا لم يحضر في هذا اليوم المنكر) .

فلما سمع شداد ذلك الخطاب غاب عن الصواب وقال له (اسكت يا مالك ودع عنك قول المحال فوالله ما ترك لنا عنترة اي مجال ولو كان اليوم معنا لكنا في أحسن حال وما كان السبب في طرده سواك وها نحن قد أشرفنا على الهلاك) ثم التفت شداد فرأى عنترة عند الجبل والعصا بيده يسوق بها النوق والجمال فهمز جواده وصعد اليه ولحقه مالك ابو عبلة والموت نصب عينيه ولما صار شداد عند عنترة صاح به (ويلك يا عبد السوء أهذا يوم اشتغال مثلك بالرعي عن بني عبس وقد سبيت الاولاد والحريم وطرحت الرجال بين الخيام وصرنا حديثا بين الانام ؟ !)

قال عنترة يا مولاي وما الذي أصنع ؟ والله يعز علي هذا البلاء الشديد ، ولكن انا عبد من أخس العبيد وانا أعلم انني سوف اساق في القوم من جملة الغنيمة فمن ملكني خدمته وخدمت عياله ورعيت نوقه وجماله ثم ساق الجمال والغنم وترك اباه وعمه يعضان اصابعهما من الندم فغضب شداد وصرخ عليه وقال له ويلك ما هذا

العناد هل دخل من عقلك الفساد ؟) قال عنترة (يا مولاي وما الذي تريــد مني وكيف تطلب مني العون وتترك السادات اصحاب الانساب الذي عندهم العبيد مثل الكلاب ؟) قال له (والله لقد صبرت وقدرت وانا أعلم أن قلبك علي ملآن وانك من اجل ما جرى عليك غضبان فاركب جوادك ، حتى تبلغ اليوم مرادك ، واحمل على الاعداء وكر ، وانت بعد اليوم حر) .

فقال عنترة (يا مولاي دعني عبداً طول الدهر ولا اكون حراً اقاسي العذاب والقهر ، فاني اريد ان استمر خلف الجمال فأستريح من القيل والقال ومن ملكني فأنا مملوك ، واعيش عنده كما يعيش الصعلوك) فقال له ويلك اترك هــذا العناد وانزل الى هؤلاء الاوغاد وأنا ادخلك في نسبي والحقك بحسبي) ثم تقدم اليه أبـــو عبلة وقال له (يا ولدي وابن أخي أما ترى ما نحن فيه من المصاب وما من عادتك يا أبا الفوارس ان تتركنا في العذاب، انهض وكر على هؤلاء الاحزاب فقدألحقناك بالنسب وشاركناك في الحسب وأصبحت تعد من سادات العرب فقال (انا يا عماه لاأقدر أن اكرر ،ولا اعد نفسي في مقام حر ولا اريد أن يكون لي نسب ولا زمام ، ولا أب ولا اعمام فلا تطل علي الكلام) . ثم اعتزل عنها وساق الجمــال والاغنام .

وبينما هذا يجري بين عنترة وأبيه شداد وعمه مالك بن قراد كانت خيل اليمن قد دخلت خيامهم فصارت بين البيوت وقد اخرجوا النساء والبنات المخدرات الحسان وطردوا الفرسان ، ووقع النهب في بيوت بني قراد ، واشتفت بهم الاعادي والحساد وخرجت الفرسان بالسبايا ومعهم عبلة ، وسمية ، والمعتدلة ، وشريحة ، والمدللة ، وما فيهن الا من تنادي بالويل ودموعها تجري مثل السيل ، وكان اكثرهن حزناً وبكاء عبلة بنت مالك لأنها كانت قد سباها فارس جبار وأسد مغوار يقال له (عياض بن محارب) الملقب بالسوار . وكان من شأنه أن يهتك المخدرات ويسبي البنات ويباغت القبائل ويغضب العرب على المياه والمناهل وكان قد خرج في هذه النوبة لكي يسبي عبلة لكثرة ما وصله عنها من أخبار محاسنها . وهو الذي كسر بني عبس وأبعد الحريم عن مواطنها ودخل بيوت بني قراد واخذ عبلة وجرهــا جر الاماء ، وأردفها وراءه وهي تلطم خدودها الى أن تخضبت بالدمـــاء ، ونظر مالك ذلك الحال فأقبل على عنترة بلسان الاذلال ، وقال ويلك يا أبا الفوارس أما ترى عبلة تساق سوق الاماء . وأنت عودتها العز والحمى فقال له عنترة : ولماذا لا

تطوح نفسك على عمارة المهاب ، وتسأله أن يخلصها من السبي والعذاب ؟ فقال ويحك يا ابن اخي ان عمارة جوح من اول القتال ، وهو مع ذلك ليس من فرسان هذا المجال .

فقال عنترة : وهل انا اذا حملت الساعة وبذلت روحي في هواها هل تزوجني اياها ؟

. قال مالك : اي وحق من بسط الارض ودحا ورفع السماء وعلاها احمل وخلصها من هذه المظلمة حتى أكون لك عبد وهي لك أمة !

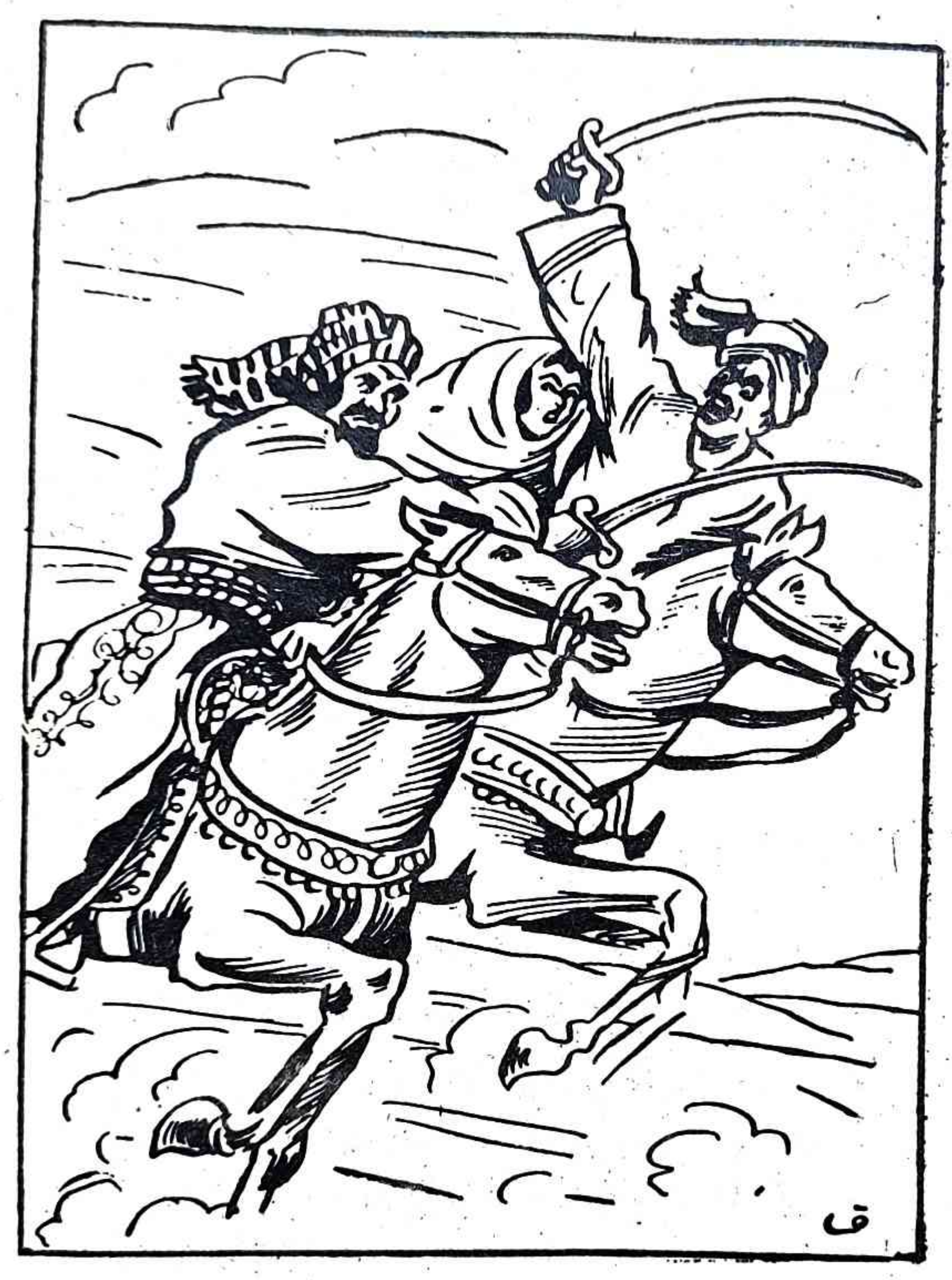
فلما فرغ مالك من ذلك الكلام تقدم شيبوب الى عنترة ، وقال له : يا أخي ما بقي على أبيك ولا عمك ملام فاركب الساعة وابذل المجهود وتوكل على الملك المعبود فعندها لبس عنترة عدة الحروب والجلاد ، وقد زالت من قلبه الاحقاد وانحدر من الرابية ، وهو يهمز همزات الأسود الضاربة ، حتى أدرك بني طي ، فأكب رأسه في سرجه ، وحمل على القوم وطلب عياض بن محارب وهو الذي سبى عبلة وكان قد خرج بها من المضارب ، فانقض عليه عنترة انقضاض الصواعق وخاف أن يضرب به بالسيف فيصل الضربة الى عبلة فتهلك معه ، فاعترضه على يمينه وصاح فيه ويلك يا كلب العرب قد أتاك عنترة مذل الجبابرة وطعنه في جنبه الايمن فأخرج السنان من جنبه الايسر ، فمال عن جواده وهو يخور في دمه وأقبل عنترة على عبلة ونجاها من المهالك وسلمها إلى أبيها مالك ، وعاد إلى الغبار وانصب على أعدائه انصباب السيل المدرار وجعل قصده بني كنده لأنهم اكثر عدداً ، وأقوى جلداً فنكس فرسانهم وقتل أبطالهم وشجعانهم وأخرجهم من بين الخيام وفرقهم بين الروابي والأركام ، فطرحوا ما كانوا قد أخذوه من الأسلاب وهربوا كما تهرب الغنم من الذئاب وعند ذلك رجعت بنو قراد إلى القتال وقويت قلوبهم على النزال ولما رأى عنترة أن القوم لا يرجعون ترك بني قراد في أعقابهم وانحرف إلى بني طي ، وكانوا قد وقعوا في بيوت الملك زهير من دون الحي لأن أميمه بنت سيدهم كانت عنده فأرادوا أن يخلصوها وكان في مقدمتهم أبوها فأخذها وسبى حريم الملك زهير واولاده ، وعاد هو وبنو عمه طالبين ديارهم ومعهم السبي والأموال والأماء والعبيد والرجال فالتفاهم عنترة بطعن يسابق القضاء والقدر وضرب لا يبقي ولا يذر ، وكانوا كلما طلبوه وازدحموا عليه وصوبوا الرماح اليه يقاتل وهو يصرخ في فرسانهم ويطعن شجعانهم .

ثم حملت بقية الرجال كي تعاون عنترة على القتال وجرى الدم وسال وقصرت الأعمار الطوال .

وأما عنترة فانه امعن في طلب فارس بني طي عياض بن محارب ، وما زال يطارده حتى أدركه في الهال وهو يحرض الأبطال فألقى نفسه عليه وسيفه في يديه ، وتمطى في ركابه وضربه بالسيف على قمته فنزل إلى قامته فلما رأى بنو طي تلك الضربة رجفت قلوبهم ، وولوا هاربين إلى بلادهم ، وهرب شارب الدواء مكتفياً بخلاص ابنته اميمه .

لما انتهى القتال أقبل عنترة من بني قراد وقبل يد عمه مالك وأبيه شداد ، وظن عنترة انه بلغ المراد ، ولم يعلم بما في قلب عمه مالك على العناد ، وفرح بخلاص عبلة من الاسر والمذلة ، وعندئذ التفت شداد وقال لاخيه مالك : « والله يا أخي لا بد أن يرتفع قدرك بسيف ولدي عنترة عند أمه ربيعة ومضر » ثم انهم دخلوا الحي وتلقته الابكار والحرائر فنحروا الجزور ، وشربوا المدام واكلوا الألوان الفاخرة من الطعام وصاوروا على ذلك خمسة أيام وبعدها قدم الملك زهير وهو طائر العقل لا يصدق ان يرى حيه بالسلامة والخير ، لأنه سمع أن أعدائه خالفوه في الطريق فخاف من خراب دياره وانطفأ ناره فلما وصل كان عنترة قد ركب إلى ملتقاه وترجل له فأمره الملك زهير أن يركب جواده فركب عنترة وسار الملك زهير وأولاده إلى جانبه حتى وصل إلى بيوته وقد زالت عنه جميع حسراته وباتوا في السرور والأفراح فلما أقبل الصباح دعا الملك زهير سادة عشيرته فحضروا بين ازواج وأفراد وكان أقرب الناس اليه في مجلسه عنترة ابن شداد فصار يحدثه كيف الحقه ابوه بالنسب وشاركه في الحسب وكيف خلصهم وحمى الحي وكيف رضي مالك ان يزوجه بابنته عبلة .

فلما سمع شاس من عنترة لهذا الكلام اشتعل في قلبه الحقد والغضب وقال : (ويلك يا شداد كيف يجوز لك أن تلحق هذا العبد بالنسب ومن فعل هذا قبلك من العرب ؟) فقال له أخوه قيس : والله يا شاس ما قصر عنترة فيما فعل وهو جدير أن نعمل في حقه أكثر من هذا العمل . فقال الملك زهير : (لا تزال يا شاس تتكلم بكلام الحسد ، والقبيلة بكاملها تعلم أن عنترة هو ابن شداد وله الخيار في معاملته بالتقريب والابعاد ، على أنه والله لقد فاق جميع بني قحطان وقهر جميع الفرسان ولو افتخر علينا لكان يحق له ذلك ، لأنه دائما يرفع قدرنا ويشد أزرنا



واعترض غريمه وصاح فيه ويلك يا كلب العرب قد اتاك عنترة مذل الجبابرة .

وكان الملك زهير يقول هذا الكلام وعنترة يقبل الارض ويدعو له بالبقاء على مر الليالي والأيام ، ويقول : (يا مولاي لا تؤاخذ مولاي شاس بما قال . فأنا عبده على كل حال وإذا كان قد تألم قلبه من الحاقي بالنسب ، فأنا أرحل إلى بعض أحيـاء العرب ، واطلب لنفسي علو الرتب ولا أقيم بدار الهوان ، ولا أعادي ملوك الزمان ، ولولا انتظاري مثل هذا اليوم السعيد ما جلبت لنفسي الضيم وما أحتملت

كل هذه المذلة من أجل أبنة عمي عبلة والآن قد بلغ الامر المنتهى لأن عمي قـد وعدني بها وانا لا آخذها الا عن اذنه ورضاكم ولا امشي الا بحسب هواكم وان كان هذا لا يرضيكم فانا أتخذ لي بعض المنازل واقيم على بعض المناهل واتجرد لنهب اموال العرب وجمالها واسبي خيار نسائها وعيالها وأعيش بقية عمري بلا صاحب ولا خليل ولا اقارب .

الوعد الكاذب

فلما فرغ عنتر من كلامه حتى نهض الملك زهير قائماً على قدميه ومشى اليه وقبله بين عينيه وقال له : (والله لا أصابك سوء ولا شمت بك عدو وانـك جدير ان تلصق بالنسب وتفتخر على سادات العرب وانت اليوم ابن عمي وفارج همي وغمي) ، ثم نادى : يا سادات عبس وعدنان من كان يريد ان يفعل مـا يرضيني ، فلينادي عنترة مثل ما يناديني) ! وكان ولده مالك حاضراً فـلما كاد يسمع من أبيه ذلك الكلام حتى نهض وعانق عنترة وهنأه وبابن عمه دعاه ، وقام إلى عنترة بعد مالك سائر بني عبس وعانقوه وبابن العم لقبوه . هذا وشاس قد زاد حنقه وكاد الغيظ يخنقه . وكذلك الربيـع بن زياد واخوه عمارة الا انهم اخفوا ما في الصدور من الكمد واظهروا الجلد .

ولما انقضت الوليمة خلع الملك زهير على عنترة خلعة عظيمة من الذهب تساوي الف دينار وقلده سيفاً وأركبه مهره وسار عنترة مع أبيه الى بيته .

ولما كان الغد وجلس الملك زهير اقبل عمارة في جماعة من بني زياد وأقبل بنـو قراد وفيهم عنترة بن شداد فنهض الملك زهير قائماً على قدميه وسعي اليه وقبـله بين عينيه ثم أجلسه إلى جانبه ، بين أولاده وأقاربه هذا وقد أخذت الفرسان مقاماتها وجلست كما كانت عاداتها .

فعند ذلك التفت عمارة بن زياد إلى مالك بن قراد ، وقال له : (يا شيخ اتعرف أن في نسبي او في أهلي وإخوتي اي ارتياب أو فينا ما يعاب ؟) قال مـالك (لا والله ياولدي بل أنتم أشرف العرب وأصحاب المعالي والرتب) . قال عمارة ولماذا تهاونت في حقي بعد ما رضيت ان تزوجني ابنتك . فـان كان في قلبك عذر أو سبب فأظهره لي فانني من الحق لا أغضب والا اخرج عن سنة الأدب ، ولا عما تحكم به العرب فقال مالك ابو عبلة : يا عمارة ما أنا غادر ولا عنك راجع ومتهاون

قال عمارة . هـــا أنت حضرة الملك الكريم والسيد العظيم وقد جئتك خاطباً وفي كريمتك راغباً ، فافرض علي من المهر ما شئت من الفضة والذهب واشهد علي وعليك هؤلاء السادات من ذوي الرتب .

فلما سمع عنترة هذا الكلام علم ان عمه كاذب ، وفي عمارة راغب وخـاف ان يبحث في المهر كما جرت العادة وتثبت على الاثنين الشهادة فقال عنترة لعمارة : يا بن زياد أما تزال على هذا التعدي ولا تتركه ؟ اتخطب من الرجل ما لا يملكه ؟ فقال عمارة اسكت يا عنترة ، والزم موضعك فما انا اتكلم معك ، ثم عاد عمارة الى مالك في الكلام وقال له . ماذا تقول فيما سمعت ؟ اني اسوق اليك مهر ابنتك كل ما تعينه من المال والنوق والجمال ، وبعد هذا كله انا عمارة ابن زيـــاد الذي افتخر بالاباء والأجداد ، وهؤلاء الأمراء اخوتي وهذا الملك صهري ، ومن يكون افخر مني في الحسب واعلا مني في النسب

فزاد بعنترة الحنق والملال وظهر له من عمه المحال ، فقال : وانتم ماذا لكم في عبلة حتى تتآمروا عليها، ان عبلة لمن خلصها من مخالب فرسان العرب حينما اشرفتم كلكم على العطب . قال عمرو اخو عبلة . والله يا عنترة لو امر الملك زهير بقتلي وأتت السيوف تنهبني ما سلمت اختي اليك ولا جعلتها في حوزتك وطوع يـــدك فقال الربيع . يا عمرو ومن الذي يغصبك على هذا الامر الشديد ؟ ان اختك تحت حكمك تزوجها بمن تريد ولا احد يستطيع ان يلزمك ان تعطيها للعبيد .

فلما سمع عنترة هذا الكلام قام الى جواده وركبه ، وكان سيفه مـــع شيبوب فأخذه واستله ونادى وقد احمرت عيناه وقال . يا سادات العرب هأنذا وانتم في حضرة هذا الملك العظيم الشان العالي المكان وقد خطر ببالي كلام اريد أن اقوله ، انتم تعلمون اني سألت ابي الف مرة أن يلحقني بالنسب فما فعل ولا ازال من رق العبودية وأوصاه بي مولاي مالك فما قبل الوصية ، وما أقر اني ولده ، ولا قال لي يا بني الا حين احتاج الي ، وانتصرت بسيفي هذا على الاعداء ، وخلصت نساء كم كلكم من السبي والعناء . وعمي هذا سبيت ابنته وسلبت نعمته، فقال لي يابن أخي خلص بنت عمك المكرمة ، وانا لك عبد ، وهي لك أمة ، ففعلت فعالاً تعجز عنها صناديد الرجال ، ورميت نفسي إلى الهلاك والوبال ، وخلصت الغنائم من بني طي طمعاً في تحقيق ذاك الوعد ، واليوم حين قر قراره يقول انه يزوج ابنته لمن يريد ، ويحسبني من جملة العبيد ، واما عمارة فقد جرى لي معه بالأمس ما جرى وعـاد الى

التعرض لي مرة اخرى ، وانتم تعاونونه طمعاً فيما ترونه من انقيادي اليكم ، وخضوعي بين يديكم ، وانا افعل ذاك لاجل القرابة ، ولو فعل بي غيركم هذا لتركته مثلا بين قبائل العرب

والآن فقد كان الذي كان وأريد منكم العدل والانصاف ان كنتم تزعمون انكم من السادات والأشراف . وان لم تنصفوني فما انا عن اخذ حقي جبان ولا قصير عن الضرب والطعان ؛ بل انا مهلك الفرسان والجبابرة الشجعان ، ومن حاد عن طريق الحق رددته اليه بهذا الصارم لاني لا اصبر على الذل والهوان »

ولما انتهى عنترة من هذا الكلام أومأ بيده الى الملك زهير وقال له . « وانت ايها السيد الهمام لا تلمني على ما انا عليه قادم لانك ادرى بما نحن فيه واخبر بما نظهره ونخفيه وهذا عمارة قد اراد ظلمي وزاحمني على زواجي من بنت عمي فدعه يبرز الى الميدان ويقارعني عليها بين الفرسان فاينا غلب وقهر كانت عبلة له ، على رغم انف الآخر ، وان كان يفتخر علي بكثرة ماله ونوقه وجماله فهذا اهون الامور علي ، فقل لعمي يقترح علي ما اراد من الاموال والنوق والجمال حتى آتيه بها بلا امهال فان عمارة لا يملك الا الذي بيده ، واما انا فاموال العرب كلها لي ان شئت اخذتها نهباً وغزواً ، وان شئت تركتها حلماً وعفواً ، وان لم يسمع مني هذا الكلام رحلت عنكم الى مكة لاقيم هناك عبد رب البيت الحرام واغزوكم في كل عام حتى افني أعدائي بالحسام وأتركم موعظة لسائر الانام ، لأني أحسنت اليهم فجحدوا الاحسان ، وحلمت عنهم فقالوا هذا جبان ، واريد من اليوم أن اعرفهم من هو احق بالذل والهوان واعلموا أني ما تكلمت بهذا الكلام ولي عندكم نية في المقام . ولا اريد منكم نسباً ولا زماما ، ولا أباً ولا أعماما ، ولا اريد أباً غير هذا الحسام ولا عماً غير هذا الرمح المعتدل القوام ، وان زوجوا بنت عمي بأحد حضرت اليه ، وخطفت روحه من بين جنبيه ثم أنشد يقول :

اذا جحد الجميل بنو قراد	وجارت بالعال بنو زيادة
فهم سادات عبس اين حلوا	كما زعموا وفرسان البلاد
فلا عتب علي ولا ملام	اذا اصلحت حالي بالفساد

فتعجب كل من حضر من حدة خاطر عنترة والتفت شداد الى اخيه مالك ، وقال له يا أخي أتريد أن تجعلنا مثلا لكل قائل وتشتت شملنا في كل القبائل ، فاما أن تزوج ولدي عنترة بابنتك عبلة والا رحلت عنكم انا في الجملة ، وكذلك

قال زخمة الجواد اخو شداد . وأما مالك بن زهير صديق عنترة ، فقد التفت الى أبي عبلة وقال له : « يا مالك اذا كان لابن اخيك في قلبك هذه البغضة ، فلماذا ألحقته في النسب وقلت خلص ابنتي عبلة وهي لك ، واليوم لما قرت بنتك في قرارها وأمنت في ديارها صرت تبعده وتهينه ، والله ان عبلة لعنترة على رغم أنفك وأنوف أعدائه الجميع ، وأولهم عمارة والربيع » .

ولما أتم مالك كلامه ساعده بعض المحبين لعنترة فلاموا أبا عبلة مثله فالتهب بنار غيظه وحنقه ، وقال من شدة قلقه : « أنا لا أسمع ولا أطيع ولا أزوج ابنتي الا لمن عاهدته في الاول وهو عمارة أخو الربيع » .

فقال له الملك زهير : « يا مالك هذه حجة قاصرة لا نقبلها وان كان خوفك من عمارة والربيع فأنا أسأله أن يهب لنا هذه الجارية ويعدل عن هذا الأمر الشنيع » .

فلما سمع الربيع هذا الكلام التجم من الخزي بلجام وقال من شدة مكره : أيها السيد الهمام وحق مالك علينا من سوابغ الانعام ان اخي عمارة لن يذكرها ولو هلك لأجلها من الغرام ولا انادي عنترة الا كما انادي بني الاعمام » ثم انفصل الامر على هذا الحال وتفرقت الابطال وعاد عمارة خائباً يتحسر بأذياله ولم يزل كذلك الى أن وصل الى ابياته وبكى بين يدي اخيه الربيع مثل بكاء الثكلى على ولدها الرضيع وقال : وحق اللات والعزى يا ربيع ان اخذ عبلة هذا العبد الزنيم فان اخوك عمارة يموت من حيرته فقال له الربيع « ما وقع الفناء في بنات عرب البادية حتى تزاحم هذا العبد على هذه الجارية » ودخلت عليه امه فاطمة فوجدته يبكي بين يدي اخيه الربيع فسألته عن حاله فأخبرها بما جرى له مع عنترة . فقالت له : « ولله يا عمارة أنا ما أردت أن تتعرض لهذا العبد لأنه جبار عنيد ولقد رأيت من فعاله ما أذهل بصري وحير نظري لأنه حطم ذلك الجيش الذي عجزت عنه الالوف وبدد بسيفه تلك الجماهير والصفوف ولو لم يخلص من أيديهم السبايا لكنا الآن في ديار بني طي نقاسي البلايا » . قال عمارة : يا اماه أما تزالين تعظمين هذا العبد الزنيم . اعلمي يا اماه انه اذا اخذ عبلة بنت مالك فاني لا شك هالك » . قال الربيع : « يا عمارة أنا لا اتركك تموت بحسرتك بل ادبر لك هلاكه بكل سبب » .

منافس جديد

وكان للربيع صديق من بني عبس قد أفنى عمره في الغزوات ، وهو « عروة

بن الورد ، الذي يلقب بعروة الصعاليك لأنهم كانوا يجتمعون اليه وكان معهم في أموالهم كالشريك . وكان العرب يتحدثون بعطاياه وفضله وحسن أخلاقه وخصائله وهو لا يقو من الغارات ولا يهدأ من الغزوات وكان من شجاعته حلو الخطاب ، حسن الآداب يفتخر على العرب بالفصاحة والكرم ، والسماحه وحسن الشيم .

وكان عروة قد سمع بحديث عنترة بن شداد ولكن ما اتفق له ان يراه في قتال ولا طراد ، ولما جرى لعمارة ما جرى مع عنترة في هذه المرة كان عروة بن الورد حاضراً في الحي في تلك الايام فدعاه الربيع وبالغ له في الاكرام ، ثم حدثه بحديث اخيه وما جرى له مع عنترة من العبارة ، وطلب من عروة قتل عنترة لأنه قد طغى وتجبر فقال له عروة : وهل بلغ قدر عنترة ـ هذا العبد ـ الى هذا الحد ونسي ما كان فيه من رعي الجمال .

قال الربيع : « أي وحياتك يا أبا الأبيض خرج علينا منه شيطان مريد وعبد لا يقاس بالعبيد ، وقد رفع الملك زهير قدره وعظم أمره وقد لقبه بحامية بني عبس وفارس كل من طلعت عليه الشمس ودعاه بابن عمه وكاشف غمه والآن نريدك يا أبا الابيض ان تعيننا عليه » .

وكان عمارة حاضراً وقد لعب به سلطان الهوى فطلب من عروة النصرة على عنترة وقبله بين عينيه وبكى بين يديه فقال عروة : « لا تبك يا وهاب انا أقتله قال عمارة : « يا ابا الابيض إن قتلته اعطيك فرسي اليعسوب ومائة ناقة حلوب « قال عروة انا لا اريد منك مالاً ولا نوقاً ولا جمالاً ولا بد أن أغتاله في بعض المواضع وأقتله لا ناظر ولا سامع » .

وأما ما كان من عنترة فانه لما أقبل الصباح وأتت الفرسان الى خدمة الملك زهير والسلام عليه أتى معهم وجلس بين يديه وبعد ذلك قام مالك ابن زهير وقصد أبياته وأخذ معه عنترة وأباه وأبا عبلة واقاموا ذلك اليوم في دعوته ، وفرح عنترة بقضاء حاجته ، وجعل يشكر عمه واتموا بقية يومهم بالسرور والافراح ، وتناول الاقداح ، الى أن أقبل الظلام ، فركب شداد ومالك ابو عبلة وعادا الى الخيام . هذا وعنترة قد استوى على جواده وسار في ركاب عمه كأنه بعض اجناده ، وكان عمرو اخو عبلة قد بات تلك الليلة غضبان ، لما رأى أباه قد أتى من عند مالك بن زهير وهو سكران وعلم أن عنترة كان معهم فتركه الى أن صحا ، وقال له (يا ابتاه عرفني ان كنت صادق الكلام في تسليم اختي الى هذا العبد الاسود حتى

ارحل عنك بسلام) فقال « يا بني طب نفساً وقر عيناً وحياتك لأقتله شر قتلة)
فطاب قلبه ، ولما أقبل الصباح مضى الى عمارة وأعلمه بما جرى بينه وبين أبيه من
العبارة فحدثه طارة بحديث عروة بن الورد الذي ضمن له قتل عنترة ففرح بذلك
واستبشر .

هذا ما كان من هؤلاء ، وأما ما كان من عروة فانه أرسل بعض عبيده يرصد
حين يخرج عنترة الى الصيد لكي يتم ما نواه من الكيد ، وكانت عبلة تحب عنترة
وتريد قربه وتراسله وتطيب قلبه ، وتعلمه بكل ما يجري من ابيها ، وما يدور بينه
وبين أخيها ، ولما أخبره عمارة أخوها خبر عروة بن الورد أتى يسعى الى أبيه مالك
وأخبره بذلك وكانت عبلة كلما اختلى ابوها واخوها تجيء خفية عنها وتسمع كل
ما يقولان وترسل الى عنترة ما سمعت منهما ، فأتت تلك الساعة ، وسمعت ما دار
بينهما فأرسلت من ساعتها تقول له يا ابن العم اوصيك ان لا تغتر بكلام ابي واخي
وخذ لنفسك الحذر ولا تخرج الى الصيد الا وأنت غارق في الحديد فان عمارة بن
زياد قد عاهده عروة بن الورد على قتلك ، فخذ حذرك ودبر امرك (واعذرني فاني
لا أملك أمري) فطار قلب عنترة بهذا الكلام وسأل عن عروة بن الورد ، فقيل له
أنه أخذ رجاله وسار من أمس الى ارض بني مذبح ليغير عليهم ، ويأخذ ما أمكنه
من الأموال والانعام وكان لعروة بن الورد مائة فارس من بني عبس تركب
لركوبه وتنزل لنزوله ، فأخذهم و كمن لعنترة في شعب يقال له شعب الاواد ،
وقد ترك على عنترة الارصاد ، الى أن خرج يوماً من الايام وشيبوب معه يعدو
كظليم النعام ، يثير له الصيد ويرد له الوحش حتى أشرفا على ذلك الشعب ، فخرج
عليهم فارس طويل القامة عريض الهامة كأنه دعامة ، أطلق عليه عنانه ، وقوم سنانه
وكان هذا الفارس هو (عروة بن الورد) وقد غير لباسه واقام في الكمين حتى رأى
عنترة قد أتى عليه ، فخرج وبرز اليه ، بعد ما قال لأصحابه : « يا بني عمر لا تحملو
على هذا العبد الا اذا انتصر ، وان رأيتموني أنا الظافر فدعوني واياه لتعرف
منزلتي عند الفرسان » .

ولما رآه عنترة داخله فيه الشك وناداه ، ويلك من تكون من الفرسان ، وما
الذي أوقفك في هذا المكان ؟ : فما رد ولا أجاب ، ولا نطق بسلب ولا ايجاب ،
فقال عنترة : « عجباً لهذا الفارس فانه جريء الجنان ولكنه أخرس اللسان » فقال
شيبوب : « ويلك يا ابن الام اقتله ودعه يكون اياً من كان ، وان لم تقتله دعني

امسك هذه النبلة في صدره أو صدر الحصان » قال عنترة : « يا شيبوب انني اريد الانصاف ، وانا كفء له ولو كان معه خمسة آلاف وان صدقني حذري فما هو الا « عروة بن الورد » الذي ضمن لعمارة نهاية امري .

فلما سمع عروة هذا الكلام ادرك انه عرفه وكشف عن وجهه اللثام وقال : نعم أنا بن الورد يا عبد السوء ، ولقد كنت لك في الانتظار حتى اقتلك واتركك مطروحاً في هذا القفار » .

فقال عنترة اخرس يا كلب العرب ، اين كنت في وقعة بني طي ولماذا لم تهاجم وتستخلص حريمك التي سبوها مع نساء الحي ، والآن تريد أن تكافيء الذي صان حريمك بأن تجعله غريمك ، أهذه أخلاق السادات الكرام الذين يعرفون الجميل ويحفظون الذمام ؟ ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وتطاعنا بالرماح .

هذا وشيبوب قد تركهما في القتال وعدا نحو الشعب مثل الغزال لينظر هل فيه احد من الرجال ، فغاب ساعة وعاد وكأنه ريح الشمال ، وهو ينادي ويلك يا اخي خذ حذرك فقد أتتك الأبطال ، فلما سمع عنترة هذا المقال هدر مثل الاسد الرئبال وصدم عروة صدمة تزعزع الجبال وقلب الرمح وطعنه في جنبه فألقاه في الرمال وكان قبل ذلك يلاعبه في القتال مثل ما تلاعب اللبوة الاشبال ، ثم تركه مشتغلا بنفسه وطلب فم الوادي واذا الخيل قد خرجت كأنها نار الزناد ، فتلقاها بطعن يخطف البصر وضرب لا يبقي ولا يذر وهو يهمهم كأنه الاسد الهصور ، وأراد شيبوب أن يغنيه برمي النبال فرأى الرجال بين يديه ممدة على الرمال ، وهم من حواليه قتلى ذات اليمين وذات الشمال فصار يربط من فيه الروح ويترك المقتول والمجروح حتى وصل الى عروة فشده كتافاً وقال له : « يا أيها السيد لا تؤاخذ العبد » وعاد الى اخيه فرآه يكردس الرجال حتى صاروا تلالا فوق التلال وما زال كذلك الى ان تعالى النهار فطلب أصحاب عروة الفرار ، وقد رأت ما حير منها الابصار وكان قد هرب منهم ثمانية وخمسون وقتل أحد عشر رجلا واسر واحد وثلاثون ، ثم أمر عنترة أخاه أن يشد الأسرى على خيولهم .

هذا ما كان من هؤلاء ، أما ما كان من الربيع بن زياد فانه ركب في ذلك اليوم هو وعمارة وقد طاب قلبهما بعروة بن الورد ، وكانا ينتظرا منه البشارة ، وذهب الربيع الى شاس وأعلمه بما دبر ، وكيف ضمن له عروة قتل عنترة ، ففرح شاس بذلك واستبشر وخرجوا ليلحقوا بعروة بن الورد ، وليروا ما جرى له مع

عنترة فالتقاهم أصحاب عروة وهم يركضون ويلتفتون الى ورائهم مندهشين فقال لهم شاس : « يا ويلكم ما وراء كم وما الذي دها كم قالوا وراءنا عنترة وقد أسر مقدمنا وقتل بعضنا ثم أنهوا قصتهم عليه فكاد من شدة الغيظ أن يغشى عليه » .

وأما الربيع وعمارة فانهما ذابت أجسادهما وتفتت أكبادهما وقال الربيع : « علينا الآن أن نسعى في خلاص عروة من يديه قبل أن يصل الى الحي وهو يساق كالبعير ثم سارا وهما يتشاوران في هذا الشأن وعلى غرة خرج عليهم نحو ثلاثمائـــة فارس من الفرسان يتقدمهم فارس أمرد تقلد بسيف مهند وجال عليهم جولة الاسد الضرغام وانقض على شاس وخطفه من سرجه وسلمه الى أجناده وعطف على الربيع وطعنه فقلبه عن جواده وصاح بعمارة فأذهله وضربه بالسيف على رأسه فكاد يهدمه على أساسه ثم ربط الجميع بالحبال وقطرهم كما تقطر الجمال .

وكان هذا الفارس من بني معن يقال له الهجام بن جابر وكان سبب قدومه ان الملك زهير سبق أن أغار على قومه فقتل لهذا الغلام أخاً وحين علم بما جرى على عشيرته سار في هؤلاء الفرسان يطلب حلة بنى عبس وعدنان ليأخذ ثأره ويخمد ناره فالتقى بشاس والربيع وعمارة ، كما سبقت العبارة : ثم قال لأصحابه « يا بني ، الرأي عندي ان نرجع الى ديارنا وأن نقتل هؤلاء الثلاثة هناك اولى من أن نلقي انفسنا بين قومهم ونتعرض للهلاك » فقالوا لقد أصبت فيما أشرت ثم عولوا على العودة راجعين وساروا حتى طلع بين ايديهم الغبار ، وأخذوا بأيديهم رماحهم الطوال وكان هذا الغبار لعنترة بن شداد ولما تقاربوا تقدم الهجام أصحابه وصاح بعنترة صيحـــة تصدع الحجر ، وقال له : ويلك من تكون من البشر ؟ قال له عنترة : بل الويل لك يا كلب العرب ، أنا عنترة بن شداد ، الذي شاع صيته في البلاد ، قال الهجام : مرحباً يا ابن السوداء ، أنت والله غاية المطلوب ، هلم لكي اقرنك الى سادتـــك ويكون معهم انصرام حياتك . قال له عنترة ومن يكون هؤلاء الاسارى من الناس قال : هذا الربيع بن زياد وأخوه عمارة وابن ملكهم شاس فقال : خابت والله آمالك واليوم تترمل عيالك !..

فحمل عليه عنترة ، وضايقه وضربه بالسيف على عاتقه فلما رأى اصحابه ذلـــك حملوا على عنترة ، فتلقاهم بصدر جواده . وصار ينثر رؤوسهم مثل الاكر ، وأكفهم مثل اوراق الشجر ، وشيبوب يرمي خلفه بالنبال فيصيب بها مقاتل الرجال ، ولم تزل السيوف عاملة والخيول جائلة حتى كان لهم يوم ما سمع بمثله من سالف القدم وما

نجا منهم الا من كان جواده طياراً ففاز بنفسه وانهزم ، فعند ذلك ترجل عنترة عن جواده وقبل يد شاس ، وقال له الحمد لله على زوال البأس ، ثم حله من وثاقه وامر شيبوب ان يسوق في الحبال بقية رفاقه ، ثم ان عنترة أخذ الحوط من أخيه شيبوب ونزل على عمارة الوهاب ، فصار يعوي مثل الكلاب وقال له ويلك يا عمارة السوء اين أخوك الربيع ، يرفع عنك هذا العار الشنيع ، وأين صاحبك عروة بن الورد يكف عنك سوط هذا العبد ويجمع صعاليكه الشداد ، ويقتل لك عنترة بن شداد.

فصعب على شاس ما أصاب عمارة ، ولكنه اظهر الجلد ، واخفى الكمد ، وقال يا ابا الفوارس ما هذه الأفعال التي تفعلها ببني عمك وهم على كل حال من لحمك ودمك فقال عنترة : يا مولاي بني زياد قد لزموا معي العناد ، ورتبوا لي عروة ورجاله لكي يقتلوني ، وقد نصرني الله عليهم وهذا عروة قد اسرته مع رجاله ، وقتلت بعض ابطاله ، وهذا عمارة وأخوه الربيع لا بد ان احضرهما بين يدي ابيك حتى يرى فعلها الشنيع ، وأظن انه ما فاتك خبر هذه الحيلة التي صنعوها ، ومرت معهم لكي تتموها ، فجاء الأمر بخلاف ما كنتم حاسبين ، وصرتم مغلوبين .

قال شاس : يا ابا الفوارس ارجو أن تطلقهم هذه الكرة وتقبل سؤالي فيهم هذه المرة قال عنترة : إذا كان الأمر كذلك فاحفظ لي هذا الصنيع ، وانا اطلق لك عمارة والربيع ، واما عروة الصعاليك فاني اقسمت اني لا اطلقه الا بين يدي ابيك قال : اطلق الربيع وعمارة وأنا ابلغك ما به اشرت ، ولكن بشرط ان لا تعلم أحداً ولا تطلعه على ما اصابنا قال عنترة : لا ومالك الممإليك لا اطلع احداً على ذلك ثم ان عنترة اطلق الربيع وعمارة ، واعطاهما خيلهما فانطلقا الى الحي وهما في حال الذل والانكسار وسار عنترة على اثرهما وعروة مشدود على ظهر جواد ، وهو يلعن عمارة والربيع بن زياد . حتى وصلوا الى الديار ، ودخلوا على زهير فتقدم عنترة اليه وحدثه بالقصة ولما رأى الملك ان المشكلة معقدة ، اصلح بينهما صلحا غير مقبول لان احقاد العرب لا تزول .

وسمع شداد بما جرى واستبشر بسلامة ولده عنترة ، واما عمه مالك وولده عمرو فعظم عليهما الامر ، وبقي مالك ابو عبلة يفكر فيما يعمل وقد ضاعت به الحيل .

ولما كان الغد خرج عنترة واخوه شيبوب للصيد والقنص ، فخرج الربيع إلى مالك مع ولده عمرو ليتفاوضوا في ذلك الأمر ، فركبا اليه وركب معهما عمارة ، وساروا وهم يتحادثون في العبارة ، قال لمالك : ان اردت هلاك عنترة فاسمع مني ما

به اشير ، وانني ما طلبتك الا لأجل هذا التدبير . قال مالك : و كيف ذلك ؟ قال من اليوم فصاعدا اظهر له المحبة والوداد وعامله كما يعامل الاباء الاولاد ولا تمنعه من دخول الخباء واظهر له محبة والاقرباء ، وبعد ذلك طالبه بالصدق ، واذا قال لك ما الذي تريده قل له ألف ناقة من النوق العصافير ، التي للمنذر ملك العراق حتى تفتخر بها إبنتي على سائر بنات العرب ، وانا اعلم يا مالك انه لا بد ان يسير إلى بني شيبان ويتعرض المنذر ابن النعمان ، تعود تسمع به إلى آخر الزمان .

وعند المساء عاد عنترة من صيده فتلقاه مالك بالابتسام ثم مضى بـــه إلى بيته وحادثه على الطعام . ففرح عنترة بذلك وأقام ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع اراد الانصراف . فقال له عمه : « يا ابن اخي ان عبلة لن تكون الا لك ثم أخذ يكثر له من الخمر حتى لعبت برأسه فقال له عمه : « يا ابا الفوارس ماذا تريد ان تقدم لعبلة فقد منعت عنها الطلاب وقطعت الخطاب اتأخذها بلا مهر ؟ : قـال عنتره : « لا والله يا مولاي ما كنت منتظر الا كلامك فقل ما تشاء واطلب مـــا تريد » قال مالك أنا أريد منك ألف ناقة من النوق العصافير التي للملك المنذر لا توجـــد عندنا في أرض الحجاز فنحن نفتخر بها ونعتز غاية الاعتزاز .

فلما سمع عنترة ذلك الكلام ، داخله الفرح وقال لعمه لك ما تريد وسآتيك بها وهي محملة من خزائن الملك النعمان فعاهده مالك على ذلك واعطاه يده ، والغـدر يملأ قلبه و كبده ، وقام عنترة إلى مـنزل امه ونام ولما انتصف الليل صحا ونبه اخاه شيبوب ، « قم وشد الجواد فانى عازم على السفر ، قال « الى اين تريد ان تمضي يا ابن أمي ؟ قال سائر في طلب مهر ابنة عمي فشد شيبوب على جواده وقام عنترة ولبس عدة جلاده وركب وخرجا تحت ظلام الليل فلما ابتعدا عن الدار قـــال شيبوب « اي المذاهب تريد أن تذهب ؟ » قال يا ابن الام الى أرض العراق فانها كثيرة الجمال والنياق ، فأخذ شيبوب يقطع قدامه الأرض حتى علا النهار فاذا قد أشرف على بيت مضروب في ذلك المكان فقصد اليه فظهر له شيخ قد انحنى من الكبر فالتقاها وقال لهما « اهلاً وسهلاً بكما انزلا على الرحب والسعة والكرامة والدعة فنزل عنترة عن جواده واضرم الشيخ النار وصنع لهما الطعام واكل معهما وبعد ذلك سأل عنترة أين هو سائر ومن أي العشائر فاخبره بقصته من الأول إلى الآخر فقال له الشيخ « قاتل الله عمك فقد بالغ في التدبير وانفذك إلى الهلاك والتدمير قال عنترة « و كيف ذلك يا شيخ « قال يا ولدي هـــذه النوق العصافير لا توجد الا في

بني شيبان وهي لملك يقال له المنذر بن ماء السماء اللخمي سيد قبائل العرب وخليفة كسرى بإنو شروان وهي عشرة آلاف ناقة اذا سارت تكاد تطير ولذلك يقال لها النوق العصافير وانت وحق الكعبة سائر بنفسك إلى الهـــلاك لانك ان اردت ان تأخذها غضباً شربت كاس المنون وان اخذتها خطفاً فأين تذهب بها ومن يقدر ان يحميك من القبائل التي تدين للمنذر بالطاعة واعلم يا ولدي انني قد نصحتك لانك ضيفي والوفاء للضيف من شيم الكرام ، فقال شيبوب والله يا أخي ان هذا الشيخ قد نصحك فاقبل النصيحة فارجع ولا تعرض نفسك للفضيحة واطلع الملك زهير على ذلك . فانه لا بد ان يبلغك المراد ويعينك على زواج عبلة ، قال عنترة دع عنك يا شيبوب هذا الكلام فانني لا اسمعه ولا ادع عمي يراني عاجزاً عن مطلبي ويلك هل أعود بعد خوض البلاد واقول لعمي عجزت عن مهر عبلـــة فزوجها ابن زياد ؟ والله لا فعلت ذلك ولو مالت علي الجبال .

أبو الفوارس في السجن

ثم ان عنترة وشيبوب باتا عند ذلك الشيخ ولما أصبحا ودعاه وسارا يضربان في الآفاق ، قاصدين أرض العراق ، وما زالا يقطعان القفار والفدافد ، حتى أشرفا على ديار بني شيبان وقد بقي بينهما وبين الحيرة يوم واحد ، فأبصرا بلاداً عامرة ، وخيرات وافرة وأنهاراً دافقة وأشجاراً باسقة ، وأغناماً بعدد النمل ، وحبات الرمل ، فلما رأى عنترة ما في تلك الديار من الخلائق داخله الهول والارتباك وعلم أن عمه ما انفذه اليها الا وأراد له الهلاك ، فقال لشيبوب :

يا ابن الأم انطلق وانظر الى هذه النوق وارجع الي بالخبر ، حتى أستريح هنا واريح الجواد .

فأخذ شيبوب قوسه وكنانته وألقى العصا على كتفيه وسار الى المراعي ، فوجد المواشي تكاد تتشقق من اللحم والشحم لخصب تلك الارض ، وقد انتشرت في تلك السهول فملأتها بالطول والعرض فلما رآه العبيد الذين كانوا يرعونها رحبوا بـــه وأكرموه وأخرجوا له من الزاد الذي معهم وأطعموه ، ثم سألوه من يكون من العبيد وكيف أتى الى تلك البلاد ، وما يريد فقال لهم (يا بني الخال انا من عبيد بني زبيد لي مولى جبار عنيد لا يرحم فهربت من بين يديه ، وأبعدت عن الديار حتى لا يلقاني أحد ويردني اليه ، فقالوا له « يا ابن الخال اقم عندنا بقية عمرك .

فانك تكون في امان ونحن نقول لمولانا الملك المنذر ان يزوجك جارية من جواريه فتعيش معنا ناعم البال » فشكرهما شيبوب على ذلك التدبير ، واقام عندهم حتى بقية يومه حتى عرف النوق العصافير فوجدها من عجائب الزمان ، كانت بيض الالوان ، ولها اوبار ناعمة كريش النعام واسنمة كالقبب وقوائم كاعمدة الرخام ؟ وعيون سود الحذق ؟ فتعجب من حسن منظرها البديع .

ثم انه جلس مع العبيد على الطعام وساق الابل معهم حتى قربوا من الأحياء وخيم عليهم الظلام فعاد عنهم خلسة وقد اشتغلوا عنه ، وانطلق يعدو كالظبي النافر حتى وصل إلى أخيه عنترة وأنباه الخبر ، وحدثه بما سمع ونظر ، وقال له « يا أخي وحق ذمة العرب ما نحن الا في أشد الخطر » قال عنترة : « ويلك يا شيبوب ، اما تعلم ان من لا يصبر على النوائب لا ينال أعلى المراتب » ثم اقام إلى وقت السحر ، وشد له شيبوب على جواده وافرغ على جسده الحديد ، كأنه البرج المشيد ومضى إلى المراعي ، ولبث ساعة واذا بالنوق العصافير قد اقبلت كقطيع الجمال ، وكل عشرة من العبيد مع ألف ناقة يسوقونها ، فلما رآهم عنترة امهلهم حتى قربوا المرعى ، وسرحوا مواشيهم تسعى ، واخذوا في حديثهم ولعبهم ولم يلتفتوا له فقال لأخيه : « اذهب يا شيبوب واقطع الطريق من جهة الحلة على العبيد ، ولا تمكن احداً من العودة حتى لا يثير علينا بالصياح بقية القوم ولا تفسح لهم الطريق الا بعد ان اكون في مكان العبيد فركض شيبوب حتى صار خلف العبيد وافرغ كنانته بين يديه واوتر قوسه وجثا على ركبته والعبيد عنه غافلون .

فلما علم عنترة ان أخاه قد وصل إلى الطريق ، حرك جواده وخاض وسط النوق وقطع برمحه ألف ناقه وصاح في العبيد : ويلكم سوقوا النوق وسيروا بها قدامي ، والا خضبت من دمائكم حسامي » . فعند ذلك ثاروا في وجه عنترة وقد اذهلهم مرآه ، وصاح المقدم عليهم دونكم اياه ، ثم اسرع اليه وقال له : ويلك من انت ايها الجاهل المغرور ، الذي سعى برجليه الى الهلاك والثبور ، اما علمت ان هذه النوق للملك المنذر بن النعمان خليفة كسرى انو شروان ، فتلقاه عنترة بقلب اقوى من الحجر ، ثم علاه بضربة على عنقه أطارت رأسه فلما رأت العبيد تلك الضربة ، وقعت في قلوبهم الرهبة ، وساقوا النوق من غير مقاومة وبعد قليل علت الضجة في المرعى واسرع بعض العبيد خلف عنترة يريدون أسره فعاد اليهم وبدد شملهم وقصد بعضهم الحلة فالتقاهم شيبوب بنباله وردهم إلى الوراء وجعل يرمي صدورهم دون ان يخطيء

حتى قتل اكثر العبيد ثم لحق اخاه ودخل بالعبيد العشرة والف ناقة في مسالــــك مجهولة وهو يسوقها حثيثاً وقد تأخر عنترة ليحميه الى ان انتصف النهار وإذا بغبار قد ظهر من خلفهم حتى بلغ عنان السماء ثم ظهرت من تحته الفرسان ابطـــال بني شيبان ولمعت الصفاح وبرقت اسنة الرماح حتى اشرفوا على عنترة والغنيمة سائرة بين يديه فتدفقوا من كل جانب عليه وهم ينادون يا كلاب العرب اين تنجوا من سطوة بني شيبان ومن سيف المنذر ابن النعمان .

وكان الصياح قد وصل إلى المنذر ، فقال لولده النعمان وهو الأكبر انظر مـــا لهؤلاء العبيد ، وعد الي بالخبر ، فتقدم اليهم فاخبروه ان خيلا اغارت على المرعى واخذت ألف ناقة من النوق العصافير وجدت في المسير ، فلما سمع النعمان ذلك اسرج الجواد ، وتدفقت من خلفه الفرسان والجياد ، وتبعته بنو شيبان حتى لحقوا بعنترة ولما رآهم عنترة حمل عليهم حمـــلة الاسد الجسور ، وانصب عليهم انصباب المطر ، فاطلقوا نحوه الاعنة وقوموا الاسنة ، فلما نظر عنترة تتابع الخيول تلقى الفوارس والخيل ، فطعن في الصدور ، واجرى الدماء في انابيب وكانت الرجال تتتابع اليه وهو ينكسها على الأرض ، ويطرح بعضها فوق البعض ، الى ان كثر عليه العدد ، وتزايد المدد وشيبوب مشتغل عن معونته بالنوق ، اما العبيد الذين ساقهم مع النوق فقد قويت قلوبهم بقدوم مواليهم ، فتأخروا عن سوق النياق ، ولما رأى النعمان وشيبوب وحدهما وليس في المعركة غيرهما قال لقومه : « اذ لكم الله . فارس واحد من العبيد يفعل بكم هذه الأفعال ، وانتم في هذا العدد من الأبطال ؟ » فانعطف جماعة منهم الى شيبوب واطبق الباقون على عنترة . فانفرد شيبوب إلى ناحية وربض كأنه الذئب الأغبر ، ونادى : ويلكم يا انذال العرب وحق الكعبة ان تقدم واحد منكم ضربته بنبلة في صدره اطلعتها تلمع من ظهره ، اما عنترة فانه قاتل حتى كلت يده ، وقصر من تحته الجواد فكبا به فترجل وقد ايقن قرب المنية وحينئذ قصدته الرجال وتدفقت عليه من كل جانب فضرب فيهم ضربا لا يبقي ولا يذر ونثر بعضهم فوق بعض كورق الشجر .

وبينما هو يفرق الشجعان وينكس الفرسان اذ عـــثر بقتيل فوقع على وجهه فادركته الرجال وبركوا على صدره واوثقوه بالحبال واخذوه اسيرا وقدموه بين يدي النعمان .

واما شيبوب فانه كان مشتغلا بالنياق والعبيد وبينما هو كذلك اذا بالجواد الابجر يعود

وهو خالي السرج فايقن ان عنترة قتل واندثر ففاض الدمع من عينه ، وانطلق يعدو على قدميه والخيل تلج في طلبه فلا هو يفوقها ولا هي تدركه وتظفر به بل دام الأمر كذلك من الظهر حتى اقبل الظلام ، فوصل الى كهف في جبل فيه غلام من رعاة الغنم وبين يديه نار تضطرم ، فلما راه شيبوب ناداه « يا فتى اجر عبدك الطريد » فقال « مرحبا بك دعوت من يبذل نفسه لـــك » فدخل شيبوب الا انه ما استقر حتى وصلت اليه الرجال ، وهي تتدفق مثل السيل ، وقالوا للغلام ، اخرج هذا الشيطان الذي قتل لنا فرساننا » فقال الغلام : « يا سادات العرب هبوه لي واقبلوا فيه كلامي فاني قد اجرته وصار في ذمامي » قالوا : لا كنت ولا كان ذمامك اخرجه لنا لكي نقتله ، والا قتلناك قبله » قال لهم : « يا وجوه العرب اذا لم تسمح لكم انفسكم بتركه فابعدوا عن باب الغار مقدار اربعين ذراعاً وانا اخرجه لكم وحينئذ دونكم اياه ولا تجعلوا ذمتي تذهب ضياعاً » قالوا له : قد قبلنا سؤالك فافعل ما بدا لك ، فعندها دخل على شيبوب وقال له يا فتى لقد سمعت ما جرى لي مع هؤلاء اللئام وانا قد رضيت باتلاف حياتي ، ولا اضيع عهدي وكلمتي ، فاخلع الثياب التي عليك والبس ثيابي وخذ مزودي وعصاي بيدك واذا كنت على باب المغارة قل لهم يا وجوه العرب دخلت اخرجه لكم فما رضي أن يخرج معي وانا قد نزلت لأجلكم ذمامي فدونكم إياه وأنا ذاهب حتى لا يكون قتله أمامي واذا رأيتهم دخلوا الي فاطلب لنفسك النجاة ودعني معهم حتى يسقوني كاس الحمام ، ولا أعيش الذمام ، فلبس شيبوب ثياب الراعي وأخذ مزوده وعصاه وخرج من المغارة وسواد الليل قد اخفاه وقال لهم كما علمه الغلام ، وانطلق يعدو تحت الظلام فعند ذلك دخل القوم الى المغارة واخرجوا الغلام ، فعرفوه ولاموه على ذلك وعنفوه ، فقال يا وجوه العرب انه قد استجار بي فأجرته وأعطيته الذمام وما دمت قد عجزت عن حمايته فقد رضيت أن اموت بدلاً منه ولا أعيش ساقط الحرمة وها أنذا قدصرت بين ايديكم فان مننتم علي بالانطلاق شكرتكم ، والا فافعلوا بي مـــا شئتم ، فقد فوضت امري الى الله فتعجبوا من تلك المروءة ، ولم يروا أن يقتلوه ويرجعوا بالخزي والمذمة ويفوز هو بالكرامة وحفظ الذمة .

وأما ما كان من شيبوب فانه نجا بنفسه وسار حتى اقبل عليه الصباح وهو يذكر ما جرى لأخيه ودموعه على خديه وكان أشد المصائب عليه دخوله على الحي ونعيه لأخيه ، وشماتة الاعداء فيه ، ولا سيما عمه مالـــك وولده عمرو والربيع بن زيادة واخوه عمارة .

هذا ما كان من شيبوب واما ما كان من عنتره فانهم اخذوه اسيراً إلى النعمان وهو يدمدم كالاسد فتعجب من شدة جسارته وهول صورته فقال للقوم : « سيروا به إلى أبي لكني يتفوج عليه ويفعل به حسب ارادته » فساقوه إلى المنذر .

وكان المنذر قد خرج الى الصيد مع رجاله وبينما هو عائد اذ ظهر لهم اسد يزأر فيقلب الوديان ، فنفرت الجياد وخرجت له الابطال واتفق في ذلك الوقت وصول النعمان بعنترة فقدمه إلى أبيه واخبره بالخبر ، فتعجب المنذر من افعاله ، واندهش من هول منظره وشدة اوصاله ، وقال له : « من أي العرب انت يا عبد النحس؟ » قال : يا مولاي من بني عبس ، قال هل تكون عبدهم ، او نزيلا عندهم » ، قال : يا مولاي ان النسب عند الرجال ، الطعـــن بالرماح الطوال ، والضرب بالسيوف السقال ، والصبر في معمعة القتال ، وانا اطيب بني عبس اذا اعتلت ، وحاميها اذا ذلت ، وحافظ حريمها اذا ولت فتعجب الملك المنذر من فصاحته، وقوة قلبه ، وقال ما الذي حملك على التعرض لاموالي ، وقتل رجالي ؟ ، فقال « ظلم عمي وغدره ، وخبثه ومكره ، لأني ربيت في نعمته وضيعت عمري في خدمته ، طمعاً في زواج ابنته ، فطلب مني مهرها الف ناقة من النوق العصافير ، فساقتني اليـــك المقادير ، والآن ان شئت ان تقضي علي او تعفي عني فأكون خادمك الذي يغنيك عن كثير من الجنود والأعوان ، فخير العفو ما جاء بعد المقدرة ، ومن شيم الكرام قبـــول المعذرة » فقال له : « وانت في هذا العقل والادب كيف ركبت هـــذا الغرور وخاطرت بنفسك لاجل جارية من بنات العرب ؟ » قال عنترة (اي والله يا مولاي ان الهوى يحمل الرجال على ركوب الأخطار والأهوال ، وما اوقع الرجال في مثل هذه المواقع ، الا النظر الى ما تحت البراقع) ، ثم فاضت عيناه بالدموع ، وتنفس المصدوع وأنشد يقول :

جفون العذارى من خلال البراقع ... احد من البيض الحداد القواطع

اذ جرت ذل الشجاع واصبحت ... محاجره قرحى بفيـــض المدامع

خلقنا لهـــذا من قبـــل خلقـــنا ... فما يدخل التنفيذ فيـه مسامعي

فيـــا نسمات الريح بالله خبري ... عبـــلة عن رجلي بـأي المواضع

فتعجب الملك المنذر من فصاحته وشجاعته وقوة جنانه وبراعته ، وعلم انه غريق في بحر الغرام ، لا يدري ما له او عليه من حوادث الايام وبينـــما هـــو كذلك اذا



« وأخذ عنترة سيفه وتقدم نحو الاسد فزمجر ووثب ..

بالرجال تقدموا اليه وقالوا ايها الملك قد سطا علينا ، الاسد فكان الشجاع منا من فر من مخلبيه وقد اهلك منا جماعة ولم نقدر ، فقال الملك بادروه بالنبال ، قبل أن يلجأ الى بعض التلال ويقطع الطرق والمسالك ، فلما سمع عنترة كلام الملك انفتح له باب الأمل وطمع في تأخير الأجل وقال : « ياملك قل لأصحابك يرموني بين يديه

فان افترسني تكون قد بلغت مني المرام ، وان قتلته تعاملني بما استحقه من الاحكام ».
فأجاب الملك سؤاله ، واشتهى أن يرى أفعاله ، وقال لحجابه : « حلوا يديه ورجليه حتى نرى ماذا يفعل » قال : « لا تحلوا غير يدي ودعو رجلي في الوثاق » فحملوا يديه :

وعند ذلك أخذ عنتره سيفه وذهبوا به الى الأسد وتبعه من بعيد الملك وأتباعه وتقدم عنترة نحو الاسد فزمجر ووثب ، والقى نفسه عليه فابتدره بضربة بين عينيه شطره حتى فخذيه ، وخر على الأرض كما يخر الجبل ، فمسح عنترة سيفه في جلده ورجع وهو يخجل في قيوده كأنه قاتل أرنباً ، وقد اقشعرت جلود الناس من هول تلك الضربة ، فقام الملك المنذر ، وهو يقول : « والله ان هذا الفارس لا يقاس به الفوسان ولا ينتج مثله الزمان ولا بد ان اعامله بالعفو والاحسان لكي افخر عند كسرى انو شروان ، وابين فضل العرب على العجم عباد النيران و ولا بد لنا ان نبلغه ما طلب وننعم عليه بما اتى لاجله ، ثم ان عزة الملك غلبت على المنذر واستنكف من خرق عنترة لحرمته وقتله لرجاله ، فأمر بالتحفظ عليه ، وبان يقدموا له ما يحتاج اليه بتمام الأمانه .

وكان كسرى ملك الفرس يحكم بلاد العراق ، وكان ملوك الحيرة نواباً له في تلك الآفاق ، وكان الملك المنذر يتردد على كسرى في أكثر الأحيان فيكرمه وينعم عليه ، ويبالغ له في الإحسان فحسده بعض الحجاب وقال للملك كسرى إلى كم تكرم هذا البدوي عابد الحجر ، وترفع قدره ان غاب او حضر ، وهو من العرب رعاة الأغنام الذين لا يفخرون الا بالسرقة والغارة ، وعبادة الحجارة ، وكان ذلك الحاجب عزيزاً عند كسرى وتحت يده عشرون الفاً من الفرس ، وكان اسمه الخسروان ابن جرهم ، وما زال يحدث كسرى ويوغر صدره حتى تغير قلبه عن مودة المنذر ، واتفق ان الملك المنذر حضر إلى زيارة كسرى في تلك الأيام ، فقال الحاجب لكسرى : « سأريك جهل هذا البدوي لتعلم ما يستحقه من الاكرام فلما جلس على الطعام واياه ، وضع الحاجب قدام كسرى تمراً منزوع النوى وقدام المنذر تمراً بنواه ، فصار كسرى ومن حوله يأكلون التمر ولا يرمون شيئاً منه فظن المنذر ان هذه عادة لهم ؟ فصار يأكله مثلهم ، وكان ابتلاع النوى يتعذر عليه ، فصاروا كلهم يضحكون فخجل المنذر ، وقال : « مالكم تضحكون » فاظهر له كسرى ذلك السر المكنون ، فغضب المنذر ، وقام عن الطعام ، ثم انحرف إلى بلاده وهو يلعن الفرس والأعجام .

ولما وصل الى الحـــيرة اعلم عشائره بما جرى بينه وبين كسرى في المدائن ، وامرهم ان يغيروا على القوافل التي تخرج من بلاده والتي تأتي اليها ففعلوا ، فأرسل كسرى الى المنذر يأمره بان يردع قومه عن هذا الطغيان ، والا خرب بلاد العرب.
فلما وصل المنذر ارسل الى كسرى يقول له : « ايها الملك ان العرب قد سمعوا بما جرى لي عندك حين اطعمتني التمر وأضحكت عــلي الحجاب ، فظنوا اني صرت مسخرة فتركوا طاعتي ، ولم تعـــد لي عندهم هيبة ولا حساب ، وان اردت ان ان يعودوا الى طاعتي فارسل الي الحجاب الذين ضحكوا علي مقيدين بالاصفاد ، حتى ادوس رقابهم بقدمي على رؤوس الاشهاد ، فحينئذ تعود العرب الى طاعتي ».
فلما وصل هذا الجواب الى كسرى هاج به الغضب ، وقال لقد طمع فينا المنـــذر حاكم العرب ، واخبر الحجاب بما ارسله من الجواب ، فقال الحاجب خسروان : « انا ايها الملك اسير اليه ، وآخذ روحه من بين جنبيه » نعم فاركب اليه برجالك ولا تقتله ان ظفرت به ، بل احضره الي اسيراً لكي اضربه على سوء ادبه » .

فركب خسروان في رجاله ، وهم عشرون ألف فارس وقصد الحـــيرة وكان عنترة اسيراً عند المنذر في تلك الأيام ، واما المنذر فكان يركب كل يوم ويبعد عن الديار لكي يتنسم الأخبار فبينما هو كذلك ذات يوم اذ طلع عليه غبار من ناحيه بلاد العجم ، واسود الجو منه واظلم ، ثم انكشف عن جمهور من الفرسان ، كأنهم مردة الجان. وقد هزوا السيوف والعمد فقال المنذر : « هذه والله مواكب عبادة النار ، فخذوا يا بني عمي اهبكم للضرب والطعان ، ومن ساعته انفذ النفير الى القبائل فأسرعت اليه بنو شيبان ، وتقدمت فرسان الأعجام حتى التقيت العين بالعين ، وانتشب القتال بين الطائفتين واشتعلت بينهم نار الحرب ، حتى انعقد عليهم الغبار ، واظلم منهم ضوء النهار و وفتك خسروان عابد اللهب بقبائل العرب ، وقصد رايات المنذر فنكسها وكان جيش الملك المنـــذر ثلاثة عشر ألف فارس فما استطاعوا الثبات ، فانهزموا وتشتتوا في الفلوات والفرس في اعقابهم ، ثم عادوا عنهم وضربوا الخيـــام ، وقال خسروان لاصحابه : « يا قوم احتفظوا علي الحيرة وامسكوا الطرقات حتى لا يهرب المنذر في الظلام ، فاني اريد أن آخذه أسيراً ، وأقوده الى كسرى ذليلا حقيراً ، فداروا بالبلد من جميع الجهات وحفظوا المنافذ والطرقات .

وأما الملك المنذر فانه دخل الحيرة وهو يعض انامله من الندامة ، وقد قامت عليه القيامة ، ثم احضر اولاده الثلاثة وهم النعمان والاسود وعمرو ، وجميع خواص

أجناده للمفاوضة في ذلك الامر ، وقال : « والله لقد انفتح علينا باب لا يسد ووقعنا في بلية لا ترد ، والآن لا ينجينا الا القتال والصبر على الاهوال . ولكن نريد ان نحصن النساء والبنات في بعض الجهات ، ونترك الديار خالية والمنازل خاوية ، وننفلت من خلف اعدائنا فنجمع قبائل العرب . ونرجع إلى قتال عبادة النيران » .

وبينما هم في ذلك الكلام اذ دخل بعض العبيد الموكلين بعنترة وقال يا مولاي هذا الفارس العبسي سمع اليوم الصياح ، وسألنا عن الخبر فحدثناه بما جرى وكيف كسرتنا الاعاجم ، فقال خذوني إلى ملككم فان لي معه كلاماً عسى ان يكون نافعاً ، ولاعدائه دافعاً ، قال المنذر احضروه حتى نسمع كلامه ، ونعرف مرامه ، فأحضروه بين يديه ، وقد حلوا يديه ورجليه ، فدخل وقال : « ايها الملك العظيم لقد كاد قلبي ينفطر في هذا اليوم ، لما سمعت ما حل بكم من هؤلاء القوم » ، قال المنذر : « يا عبسي وماذا تفعل الرجال وقد حمل عليها ضعافها » قال عنترة تصبر عند الاجتماع وتقطع من الحياة الاطماع ولا تخاف ولا ترتاع ، لأن الشجاعة هي صبر ساعة » . قال المنذر : « يا عبسي كيف التدبير ، وقد جرت المقادير » ، قال يا ملك ان ضمنت لي ما طلبه لي عمي من النوق العصافير ، أنا ضامن لكم كسر هؤلاء المغيرين » ، قال المنذر : يا عبسي والله ان وفيت بضمانك حكمتك في أموالي ، وجميع نوقي وجمالي ، قال عنترة : « يا ملك اعطني سلاحي ومهري وألفين من فرسانك تحمي ظهري حتى أريك ما تتحدث به الاعاجم والعرب على طول الزمان » فأعطاه ما طلب وعندئذ ركب عنترة ونزل إلى حومة الميدان ولما رأته الاعاجم حملت عليه من كل مكان ، فتلقاها بقلب لا يهاب وأخذ يطعن في صفوفهم فيحصدهم كما يحصد المنجل قصار النبات وعندئذ تشجع العرب وحملوا على أعدائهم ودام الأمر كذلك حتى انتصف النهار ، وهم في قتال أشد من لهيب النار ، والتجأت العجم الى خيامها وأطنابها وقد لقيت من العرب ما لم يكن في حسابها .

هذا ما كان من هؤلاء وأما الملك المنذر فانه لما لاح له وجه الظفر بفضل أبي الفوارس أمر باخراج الخيام إلى ظاهر المدينة، ولما عادوا من الحرب نزل في مضاربه ، وجمع اولاده وجلس معهم واجلس عنترة إلى جانبه وقد صار كأعز اولاده واقاربه وجعل يباسطه في الكلام ، ويزيد له في الاكرام ويعده بكل ما يطلب ، ثم ان عنترة اقام عند الملك المنذر إلى نصف الليل وأراد ان يتولى حراسة الرجال والخيل ، فحلف عليه المنذر أن لا يفعل فذهب إلى مرقده ونام الى الصباح ، ثم برز الى الحرب والكفاح ، ونزل أمامه الحروان وتحت فخذه حراب كأنها الشهب ، وبيده عمود

من الحديد ، صدمته تهدم البرج المشيد .

ولما صار في الميدان أراد أن يحمل على عساكر الملك المنذر ، فاعترضه عنترة وقال له : « إلى اين ايها المسكين وأنا لك بالمرصاد ؟ » وعندئذ حمل كل منهما على الآخر وقد رجت حوافر فرسيهما جنادل الأرض ، ورأى الخسروان من عنترة ما لم يكن يخطر له ببال وعلم انه كان مخطئاً في استهانته بخصمه الجبار ، وصار ينقل عموده من اليمين الى اليسار ، وقاتل بالحراب ، الى أن قرعت وما أصابت ، لانه كان كلما زج واحدة منها انحرف عنها عنترة فخابت ، وعندئذ استلب العمود وهجم على عنترة بالسهم وأطلقه من يده الى صدر عنترة فحاد عن طريقه وأطلق الرمح من يده على الخسروان ، فوضع الترس على صدره فوق الدرع واستتر وراءه ليتلقى الرمح ولكن الرمح أصاب الترس فخرقه ونفذ منه الى احشائه فسقط الخسروان على الارض يخبط في دمائه .

فلما رأت عساكر العجم ذلك ارتبكت وحملت على اعدائها فالتقتها فرسان العرب بقلوب اقسى من الحجر ، وقد اشتدت عزائمها بالامير عنترة ، وأعملوا في الفرس رماحهم الطوال وسيوفهم الصقال ، حتى طلبوا الفرار من هذا الجبار . وصاروا يتسابقون الى النجاة ، وتركوا رجالهم وامتعتهم ، وغنمت العرب خيامهم وسلاحهم وأسلابهم ، وعادوا من خلفهم يثنون على عنترة ويقولون هكذا تكون الفرسان .

وكان المنذر قد اركبه مهرة صفراء فعاد بها مخضبة حمراء ثم تذكر ما جرى له العراق وتذكر عبلة فلعبت به لواعج الاشواق وانشد يقول :

سلي يا ابنة العبس رمحي وصارمي	ومـــا فعلا في يوم حرب الاعاجم
سقيتها والخيل تعثر بالقنـــا	دمـاء العـدى ممزوجـة بالعـلاقم
وفرقت جيشاً كان في جنبابـه	همـاهم رعـد تحت برق الصوارم
على مهـــرة منسوبـة عربيـة	تطـير اذا اشتـد الوعي بالقوائم
وتصهل خوفاً والرماح قواصد	اليهـا وينسل انسلال الاراقم
قحمت بها بحر المنايا فحمحمت	وقـد غرقت في موجـه المتلاطم
وكم فارس يا عبل غادرت ثاويا	يعض على كفيه عضة نـادم
يقلبه وحش الفـــلا وتنوشه	من الجو عقبان النسور القشاعم
احب بني عبس ولو هدروا دمي	لاجلك قا بنت السراة الاكارم

.واحمل ثقل الضيم والضيم حائر　　وأظهر اني ظالم وابن ظـــالم

عنترة عند كسرى

ولما قرب عنترة من الملك المنذر ، قام له على أقدامـــه فقال له : « يا فارس العرب ، جميع مـــا نهبته رجالنـا هذه المرة هو لك ، وسأعطيك النوق العصافير وعليها الهدايا والمال الكثير ، ولكن يا ولدي من الرأي أن أكتب الى سائر القبائل واجمع العرب وأتأهب لحرب الملك كسرى ، فانه لا بد أن يعود الينا ويسطو بعساكره علينا وسأقاتله حتى أقيم دولة العرب ، وأذل عباد النار واللهب » .

فقال عنترة : « افعل ما تريد » ثم دعا له وقام ، وانصرف الى مضجعه فلما طلع الصباح جلس المنذر الملك على سرير مملكته واذا ببعض حجابه يدخل عليه ، ويقبل الارض بين يديه ، وقال : أيها الملك لك البشارة الجميلة بقدوم وزيرك عمر بن نفيلة ، وكان هذا الوزير رجلا عاقلا خبيراً وله كرامة عند العرب ، والاعجام ، وفي تلك المدة كان قد توجه الى زيارة البيت الحرام ، فلما دخل على الملك المنذر باداء السلام فقال له : « لقد جئت في وقت الحاجة اليك » ثم اخبره بما جرى وبما عزم عليه ، وفوض الرأي والتدبير اليه ، فقال الوزير : الرأي عندي ان تعدل عن مكاتبة العرب حتى اسير انا الى المدائن وادخل على الموبذان واستحلفه ان يخمد ما في قلب كسرى من الغضب ، ولا يخرب بلاد العرب ، فقال له المنذر : « افعل ما تراه » . .

وبعد ذلك اقام عمر بن نفيلة ثلاثة ايام حتى استراح ، وسار طالباً من مدائن كسرى ، ولما وصل دخل على الموبذان ، بعد الاستئذان ، فاستقبله احسن استقبال وقال له : « ما الذي اقدمك علينا ، بعدما جرى بيننا وبينكم من القتال ؟ » قال : (بلغني ما جرى من الفتنة وجئت أتوسل ان تستعطف الملك العادل كسرى بالعفو عن جهل العرب فلما سمع الموبذان كلامه ، رق قلبه ولان ، وقال انا الى الآن ما اطلعت الملك على هذا الشأن . ولا اعلمته بانكسار عسكره وقتل الخسروان لأننا في هذه الايام في شغل عن كل هذا ولم أرد أن ازيد على قلب الملك الاثقال» . قال الوزير : « وما الذي جرى حتى اشتغل قلب الملك يا ترى ؟ » ، قال : (ان قيصر ملك الروم كان يرسل كل سنة الى الملك كسري الهدايا والاموال الجزيلة ، والمماليك والسراري الجميلة ، ففي هذه السنة وصلت الاموال وزيادة كما جرت بـــه العادة ، ولكن حضر معها بطريق جبار يطير من عينيه الشرار ، ولما دخل على كسرى في

الديوان ، قال له على لسان الترجمان : (اعلم ايها الملك ان معي في هذه المرة هدايا لا يصفها لسان ، ولا نظر مثلها انسان ، ولكن ما سلمتها لخزانتك الا اذا كان عندك فارس من جياد الفرسان ، يلقاني في الميدان : كما أمرني قيصر العظيم الشأن) ، فغضب كسرى من ذلك الكلام ولكنه خاف ان أبى ان ينسب العجز لابطال الاعجام فصار البطريق ينزل الى الميدان ويفوز على الشجعان ، وأباحهم دمه ان وصلوا اليه ، وحرم دمهم عليه وأقام خمسة عشر يوماً على ذلك الحال ، حتى فاز بجميع الابطال ، وما ثبت أمامه أحد .

فلما سمع عمر هذا الكلام تعجب وقال للموبذان لا يضيق صدرك ولا تشغل فكرك ، فان اليوم عند المنذر فارساً من بني عبس لا يقاس له فارس وهو الذي قتل حاجبكم وكسر عساكره ، ثم حدثه بكل ما سمعه من الملك المنذر ، عن شجاعة عنترة ، فلما سمع الموبذان ، بذلك داخل قلبه السرور والفرح ، ثم وثب وقال له لا تبرح من هذا المكان حتى أعود اليك ، وحينئذ دخل على كسرى واخبره بكل ما جرى لعساكره وحدثه عن مقتل الخسروان . فلما سمع كسرى ذلك اشتعلت في قلبه النيران ، وقال : من قتل الخسروان وهو فارس الزمان فقال قتله فارس بني عبس وعدنان ثم حدثه بما سمع من عمر بن نفيلة عن عنترة وقال ان هذا البطريق ليس له الا هذا البطل الذي يستطيع ان يخرب ملك قيصر ويكون لك بذلك الفخر واذا هزم فلن يضرك اذا قيل ان بطريق الروم قد قهر عبداً من عبيد دولتك والرأي أن ترسل الى الملك المنذر خلعة الامان وتأمره ان يحضر بهذا الفارس الى هذا المكان وذلك يحسب لك من الحلم والاحسان فاذا نازل البطريق فأيهما قتل كان لنا بقتله السعادة والتوفيق قال له كسرى افعل كما تريد فذهب الموبذان الى الوزير عمر بن نفيلة واعلمه بما جرى بينه وبين الملك كسرى فسر ذلك سروراً عظيماً وكتب من ساعته الى الملك المنذر يطلب منه القدوم وينتظر الجواب .

اما ما كان من البطريق فانه باكر الى الميدان وبرزت اليه الرجال وأخذت تنزله فلا يستطيع أحد أن يثبت امامه ولما كان في الغد برز اليه مقدم من مرازبة العجم يقال له بهران بن مهران وكان من اعظم الابطال والفرسان فنازل البطريق طول ذلك النهار وانفصلا من غير نهاية ولا قرار .

ولما اقبل الصباح الثاني برز كلاهما للكفاح فالتحق بهرام بمن سبق وزاد عند الملك كسرى الجزع والقلق وتأخرت الفرس عن نزال البطريق وصارت نفوسهم

في غاية الكرب والضيق ، ما زالوا كذلك حتى جاء الملك المنذر ومعه مائة فارس يتقدمهم الامير عنترة بن شداد فلما رآهم الملك كسرى فرح بحسن طاعة المنذر وتلقاه بالاعزاز والاكرام ثم اخبره عن ذلك البطريق فقال عنترة للموبذان : يا مولاي اضمن انت عني للملك الاكبر قتل هذا البطريق فتبسم كسرى وامر لهم بالراحة الى ثاني الايام ، فقال عنترة لا وحق البيت الحرام لا اكلت لكم طعاماً ولا ذقت مناماً متى اقتل هذا الرومي .

وكان البطريق حينئذ في الميدان ، يطلب منازلة الفرسان ، فما دري الا وعنترة قد وثب اليه وزعق عليه ، فارتاع من هول زعقته ، ومهابة خلقته ، غير انه ثبت عزمه عليه وهو يهدر كالجمل ، فالتقاه عنترة وحينئذ اطبق كل واحد على صاحبه ، ودام القتال بينهما ساحة من الزمان ثم تأخر الى ورائه فارتعد قلب كسرى واصحابه خوفاً من الخذلان ، واما البطريق فانه طمع في عنترة لما رآه قد تأخر ، فحمل عليه وزعق ، وطعنه طعنه الحنق ، فصبر حتى قاربه الرمح فتناوله بيده واستلمه بقوة ساعده ، وطعنه بعقبه فكاد يخرج روحه من جسده ، وغاص معه في الطراد .

ونظر بهرام فارس الديلم الى فعال عنترة فحسده على ما بداه منه ، وعول على قتله حتى لا يبقى له ذكر يذكر ، ورأى بهرام فرصة عند اشتغال عنترة بالبطريق فانقض عليه حتى صار بين يديه وهز حربته وصوبها اليه ، وقال خذها يا ابن اللئام من يد المقدم بهرام ، وقذفه بها فخرجت من يده كالصاعقة فانحرف عنها عنترة حتى مرت به فخطفها اسرح من لمح البصر ، وأطلقهـــا الى صدر البطريق فخرجت من ظهره وكان البطريق قد انتبه لبهروان لما خرج الى عنترة ، فما شعر الا وبالحربة قد وقعت في صدره ، فأرسلته الى قبره .

ثم استل عنترة الحسام وعاد يطلب المقدم بهرام وعندئذ نادى كسرى يا ويلكم ردوه عن بهرام ، والاسقاه كأس الحمـــام فأسرع النقباء وحالوا بينهما ، واتوا بعنترة الى قدام الملك كسرى ، فقبل الارض بين يديه فقبله كسرى بين عينيه ، وقالو . حيتك النار يا سبع الفلا ، مثلك يكون الرجال والا فلا ثم خلع عليه خلعة من الديباج مزركشة بالذهب الوهاج وقال للموبذان قدم للامير عنترة جميع ما جاء به البطريق من الاموال والجواري، والخيل والروميات والحلل والتحف وانزله في افخـــر المنازل حتى نحضره معنا على الطعام ، ونغمره بالانعام فتولى الموبذان امر عنترة وقدم له كل ما اتى من عند الملك قيصر ، وأنزله في أعز مكان مع المنذر ملك العرب ثم قام الموبذان وفتح الصناديق التي جاءت من

عند قيصر وقدمها الى عنترة وكانت مشحونة بالاموال والتحف التي تدهش البصر وقال له هذه كلها لك وسيزيدك فوقها الملك الاكبر ، ثم احضر الجوارى اللواتي أرسلهن قيصر وقال هذه ايضاً جواريك ولا يستحقها سواك .

وبعد ساعة أرسل كسرى يدعو عنترة للطعام ، في وليمة أقامها بالبستان ثم امر الموبذان باحضار الطعام ، واواني المدام فحضرت اطعمة شتى، وبعد ما تناولوا الطعام ، وارتووا من المدام، حضرت آلات الطرب ورنت الالحان حتى كاد يرقص ذلك البستان ، لان الفرس يتقنون هذه الصناعة ولهم فيها المهارة والبراعة ، وباصطلاحهم تسمى اصول النغمات في اكثر اللغات ، كالرصد والدوكاه وغيرهما كالجهار كاه .

هذا وعنترة عن كل ذلك في غفلة لان قلبه عند عبلة فكان يشرب ولا يطرب ، ولسانه يتكلم وقلبه يتألم وعند ذلك قال كسرى يا أبا الفوارس : ما لي أراك مهموماً اطلق في ميدان الطلب لسانك ، كما اطلقت في ميدان الحرب عنانك ، قال عنترة . وحق ذمة العرب اني قد بلغت يا مولاي آمالي ، بكرمك لا بفعالي ، وقد اكتفيت بجودك عن طلبي وسوالي ، ولكن اذا كان الملك قد تلطف بذلك وتكرم فاني قد اشتهيت ان يكون مثل هذا التاج على جبين عبلة ، ابنة عمي ليلة زفافها لكي تفتخر به على نساء ملوك العرب وأشرافها ، فتبسم كسرى وقال لقد تلطفت ، وما اسرفت ثم كلم بعض الاعوان فمضى ثم عاد ومعه اربعة غلمان يحملون قبة من الفضة على رأسها باز من الذهب الاحمر ، وعيناه من الياقوت الاصفر ورجلاه من الزمرد الاخضر وذيل القبة مكلل بالجواهر ومعها تاج مرصع بالحجار الكريمة ، ولا يعرف له ثمن ولا قيمة فقال كسرى . يا عنترة هذه القبة لابنة عمك تجلس تحتها ليلة زفافها وهذا التاج تلبسه جبينها وان كان قد بقي لك حاجة فاطلبها مني ولا تكتمها عني فقبل الارض عنترة مراراً بين يديه ودعا لدولته بالدوام على مر الايام وقال له يا مولاي أنا قصير اللسان عن شكر هذا الاحسان ، وما بقي لي حاجة غير سرعة العودة الى الاوطان فقال كسرى قد أذنت لك بالرحيل بعد ثلاثة ايام ولكن على شرط أن تزورنا في كل عام .

عنترة ورستم

وكان عند كسرى مصارع من جبابرة العجم اسمه رستم وكان هائلا المنظر طويل

الباع لا يثبت قدامه احد في الصراع وكان له عند الملك كسرى خمسة أعوام ، يصارع بين يديه ، وهو يهبه ويخلع عليه وقد صار له غلمان واقطاع ، واملاك وضياع ، فبلغه ذلك اليوم ما قد اخذه عنترة من التحف والاموال ، وما نال من الرفعة والاجلال ، وقيل له يا رستم ان من أعظم العار ان يعود عبد من ارضنا بهذه الاموال والنعم ويقول انا قهرت فرسان العجم ، وجبابرة الديلم ، وما زالوا يحرضونه حتى اشتعلت في قلبة نار الحسد فوثب ودخل على الملك كسرى بغير استئذان وقال يا مولاي كيف رفعت قدر هذا العبد وجعلته لك من الجلاس وجعلت ذلك عاراً علينا بين الناس ، انني ارجو ان تأمره بان ينهض الي حتى اكسر رأسه ، وأخمد انفاسه ، ولا ادعه يعود الى أجلاف العرب ويقول أخذت تاج كسرى وأمواله وقهرت فرسانه ورجاله فلما سمع كسرى هذا الكلام علم أن ذلك من شدة الحسد الذي قطع الكبد ، وقال له : اسمع مني ولا تتعرض لهذه الامور فتقع في المحظور فان هذا الرجل ليس كمن تعري من الرجال ، فاقبل مني النصيحة ولا تعرض نفسك للفضيحة قال رستم : وحق نور الشمس المشرق . وشعاع النار المحرق لا بد لي من صراع هذا الاسود والا فلا اقيم في هذا البلد قال كسرى لعنترة : يا ابا الفوارس اتدري في اي شيء نحن وماذا يقول هذا الرجل العابس قال عنترة . لا وذمة العرب لانه يتكلم بالفارسية وانا لا أعرف غير العربية . قال كسرى . لقد طلب ان يصارعك ويجرب نفسه معك قال عنترة يا مولاي انا خائف ان احتاج معه إلى قتله بحضرتك فيكون ذلك سبباً في ازعاج خاطرك وخرق هيبتك . فقال له كسرى اذا صارعته اتقتله ام تذله وتخذله ؟ قال يا مولاي اذا قدرت ان اصرعه سالماً صرعته واذللته . وان تعاصى على قتله فضحك كسرى وقال لرستم : « اني خائف عليك ان تغضبه فيقتلك » قال رستم لا بد لي من صراعه ، وان لم يفعل دنوت اليه ، ولطمته على وجهه وفقأت عينيه ، وان اتطاول على قتله ولو قتلتني بعده ، قال له كسرى اخلع ثيابك وثبت قدمك وانا اقول له أن يصارعك وابيح له دمك .

فعندها خلع رستم ثيابه فبانت عن اكتاف كحجارة المنجنيق . واقبل كسرى على عنترة . وقال له يا ابا الفوارس اريد ان تصارع هذا الرجل المعجب بنفسه وان احتجت الى قتله فاقتله فانت بريء من دمه فقام عنترة وتمشى فتهيأ له رستم وتمدد وتقبض ، ثم انحنى كانه قنطرة وهو يضرب على فخذيه ، فيسمع لهما اصوات عرة

وتلاحم الرجلان في الصراع وطمع رستم في عنترة ، فهجم عليه واراد ان يزعزعه فرآه مثل الجبل المتين ينظر اليه ويضحك عليه ، ثم عاد ثانية إلى عنترة وظن انه استرخى وفتر ، فوجده لم يزل اصلب من الحديد فانثني عليه إلى الوراء ، ثم هجم عليه ولم يشأ عنترة تطويل المجال ، فهجم عليه وزعق فيه زعقة ارعدت جميع حواسه ومكن يده من منطقته ورفعه فوق رأسه واراد ان يحمله الى الملك كسرى سالماً ويضعه قدامه : الا ان ذلك اللعين رفع يده وضرب عنترة على رأسة فكاد يذهله فحنق عنتره وجلد به الأرض فادخله بعضه البعض ، وارقده رقدة لا يقومُ منها إلى يوم العرض . فلما رأى اصحابه ذلك هجموا على عنترة ليقتلوه فصاح الموبذان ودفعتم عنه الخدم والغلمان وحملوهم كما حملوا رستم واخرجهم من البستان ، وعاد عنترة الى مكانه وقبل الأرض قدام كسرى ففرح به وهنأه بالسلامة . قال الراوي : فلما اقبل الصباح اتى الموبذان الى الملك كسرى وقال له : « ان هذا الرجل قد غلب عليه الشوق الى بلاده وصارت اقامته هنا على غير مراده ، لأن الغريب لا يطيب له غير وطنه . ولا سيما اذا كان الهوى قد تملك فؤاده ، فان شاء الملك فليأذن له بالرحيل وهذا عنده اعظم الاحسان والجميل ، قال الملك : « ذلك مفوض اليه ، وانا امرت له بكل ما أريد ان انعم به عليه ».

وبعد ذلك خرج الموبذان من عند كسرى وجمع كل ما امر به لعنترة ، فكان لا يحصى ولا يقدر ، ثم دعا عنترة اليه واخبر بما انعم به الملك عليه وانه قد اذن له بالمسير الى دياره فحمد عنترة وشكر ، فأخذه الموبذان ودخل به على الملك كسرى فرحب به وادناه ، واحسن ملتقاه وبعد ذلك قام عنترة على قدميه ، واستأذن الملك في الرحيل فأذن له وعاهده بأن يتردد عليه ثم عاد عنترة وأخذ يتجهز للمسير ، وفي قلبه من الأشواق نار السعير .

وامر الملك اجناده بالركوب لوداع عنترة وخرج هو والموبذان والحجاب وجماعة من العساكر ، وانتشروا في تلك الأرض حتى ملؤها في الطول والعرض ، وبعد ذلك ترجل عنترة وودع الموبذان والوزراء والحجاب فقبله كسرى بين عينيه ووعده بمواصلة الهبات والانعام ، وسار في ذلك الموكب الامير عنترة كأنه ملك والى جانبه الملك المنذر ، وهو مسرور بتلك النعم ، التي أظهرت فضل العرب على العجم ، وما زالوا سائرين حتى وصلوا إلى الحيرة وقد انتشرت قدامهم الاجمال والخيول ، فملأت تلك الفلوات والسهول ، وخرج اولاد الملك المنذر لاستقبالهم في

جنودهم ورجالهم وانبهرت العرب من ذلـــك الموكب العظيم ، ونظرت من تلك الهدايا والتحف ما لم ينظره احد في الزمان القديم، ولما استقر الملك المنذر في اوطانه أخلى لعنترة مكاناً يليق بشأنه فقال : يا ملك وحياتك لا أقدر على المقام اكثر من ثلاثة أيام فضربوا له الخيام بظاهر الحيرة ، وصنع الملك المنذر وليمة كبيرة وفي نفس اليوم طلب عنترة الاذن بالمسير فاجابه الملك الى ذلك وأمر له بألف ناقة من النوق العصافير وحمله من هدايا العراق وطرائف تلك الآفاق ، وقال له : « يا أبا الفوارس خذ عن عساكري ولو مائة خيال ، حتى يوصلوك الى اهلك باليمن والاقبـــال » فقال عنترة يا ملك انا لا احتاج الى خفير وباسمي ينـــادي كل كبير وصغير واذا كان معي فرسان فنان فأنا خفيرها وحاميها ، وحافظها وراعيها ، ثم ودعه وشكر فضله .

وسار عنترة وهو يقطع المراحل حتى وصل الى ارض يقال لها ذات المناهل ، وكان عنترة قد سبق العبيد وتركها تسوق الجمال وراءه وتقدم لينظر لهـــا المراتع والمياه ، فلما وصل إلى تلك الأرض رأى خمسة عبيـد في ذلك المكان ومعهم هودج على رأسه هـــلال من الذهب الأحمر ومن داخلـــه صوت ينادي من فؤاد مقروح وقلب مجروح : (واذلاه من بعدك يا عنترة ابن عينيك تنظر ابنة عمك عبلة مسبية في هذا البر الاقفر : لعنة الله على ابي مالك ولا نجاه الله من المهالك وشل الله اليد التي ارتفعت عليك ويا ليت عيني اغمضت قبل عينيك) ثم اخـــذت في البكاء والشهيق وتارة يغشى عليها وتارة تفيق .

فوقف عنترة باهتاً وقد خفق قلبه وانزعج واراد ان يعلم من هذا المنادي باسمه فتقدم حتى قرب من العبيد ونادى ويلكم لمن هذه الخيام ومن هو الذي يريد النزول في هذا المقام ومن هذه الجارية التي تبكي وتتحسر وتنادي باسم عنترة فاقبل عليـــه بعض العبيد وقال له اذهب يا وجه العرب ودع عنك الفضول قبل ان يشرف عليك (طارق الليالي) فيأسرك ويضيقك إلى من عنده من العبيد عند ذلك خفق قلب عنترة وتحير واذا بسجف الهودج قد ارتفع وظهرت منه جارية نحيلة صفراء نحيفة غبراء قد ذبلت من الهزال وذابت حتى صارت كالخلال فلمـــا رأته شهقت شهقة كادت تقضي عليها وصفقت بيديها وقالت « يا ابن العمات في عداد الاحياء وانا في ايدي الاعداء » ثم رمت بنفسها الارض وهمت ان تقوم وتتعلق بركابه فلم تقدر على القيام وطفح السرور على قلبها فاغمى عليها وانعقد لسانها عن الكلام فتفرس فيها عنترة وادهي بنت

عمه عبلة التي من اجلها قام بهذه الرحلة فصاح بملء رأسه صيحة تصدع الحجر وقال الله اكبر ما هذا ياابنة العم الكريمة وماذا القاك في هذه البلية العظيمة ؟ثم هم ان يترجل اليها واذا بالعبيد قد ركبوا وصاحوا به ويلك ياعبد السوء لا تتعرض لنساء الموالي فهذه زوجة سيدنا طارق الليالي خل عن الجارية وانج بنفسك فعندئذ تقدم عنترة اليهم وهمهم وزعق ودمدمهم واطلق نحوهم العنان وقوم السنان واستقبل الاول بطعنة في صدره فأطلع الرمح من ظهره واعترض الآخر وضربه بالسيف على عاتقه فشطره فلما رأى أصحابه ذلك عادوا على الاعقاب وطلبوا رؤوس الروابي والشعاب ورجع عنترة كأنه الاسد اذا خرج من الغاب .

عنترة الظافر

ولما وصل شيبوب ونعى اخاه عنترة ، ضج الحي بالبكاء والعويل ولكن الافراح قامت عند بني زياد ودارت البشائر عند بني قراد، ومن يجاريهم من الاعداء والحساد ما عدا بنت عمه عبلة فانها خرجت من خدرها وهي تلطم على وجهها وصدرها ، وقد نشرت ذوائب شعرها كانها اصابها مس من الجنون فصارت تهذي بما يكون وما لا يكون ولا سيما ان ذلك قد اصابه من اجلها .

ولما شاع الخبر بقتل عنترة ، استدعى الملك زهير أخاه شيبوب فأخبره بما جرى فتأسف كما تأسف ولده مالك .. واما ابو عبلة وأخوها فانهما كانا غائبين في ذلك الحين ، وكثر على نسائها التعنيف والملام من بني عبس والمحبين ، فارتحلن مع خمسة عشر فارساً من بني عبس ، حتى وصلوا الى بني كنانة وكان مالك وولده عمرو قد وصلا ذلك الحي ، وكان فارس بني كنانة واقد بن معسر غضبان على قومه ومنفرداً وحده فالتقى ببني عبس وقاتلهم فقتل منهم خمسة رجال واسر الباقين وطالبهم بالفداء واكثر عليهم في طلب الاموال .

وكانت احدى العجائز قد رأت عبلة عند وصولهم الى تلك البلاد ، فقالت لوفدان لهذا الشيخ الذي يسمى مالك بن قراد ، بنتا مالها نظير بين العباد ، اطلبها منه فداء له لابناء عمه فطلبها منه فاجاب وسلمه اياها وعبلة تصيح وتنادي وليس لها مجير فسار بها طالباً دياره ، وهو مسرور بذلك التوفيق ، لأنه ابتهج بمنظرها الجميل وقوامها الرشيق ، فالتقى به (طارقة الليالي) في الطريق ، فلما رأى عبلة وقعت في قلبه موقعاً عظيما ، وحلت منه محلا كريماً فحمل على وافد وانتشب بينهما القتال فما جال معه

جولة حتى القاه قتيلا على الرمال ، وأخذ عبلة وارسلها مع عبيده الى المنهـــل حتى اوصلوها اليه وهناك التقى بها عنترة كما سبق القول فقاتل العبيـد من حراسها حتى قتل البعض وهرب البعض الآخر .

وكان العبيد الثلاثة الذين سلما من سيف عنترة قد انطلقوا الى سيدهم (طارقة الليالي) واخبروه بالخبر ومن غرائب المصادفة ان عمارة بن زياد وعروة بن الورد كانا في بلاد اليمن ، وقد اغاروا على بعض قبائلها فأخذ بعض نياقها وسارا بها عائدين الى ديارهما لة فمرا في طريقها من هذا المكان ، ورأيا (طارقة الليالي) وقد اسر ابا عبلة واخاها عمرو ، فعند ذلك تقدم عروة بن الورد اليه ، وأراد قتله وخلاص عبلة وأبيها واخيها من يديه ، فأسر طارقة الليالي وامر بشد وثاقه ، وحمل عمارة ليقاتل امام عبلة فأسره أيضاً . واضافه الى رفاقه وارسله مع عبلة الى الغدير ، وترجل لكي يستريح من حر الهجير ، وفي ذلك الوقت وصل عنترة وقتل العبيد فلما رأته عبـــلة ارتدت روحها بعد الممات وحدثته بما جرى عليها كما حدثها بما جرى علـــيه وهو يتأسف ودموعه تسيل من عينيه ثم اخبرها بما اتى به من الاموال فقـالت له .(يا بن العم بالله عليك خذني وخذ هذه الاموال ، وارجع بنا الى الملوك لذين نلت منهم هذا العطاء لنعيش عندهم باقي عمرنا ، ونستريح من هذا العناء) ـ فتبسم عنترة من كلامها وقال لها : (والله لا أخرج من هذه البلاد حتى آخذك رغماً عن الاعادي والحساد ، واجعل تحت قدميك رؤوس بني زيادٍ وبني قراد .

وفي أثناء ذلك اقبل العبيد الذين جاء بهم عنترة من عنـد كسرى والملك المنذر ومعهم الاموال والرجال ، فأمرهم عنترة بالنزول وأوصى بعبــلة بعض السادات والعبيد وتقدم لكي يلتقي بطارقة الليالي بقلب لا يهاب ولا يبالي وكانت طارقـــة الليالي قد التقى بعبيده الهاربين وسألهم عما دهاهم فقالوا ان شملنا قـد تبدد والجارية اخذها عبد اسود فلما سمع هذا الكلام هدر وزمجر وطار من عينـيه الشرر وانعطف راكضاً نحو الغدير حتى التقى بعنترة فصاح فيه ويلـــك يا ابن الأمة ، انت الذي قتلت عبيدي وأخذت جاريتي المخدرة ؟ فقال له عنترة : بل الويل لك يا حقير متى صارت عبلة بنت مالك العبسي جارية لك ؟ ثم هجم على خصمه كصاعقة الغمام واخذ معه في الصدام حتى لاحت له فرصة فضربه بالسيف من رأسه فشطره نصفـــين فاقشعرت من تلك الضربة الابدان ونادت عبلة لا شلت يداك يا فارس الفرسان ثم ركض عنترة الى العبسيين فحلهم من وثاقهم فسلم على عمه وقال له : أبشر يا عماه

بالخلاص من الهلاك واعلم ان جميع ما اصابك جزاء ما قدمت يداك لأنك زوجتني ابنتك ونكثت بالوعد والميثاق وزوجتها بفارس بني كنانه وضيعت المروءة والأمانة فلقاك الله عاقبة الخيانة فقال يا ولدي لا تعتب علي فانني معذور لانه لما اتى اخوك شيبوب ونعاك انقطع رجائي فيك والان نحمد الله على سلامتك ورجوعك الى الاوطان وقال عمارة اي والله يا ابو الفوارس انه قد رجع الحق الى اصحابه فالحمد لله الذي اعادك اليها سالما من كيد عداك والويل لمن يطلبها سواك وقال عروة صدقت يا عمارة فما يليق لعبلة الا عنترة واما عنترة فكان يعلم ان ذلك منهما على سبيل المكر والاحتيال ولكنه شكرهما وعاد بهما الى محط الرجال .

فلما رأوا تلك التحف والاموال اخذهم الأنذهال فقال مالك لعنترة يا ابن اخي لمن هذه الأموال والنعم قال عنترة هذا جميعه لعبدك عنترة الذي ارسلته ليأتيك بالنوق العصافير وهذه هي النوق ومعها هذه الاموال التي توزن بالقناطير ثم نزل بهم في بعض الخيام وأمر العبيد ان تذبح الاغنام واخذ يقص على عمه ما جرى له مع الملك المنذر وكسرى انو شروان وفارس الرومان وما أعطاه الله من الرفعة وعلو المقام هذا وعمارة بن زياد يسمع وقلبه يذوب ويتقطع وبعد ذلك دخل عنترة على عبلة وقال لها ابشري يا ابنة العم بالسيادة والاقبال ففي خدمتك جميع هذه الجواري والاموال قالت عبلة والله يا ابن العم ان سلامتك عندي احب الي من كل ما ذكرت .

ثم ان عنترة ركب فرسه وخرج للحراسة خوفاً من طوارق الظلام ولما اقبل الصباح صاح عنترة بالعبيد وأمرهم بالارتحال ففضوا الخيام ور[illegible] ساديق الاموال على ظهور الجمال وقدم عنترة عمارية ا[illegible] الى عبله وهي مرصعة بالجوهر وأخرج لها حلة من حلل الملك الاكبر ما لبس مثلها ملوك بنات بني ا[illegible]ر ثم وضع على رأسها ذلك التاج وهو يلمع كالكوكب الوهاج فزادت جمالاً على جمال وزاد عمارة خيالا على خيال وقال في نفسه ويلك يا عمارة انت من الآن وقعت في هذا الحال فكيف اذا رأيت عبلة وقد دخل عليها راعي الجمال .

أما عنترة فقد سلم عبلة الى ابيها وقال له يا عم تسلم ابنتك وخذ هذه الأموال وافعل معي ما أنت اهله من الاعمال فدعا له عمه وشكره ووعده بكل جميل ولم يزالوا سائرين [illegible] الفـ[illegible] حتى ما بقي بينهم وبني عبس الى يوم واحد فتفقدوا عمارة فما وجدوه ولم يكن عند احد خبر فقال مالك ابو عبلة (يا أبا الفوارس ربما

سبق عمارة الى اهلنا يبشرهم بسلامتك ويعلمهم باقبالك وسعادتك قال عنترة يا عماه مالي عند عمارة هذة المنزلة الجليلة لو صح ذلك لخرج الملك زهير واولاده الى لقاءنا مع جميع القبيلة)قال (يا ابن الاخ الرأي عندي ان مضي الآن واشرف على العشائر والقي في الحي البشائر) . قال له : (يا عماه افعل ماتريد ، فأنا لك من جملة العبيد ، وان شئت فخذ ابنتك معك ، فان الاولى بها أن تتبعك). قال : (لا والله يا أبا الفوارس ما تكون ابنتي الا عندك ، فذلك احفظ لها وانت اشفق مني عليها. لأنك قدصرت بعلها) : ثم سار هو وولده عمرو وعروة بن الورد وزوجته شريحة وقد ركبوا من خيل عنترة المستريحة وتقدموا وهم يتشاورون في هلاك عنترة ولا يدرون بأي حيلة يتيسر لهم هذا ، ثم انهم جدوا في مسيرهم ، حتى أصبحوا في ديار بن عبس ، عندطلوع الشمس ، فذهب مالك الى بيوت بني قراد حتي انتهى الى بيت اخيه شداد ، وهو يقول: (والله ان موتي اهون علي من قدومي مبشراً بسلامة هذا العبد ثم على اخته وقال له : (قم يا أخي الى استقبال ولدك الذي عاديتني من اجله . وقلت اني كنت السبب في قتله فانه قد رجع وهو سالم ومعه اموال وغنائم) فقال شداد (أحقـاً تقول ؟) قال : (نعم ...) فعند ذلك نهض شداد وركب الجواد ، ولبس لباس الافراح بعد لبس الحداد ، ولم يبق في البيوت أمة ولا حرة الا وخرجت وهـي تنادي بالافراح بعد الاتراح ، وضربت الدفوف والمزاهر وقامت في جميع الحي البشائر ، وسمع الملك زهير الغناء والطبول فقال للعبيد : (انظروا ما الخبر ؟)قالوا : جاءت البشائر بقدوم عنتره ومعه غنائم واموال تملأ السهول والجبال : قال الملك زهير : (والله ان هذا من أعجب العجب ، ثم نهض وصحب معه اولاده وعشيرته واجناده وكان افرح الجميع بذلك ولده مالك وساروا للقاء عنترة . وكان عنترة قد سبق عبيده حتى لا يتعب مستقبليه فلما التقوا ترجل عنترة عن جواده فتقدم منه الملك زهير وعانقه وقال: الحمد لله الذي ارانا وجهك بسلامة وخير) . وسارا والملك زهير يسأله عن سفره وهو يحدثه عما جرى له مع الملك المنذر والملك كسرى . وكانت امه زبيبة قد خرجت مع النساء وقد أصبحت كالشيخ واخذت تقبله واخوه شيبوب يصفقان ويدوران حوله ويرقصان .

وما فرغ عنترة من حديثه مع الملك زهير حتى اقبلت عبيده تسوق النوق العصافير وامامهم الاحمال ، على متون الجمال ، وقد لبست المماليك افخر الملابس وبين أيديهم الجواري والروميات . والسراري الفارسيات والخيول الكسرويات ، وحولها الجمال.

وعليها صناديق التحف والاموال فقدم عنترة الى الملك زهير عشرة جمال . محملة بصناديقها وأموالها وفرق كثيراً من التحف والاموال على جميع اهل الحي فكان في سخائه أكرم من حاتم طي . ولم يبق احد من النساء والرجال الاغمره بالعطاء والنول ومازال يبذل حتى لم يبق الا النوق والعصافير ، فسلمها الى عمه مع ما كان له من التحف والملابس والاسلحة والدنانير فكان حمده على السنة الجميع يتلى . وكادوا يسجدون له كما يسجدون للهبل الاعلى .

اختفاء عبلة

ولما وصلوا الى الحي طلب كل واحد منهم منزلة وعاد عمرو اخو عبلة وهو يقود الجمال الى الحي التي فيها اخته الى مضارب بني قراد ثم تقدم و كشف سجف الهودج. لكي ينزل اخته وقال لها انزلي يا عبلة . فلم يجبه أحد فعندها طاش عقله وكاد يموت كمداً وانطلق الى عنترة وسأله عنها. فقال « والله يا ابن العم فارقتها وهي في الهودج ولست ادري ماذا جرى عليها ومن الذي استطاع أن يصل اليها ! » ثم جمع العبيد وسألهم عنها فما وقف احد على خبرها وسمع الملك زهير بذلك فركب معه ولده مالك واسرعت خلفها الفرسان وطافوا الأرض بالطول والعرض . فلم يقفوا لها على اثر ولا وقفوا على خبر . وعاد عنترة عند المساء بالخيبة والحسرة فقال له الملك زهير : لا تحزن يا ابا الفوارس . فوحق البيت العتيق المطهر . لا بد لي من كشف اخبارها ولو كانت خلف سد الاسكندر . وكان عروة بن الورد قد حدث بنى زياد بحديث اخيهم عمارة و كيف خلصه عنترة من الاسر ، و كيف فقد منهم في الليل ، فقال الربيع وحق ذمة العرب لا بد ان اخي قد شرب كأس المنية وما قتله الا هذا العبد الدميم وانا لا اطلب ثاري منه ولا اطلبه الا من الملك زهير) .

ولما اصبحوا دخل الربيع واخوته على الملك زهير واخبروه بامر عمارة وطلبوا منه ان يسلمهم عنترة ليثأروا منه ، فقال لهم (بالله عليكم يا بني زياد ، اتركوا هذا الرجل ودعوا عنكم البغي والعناد ، انه اليوم في شغل عنكم وعن جميع الناس ، ولو كان يريد ان يقتل عمارة لقتله قبل الآن ، لأنه ظفر به مراراً وتركه ولكن اذا ثبت انه قتل اخاكم فأنا اسلمكم إياه) . قال الربيع يشق علينا والله ان يكون دم عبد شداد بن الأمة لقاء دم اخينا ابن الحرة المكرمة ، ثم خرج هو واخوته من عند الملك زهير بحالة الغضب .

اما اختفاء عبلة فكان له حديث عجيب ، وذلك ان لما عنترة فارق عبلة في الليل واوصى عليها العبيد حتى يلتقي بالملك زهير اخذها النوم فنامت بالعمارية ، والعبيد

تسوق الجمال وسارت الاماء بجانبها عن اليمين والشمال ، وقد أخذهن الكرى من طول السير والسهر ، فصارت المطايا تقصر عن المسير ، وصار بينها وبين السابقين بعد كثير ، وما زالت كذلك الى ان ابيض مفرق الشمال وبـــدا الصبح ينشق ، فانتبهت عبلة ونظرت إلى ما حولها . فلم تجد أحداً من تلك الفلوات ، فقالت للامة . (ويلك اين القافلة فاني لا أرى احداً من هذا المكان) فطار النوم من عين الأمة ، وقالت يا مولاتي ما عندي بذلك علم ولا خبر ، لان النعاس قد أعمى مني البصر ، ولكن ما عليك خوف لاننا أما ضللنا عن الطريق ونحن سائر على الاثر واصوات العبيد واصلة الينا » .

فلما سمعت عبلة ذلك طاب قلبها ونزلت من الهودج لتقضي حاجة لهـــا وقالت للامة . « سوقي فها أنا على اثرك » فسارت الامة وسارت قبلها فبينما عبلة كذلك اذا هي بفارس قد اقبل فلما رآها صاح وا فرحتاه ، وكان هذا الفارس هو عمارة بن زياد الذي اشتعل بنار الحسد فلم يقدر على المنام وخرج في الليل من الخيام وهام على وجهه بين الآكام حتى التقى بعبلة وقـــد سبقها الركب فصفق فؤاده من شدة السرور وانقض عليها واخذها سبية وهي تصيح ويلك يا عمارة . اتسبيني وانا ابنة عمـــك ، وقطعة من دمك ولحمك ، والله لن تنال مني غرضاً ، فقال عمارة « الامر اليك يا بنت الكرام وليس هذا موضوع الكلام » ثم اركض فرسه وهي خلفه طالباً أرض بني طي وعول ان يستجير بملجم بن حنظلة الطائي ، ويقيم عنده وما زال يقطع الفلاة . حتى وصل الى بعض المياه فنزل هناك ، واذا بغبار قد علا وثار حتى حجب الانظار ثم انكشف عن ثلاثماة فارس يطلبون ذلك الماء وبينهم فارس كأنه الطود متقلداً سيفاً ابتر وكذلك هذه الخيل من بني طي ، والمقدم عليها مفرج بن همام» ، وكان من ابطال العرب العظام فلما نظر الى عبلة وما عليها من الحلي والحلل قال لقومه : ابشروا فقد اتانا التوفيق ومن اقرب طريق فان هذه الجارية لا شك من بنات الملوك ، وقع بها هـذا الفارس الصعلوك . فدونكم اياه خلصوهـا منه ، وان مانع فاقطعوا رأسه .

فعندها تقدمت الفرسان الى عمارة وداروا حواليه بالخيل ، وخاف عمـــارة ان يجبن فتنظر اليه عبلة بعين الاحتقار ، فقال لها لا تجزعي يا بنت العم فاني امانع عنك الاعداء بالسيف والسنان وأفديك ولا أدعك تذوقين الهوان .. فلما سمعت عبلة من عمارة هذا الكلام قالت : يا عمارة لا عمر الله بك الاوطان ولا نجـــاك من نوائب الزمان ، كما اوليتني الخوف بعد الامان وأذقتني بعد العز الذل والهوان ، ومـا

اتمت عبلة كلامها حتى تقدم الفرسان وحملوها الى قـــدام مفرج بن همام وهي تلوح كالبدر التمام فلما رأى مفرج ما عليها من جمال خفق قلبه وهام بمحبتها وتألم لبكائها وذلتها ، فقال لها لا تخافي فقد وقعت في يد من يعرف قدرك ، ثم ضربوا لها خيمة كأنها في مقاصير الجنان .

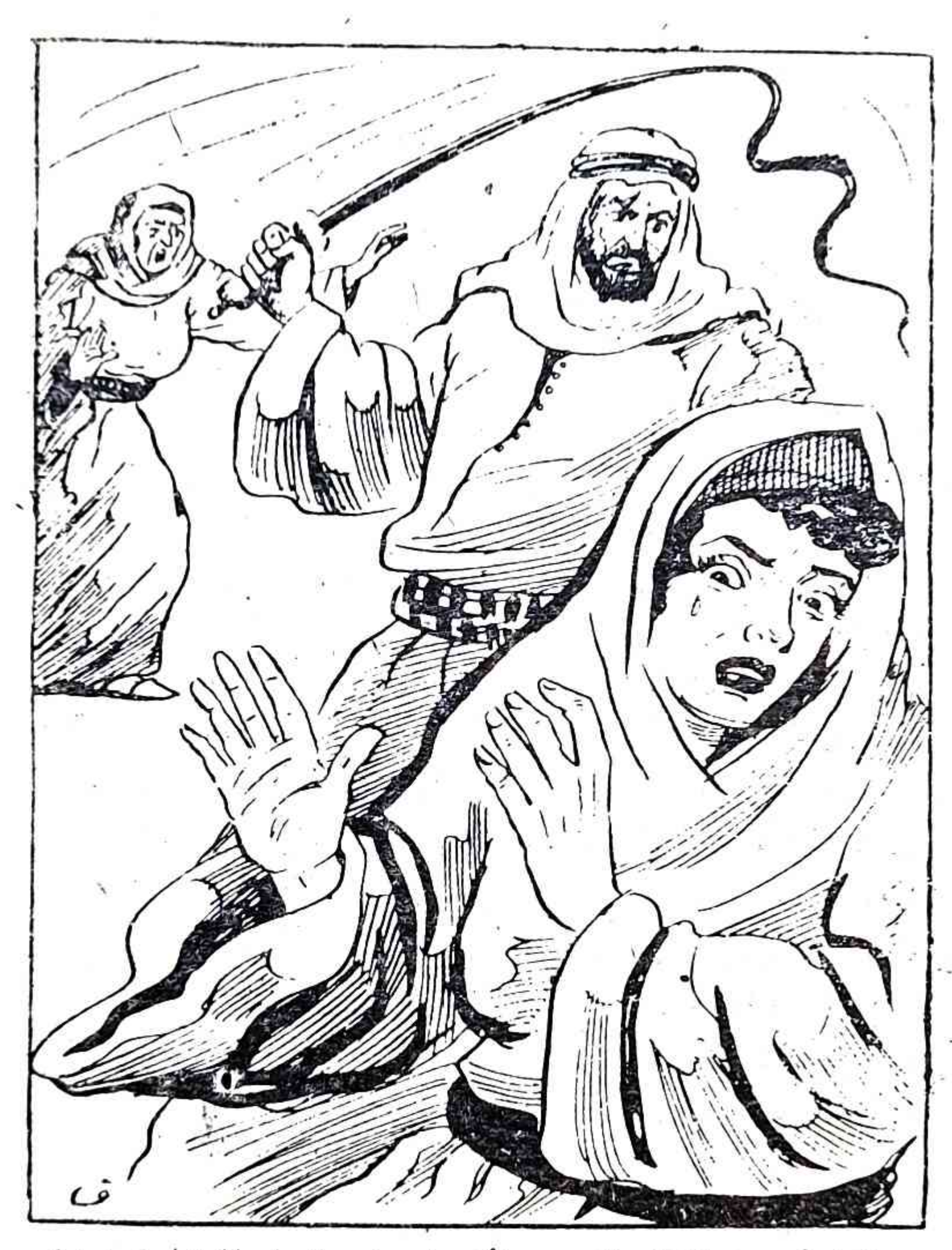
وأما عمارة فانه ما زال يمانع عن نفسه حتى جرح وقتل جواده فأخذ اسيراً الى الامير مفرج فلما مثل بين يديه سل سيفه وقام على قدميه وهم ان يطيح رأسه فصاح عمارة ، وقال له لا تفعل يا وجه العرب واطلب مني الفداء مهما اردت فأنا احملـــه اليك ، لأني امير ذو حسب ونسب ، وان كنت لا تعرفني فانا عمـــارة بن زياد العبسي اخو الربيع شيخ بني عبس ، وعدنان وفزارة وغطفان فقال مفرج . كذبت فيما ذكرت وحق ذمة العرب لا تخلص من يدي الا بجميع مـــا تملكه من النوق والجمال والخيل والأموال ، ثم شده الى عمود الخيمة وهو يئن من ألم الجراح ، فلما طلع الصباح رحل مفرج يطلب دياره وقد حمل عمارة على بعض الخيل وحمل عبلة على جمل من الجمـــال ثم ساروا يقطعون القفار الى أن وصلوا الى الديار ، فأمر مفرج العبيد بأن يعذبوا عمارة ويصلبوه حتى يفدي نفسه بالأموال وعند ذلك ندم عمارة غاية الندم وقال لمفرج ايها الأمير انعم بعبد من العبيد يسير الى اخواتى بعلامة مني لهم يأتوك بالمال لتطلقني من الاعتقال وان لم يكن لك ارب في هذه الجارية وطلبت الفدا فأنا انفذ الى قومها ، وهم يفدونها بألوف من اموال وقطعان من النوق والجمال وكان كلام عمارة له على سبيل الاختبار ليعلم ما في قلبه نحو عبلة فلما سمع مفرج كلامه تبسم وقال . وذمة العرب لن اترك هذه الجارية من يدي ولو فدوها بأموال قارون او كنوز سليمان وكل من جاءني في طلبها شككت قلبه بهذا السنان ، لانها قـــد سلبت عقلي وفؤادي وملكت قيادي .

وبعد ذلك امر مفرج بن همام أحد عبيده بأن يمضي الى بني عبس فشد على ناقة من النوق وركبها عند طلوع الشمس وأوصاه عمارة ان يدخل الى فريق بني زياد ويكلم اخوته بما جرى عليه سراً عن جميع العباد . واعطاه علامة لهم لكي يصدقوا كلامه . اما مفرج فقد التفت الى عبلـــة واخذ في ملاطفتها وصار كلما تقرب اليها ولاطفها في الكلام ضجرت وكلما أمرها بالجلوس نفرت وكلما قـــدم لها الطعام تأخرت . فقال لها في بعض الايام. ويلك اتظنين انك ستخرجين من هذه الديار؟ فقالت لـه . « والله لو انني تحت الأرض السابعة أو فوق السماء الرابعة لا بـد أن يأتيك من لا ينام عن كشف اخباري ، ولا بد له أن يقتفي آثاري وترى فارساً لا

يلين له في الحرب جانب ، ولا يسلم بين يديه محارب ، فلما سمع مفرج من عبلــة ذلك الكلام بدأ الغضب في وجهه وقام اليها ضارباً بالسياط على جسدها الرطيب . فصاحت وأخذت في البكاء والنحيب ، فأتت أمــه على صياحها ودخلت عليه ، وخلصتها من بين يديه ، وقالت له من بعد ما أسكنت غضبه: « يا ولدي لقد عذبت قلبك مع هــذه الجارية ، فاشتغل عنها بغيرها ، والراي أن تتركها عندك خدامة وتذلها لانها لا تعرف الكرامة » ، فلما سمع مفرج ذلك الخطاب ، خلع جميع ما كان على عبلة من الحلي والثياب وألبسها جلبابا من الصوف وعاملها بالشدة بعد اللين وصارت أمــه تستخدمها في حلب اللبن ، والأعمـال التي تضني البدن ، وكانت عبلة تقضي النهار في الخدمة والعذاب ، والليل في البكاء والانتحاب .

مكيدة الربيع

هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من امر العبد الذي ارسله عمارة الى بــني عبس ليأتي بالأموال فداء لنفسه ، فانه لما وصل الى بيوت بني زياد ، كان الربيع نزل بواد قريب من ارض بني عبس وتبعه من فرسان العشيرة نحو مائتين لأنه لما طلب من الملك زهير ان يسلمه عنترة ليقتله زعم انه قتل اخاه ولم يقبل ان يسلمه اياه ، وخرج من عنده غضبان ، وفي قلبه من الحقد لهيب النيران . ولم يزل الربيع هناك الى ان قدم عليه العبد الذي انقذه عمارة من عند مفرج بن همام وحدثه بحديث عمارة وما فعل بعبلة ووقوعه في الأسر وطلب منه الفداء من المال والغنم والنياق ، فكر الربيع في هذا الامر . وارسل الى جميع اخوته وقص عليهم ما سمعه من الكلام وقال لهم : « والله اني لأخشى ان يقال ان بني زياد فدوا اخاهم بالنوق والجمــال وعجزوا عن خلاصه بالقتال » فقال له اخوته « فما الرأي عندك يا ربيع ، وكيف تعمل في هذا الامر الشنيع؟ » فقال لهم « يا اخواتي الصواب اننا نسير في مائتي فارس ونطلق رماحنا في بني طي حتى نبيد ذلك الحي واذا وصلنا الى فريــق مفرج بن الهمام ورأينا فيه مطمعنا كسبناه وخلصنا اخانا ، والا اقمنا له في تلك الجهات كميناً ، يوماً بعد يوم حتى نراه او يقع في ايدينا احد من قومه ، فنفدي به اخانا في كتمان لأن الملك زهير ان علم بهذا الأمر تصير له الحجة علينا ، ويقول ان اخاكم عمارة سبى زوجة الرجل ، وانتم تطالبون بدمه ظلماً .. أما اذا علم عنترة بن شداد بذلك . فانه يلقينا في اكبر المهالك فقالوا لقد صدقت فافعل ما بدا لك فأمر الربيع



(وأخذت عبلة في البكاء والنحيب ، فأتت امه على صياحها وخلصتها من يديه)

بالقبض على العبد الذي اتاهم بالخبر من عند مفرج بن همام فقبضوا عليه وساروا لقتال مفرج حين ينزل قومه بين جبلي اجا وسلمى ومعهم مائتان من الابطال في مقدمتهم عروة بن الورد اما عنترة فكان باكي العين لا يقر له قرار وارسل اخاه شيبوب يدور بين الاحياء وسائر القبائل ، ويأخذ الاخبار من اهل المياه والمناهل ، واقام عنترة ينتظر قدومه كالمجنون يقاسي من الاشواق كل شدة وهو لا يأكل ولا يشرب

الا اذا دعاه الملك زهير وحلف عليه واطعمه وسقاه بيديه ، ولم يزل في تلك الهموم والكروب الى ان قدم عليه اخوه شيبوب فوجده في بلاء ايوب ، وفي حزن يعقوب فلما دخل عليه خفق فؤاده وقال : (ويلك يا ابن امي هل وقفت لعبلة على أثر ، او عدت بالخيبة بلا خبر) ، قال له شيبوب : لا والله يا ابن الام . بل اتيتك بالخبر اليقين فعندئذ افاق عنترة من ذهوله وقال : (هات ما معك من الاخبار) قال شيبوب (اعلم يا اخي انني طفت بكثير من البلاد الى ان دخلت الى ارض اليمن فوجدت عبلة في يد مفرج بن همام ، وقد جعلها من اقل الخدم وخلع ما عليها من ثياب الحرير اللطاف وألبسها الخيش من الاوبار والاصواف، وهي تنادي باسمك كلما زاد عليها العذاب) . فلما سمع عنترة ذلك اخذته الرعدة والخفقان غيرة عليها، وقال : ويلك ماذا ألقاها في قبضة المفرج بن همام ، وكيف وصل اليها؟) فقال شيبوب (كان السبب في ذلك الفساد عمارة بن زياد ثم قص عليه القصة بالتمام ، فقال عنترة وكيف اطلعت انت على هذا الخبر ؟ قال لما وصلت الى الجبلين، بت في ابيات مفرج بن همام عند عبد يقال له مبشر بن خزام فأضافني واكرمني ولما كان نصف الليل وقع في أذني صوت عبلة تنادي باسمك وتدعو على بن زياد ، فقلت للعبد الذي انا في ضيافته ، يا ابن الخالة ، ما لهذه المرأة لا تنام في هذا الليل فقال لي : (يا فتى هذه جارية يقال لها عبلة بنت مالك بن قراد لقيها الامير مفرج بن همام مع عمارة بن زياد ، ولما سألها الاقتران به اغلظت له في الكلام وهددته بابن عم لها يقال له عنترة بن شداد ، ولما سمعت منه ذلك كبرت عليه نفسه ، فخلع عنها جميع ما كان عليها من الجواهر والحلل وجعلها في ادنى الخدم واني يا ابن الام لما سمعت هذا الكلام طار من عيني المنام ، وترقبت الصباح بفارغ الصبر حتى اعود اليك واقص القصة عليك وعند عودتي رأيت بني زياد سائرين الى ديار القوم يريدون الغارة عليهم ليخلصوا عمارة . وكنت متجنباً عن الطريق فما نظروني ولا عرفوني .

فلما سمع عنترة ذلك قال والله لا بد لي أن اجازي بني زياد وأحرمهم كما حرموني لذيذ الرقاد ، وارمل نساءهم وأيتم الاولاد ثم انه أرسل لمالك أبي عبلة وولده عمرو واطلعهما على هذا الامر وشاع الخبر في ابيات بني قراد فعلا الصياح ، وكثر النواح ، وقام عنترة الى مضارب الامير مالك ، واخبره بذلك ، فلما سمع مالك تلك القصة من عنترة مضى الى ابيه زهير واعلمه بالخبر فقال الملك زهير (لعنة الله على بني زياد اللئام فان اخاهم سبي عبلة ـ وهو ابنة عمه ـ وهرب وكسانا

العاربين قبائل العرب ، والآن يا أبا الفوارس طب نفساً وقر عيناً فاننا نسير معك الى تلك البلاد ونجتهد في خلاص عبلة ونجازي عمارة بن زياد) .

وخرج عنترة والأمير مالك بعد هذا الكلام فقال عنترة والله يا مولاي اني اخاف على عبلة أن يبطش بها مفرج بن همام ، ولا بد لي ان اسعى في خلاصها ولو سقيت من أجلها كأس الحمام . وربما اسير هذه الليلة عندما يحل الظلام ، واحتمل العناء وحدي ولا اتعب اباك ، ولا اكلفه المسير الى هناك قال : لا والله لا نذهب الا وأنا امامك ، ومعي جماعة يسيرون خلفك وقدامك) فقبل عنترة يديه ،وشكره وأثنى عليه . وارسل اخاه شيبوب الى الابيات يعلم الفرسان وأباه شداد وعمه مالك بن قراد ، وأمر عبيده بأن تنادي في جميع فرسانه وعشيرته بالركوب ، فلما تضاحى النهار حتى سار القوم . وعنترة بين ايديهم على جواده وبجانبه مالك بن زهير وامامهم شيبوب يدلهم على الطريق .

هذا ما كان من أمر هؤلاء واما ما كان من عبلة ومفرج بن همام فان مفرج أقام ينتظر المال والفداء ويداري عبلة ويقول لعلها تطاوعني اليوم او غداً وشاع هذا الحديث في بني طي فسمعت به ام ناقد ابن الحلاج الذي قتل عنترة ولدها وكانت لم تزل تنوح عليه وتلبس السواد فجاءت مع جماعة من عبيدها تطلب أن تأخذ بثار ابنها فلما وصلت دخلت على مفرج بن همام وبكت أمامه وطالبته بأخذ ثارها وكشف عارها فقال لها والله يا خالتاه انا ما اقنع من بني عبس بهؤلاء الرعاة ولا انثني عنهم حتى افنيهم واذبح ساداتهم على قبر ولدك واقود اليك اسودهم اللعين لتحكمي فيه كما تريدين اما عمارة فما طالبته بالقراء الا وانا أعلم ان الفدية ستجيء مع ساداتهم فاقبض على الجميع واصنع معهم اقبح صنيع ولا بد أن يسمع اسودهم بأسر بنت عمه فسوقه اجله الى خلاصها وعندئذ اسلمه اليك فنكون قد ربحنا المال وأنت بلغت الآمال فلما سمعت ام ناقد ذلك طاب قلبها وزال عنها كربها .

وأما ما كان من الربيع بن زياد فانه سار كما ذكرنا ومعه جماعة من فرسان الحي يقطع الارض نهباً حتى قارب ديار بني طي وقال لمن معه اعلموا يا بني عمي اننا اصبحنا في ديار الاعداء وما بقي في الأمر الا حسن التدبير قبل أن تعلم بنا هذه القبيلة وتتألب علينا الجماهير فنضطر لأن نقاتل حتى يقتل منا الصغير والكبير فقال له اخوته انت اخبر منا بهذه الامور قال لهم الربيع :سيروا واطمئنوا قلوبكم فانني قد دبرت امراً لا يخطر لأحد منكم على بال وبه نخلص اخانا من الاسر والاعتقال

ونعود كلنا سالمين غانمين بلا حرب ولا قتال ، قالوا وما هو هذا التدبير ، قال ننزل هذه الليلة على غدير ذات الجرعى ، ونسرح خيولنا ونتركها ترعى ، وعندما يقبل الصباح نرسل فارساً منا الى مفرج بن همام يقول له : « ايها الامير لقد جاء من بني عبس عشرة فرسان ومعهم فدية عمارة من النوق والخيل والأغنام وقد التقاهم في ارضكم رجال أخذوا ما معهم وأرادوا بذلـك وقع بنو عبس في حيرة لأنهم لم يريدوا ان يقاتلوا قوماً تحت ذمامك لئلا يقعوا تحت ملامك، وانا أعلم انه لا بد ان يركب الينا في نفر قليل لأجل جماعته فنطبق عليه وعلى من معه فنأخذهم أسارى الى الديار ونفدي بهم اخانا ونكشف عنه العار . فلما سمعوا من الربيع هذا المقال عجبوا من هذا المقال عجبوا من دهائه وقالوا لله درك ياربيع ما اعقلك واحكم رأيك، ونزلوا على ذلك الغدير ؟ ولما أقبل الصباح ارسل ربيع اخاه انس الى مفرج بن همام فلما دخل عليه قال له هل لك حاجة أو طلب ؟ فأعاد عليه انس القصة التي اتفقوا عليها والحيلة التي دبروها ، فلما سمع مفرج ذلك الخبر ثار وقال لبعض العبيد ويلك شد لي الجواد الادهم ، ولا تدع احداً يعلم ، فوالله لا سرت الا وحدي بغير صاحب ،ولو كان الرجال بعدد الكواكب. وكانت أم ناقد حاضرة فقالت لمفرج يا ابن العم اخبرني بما سمعه من الاخبار ، وكانت ام ناقد ادهى نساء العرب فلما سمعت كلام مفرج بن همام قالت له « أيها الامير وحق الكعبة ان جميع ما سمعته من هـذا الفارس زور وكذب ، ومكر واحتيال ، وان سرت معه وصدقته وقعت في الاسر الوابل » فلما سمع مفرج ذلك الكلام انحلت عزيمته وقلت همته ، وقال لها يا خالتاه كيف خطر لك هذا الخاطر الذي لم يخطر لي في بال ؟ » قالت : « والله يا ولدي ما أتى اليك أقل من مائتين من الفرسان ، وهم يكمنون لك كل فرقة في مكان ، والدليل على ذلك ان عبدك الذي ارسلته ليأتيك بالفداء لم يعد وانهم أمسكوه عندهم ، فخذ حذرك مما يدبرون وتمسك بالعقل واترك الجنون » فرأى مفرج كلامها عين الصواب ، وقال يا خالتاه كيف يكون الجواب ؟ قالت اشير عليك ان تقبض على هذا الفارس الذي اتاك بهذه العبارة ، وتتركه مقيداً عند ابن عمه عمارة ، ونركب بعد ذلك في ابطال قومك الذين تعتمد عليهم في الشدائد وتسيرون كلكم في موكب واحد ، وحـين تشرفون عليهم ابذلوا فيهم سيوفكم واسروا من قدرتم عليه ، والذي يدافـع عن نفسه خذوا روحه من بين جنبيه ، فلما سمع مفرج ذلك قال للعبيد احملوا هـذا الكذاب الى المضرب الذي فيه ابن عمه عمارة وأذيقوهما العذاب ، وصاح بعد ذلك في رجاله وانتخب منهم ثلثمائة فارس وكان عمارة في ذلك الوقت قد نام واذا اخوه انس الى.

جانبه مشدود ، في اثقل القيود ، فلما عرفه شهق واحس بأن الدنيا انطبقت عليه وقال له « ويلك يا اخي ما الذي اوقعك في الاعتقال فأخبره بما دبره الربيع من الاحتيال ، وكيف عرفت العجوز الحيلة ، فقال عمارة وهو يبكي « والله لقد دنت منا الآجال وسيقتلنا مفرج بلا جدال » .

هذا ما كان من أمرهؤلاء واما ما كان من الربيع فانه بعدماارسل اخاه الى مفرج ابن همام ، قسم الفرسان معه ثلاثة اقسام واخفى كل فرقة منهم بمكان ، وترك عشرة ظاهرين للعيان ، وقال لهم اذا رأيتم مفرج بن همام اقبل مع اخي فاطبقوا عليه وامروه ، بلا تعب ولا قتال فبينما هم في الكلام اذ وفد مفرج بن همام ومعه اصحابه قد جردوا الصفاح ، وهزوا الرماح فلم يمهلهم حتى يسمع منهم خطاباً او يرد لهم جواباً بل شن عليهم الغارة فوقف الربيع بن زياد ينادي في طائفة بني عبس ويحمسها للقتال ، ثم حمل واقتحم الغبار ودام عمل الحسام واستمر القتال والصدام حتى أقبل الظلام ، فافترقوا وقد خسرت بنو زياد والتجأت الى رؤوس التلال وقتل منها خمسون فارساًوبات مفرج وهو يقول لأصحابه « ان هذه العجوزحاذقة البصيرة» ولولاها لكنا وقعنا في خسارة كبيرة واذا اتى عبدهم عنترة كان لنا الحظ الاكبر ، لأني اريد ان احمله الى هذه العجوز ، وأهبها اياه ، تحكم فيه بما تريد وتهواه وتأخذ منه ثار ولدها .

ولما طلعت غرة الصباح ، ثارت الفرسان تطلب الحرب والكفاح وقد اصطفت الصفوف واشهرت السيوف ووقف مفرج يطلب نزال بني زياد ، فنزل له اخوه الربيع بن زياد ، قيس الجواد ولم يلبث ان وقع اسيراً ثم نزل اليه طالب الدراك ، وكان فارس بني زياد في القتال والعراك فصدم مفرج بن همام صدمة الاسد الضرغام واخذ في الافتراق والالتزام حتى خيم عليهم الظلام ثم انجلى القتال عن مفرج وقد اخذا (طالب الدرك) اسيراً بعد ان جرحه جرحاً كبيراً وكان خبر تلك الوقعة قد شاع في تلك القبائل فتكاثروا على بني زياد ووقع الربيع واصحابه في كرب عظيم وبقي معه نحو سبعين من اصحابه ، فقال لم يبق لنا الا ان ارسل الى مفرج بن همام ، واطلب منه الاجازة والذمام ونقيم عنده في الاعتقال الى ان نشتري ارواحنا منه بالمال ثم باتوا تلك الليلة وهم يتمنون من شدة الظمأ ان يبلوا حلوقهم بجرعة من الماء ، ولما أقبل الصباح ، انفذ الربيع بن زياد الى مفرج يقول له قد اعترفنا بالخطأ وعجزنا عن القتال وهلكنا من العطش في هذا الحر والهجير ،

فنرى منك الامان على دمائنا حتى نسلم انفسنا اليك ، وناتيك من الغـــد بما يقر عينيك وان كنت لا تقبل هذا فمكنا من ورود المـاء حتى نستطيع ان نعود الى القتال .

فلما وصل الرسول إلى مفرج بن همام ، ضحك وقال : (ويلكم يا بني زياد . ما بقي لـكم زمـام ، بعدما كذبتم في الكلام ، ولن ينجيكم من الموت الا ان تلقوا سلاحكم وتترجلوا عن خيولكم ثم تأتون بين يـدي حتى اجز نواصيكم ، واقطع آذانكم ، واحلق لحاكم وبعد ذلك امكنكم من ورود الماء . واطلق سبيلكم لوجه الآلهة والاصنام) فقال له الرجل العبسي الذي اتاه رسولاً واسمـه جميل : يا مولاي افعل ذلك بي ، خذ فرسي وجز ناصيتي ، واجدع انفي ، واحلق لحيتي ودعني أبل من الماء غلتي) فعندها ضحك مفرج ووهبه نفسه وأعطاه أمانـه وسمح له ان يشرب ويسقي حصانه ، وقال له : (اعلم انك صرت في ذمامي دون اصحابك ، على شرط أن لا تقاتل بل تمضي الى ديارك ، فعندها عاد الرسول الى الربيـع بن زياد وأخبره بذلك المقال ، فتقطعت قلوب الرجال ، وقال الربيـع : (ما عاد لنا يا بنى الاعمام الا ان تموتوا موت الكرام) ثم قام الربيـع واصحابه يطلبون القتال الا ان العطش كان قد هد قواهم فلم يصمدوا ، وما انتصف النهار حتى أخذوا جميعاً في القيود والاصفاد ، وعادوا بهم إلى حي بني طي .

وانفذ مفرج بن همام الى قبائل بني طي يبشرهم بما فعل ومن شدة فرحه نحر النوق والأغنام ، واحضروا المدام ، واخذوا في اللهو والطرب وبنو زياد تتفتت أكبادهم .

أما عبلة فقد ظلت منتظرة بقدوم عنترة ابن عمها ، ولما مضي اكثر الظلام وسكر مفرج بن همام ، دخل الى مضربه وقال لامه وحق ذمة العرب ، لا أنام الليلة ولا يقر لي قرار؟حتى ابلغ منجاريتي العبسية ما أحب واختار ، والا قتلتها بعد ماأذبح بين يديها خمسين رجلًا من بني عمها وفي مقدمتهم عمارة والربيـع بن زياد ، فعندها خرجت امه الى مضرب المولدات ونادت عبلة ، وقالت لها : « اعلمي ان مولاك الليلة قد غرق في سكره ، واقسم بالبيت الحرام انه لا ينـــام الا وانت ضجيعة والا ذبحك وذبح بني عمك فاقبلي مني النصيحة واجيبيه ، لعلك تتشفعين في قومك » ، فقالت عبلة : « والله لو قطعني ألف قطعة ، وسقاني من كؤوس الموت ألف جرعة ، ما رآني له ضجيعة ولا سامعة ولا مطيعة » .

فلما سمعت ام مفرج ذلك من عبلة شتمتها ولطمتها . وقالت لمن حولها ميد العبد اسحبوها على وجهها حتى توصلوها الى سيدها يفعل بها ما يريد فتكاثر حولها العبيد وأخذوا يجرونها وهي تصيح : « يا لعبس يا لعدنان امـا من معين اما من معين اما من مجير ؟ » .

وما فرغت عبلة من ندائها حتى سمعت صوتاً كالرعد يقول : لبيك يا بنت العم لقد جاءك كاشف الهم والغم ، ثم تعالى الصياح في جنبات الحي ، واذا بصوت ينادي (يا لعبس يا لعدنان) وكان الصوت صوت عنـترة بن شداد فارتج الوادي من صيحاته واذا بالرجال تتنافر من بين الخيام والأطناب وتطلب الهرب .

وكان عنترة عندما اقترب هو ومالك بن زهير ومن معهما من الفرسان من ديار مفرج بن همام ارسل اخاه شيبوب ليكشف له الأخبار ثم القوا بجميل العبسي الذي كان مفرج بن همام قد عفا عنه فسأله عنترة عما جرى للربيع واخوته مع مفرج بن همام وعشيرته ، فقال جميل : (والله يا حامية بني عبس لقد صار بنو زياد في الاسر) فقال عنترة : (لقد عوقبوا باعمالهم ، وجازاهم الله على سوء فعالهم) ، ثم نظر الى مالك وقال له لقد عزمت على ان اباغت القوم في الظـلام واروي من دمائهم هذا الحسام ، والتفت الى ديار بن طي فرأى النيران قد خمدت فقال لمالك بن زهير خذ يا مولاي عن يسار القوم واتركني وحدي لميمنتهم وسترى ما افعله بهم بعد غفلتهم ثم اعطاه مائة وخمسين فارساً وأخـذ معه خمسين وهجموا على المضارب من الشمال واليمين ، وامعنوا في القوم ضرباً بالسيوف حتى رووا من دمائهم التراب ، وكان مفرج في انتظار امه حتى تقدم عليه بعبلة ، فلما سمع الصياح طار السكر من رأسه وانتبه بعد الغفلة ، وقال لعبيده يا ويلكم قدموا لي الجواد وأتوني بعدة الحرب ، ولكنه لم يستطع ركوب جواده لشدة سكره فانثنى الى خيمته .

وكان شيبوب قد نشط لاضرام النار في الخيام ، وأخذ يرمي من صادفه بالسهام وما زال الامر كذلك حتى ذهب الليل فانقطع الصراخ والصياح لأن رجال الحي تركوا الديار وطلبوا النجاة والفرار ، وأسرع شيبوب الى اسارى بني عبس فرآها في القيود الثقال فحل قيودهم ثم عاد الى عبلة فرآها تخوض في بطون القتلى انتقامـاً لقومها فوثب اليها وأخذ بيدها حتى اوصلها الى اخيه عنترة ، فوجد درعه مغرقاً بالدماء وأكمامه تقطر مثل قطر الماء ولما وقع نظر عنترة على عبلة ترجل اليها وهنأها بالسلامة ثم قال لأخيه شيبوب خذها وادخل بها الى بيت مفرج بن همام واجلسها على

سريره كما كان يشتهي في ضميره وابق عندها حتى ألتقي بمالك بن زهـير ورجاله واقف على جلية حاله فأخذها شيبوب وأدخلها الى بيت مفرج فرآه خالياً من النساء والرجال فنظر فيه الى اليمين والشمال فرأى الثياب التي كانت على عبلة والتاج الكسروي والحلي فسلم ذلك جميعه اليها وقال لها البسي فان الله قد دفع عنك البلاء وسار عنترة طالباً مكان مالك واصحابه واذاهم يركضون بين الخيـام ومالك في أوائلهم فشكره عنترة على ما أبلى من بلاء وما فعل بأعناق الاعداء ثم عادوا وقد عزموا على الارتحال فتلقاهم الربيع بن زياد واخوته ومن معه من الرجال فركبوا من الخيل الشاردة وأخذوا السلاح من بيوت المنهزمين وتقدم الربيع بخبثه ومكره وبكى امام عنترة وقال يا أبا الفوارس والله ما فينا من له وجه يقابلك بـه لأجل فعالنا الذميمة ولأجل ما وليتنا من المعروف ثم نزلوا في الخيام يطلبون الراحة فقال لهم عنترة نحن اليوم في بلاد بني قحطان وقد عادينا جميع من فيها من العرب وهؤلاء القوم الذين هربوا من بين أيدينا لا بد أن يجمعوا علينا الفرسان والصواب أن نأخذ الراحة ونأكل الزاد ونرحل من هذه البلاد ثم ذبحوا الاغنام واضرموا النيران وجهزوا الطعام وأخذوا يأكلون ويتسامرون .

ثم رحلوا قبل انقضاء الظلام وساروا الى الاهل والديار بسلام في ذلك الوقت وصلت بنو جديلة قبيلة حاتم الطائي في خمسمائة فارس والتقاهم مفرج بن همام بالبكاء والنحيب وأخبرهم بما جرى عليه من البلاد والتعذيب فلما سمعوا كلامـه قالوا له لابد ان نلحق بالاعداء ولو وصلوا الى آخر البيداء بينما هم كذلك اذا اقبل بنو نبهان في الف وخمسمائة فارس يتقدمهم المهلهل بن فياض ، وفارسهم جابر بن غلانه فاشتـد قلب مفرج بهؤلاء وانجلت الاحزان وساروا جميعاً على اثار بني عبس وهم الفـين وثلاثماة فارس فادركوا عنترة ورجالة قبل غياب الشمس ، فقال مفرج لجابر :

« يا ابن العم الرأي عندي ان نهجم عليهم قبل الصباح ، وننهبهم باسنة الرماح ، فقال جابر : ما هذا بالصواب ، لأنهم عصابة يسيرة . ونحـن طائفة كثيرة ، وان اختلطوا بنا ضاعوا في ظلام الليل فيقتل بعضنا بعضا ، والرأي عندي ان تأخذ الف فارس وتسبق مقدمتهم وتقطع على القوم طريق ديارهم وابقى انـا في الف وثلثماية فارس ونتبع اثارهم واذا أقبل الصباح هجمنا عليهم من قدامهم وورائهم فنطلق في رقابهم سيوفنا ونكون قد عرفنا اصحابنا من اعدائنا قال مفرج : « هذا هو الصواب والرأي الذي لا يعاب ثم ان مفرجاً بن همام اخذ معه الـف فارس وتقدم بطلب

المقدمة .

وأما بنو عبس فعندما سمعوا الصياح ، ابصروا لمعان أسنة الرماح ، قال مالك لعنترة : « ماذا عندك من الرأي يا أبا الفوارس ، فقد ادركتنا قبائل بني طي في هذا الليل الدامس وربما حملوا علينا بالظلام واذاقونا الويل . فقال عنترة « يا مولاي لا تخف من هذا الامر لأنهم لو فعلوا ذلـــك خسروا ... ، لأن العصابة القليلة يسترها ظلام الليل ولا ... اذا اختلطت بكثرة العدد . وهـذا لا يفعلونه ان كان فيهم رجل خبير بالحرب وبصير بابواب الطعن والضرب » ... مالك : « اراهم قد انقسموا علينا قسمين ليحصرونا بينهم فقال عنترة : لقد خافوا ان نهرب منهـم في الليل . ولكن والله لن أترك الصباح يصبح عليهم حتى أ... ن قد اذقتهم الوبال ، فقل لاصحابك يأخذوا الأهبة للقتال ، ولا ينزلوا عن ظهور الخيل حتى اريك مـــا افعل بهؤلاء الانذال فقال الربيـع بن زياد : على ماذا عولت يا فارس عدنان ، قال عنترة سأترك القوم حتى تنزلوا ويأمنوا على أنفسهم وأحمل بكم على الفرقة التي بين أيدينا فاقتحمها فاذا صاح رجالها علينا طمعت فينا الفرقة التي ورائنا هجمت علينا وعندئذ تفرقوا انتم وقت الحملة واطلبوا المقدمة وبادروها بالطعن والضرب ثـــم تفرقوا في الارض واتركوا بعضهم يفتك بالبعض وعند اول حملتهم نادوا بانسبائكم وافتخروا باحسابكم فاذا اختلطنا بهم فاصمتوا حتى لا يعرف العبسي العدناني ، من الطائي القحطاني ، فلما سمع الربيـع كلامه رآه عين الصواب ، واوصى به رجاله ، ثم اخذوا الاهبة للحرب فصبر عنترة حتى نزلت الطوائف . وآمن قلب كل خائف ، ونام اكثرهم بعد ان اظلم الليل ، فقال لشيبوب كن انت الليلة حارساً لعبلة ، ولا تبرح بها على اثري عند الحملة ، وكان قد اركبها على جواد سابق . والبسها صدرية من الزرد ، مضاعفة العيون كثيرة العدد ، خوفاً عليها من غاله تصيبها عند اشتداد القتال ثم نبه مالك بن زهير ورجاله ، وايقظ الربيـع وابطاله ، فانضم بعضهم إلى البعض وحملوا حملة تزلزل الارض وهزوا بايديهم الرماح ، وانتشروا في تلـــك البطاح وهجموا على مفرج بن همام ، وسمع جابر بني نبهان، فزعق على الابطال ، والفرسان وقال للمهلهل لقد اصاب عنترة واصحابه في هذه الفعال ، وعملوا عمل الرجال ، وما هي الا خبرة بامور القتال فان حملنا لمعونة اصحابنا ضاع القوم بيننا فكنا نحـــن الخاسرين وان تركناهم كسروهم وخرجوا من هذه الديار سالمين ، فقال المهلهل ما هذا بكلام يا جـــابر كيف يخفي العبسي العدناني ، من الطائي القحطاني احمل

بالناس ودع عنك التواني ، ثم حمل جابر والمهلهل ، واختلط الجميع تحت غياهب الظلمة ، وعمل عنترة في تلك الليلة اعمالا تذهل الخواطر وطعن في الصدور والترائب ونكس الاعداء جانباً بعد جانب ،ثم انسل بجواده من بين الاعداء واختفى في البيداء ، وكذلك فعلت اصحابه وانتشروا في تلك الارض ، وتركوا القوم يفتك بعضهم بالبعض وما زالوا كذلك الى وقت الصباح ، عندئذ عاد بنو عبس للميدان فبرز لهم مفرج وطلب النزال فارساً لفارس على أن لا يخرج الا السادات فخرج اليه عنترة وصرخ فيه : « ثكلتك امك يا كلب العرب، من انت حتى تطلب ان يخرج لك السادات ، ها انا اقل العبيد لبني عبس ومع هذا فسوف امحو آثارك وأخرب ديارك يا مفرج لافرج الله كربتك لقد سبيت بنت عمي عبلة ، وسأجزيك على هذا بان لا أخرج من هذه الديار حتى احصد كباركم والصغار » قال هذا ثم التحما في الحال وانتشب بينهما القتال ، وما زالا كذلك الى ان كل مفرج ومل ، وهان بعد عزه وذله ، واراد ان ينشر الى قومه ويطلب منهم النجدة فما امهله عنترة بل اطبق عليه وضربه بالحسام فوقع السيف على رأسه ، فشقه الى تكة لباسه ، ووقع على الارض يتخبط بدمه عندئذ اندفع جابر فارس بني نبهان يريد الفتك بعنترة وجال معه ساعة وكان جابر مزدرياً بعنترة حتى وقف معه في الميدان فرآه خبيراً بمواقف الضرب والطعان ولما طال قتاله دون ان يظفر منه بطائل ضـــاق صدره وندم على نزوله اليه واخذ يتقهقر وهو مستمر في القتال الى أن اختلفت بينهما طعنتان كان الاسبق فيهما عنترة فوقع سنانه بين صدر جابر ونحره ، فطلع يلمع بالدم من ظهره ووقع قتيلا .

ولما رأى المهلهل ذلك صرخ في بني نبهان وقال : ويلكم دونكم هذا الشيطان فتدافعت نحو عنترة الفرسان من كل جانب فهجم عليهم هجوم المحتقر للحياة وحمل الامير مالك في طائفة من بني عبس والقى نفسه في الميدان وكثر الصياح والضجيج واخذ عنترة ينثر رؤوس الرجال ذات اليمين وذات الشمال فلما رأى المهلهل بن فياض حملاته العنيفة ووثباته الخفيفة ، خشي أن يلحقه بمن جندلهم فولي وطلب النجاة ، وتبعته فرسانه وطاردهم بنو عبس حتى اخرجوهم من تلك الارض المقفرة وساقوهم خمسة خمسة وعشرة عشرة ، وبعد ذلك سار عنترة بمن معه إلى بني عبس ، وقـــد فرحت عبلة لفعاله وتمايلت على جرادها عجباً وطرباً من شجاعته ونضاله .

وبينماهم في الطريق قال عنترة : يا بني عمي خذوا الراحة الى نصف الليـــل ،

واركبوا بعد ذلك على صهوات الخيل ، واقطعوا بنا هذا الطريق قبل ان يلحقنا لاحق ، أو يعيقنا عائق ، وعندما انتصف الليل ركبوا مطاياهم ورحلوا ، وفي اليوم الرابع وصلوا الى ارضهم وآمنوا على أنفسهم فنزلوا للمبيت ودخل مالك ابو عبلة على شاس بن زهير وقبل يديه ورجليه ، وبكى وانتحب بين يديه وقال له « يا مولاي ، اريد منك ان تتم احسانك وتمنع عن ابنتي هذا الأسود وتأخذها الى بيتك وتستخدمها كما تستخدم الاماء ، لأنه قد عظم شأنه ، وكثر أعوانه . وقد عجزت عن دفع العار ، ومالي اقامة في هذه الديار ، وها أنذا قد فوضت امري اليك ، وجعلت اعتمادي عليك فان قدرت على نصرتي فافعل ؛ والا فقل لي حتى آخذ ابنتي وارحل فقال له شاس وقد رق قلبه عليه ، يا مالك طب نفساً وقر عيناً هذا أمر لا أتركه يتم ابداً ؛ ولا بد لي ان اهلك هذا العبد .

هجرة عنترة الى البيت الحرام

وبعد انصراف مالك من عند الامير شاس انفذ خلف عنترة واحضره اليه وقال له :

-- يا عنترة ان البغي يورث الندم ، ومن طلب ما ليس له فقد ظلم واعلم ان ان مالكاً ابا عبلة كان الساعة عندي وشكالي حاله ، وقد اعطيته اماني وذمامي وقد صارت ابنته عبلة من جملة حريمي ، وصار غريمه غريمي ، وانا أشير عليك ان لا تذكر عبلة لا سراً ولا جهراً ولا تقل فيها شعراً ولا نثراً ، والا فانا خصمك من دون الناس ، وانت تعلم ما عندي من شدة البأس ونحن اولاد الملك زهير لو طلبنا ابنة اقل رجال القبيلة وابى ما تعرضنا له ولا غصبناه ، ولا نقدر ان نأخذها الا برضاه ، وهذا الرجل لا يريدك لابنته ولا تتعرض له » .

فقال له عنترة : « ايها الامير انت تعلم اباها اطمعني فيها ووعدني بها ، وتعلم كم مرة خلصتها من السبي والقيت بنفسي في المخاطر بسببها ولما طلب النوق العصافير اتيته بها بجملة جواهير ودنانير ، وزد على ذلك ما اتيته من انعام الملك الاكبر وتحف الملك قيصر ، والى الآن انا مخاطر بنفسي لاجل هذه الجارية ، وهذه جراحي لم تزل دامية . ولا سيما ان هذا الخبر قد شاع بين جميع العرب ، واشتهر في كل مكان فلا يمكنني ان اتركها ما دام لي رأس على جسد ، وانا اعلم ان ما فعل هذا العناد الا بتدبير الربيع بن زياد ، حتى يزوجها لاخيه عمارة ، ووالله لا بد ان اترك ربعه

خسارة ، واجعلها عليه انحس تجارة ، وان تزوج بها او ذكرها بكلام قتلته ولو كان في البيت الحرام ، واجتمعت له ملوك العرب والاعجام ، ولن احجم عن ان اطلق سيفي في بني زياد واجعلهم مثلا بين العباد » .

ثم انه خرج من عند الأمير شاس ، ودخل على أخيه الأمير مالك واخبره بما قال شاس فصعب ذلك عليه وقال له : « يا ابا الفوارس لا تضق صدرك ، ولا تشغل فكرك ، فانا اعرف سماجة شاس والربيع ، وأعرف كيف أرغم انوف الجميع ، حتى يذل كلهم ويطيع فدعا له عنترة وقبل يديه ، واثنى عليه ، ولما جن الليل وأقبل الظلام قال عنترة لأخيه شيبوب « قم فاركب جوادي ، واخرج به إلى البوادي ، فانه قد استراح وخف عنه بعض ألم الجراح » فاطاع شيبوب أمر أخيه وركب جواداً من جياد الأمير مالك واجتمع باخيه شيبوب هنالك ، فركب جواده وقال له « سر بنا يا ابن الأم إلى البيت الحرام لانني لا اريد ان اعيش بين هؤلاء اللئام » فقال له شيبوب : « ولم ذلك ؟ » فقال لانني ان بقيت فلا بد ان يمعن شاس في معاداتي ولن يتخلى اخوه مالك عن نصرتي وعندئذ لا بد ان تقع في الحي الفتن ، وانا لا اريد ان احمل احدا ما لا يطيق ، بل سأداوي مرضي بيدي وسأقيم الى آخر عمري في البيت الحرام » فقال شيبوب : « وهل لك صبر على عبلة » قال : « نعم ما دامت في بيت امها مخبأة ، وان بلغني ان احداً تعرض لها سقيته كأس المنية ، ولو كان كسرى صاحب التاج والايوان » ثم استمر عنترة في مسيره يطلب البيت الحرام وهو يشكو الوجد والهيام ، ولما امتد به المسير تذكر ما جرى له فانشد يقول :

اذا كنت في الأحزان يا دمع مسعدي ... اعني عسى تطفي لهيب توقدي
ويا قلب ان لم تصطبر يوم بينهم ... قمت كمدا موت الغريب المشرد
الى كم ارد الحادثات والتقي ... صروف الرزايا بالحسام المهند
وأخدم اقواماً تكن صدورهم ... خلاف الذي يبدونه من تودد
سأطلب بيت الله اشكو ظلامتي ... الى حاكم في حكمه معتد

ومازال عنترة سائراً مدة سبعة ايام فقال له شيبوب «يا اخي لماذا لاتسير الى أرض العراق وتقيم عند الملك المنذر ، أو تقصد المدائن فتدخل على كسرى انو شروان ، وتشكو إلى احداهما فهو يبلغك الارب » فقال له عنترة ويلك يا شيبوب اتظن أنني لا استطيع أن أبلغ مرادي الا بمساعدة المنذر أو كسرى لا والله ولكنني أخاف على قلب عبلة ، لانني لو قتلت أباها أو اخاها تكدرت عيشتها بعد

صفاها ، ولو قتلت أحداً من بني زياد ، تكدر الملك زهير ووقع في العشيرة الفساد وأما مسيري الى الملك المنذر أو كسرى فانني جئت من عندهما في رتبة الملوك ، فكيف أرجع اليهما في حالة صعلوك ، واشكو لهما جور هؤلاء اللئام ، والعجز عن بلوغ هذا المرام ، فهذا لا يكون أبداً ولو مت من ظلامتي كمداً ومازالا يقطعان الارض ، ويضربان فيها بالطول والعرض .

وأما بنو عبس فقد خرجوا لحرب بني طي ولم يعلموا بما عزم عليه عنترة . وعند الصباح افتقدوه فما وجدوه وسألوا عنه فما وقفوا له على خبر فجرى على قلب مالك بن زهير من فقده ما لم يجر على قلب بشر وأحس أن قلبه قد انفطر ، وكذلك أصاب أباه شداد ، وأما عمه مالك وعمارة وشاس والربيع بن زياد ، فانهم كانوا افرح العباد ، وأخذ شاس يقول لعمارة ما بقي لك في عبلة معاند ، والرأي عندي أن تحمل المهر إلى أبيها وتأخذ زوجتك وتبلغ نفسك أمانيها ، ثم إن شاس دعا مالك ابو عبلة ، وقال له : « يا ابن العم عاهد عمارة واقطع عليه المهر ، وزوجه ابنتك حتى تقطع عنها الاطماع » ، فعاهده وأعطاه يده وعاقده وبلغ مالك بن زياد ذلك الخبر وكان الى جانبه شداد فقال شداد : (والله اني خائف على أخي مالك ان تعود اليه عاقبة هذا البغي والعناد فقال له الامير مالك : « انا أحلف لك بأعظم الأقسام ، اني لا أترك عمارة يهنأ بعبلة ابداً ولو شربت كأس الحمام . والحق انني متعجب منك كيف رأيت ان الرجل زوج ابنته بعمارة وتركته ولم تطالبه بمال ولدك لقد جاء عنترة من ارض العراق باموال ثلاثة ملوك من الا كاسرة والمنادرة . وأتى بالف ناقة من النوق العصافير محملة بالجواهر والدنانير ودفع ذلك كله الى أخيك . هذا فضلاً عن كونه خلصها مراراً من السبي وخلص اباها من الاعتقال فلم تترك كل هذا وهو من حق ولدك ؟ فقال شداد : يا مولاي والله ما دام عنترة حياً ، لا يمكن ان يأخذها أحد في الدنيا » .

وما زال بنو عبس سائرين ومعهم الامير شاس حتى وصلوا الى غدير يقال له رمال الغزلان . وكان شاس مغرماً بالصيد فخرج يوماً إلى الفلاة فرأى الغزلان في تلك الارض تمرح ، فقال لأخيه قيس : يا أخي عد بمن معك حتى اتصيد انا في هذه الارض . وأعود اليكم في وقت المساء ، ثم أخذ معه عشرة فرسان . وعدل عن الطريق وأخذ يطارد الوحوش والغزلان ، والخيل تردها عليه من كل مكان ، الى ان تعب والخيل وكانوا قد اصطادوا شيئاً من الغزلان ، فنزلوا عن الخيل ليأكلوا

وبينما هم يأكلون اذ جاءهم صاحب تلك الارض ، وكان اسمه ميسور بن هلال فحمل عليهم وحملوا عليه فقتل من بني عبس سبعة رجال لأنه كان فارساً شديد البأس ، وكان معه اخ له فقتله شاس ، فلما رأى ميسور اخاه قتيلا هجم وقتل الثلاثة الباقين من الفرسان ، وأسر شاس ورجع به في الذل والهوان طالباً دياره وقال له : ويلك يا كلب العرب من تكون ؟ فقال له « انا شاس بن الملك زهير » فقال ميسور : «والله يا فتى ما بقيت ترى لأنك فجعتني في اخي شيبان »، ثم ان ميسور قال لرجاله : « سيروا بنا نطلب الديار »، فجدوا في المسير وشاس معهم ذليل أسير .

اختفاء شاس

وعاد بنو عبس بالظفر والغلبة على بني طي ثم انهم حضروا جميعاً الى ساحة الملك زهير ، فسلموا عليه ، وقبلوا يديه ، وحدثوه بما جرى لهم في ذلك السفر ، فقال لهم : « واين شاس وعنتره ، واخبروه بقصة عنترة مع شاس وتهديده له ومنعه في محاولة الزواج بعبلة وكيف غضب عنترة وسار في القفار »، ثم قالوا ان شاس فارقهم في طلب الصيد ومعه عشرة فوارس على أن يعود آخر النهار ، فلما سمع الملك زهير ذلك المقال تأسف على ذهاب عنترة على تلك الحال ، ونظر الى ولده مالك فاذا هو مجروح وكأنه جسد بلا روح . وهو يريد ان يتكلم والدموع تذرف من عينيه وعلامات الغضب ظاهرة عليه .

فقال له ابوه « مالك يا ولدي تكلم وأظهر ما تخفيه وأنا اقابل الظالم على أفعاله واجازيه » فقال مالك : «ماذا أقول يا أبي لعن الله الظلم ومن تبعه ومن رأى الحق ولم يكن معه » ثم حدثه بما فعل بنو زياد مع عنترة وكيف نقضوا عهده بالزواج من عبلة فعند ذلك احضر الملك زهير عمارة وقد صعب عليه فقد عنترة ، وقال له : « والله يا كلب العرب ، وقليل المروءة والأدب كل ما جرى على عنترة وعلى ولد شاس هو عاقبة بغيك وقلبي يحدثني بأن ولدي شاس وقع في مصيبة من تعصبه . وأنت لا تريد أن ترجع عن هذا البغي والعناد ، ولسوف تكون سبباً في محو آثار بني زياد » فقال له عمارة : (وانا يا ملك ما ذنبي حتى نسبتني الى هذا الكلام ؟) فقال الملك زهير : (وحق من رفع الخضراء وسط الغبراء ، ان هلاكك كان افضل من نجاتك ، أهذا جزاء عنترة منك وقد خلصك من الاسر عند عودته من ديار كسرى بعد ما جرى لك معه ما جرى ؟

ثم ان الملك زهير امر عبيده بالقبض على عمارة فقبضوا عليه ، وامرهم بتكيفه فكتفوه ، وقال للعبيد ابطحوه ونهض قائماً واخذ السوط بيده وصار يضربه حتى كلت سواعده . ثم ترك السوط من يده وأمر العبيد بأن يضربوه ضرباً أليماً. فصار يعوي مثل الكلاب ، ويدعو ولا يجاب وما زالت السياط تقع عليه كوابل المطر حتى تخشدت اعضاؤه وسار الدم منها وانفجر وكان اخوه الربيع حاضراً فكان واقفاً يتألم ولكنه لا يجسر على ان يتكلم .

ولما رأى الملك زهير ان عمارة قد اشرف على التلف من شدة الآلام أمر العبيد بأن يشدوا كتفه ويلقوه في بعض الخيام . فتقدم عند ذلك شداد الى الملك زهير فقال له « يا مولاي اريد من اخي مالك الاموال التي ساقها اليه ولدي عنترة لأنه زوج ابنته بعمارة وترك ولدي يتحسر عليها » فأمر الملك زهير باحضار مالك بن قراد ، وقال له : «ويلك يا شيخ السوء انت اليوم صرت شيخاً من مشايخ العشيرة وجميع بني عبس يعتدون برأيك لأنهم يظنون انك من اصحاب البصيرة فكيف تستطيع الغدر ، وتأخذ من ابن اخيك المهر ، ثم تزوج ابنتك بغيره بعد ما ألقيته بين أنياب المنايا ورميته في المخاطر والبلايا » وقد خلصك انت واياها من الاسر والهوان ، وجازاك على قبيح فعلك بالجميل والاحسان فوالله انك تستحق الرجم بالحجارة وان نفعل بك كما فعلنا بعمارة » .

فقال مالك : (يا مولاي أنا ما غدرت ولا عوجت سبلي ، ولكن قلت في نفسي ان ولدك شاس ملك وابن ملك ، والذي عرفه شاس لا يعرفه من هو مثلي . فسلمته ابنتي ، وقلت له انت ملكنا وابن ملكنا واصوب منا قولاً وفعلا ، فهذه ابنتي مقدمة لك فزوجها بمن تراه لها اهلا فقال شاس ان ابنتك لا تصلح الا للأمير عمارة بن زياد ، فزوجه بها فقلت له وكيف ذلك يا مولاي وابن اخي حمل الي مهرها وقد زوجته ، وفوضت اليه امرها وأبوك عون له على ذلك ويؤازره في ذلك اخوك مالك ، فقال شاس انا اكفيك مؤنة الجميع ، وامنعهم عنك وعنها اكراماً للربيع ثم ان ولدك شاس احضر عنترة وكلمه بما شق عليه . فقام وهو غضبان ، وفارقنا وكان نصف الليل قد انقضى ، ولا ادري الى اين مضى وهاهي ابنتي في بيتها فزوجها بمن تريد) فلما سمع الملك زهير ذاك قال : (لن افصل في هذا الامر حتى يحضر عنترة واقف على حقيقة حاله واقابل المعتدى عليه على قبيح فعاله) .

ثم بعد ذلك افترق الناس وامسى المساء وعاد شاس ، فضاق صدر الملك زهير

وارسل الخيل تجوب البراري والقفار وتفتش عن شاس دون ان يقفوا له على خبر فزادت على الملك زهير الهموم وقال : (والله ان هلك ولدي ضربت رقبة عمارة بن زياد ، وصلبت مالك بن قراد ولا ازال بجمع بني زياد حتى اهلك شيخهم الربيع) ثم ان الملك زهير انفذ العبيد الى احياء العرب تقتفي الآثار ، واقام منتظراً ما يجد من الاخبار وزوجته تماضر تبكي آناء الليل واطراف النهار .

هذا ما جرى لهؤلاء الناس ، واما ما كان من حديث شاس فان الرجـــل الذي اسره سار به حتى وصل الى بني الحارس ، وقد جرعه في الطريق غصص البـــلايا والكوارث ، فكان تارة يضربه ، وطوراً يلطمه ويعذبه وان جاع لا يطعمه ،ولا يترك احد يخدمه أو يرحمه وشاع حديث شاس في الحي عند جميع الناس ، وبلغ خبره سيد العشيرة موهوب بن زيد وكان صاحب رأي سديد ، فدعا ميسورا اليه ، ولامه وعتب عليه وقال له : (يا ابن العم هذا الذي تفعله بأسيرك ليس بصواب ، ولا يستحسنه احد من ذوي الالباب وانا لا امكنك من قتله حتى تمضي الى ملكنا عبد المدان ، وتشاوره في أمره وتعلمه بأنه قتل اخاك شيبان ، فان اذن لك في قتله فقد بلغت الارب،والا فكف عنه لأنك تعلم أن قومه من بني عبس يعدون جمرات العرب ، ولا بد لأبيه زهير من كشف خبره واذا سمع بقتله جـــاءنا بني عبس وغطفان ، وفزارة وذبيان فاذا طلبنا من ملكنا نجدة . فانه يقول لنـــا «انكم لم تشاوروني في قتله حتى اساعدكم على قتله » .

فلما سمع ميسور هذا المقال خاف أن يقع من أجل شاس في مشكلة فـــدعاه وحل يديه ورجليه واراحه من ثقل الحديد ، واوصى عليه عشرة من العبيد وركب بعشرين من الفرسان ، وسار يطلب الملك عبد المدان فعند ذلك قال شاس لزوجة ميسور ، يا مولاتي هل يكون لي من هذا الأسر فرج ، قالت لا والله الا ان يكون في الأجل تأخير ، او يبذل المال الكثير ، وبينما هما في هذا الكلام ، اذ دخلت عليه جماعة من النساء كبدور التمام ، وكان معهن عجـــوز من بني كندة فسلمت على صاحبة الخباء وقالت لها يا بنت العم من يكون هذا الفتى ، ومن اين أتى ؟ قالت لها: هذا ابن الملك زهير سيد بني عبس وغطفان ، وفزارة وذبيان . فلما سمعت المرأة ذلك نظرت الى شاس وقالت لله در امك ما أنجبها فأنتم عشرة اخوة أشقاء قال شاس نعم يا سيدة النساء ، قالت له ان قومك موصوفون بالشجاعة ولكن ليس عندكم شيء من الفصاحة ، وليس عندكم شاعر كشاعرنا امــــرىء

القيس ، قال لها شاس يا خالتاه ، نحن لنا عبد يرعى الجمال ، وهو فصيح اللسان يقول من الشعر ما لم يسبقه اليه احد . ولو كنا نعرف قدره ونضعه في مكانه لساد بفصاحة لسانه وقوة جنانه ، فهو والله واحد زمانه ، قالت وما الذي، قال عبدكم ؟ انشدني منه شيئاً فانشد :

لعوب بالباب الرجال كانها ... اذا اسفرت بدر بدا في المحاشد
شكت سقما كيما تعاد وما بها ... سوى فترة العينين سقما لعائد
من البيض لا تلقاك الا مصونة ... وتمشي كغصن البان بين الولائد
كأن الثريا حين لاحت عشية ... على نحرها منظومة في القلائد
منعمة الاطراف خود كأنها ... هلال على غصن من البان مائد
حوى كل حسن الكواعب شخصها ... فليس بها الا عيوب الحواسد

قال الراوي : فلما انشد شاس هذه الأبيات تمايلت النساء طرباً وتبسمت العجوز عجباً وقالت : « لعل هذا الكلام من شعر عنترة بن شداد » الذي يحب عبلة بنت مالك بن قرام . قال شاس : « اي والله يا خالة واراك عارفة به » . قالت : (لاني سمعت عنه ، فهل تزوج عبلة) قال شاس : « لا والله ، انا منعته عنها وبغيت عليه وقد عاهدت الله انني ان سلمت من هذه الورطة كنت عوناً له على ما يشاء » ثم خرجت العجوز من عنده بعد ما اوصت زوجة ميسور عليه . وكانت هذه العجوز قد خلصها عنترة هي وبناتها الثلاث من سبي قاطع الطريق « الصدام بن سهلب » حينما كان عنترة سائراً الى البيت الحرام. وكانت سمعت باسر شاس فدخلت عليه وتحدثت معه بذلك الكلام . وكان عنترة قد حدثها بعد ان خلصها وخلص بناتها بحبه لعبلة وبعداوة شاس له .

مروءة امرأة

قال الراوي : فلما خرجت العجوز من عند شاس ذهبت الى مضربها ودعت زوجها الاشعث بن عياد واخبرته بالخبر وقالت له : قد وجدنا شيئاً نكافيء به عنترة لان هذا الرجل العبسي ان تخلص على ايدينا اعانه على زواج بنت عمه عبلة . وكشف عنه ما شكاه من الهم . فقال الاشعث « صدقت ولكن كيف التدبير ؟ » قالت : (تركب ناقتك وتطلب مكة . حيث يقيم عنترة الآن . وتعلمه بهذا) قال الشيخ (لقد قال الصواب) . ثم ركب ناقته وسار وبقيت العجوز بعده خائفة يجول في

قلبها الوسواس . من ان يعود ميسور من عند الملك عبد المدان ومعه الاذن بقتل شاس .

وبعد ثلاثة ايام قدم ميسور من عند الملك عبد المدان وكان فرحاً غاية الفرح لانه لما شاوره على قتل شاس قال لهاقتله وخذ منه بالثأر ، ولما نزل ميسور في ابياته أمر عبيد باحضاره شاس بين يديه ، وصار يشرب ويصب عليه ، ثم قال له : (والله لاتركنك تمام الاسبوع وأنت مصلوب على الخشب حتى تتفرج عليك جميع العرب) هذا والعجوز الكندية تسمع وقلبها يتقطع ، ودام الامر كذلك حتى أقبل الظلام وتفرق اكثر القوم للمنام، ونام ميسور بعدما شرب ، وباتت العبيد في تعب ، وبقي شاس وهو فريد وحيد وقد ذاب قلبه من الذل والغم الشديد . وبينما هو في هذه الحال ، اذا بشخص قد اقبل عليه ، وهو يحبو على يديه ورجليه وعليه ثياب سود ، ثم همس في اذنه وهو يقول أبشر بالخلاص من هذا العذاب ، وتقدم اليه ، وفك القيود من رجليه ، وقال له : (قم واتبعني يا عبسي ، فاني اليوم افديك بنفسي) فلما سمع شاس هذا الكلام ، ظن انه في المنام ولكنه ثبت نفسه وقام ، وصار يتبع الشخص الذي قدامه وستره الليل حتى وصل الى اطراف البيوت، وهو حائر مبهوت فأدخله الى بيت كبير هناك ولما سكن روعه تفرس في ذلك الشخص ، فاذا هو العجوز الكندية التي دخلت عليه وناشدته الاشعار ، فقال لها شاس وقد اشتدت به الحيرة : « يا حرة العرب جزاك الله خيراً ولا اراك سوءاً واني لارجو ان ارجع سالماً الى الاوطان ، حتى اكافئك على هذا الاحسان » ، فقالت له : (أما انت يا شاس ، فما بقي عليك خوف ، واما الجميل الذي تريد أن تعمله معي فاعمله مع ابن عمك عنترة بن شداد وساعده حتى يملك عبلة بنت مالك بن قراد وهذا عهد عندك من الله) ، ثم اعلمته أنها ارسلت زوجها إلى مكة ليخبر عنترة بما هو فيه ، حتى يدبر امر خلاصه ولكنها لما علمت انه سيقتل في الغد لم يعد لها اصطبار ، فاحتالت هذه الحيلة وسرقته قبل أن يطلع النهار ، فلما سمع شاس هذا الكلام بكى ندماً على ما فعله وقال ايتها السيدة لو طلب عنترة زواج اختي (المتجردة) ، لخاطبت ابي في ذلك ، ولو لقيت في سبيله المهالك ، ولاعطيت مهرها من مالي ، وعملت له وليمة من نوقي وجمالي واعاهدك ان ساعدتني الاقدار ، أن ابذل في قضاء حاجته غاية المجهود وزال بغض عنترة من قلب شاس ، وصار عنده من أعز الناس .

ثم ان العجوز أتته بشيء من الزاد فأكل ، وألبسته بعد ذلك ثياب النساء

وبرقعته واحلته بين بناتها في داخل الخباء ولما انبثق الفجر انتبه ميسور وطلب من العبيد احضار شاس حتى يعذبه ولكن العبيد لم يجدوه في المكان الذي كان فيه مقيداً فعادوا الى سيدهم ميسور واخبروه فلما علم بذلك ركب وصاح في الرجال فتفرقوا في جميع الطرق وبين السهول والجبال ، ولكنهم لم يجدوا المفقود .

وكان في الفرسان الذين اتوا مع ميسور من عند عبد المدان رجل شيطان ، في صورة انسان ، يقال له الشريد بن هامان فقال له يا ميسور قم فتش على غريمك في هذا اليوم ، فانه مازال في هذا الحي بين ابيات القوم ، انت تفتش الرجال ونساؤك تفتش النساء والبنات ، وتكشف براقع المخدرات فلا بد أن تجد الغريم بين الرجال والحريم فاستصوب ميسور هذا الرأي السديد ، واستأذن مقدم العشيرة موهوب بن يزيد ثم بدأ التفتيش في البيوت والمنازل وقال له الشريد فتش انت ودعني آخذ اصحابي وأقف بهم على الطرقات ، واراقب كل خارج وداخل ثم ان الشريد أخذ اصحابه ليراقبوا كل طريق واوصاهم باليقظة والتدقيق وعلمت العجوز بما فعل فالتهب قلبها ، ودخلت على شاس واعلمته بذلك ، فارتجفت اعضاؤه وايقن انه هالك . وقال كيف يكون التدبير يا خالتاه قالت اصبر يا شاس ولا تيأس من رحمة الله ، ثم جاءت بمرجل كبير وغلت فيه شيئاً من العقاقير وعرت شاس من لباسه ولطخته من قدمه الى رأسه ، فاذا هو أسود كعمود من الرصاص ، والبسته زي العبيد واخرجته معهم امامها ، وامرتهم بسوق المواشي قدامها ، وسارت بهم كأنها طالبة المراعي فلما خلا الطريق قالت لشاس : يا فتى أن الحرس الذي كنت تخاف منه قد عبر ، ونجوت من المخاوف والخطر ، فانج الساعة بنفسك ، واطلب بيت الحرام ، واذا اجتمعت بعنترة ظافراً فاقرأ عليه السلام .

قال الراوي : فعند ذلك ودع شاس العجوز وسار هائماً على وجهه في الفلاة وهو لا يصدق النجاة وجد في المسير حتى امسى عليه الليل وقد تعب مما قاساه فقام يسعى لطلب البيت الحرام . الى أن علا النهار واذا بعشرة فرسان قد اعترضته وتفرقت حواليه ، وتقدم المقدم على القوم اليه ، وتفرس في وجهه وقال : يا بن عمي هذا هو السلال ، الذي سرق جوادي ثم أن المقدم قبض على شاس ووضع الحبل في عنقه وصار يقوده كالبعير ، فقال له شاس (يا وجه العرب والله ما أنا سلال ، ولا عبد ولا محتال ، انا شاس ابن الملك زهير سيد بنى عبس وغطفان) ثم أنه حدث القوم بما لقيه في تلك السفرة وكيف تخلص من القتل بحيلة العجوز ، وما أتم شاس من

كلامه حتى وثب اليه فارس يقال له عابق بن كليب ولطمه على وجهه فكاد ان يطير مقلتيه وقال لاصحابه : يا بني عمي هذا أبوه زهير الذي قتل ابي وتركني يتيما وانا صبي وقد سهل الله علي أخذ ثاري وأنا قريب من دياري ، فخذوا كل ما تملكه يدي وسلموني هذا العبسي لكي اكشف بقتله عاري) فبينما القوم في الكلام اذا بالغبار من خلفهم قد ثار حتى سد منافس الاقطار ، ثم انكشف عن راجل يجري كانه السحاب المرسل أو القضاء المنزل وظهر من بعده فارس متدرع بالحديد ، والى جانبه شيخ كبير راكب مطية ، تسبق الرياح الغربية ، فلما رأى القوم ذلك تأهبوا للقتال ووقفوا ينظرون الى الرجل ويتعجبون من خفة جريه ، الذي لا يقدر عليه الغزال، فلما قرب الراجل الذي كان يجري تفرس فيه شاس فعرف أنه شيبوب والفارس الذي وراءه أخوه عنترة وكان ذلك الشيخ هو زوج المرأة الكندية التي خلصت شاس من قبضة ميسور فلما رأي شاس هذا المنظر نادى : (ويلك يا شيبوب أدركني فأنا شاس ابن ملككم) ، فلما سمع شيبوب نداء شاس صاح على أولئك الرجال ورماهم بالنبال ثم نادى أخاه عنترة وقال يا أخي أدركني فقد قرب الله علينا القريب . فهجم عليه الرجال وأرادوا أن يمزقوه بالرماح الطوال . فحرك عنترة جواده وقوم بين اذنيه الرمح وحمل مثل الأسد وما وصل اليهم حتى كان شيبوب قد رمي ثلاثة منهم بالنبال وطرح عنترة في طرفة عين ستة رجال ، ولم يسلم من القوم سوى فارس كالغزال ، واتجه عنترة نحو شاس وحل كتفيه ونزع الحبل من عنقه ثم مال به شيبوب الى بعض الغدران، فاغتسل بما به من السواد والبسه بعض ما معه من الثياب . وقدم له عنترة جواداً من خيل بني الريان ، ومشى معه في ركابه . كما يمشي الجندى في ركاب السلطان . ثم أقبل عنترة على الشيخ وقال (خذ أنت هذه الاسلاب وعد إلى زوجتك جزاكما الله خيراً) وعاد عنترة وشاس يطلبان الديار وشيبوب يدلهما على الطريق .

فلما كان في الليلة السادسة نزلوا على مياه بني غباغب وأكلوا الزاد ولذ لهم الرقاد ، ولما استراحوا ساروا بقية يومهم وليلتهم الى طلوع الشمس ، فأشرفوا على حي بني عبس ، فقال شاس لعنترة يا أبا الفوارس انفذ أخاك شيبوب يبشر بقدومنا جميعاً فانا أعلم انه لا بد أن يركب أبي واخوتي وبقية العشيرة ويخرجون لملتقانا سريعاً ، فأجابه عنترة الى ذلك ، وأمر أخاه شيبوب بذلك فسار حتى قدم على الملك زهير وسلم عليه وقبل الارض بين يديه وقال له : يا مولاي قد وصل اخي عنترة،

ومعه سيدي الأمير شاس فلما سمع الملك زهير هذا الكلام طار فؤاده من شدة الفرح واتسع صدره وانشرح ، وقامت الافراح في أبيات شداد ، وشاع الحزن في بني زياد ومالك بن قراد، وأغتم عمارة واخذ يقول لا مرحباً بالقادمين ولا أهلا بالراجعين عاد والله هذا العبد سالماً من الأخطار ، وأتى بوجهه الكالح إلى الديار ؟ ثم أقبل شاس وإلى جانبه عنترة كأنه أحد تبابعة بني حمير وكان أول من تقدم اليهما مالك ابن زهير وهو يقول : يا قوم هنئوني بهذا اليوم ، ثم عانق أخاه شاس وعاد الى عنترة فسلم عليه ، وصافحه وقبل رأسه وبين عينيه ، وهو يقول مرحباً بك يا أبا الفوارس وصدر المحافل والمجالس ، لا عاشت الدنيا بعدك ، ولا ذاقت بنو عبس فقدك فأخذ عنترة يقبل يد مالك وقد تزا ت الناس عليه وعلى شاس ونثرت عليهم الدراهم والدنانير من الجيوب والأكياس فلما رأى عمارة ذلك قال في نفسه ، لا بد أن ندبر حيلة أنا وأخي الربيع ، فنحرمه من عبلة ، ونأتيه بالهلاك السريع .

هرب مالك بعبلة

وقام مالك ابو عبلة الى شاس فصافحه وحياه وهنأه بالسلامة فقال له شاس ان كنت يا مالك مسروراً بخلاصي كما تقول ، فزف عبلة الى عنترة ، والا وحياة الملك زهير لا بد من ضرب رأسك بهذا الحسام فتبسم مالك تبسم الخجل وقال يا مولاي لن تحتاج الى هذا العمل لانه ما بقي لعنترة في قلبي بغض ولا عناد ، ولن يرى مني الا المحبة والوداد فاني من بعده ما ارتفع لي رأس ولا صار لي قدر بين الناس ، وان شئت في هذه الليلة زففتها عليه وسلمتها اليه ثم ان مالكا ترجل بعد ما انتهى من مقاله وسعي الى عنترة بجنبه واحتيانه فلما رآه عنترة رمي نفسه عن الجواد اليه وضمه الى صدره وقبل يديه فقال له مالك : يا ابن اخي انت اليوم باعنا الطويل وسيفنا الصقيل وما كنت افعل في حقك ذلك العناد ، الا من وشايات الاعداء والحساد وسعي ارباب الفساد واما الآن فقد مضى ما مضى وان شاء الله تبدل الغضب بالرضا » .

وكان مالك في هذا الكلام يظهر الوفاء والوداد ، ويخفي الغدر والاحقاد ثم امر الملك زهير بنحر الجمال والاغنام وأقام وليمة عظيمة دامت ثلاثة أيام .

ولما كانت الليلة الرابعة كان مالك ابو عبلة عند شاس فوقف شاس قبل انصراف الناس ، وقال : يا بني عمي اعلموا انني سأهتم بعرس عنترة فمن كان له قريب او

صديق فليدعه ليحضر ، ووالله لن اضن بشيء من مالي الا وقدمته لعنترة فلما سمعوا أهل العشيرة من شاس ذلك المقال قالوا كلهم مثلما قال ولما انقضت الوليمة عاد عنترة مع ابيه واعمامه وقد ألبسه شاس حلة جرهمية وأركبه على فرس ومن جياد خيلة العرب وتفرق الناس الى المضارب والخيام .

ولما كان الصباح تفقد أهل الحي مالكاً بن قراد فلم يجدوا أحداً من بني زياد فقد دخلوا في الليل ورحل معهم الربيع بن زياد وأخوه عمارة وعروة بن الورد وأخذوا معهم أموالهم وانعامهم وعبيدهم وكانوا قد اتفقوا اتفاق اللئام على أن يرحلوا الى الشام حتى لا يمكنوا عنترة من الزواج بعبلة فلما علم عنترة ذلك اسودت الدنيا في عينيه ودعا أخاه شيبوب اليه وقال اذهب يا ابن أمي فتتبع آثارهم واكشف لي أخبارهم فاني والله لا استطيع العيش وعبلة بعيدة عني فقال له شيبوب لك السمع والطاعة وسأقوم من هذه الساعة .

وانقضت أيام وعنترة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام وكلما رأى ديار عبلة مقفرة زادت النار في فؤاده استعاراً فلما اشتد به الشحوب والنحول وقف يبكي على الطول وينشد معلقته التي مطلعها :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم
يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي

قال الراوي : فلما سمع اولاد الملك زهير هذه القصيدة جاؤوا لعنترة وقالوا له والله يا أبا الفوارس ما سبقك الى هذا المعنى احد في هذا الزمان وانت ورب الكعبة فصيح عبس وعدنان فلا تحزن فان عمك هو الخاسر في تدبيره وحيثما مضى فالى هذا المكان آخر مسيره ثم ان عنترة بعد هذه الابيات حبس دموعه فزاد به الوجد والغرام ، وما كان ينفس عنه الهموم والكروب الا قدوم أخيه شيبوب فان قلبه كان معلقاً بقدومه اليه لكي يقص ما عنده من الخبر عليه ولما اقبل قال له يا اخي أخاف ان تكون هذه المرة قد عدت بلا فائدة وما وقعت لعمي على خبر ولا اطلعت لعبلة على اثر قال شيبوب ما جئتك الا بالخبر اليقين وها أنا اعرفك إن عمك نزل على بني شيبان عند قيس بن مسعود صاحب العساكر والجنود واستجار به فأجاره واعطاه الذمام ، وزوج عبلة لولده بسطام واختار هناك المقام فلما سمع ذلك قلق وهام ولم يسكت حتى يتم اخوه الكلام بل قال له وهل دخل عليها ذلك الشيطان قال شيبوب لا يا أخي اسمع بقية القصة واترك عنك هذه الغصة .



فلما اشتد به الشحوب والنحول وقف يبكي على الطول

اني لما فارقتك طفت بحلل كثيرة من حلل العرب حتى سمعت ان عمك نازل في ديار بني شيبان فسرت الى القوم وضيقت لثامي وغيرت كلامي ودخلت في الليل الى الحلة والقوم عني في غفلة فرأيت قيس بن مسعود وقد ركب عند الصباح في موكبه وعمك وولده الى جانبه ثم انني رصدت مضرب عبلة حتى خلا ودخلت عليها

فرأيتها تبكي وقد تغير منها ذلك الحسن والجمال فلما رأتني وثبت الي ودموعها تنحدر وقالت لي ويلك يا شيبوب أين أخوك عنترة ؟ ان ابي قد زوجني بسطام بن قيس وطلب منه مهري رأس ابن عمي عنترة وقد اتفقوا جميعهم على ذلك وما بقي الا ان ينصبوا لاخيك شراك المهالك فارجع اليه واعلمه بالخبر حتى يكون من امره على حذر ثم بعد ذلك ودعتني وقد زاد بكاها وعظمت شكواها واشتعلت بنار حواها ولما فرغ شيبوب من اداء الرسالة الى اخيه عنترة توقدت عينا عنترة حتى كاد يطير منهما الشرار وقال وحق ذمة العرب لأجعلن بسطام وبني شيبان احدوثة هذا الزمان ثم سأل شيبوب أين نازلون فقال شيبوب بأرض العرينين وهم في أقل من ألف فارس من بني شيبان .

قال الراوي ثم أن عنترة نهض في الحال وتزود بعدة الحروب والقتال وخرج كما يخرج الجان ، بطلب ارض بني شيبان وكان بسطام قد خرج هو الآخر بعد استعداد بطلب ارض بني زياد ، ليقتل عنترة بن شداد ، وظل يقطع الليل والنهار ويقطع البوادي والقفار ، فبينما هو على ذلك اذ طلع فارس بين يديه راجل يسعى ، ويقطع الارض وكان هذا الفارس عنترة بن شداد ، والراجل شيبوب وقد عرف كل منهما بالصفة ومن دون تحقيق ولا معرفة ، فصاح عنترة : الى اين يا أبا اليقظان ؟ وماذا أتى بك الى هذا المكان ؟ قال بسطام : اليك يا ابن شداد ، حتى اقطع رأسك واغنم ظبية الصياد قال عنترة : « ولعلك نظرتها يا أبا اليقظان ؟ » قال : « نعم نظرتها فوجدتها تصلح لمثلي لا للعبيد مثلك ، وأخذت يد ابيها واشهدت عليه ، بشرط اني احضر برأسك اليه » فقال : مرحباً بك يا أبا اليقظان لقد طلبت أمرا اسهل من جرعة الماء عند العطشان فزاد الطمع برأس بسطام ، ودمدم كالاسد في الاجام ، وتقدم وهو يقول : « والله يا عبد السوء ما القتال معك الا عار لأن العبيد لا تقابل بالاحرار » .

وبعد ذلك صال وجال على فرسه وتصادما ولعبا بالرماح وطلبا الجد وتركا المزاح ، وكانا فارسين كأسدين ، وما زالا كذلك حتى أقبل عليهما المساء ، الا ان بسطام كل ومل وضعف عزمه وانحل ، وندم على ما فعل ، فعند ذلك طلب بسطام الاقامة لكي يرتاح ، الى وقت الصباح ، فأجابه عنترة الي ذلك ، وفي الصباح عاد الامير بسطام ، وقد سل بيده الحسام ، وكان في تلك الليلة ما نام وهو يفكر في تقلبات الايام ، ويتعجب كيف قاده الغرام الى هذه المهالك العظام وبعد ذلك

انطبق الفارسان واخذا في الحرب والجلاد . والكر والفر والطراد ، حتى ارتجت منها الارض ، ثم ان عنترة هجم على بسطام وضايقه ولاصقه وسد عليه طرق الدفاع وطعنه بعقب الرمح في صدره فألقاه على ظهره ، وامر شيبوب ان يشده بالحبال ، ويحتفظ به حتى يرى كيف تكون نهاية الحال ، فلما فرغ شيبوب واستراح عنترة قال له شيبوب : « ماذا تريد يا اخي ان تصنع ؟ فقال : نسير الى ارض بني شيبان وتجعلها خراباً لا يأوي فيها الا البوم والغربان ، وأعرفهم شؤم طلعة عمي مالك ، وانزل بهم الذل والمهالك ، وآخذ عبلة بغير عناء ، لأني اعلم ان الملك قيس بن مسعود اذا علم ان ولده أسير عندي يقاسي العذاب المهين ، وسيجمع العساكر ويسير الى ارضنا حتى يخلص ولده وتبقى دياره خالية من الرجال فاهاجمهم انا على غفلة وأقتل من يثبت امامي وانهب الاموال وآخذ عبلة ، وارجع بها الى الديار » .

فلما سمع بسطام هذا الكلام قال: لا حاجة يا أبا الفوارس لأن تكلف نفسك ما لا تطيق ، فاصطنعني واتركني اني لك طول الدهر بمنزلة عبد رقيق ، فاذا عفوت عني فاني اسير معك الى ديارنا ، وابلغك ما تريد ، ولا ادع عمك يسير من ارضنا حتى يزف ابنته وانا اقدم لك مهرها من الخيل والاماء والعبيد ، واعطيه من عندي جميع ما يشتهي ويريد . فقال عنترة : يا أبا اليقظان لست عاجزا عن قضاء حاجتي حتى استعين عليها بغيري من الفرسان فوحق الملك الجبار لا تركن ارضكم كالقفار ، واعلق رأسك في رقبة عمي الغدار ، حتى يتوب من غدره » ، ثم قال لشيبوب : سر بنا في طريق غير مطروق ، حتى لا يرانا عدو ولا صديق » ففعل شيبوب كما امره عنترة وسار يقطع البر الاقفر ، حتى قربوا من ديار بني شيبان ، فقال لشيبوب ويلك يا ابن الام ، ابصر لنا مكاناً نختفي فيه الى حين نغير على القوم ، فعدل عن الطريق مسافة ميل ودخل الى واد يقال له وادي الغيل ، فقال عنترة لشيبوب : « يا ابن الام اتركني في هذا المكان واقصد انت ابيات بني شيبان . واكشف لي اخبارهم وارجع بخبر اليقين لعلك تجد لي فرصة اشفي بها دائي الدفين » فذهب شيبوب وغاب ساعة ثم عاد ، وهو منزعج القلب والفؤاد ، وقال لعنترة : « اعلم يا اخي اني لما غادرت هذا المكان سرت حتى اشرفت على منازل بني شيبان فرأيت الدنيا منقلبة لفقد بسطام ، ورأيت الخيل تركض حول الحي من كل مكان والناس يدخلون ويخرجون من الخيام والمضارب فخفت على نفسي ووقفت على بعد وخشيت أن يعلم بي عمك مالك ، فيسلمني الى الملك قيس فيسقيني كأس المهالك .

وبينما انا عائد اليك اذ سمعت راعياً يقول لراع آخر روح غنمك الليلة لأن أهلنا غداً يرحلون ، ويتركون الحي ويخرجون الى ارض دار جلجل ذات المرعى والميـاه الغزيرة ، ثم قال شيبوب لأخيه (لقد فرحت انا يا اخي بهذا الرجل لأننا نستطيع ان نصل الى عبلة على اهون سبيل) فقال عنترة : (وكيف ذلك .) عندما يكون القوم محملين راحلين ستكون عبلة على ظهر البعير فآخذ انا بزمام ناقتها واسير واطرد انت الخيل ، عني) فقال عنترة : « اي وأبيك يا ابن السواد انا ارد عنك الخيل ، ولو انها مثل عارض السيل ، فلما سمع بسطام من عنترة هذا الكلام تحير في امره وانزعجت جميع حواسه ونسي الفروسية وزاغ قلبه وزاغ عقله ، وتعجب من فارس وراجل يتحدثان بأن يأخذ عبلة من وسط قبيلة بني شيبان ، ثم قام عنترة وشيبوب وانطلقا حتى اقتربا من ديار بني شيبان آخر النهار ، ودخلا في الوادي واخذا يستنزلان حذرا من عيون النظار ، ويطلبان من يسمعان من الاخبار .

قال الراوي ثم خرج شيبوب يتسقط الاخبار ولم يعد الى آخر النهار ، فخاف عنترة عليه من هذه الغيبة ان يكون قد وقع في ريبة ، وبينما هو على تلك الحـال وإذا به قد طلع من بين تلك الرمال حتى وصل والدمع يجري في عينيه ، ولونه قد تغير مما جرى عليه ، فقال عنترة « ماذا جرى لك ، وما الذي غير حالك ؟ » قال : قد اتتهم يد غالبة لا تدفع ولا تصد ولا تمنع ، فانهم كانوا قـد عزموا على المسير ، وشدوا على كل ناقة وبعير وعندما عزمت ان اعود اليك واذا بالبر قد امتلأ بمواكب وكتائب وقـد سار الغبار المشارق والمغارب . ودارت الخيل بالحي من كل جانب والفرسان تنادي بالتميم وقدامهم فارس كأنه نار الجحيم وقد مال على بني شيبان فقتل الفرسان وقلع البيوت بما فيها الاولاد والنساء ورأيت عبلة بين النساء المسبيات وهي تساق في جملة البنات ، ثم سمعت ذلك الفارس يقول لقد بلغت مرادي وحويت منية فؤادي فما فهمت حقيقة مرامه وكلامه .

قال الراوي فلما قص شيبوب على عنترة هذا الخبر فاض دمعه وهم ان يخرج من الوادي . في اثر الاعـادي واذا ببسطام يبكي وهو ينادي واذلاه والله ان ضربات السيوف الحداد اهون من شماتة الاعادي والاضداد فلما سمع عنترة منه ذلك ظن انه يتأسف على عبلة بنت مالك فدخل عليه وقال له : ما بالك يا بسطام ؟ اراك تتحسر من شدة الهوى والغرام وتتأسف على سبي عبلة من هؤلاء القوم اللئام فقال له بسطام : لا والله لم يبق في قلبي من بنت عمك اثر ولا لي فيها أرب ولا وطر ، وما اسفي الا

على هتك حريمي ، وعجزي عن دفع غريمي ، فان لي اختاً اسمها بدور قد خطبها سادة قحطان ، وخطبها ايضاً جماعة من بني نبهان ولم اسمح بها لاحد من هؤلاء وكان من جملة من خطبها قنعب بن غياث فرددته خائباً وكرهت ان يكون لها بعلا وصاحباً اذ بلغني انه بخيل ويحوم عبده ، فمضى وهو غضبان وصار يتوعد بني شيبان الى ان جرى لي معك ما جرى ، واعتقد انه قد سمع لقصتي واغتنم الفرصة في غيبتي فجاء لينتقم بهتك حرمتي وسبي شقيقتي ثم استرسل بسطام يأكل وحده في بكاه وتحسره وشكواه ، وقال يا أبا الفوارس بحق ذمة العرب مكن مني حسامك ، والا أعطني ذمامك ، فقد اعترفت بالظلم والخطأ ولو قتلتني لما لامك احد لاني انا الباغي الظالم ، وانت تعلم ان لك في هذه القضية اعظم غنم لان بنت عمك عبلة قد وقعت بين انذال العرب والقوم الذي تريد ان تخلصها منهم كثير وجمع غفير وانت وحيد فريد ليس لك معين ولا ناصر ، ولا تقدر وحدك على مقاومة هــذه العشائر ، فاجعلني لك مساعداً واتخذني معيناً وسر بنا من هناك ، حتى نجتمع بمن نصادفــه من قومنا ونبذل في قتالهم نفوسنا لعل الله يبلغنا المنى .

قال الراوي فلما سمع عنترة من بسطام هذا الكلام رق قلبه عليه وتقــدم اليه وقبله بين عينيه وسلمه ما كان له من السلاح وعاد الامر بينهما الى الصلح والصلاح ، وجعلا يحادثان بعضهما البعض ، وشيبوب يجري قدامهما في فسيح الارض فقصدوا الديار ، وقلوبهم متعلقة بما كان من الاخبار ، ولم يزالوا سائرين حتى اشرفوا على ديار بني شيبان فابصروا الديار خالية الابيات ، والقتلى مطروحين في سائر الجنبات فلما رأى بسطام ذلك انهالت من جفونه العبرات ، ونـدم على ما فات ثم امر احد العبيد ان يذهب ويجمع له السالمين من فرسانه المهزومين ، ويعلمهم بما جرى بينه وبين عنترة ويعرفهم انه عاد سالماً الى الديار وجاء بطلب الثأر ويكشف عنهم العار .

وكان الذي هاجم القوم هو قعنب بن غياث كما توقع بسطام ، فانه كبس الحي في ثلاثة آلاف فارس من بني تميم ورياح وفعل بهم هذه الفعال واسر الملك قيس بعد ان اثخنه بالجراح ولما علم بنو شيبان بقــدوم بسطام سعوا اليه من جميع الأقطار وفرحوا بسلامته من الأسر وقالوا له : يا امير ما نال منا العدو ما تمنى الا لغيبتك عنا فقال : يا بني الاعمام ، ان تدبيري كان غير محمود ، وعاقبة البغي على اهلها تعود ثم اخبرهم بما جرى له مع عنترة من الاتفاق وكيف اسره ومن عليه بالاطلاق ، فلما سمعوا ذلك الكلام طابت انفسهم بمصادقة عنترة ، وأملوا في النصر والظفر وساروا

على اثر الأعداء ، حتى ادركوهم عند اقبال الظلام وكان قعنب قــد نزل للراحة والمنام . وامر بضرب الخيــام وكانت السبايا الى ذلك الوقت على ظهر الجمال ، وصراخهن يزلزل الجبال فقال بسطام ، الرأي يا أبا الفوارس نترك اعدائنا الليلة ثم نصبحهم بالحرب غداً ، فقـال : (لا وذمة العرب لا نزلت عن ظهر جوادي حتى اخلص الحريم ، واكشف هذا العار العظيم وأروي هذه الأرض من دماء بني تميم).

وكان عنترة قد سمع صوت عبلة وعرفه ، فاشتعلت في فؤاده النار ، ولم يعد له جد ولا اصطبار ، واندفع نحو القوم كأنه القضاء المــنزل وشيبوب مندفع معه مثل البرق ، وحمل بسطام من الجانب الآخر وحملت خلفه فرسانه وكان بنو تميم قــد استهانوا بهم عند اقبالهم ولم يعبأوا بقلة عددهم لما رأوهم قد حملوا وضربوا في جوانبهم وقاموا للقتال وصار عنترة يطعن فيهم طعناً يخرق الجبــال ، ويضرب ضرباً يطير الجماجم ، وأخوه شيبوب يحامي عنه ، وعن جواده بالنبال ، ودام الأمر على هذا النسق حتى ارخى الليل سدود الغسق ، ورأى قنعب جيشه قد تفرق ، وعدد رجاله قد تمزق ، فأخذه الفزع وتراخت عزيمته واصابه الجزع .

مقتــل قنعب

وأما عنترة فانه ما زال في حمــلته وهو يجندل الأبطال حتى خلص الحريم والعيال ، وفعل بسطام فعل الشجعان ، هو ومن معه من الفرسان وقد استولوا على اموالهم ، واجتمعوا باولادهم وعيالهم وقال عنترة لبسطام : (ادخــل انت وحل اباك ، وقومك واقرباك ، واترك عمي مالك وولده في الاعتقال ، لان عمي خبيث الطبع رديء الفعال ، وان اطلقته أخذ عياله وهرب ونرجع معه الى التعب . وانفذ شيبوب الى عبلة يطيب قلبها ويسكن رعبها ، وأقام عنترة يحفظ المضايق من سارق او طارق ، وبعد ذلك وصل بسطام الى ابيه وعشيرته واطلق سراحهم وحدث أباه بما جرى له مـع عنترة واطلعـه على جلية الخبر ، ففرح ابوه واستبشر . وقال له : (يا والدي هذا الانسان ما يوجد مثله في هذا الزمان . ولا تقدر ان نكافئه على ما صنع معنا من الجميل والاحسان والصواب اننا نعينه على ما هو فيه من ملاقات العدى ونجعل ارواحنا لروحه فدى ونبذل جميع أموالنا بين يديه . ونرغم عمه على إن يزف ابنته اليه . وانا اقسم يا ولدي انه لو كان يطيعني ويسلو بنت عمه عبلة لزوجته اختك (بدور) ولا آخذ منه مالاً ولا نوقاً ولا جمالاً) .

وكان شيبوب قد وصل إلى عبلة وطيب قلبها . وحدثها بما فعل عنترة وسكن

رعبها . وانزلها في ابيات الملك قيس عند ام بسطام . ففرحت بها وأكرمتها غاية الاكرام . وعندما أقبل الصباح ثارت بنو تميم وبنو رياح . تطلب الحرب والكفاح وظهر الملك قيس في رجاله الذين كانوا بالأمس مأسورين في القيود . وهم يزمجرون كالاسود . ولما رآهم عنترة قادمين ترجل وحيا الملك قيس بلطف وأدب . وقال : (يا مولاي مـــا كان يحتاج الأمر إلى هذا التعب ، وانا عبدك وكفيل بان ابلغك الارب) فقال له الملك قيس : (يا ابا الفوارس وحق ذمة العرب ما في بني شيبان اليوم الا من هو امين خوفك . وعتيق سيفك) . فقبل عنترة يديه . وشكره واثنى عليه . ثم عاد بعد ذلك الى جواده . ورأى بني تميم قد عادوا للقتال وفي مقدمتهم قنعب فبادر وحمل على ميمنتهم وطعن فيها طعناً يخطف البصر . وضرب ضرباً لا يبقي ولا يذر . وكان قنعب بن غياب في ذلك الوقت يلبس درعه وسلاحه . وهو متكل على نفسه وقد عول على ان يبارز بسطام وعنترة في مرة واحدة لكي يظهر شدة بأسه وبعد ذلك استوى على ظهر جواده . وحركه الى مقدمة العسكر حتى يكفي فرسانه شر بسطام وعنترة واذا بعنترة قد حمل عن يمينه وهو يدمدم كالاسد، ويهدر كالجمل ، فقال قنعب : (ويلك يا عبد السوء.. اما سمعت بفعالي ؟ أما بلغتك مرارة قتالي فجئت طامعاً في تخليص الغنيمة من يدي ؟ فقال له عنترة : (اما الغنيمة فمن اول الليل خلصتها وباتت البارحة في ذمامي ، وتحت ظل حسامي ، فخذهـــا انت اليوم يا سيد بني تميم من يد هذا العبد الذميم) وبعد ذلك اطبق كل واحد منهما على صاحبه ، واحترز من طعنه ومضاربه واصطدما والتحما وانعقد عليهما الغبار حتى اظلم ضوء النهار وكان بسطام قد حمل على الميسرة كما حمل عنترة على الميمنة ، والتقى في مقدمتهم عاصم بن وشاع ، وأخـــذ معه في القتال ولكن لم يطل بينهما النزال حتى طعنه بسطام فالقاه ممدداً على الرمـــال واتجه بجواده نحو عنترة فرأى الغبار مخيما عليه ، فوقف ينظر في دهشة واذا بصيحة ارتجت لها الوديان فامتدت الى مصدرها الاعناق وشخصت الابصار ، وقائل يقول (يا لعبس أنا عنـــترة الجبار) فنظروا واذا ابو الفوارس عنترة قد اقبل وفي يده رأس قنعب كأنه رأس عفريت فولت بنو تميم الادبار وادركن بنو رياح للفرار وعاد عنترة وبسطام حتى وصلوا الى احياء بني شيبان فتلقتهم الاكابر والسادات والنساء والبنات وضرب الملك قيس لعنترة بيتاً بجانب ابياته وانزل فيه عبلة ، وأمر امرأته ان تجعلها كاحدى بناته ، وكان مالك ابو عبلة قد تقدم الى عنترة وبكى بين يديه وطلب الصفح واعتذر ، فقال

عنترة (يا عماه ان الصفح من شيم الكرام ، كما ان الغدر من شيم اللئام ، والآن قد مضى ما مضى فلنرجع الى حال الصفو والرضا) .

وبعد ثلاثة أيام قال له : (يا عم لقد ثقلنا على القوم فاعزم بنا من الرحيل إلى الاوطان قال له : (اعلم يا ابن اخي انه لم يبق لي وجه في بني عبس ولا بد ان ينحط شأني اذا لم يحضر واحد من اولاد الملك زهير يترضاني والرأي عندي يا ولدي انك تمضي إلى الديار وتخبر الملك زهير بما صار وتطلب منه ان يرسل بعض اولاده الى الملك قيس بن مسعود لكي يترضاني ويطلب عودتي الى الديار فارتضي واعود وان كنت لا تثق بقولي فخذ بنتي عبلة معك ، ودعني واخاها هنا حتى يتم الامر فنتبعك واشهدوا علي يا سادات بني شيبان ، انني زوجته مع عبلة وهذه يدي لك امام الحاضرين فاجاب عنترة الى ذلك واشهد عليه الملك قيس وولده بسطام ثم ودعهما وسار مع شيبوب يقطعان الجبال والوديان إلى وديان بني عبس رعدنان ودام الحال على ذلك السير ثلاثة ايام الى ان قربا من الحي فانفذ عنترة اخاه لكي يخبر اباه شداد بقدومه وعمه زخمة الجواد ، وشاع في الحي الخبر ، بقدوم عنترة . ففرحت اصحابه واصدقاؤه وانخذلت حساده واعداؤه ، وكان ذلك اليوم عند الملك زهير واولاده من اعظم الأيام اذ تلقوه بغاية الفرح والاستبشار ، وخرجوا لملاقاته وقد تلقاه الملك زهير بالبشاشة والاكرام . وسلم عليه احسن سلام . ثم سار بجانبه على جواده وأخذ يسأله عن سفرته وعنترة يحدثه بجميع ما تم له في بني شيبان ، وما جرى بينه وبين عمه مالك من العهود والايمان حتى وصل الى حديث عمه وقوله لا اعود ما لم يحضر احد ويترضاني ليرتفع قدري وشأني . فقال الملك زهير اعلموا يا بني عمي ان الرجل قد ندم على افعاله ، وذاق مرارة طعم الغربة ، والرأي عندي اننا نبلغه المراد ولكن بعد ان نقضي مع ابن عمنا عنترة برهة من الزمان ونروي اشواقنا منه بعد هذه الغيبة عن الاوطان .

ثم ساروا حتى نزلوا في الابيات ، واقاموا الولائم والدعوات وضج الحي بالافراح من سائر الجهات ، وكان معهم في هذه الوليمه كل من في الحي الا بني زياد فان قلوبهم كادت تنفطر من رجوع عنترة .

قال الراوي: وبعد ذلك استقر رأي الملك زهير على أن يسيروا مع عنترة بن شداد لكي يترضوا عمه مالك بن قراد ، واخذوا في الاستعداد فبينما هم على ذلك اذا بعبد اسود قد اقبل من بين الروابي والكثبان ، ناحية ديار بني شيبان ، فلما وصل

سأل عن عنترة فهدوه اليه ، حتى اوقفوه بين يديه ، فقال : (يا مولاي سيدي، بسطام يسلم عليك ويقبل يديك ويقول لك ان عمك فعل فعال اللئام وما اقام بعد رحيلك من عندنا الا ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع طلبناه ، فما وجدناه وسألناه عنه فما وقفنا له على خبر ، وقد ارسل سيدي بسطام الرسل يكشفون امره ويعرفون خبره ليعلمك اين هو نازل ، ونأتيك بالخبر اليقين) .

فلما سمع عنترة ذلك الكلام اظلمت الدنيا امامه اشد ظلام .

ومضى الى الملك زهير واخبره بما سمع من هذا الغدر . فاغتم الملك وتكدر . وقال لعنترة : (لا بأس يا أبا الفوارس ، كن طيب القلب والنفس فاننا لا بد أن ندركه . ولو وصل الى مغرب الشمس) .

معركة الحب والشرف

خرج عنترة يتنسم اخبار عبلة بعد هروب ابيها ، وصحبه اخوه شيبوب وبينما هما يقطعان الفيافي واذا باعرابي يهيم في البراري ، فلما رآه عنترة قال لا بد لوجود هذا الاعرابي من سبب فأسرع يا شبوب اليه واتبع اثره واحضره حتى نعلم خبره ، فانطلق شيبوت حتى لحق ذلك الاعرابي وقال له : يا ابن الخالة اراك حائداً عن الطريق فلمن انت قاصد ومن اين انت وارد ؟ فقال اعلم يا اخي اني من بني شيبان وقاصد عنترة بن شداد من بني عبس لأعلمه ان خبر عمه قد ظهر لأن العبيد الذين ارسلهم سيدي بسطام يقتفون اثره عادوا الى مولاي واعلموه انه في بني كندة ،وقد ارسلني بهذه البشارة الى عنترة (وبينما هما في هذا الكلام اذا بعنترة قد وصل وسأل الاعرابي وسأل عن قصته فقصها عليه وقال له في آخر الكلام ، سيدي يسلم عليك ويقول لك اردته فانه يحضر اليك بطائفة من بني شيبان ويكونون لك من جملة الانصار والاعوان ، فشكره عنترة وذهب ليستعد للرحيل .

قال الراوي : ثم انطلق شيبوب طالباً ارض بني كندة واخوه عنترة على اثره حتى وصلا الى مياه عطبول وهناك عولا على النزول واذا بغبرة من خلفهم قد طلعت وعجاجه قد ارتفعت ، وبانت من تحتها فرسان سائرة على عجل ،والغبار على رؤوسهم فوقف عنترة وأخوه ينظران اليها وقد تأهبا للحملة عليها ، واذا بها قد انكشفت عن مائة فارس وبين ايديهم فارس طويل النجاد وهو عروة بن الورد أتى على رأس هؤلاء الفرسان ليلحق بعنترة مكافأة له على ما فعل من الجميل والاحسان فلما التقوا قال

عنترة يا أبا الأبيض نحن ما عملناشيئاً يكافي اعمالك حتي أتعبت نفسك أنت ورجالك فقال عروة : يا أبا الفوارس ما بقينا نفارقك وما نعتمد الا عليك ، ولا نتوجه الى الى مكان الا ونحن بين يديك ، فتقدم عنترة اليه وعانقه وقبله بين عينيه ، وشكره وأثنى عليه وفعل كذلك مع بقية الرجال ووعدهم بالغنائم والاموال وجـد في المسير هو واخوه شيبوب واذا بغبار ثار بين يديه حتى قرب منهم فبان من تحتـه ثلاثون فارساً معهم غنيمة كسبوها من تلك البلاد ، فقال شيبوب لأخيه عنترة هذه غنيمة ساقها الله الينا قال عنترة : يا شيبوب لا تتعرض لهم فربما كانوا من فقراء العرب ، ثم ساروا يطلبون حي بني كندة » .

وكان شيبوب يهوى جارية اسمها « بانة » ويأخذ ثيابها معه في السفر لكي يشم رائحتها ، ويلتذ منها بالنظر فوثب الي رحله وأخرج منه تلك الثياب وارسل على وجهه النقاب ، وكانت تلك الجارية لشداد أبي عنترة فلما رآه عنترة قال ويلك مـا هذا والله لكأنك « بانة » أمة أبي شداد ، قال نعم انها محبوبتي وانا اصحب ثيابها معي اينما سافرت من البلاد لكي أشم رائحتها واشفي بها غليل الفؤاد قال عنترة : وانت تعشق يا ابن السوداء ؟ قال اتظن أنه لا احد غيرك يعشق النساء ، انا مثلك احب ولكن الفرق بين حبيبتي وحبيبتك كما بيني وبينك في قتال الاعداء قـال عنترة : لا والله يا ابن الام فانك ساعدي وزندي ، وعلى يديك يكون لي التوفيق ، ولولاك لكنت كالكف بلا ساعد وكالطير بلا جناح وبعد ذلك خرج شيبوب من عند عنترة وانطلق في تلك البطاح ، حتى وصل الى الحي عند الصباح وكان الملك عمر قد ركب في ذلك السحر وركبت معه الفرسان للصيد في ذلك البر ، فقصد شيبوب أبيـات الملك عمر وصار يهز عطفه ويثني ردفه ويغمز من يراه بطرفه ويلوح على صدره بكفه ، ولم يزل على هذا الحال حتى دخل بين الابيـات ، ورأى القوم في انتهاز فرصة المسرات ، وقد تزينت البنات ورقصت المولدات وهن يضربن بالدفوف والمزاهر ، والرقص دائر من سائر الجنبات وقد سكر الجميع من شرب المدام ، وليس فيهم من يعقل الكلام . وكان لما دخل الحي تحدث مـع بعض المولدات وسألها عن تلك الافراح لمن تكون من السادات فأصدقته المقال ، واخبرته بجلية الحال ، فتقدم وهو حائر لا يدري اين يقصد من الجوانب حتى يعرف عبلة في اي المضارب ، وبينما هو كذلك لاحت منه التفاتة فرأي البنات داخلات الى مضرب جميل المنظر ، سجف مرصع بالذهب الاحمر ، فعلم شيبوب انه مضرب العروس لما عليه من الهيبة ولكنه بقي حائر كيف يكون العمل ، لكي ينال الامل ، وبعد

ذلك تشجع ودخل واخذ يستمع الى الغناء ثم صاح واظهر الطرب ودار بين النساء والجواري دوران اللولب ، ورقص حتى أذهل النساء من حسن انعطافه ، ولين اعطافه ، فتعجبن من صناعه وعياقته ، واقبلن من كل جانب يتفرجن على خفته ورشاقته فبينما هو هو كذلك في الرقص والطرب اذا باحدى الجواري الراقصات تطلب الراحة من التعب وكان معها مزهر كبير فبادر اليها شيبوب ، وصاح فيها كأنه القضاء المصوب ، وقال لها وحياة مولاي مسحل قد قطعت حظنا عندما طاب لنا الطرب ، وتقدم اليها على عجل وتناول المزهر منها ، واخذ يضرب به حتى ادهش الحاضرين وحير الناظرين وما زال شيبوب في رقص وغناء وميل واعطاف وهز اكتاف ، وتذبيل عيون وتنويع فنون ، حتى أدهش النساء والبنات ، وابطل حركات المغنيات والراقصات ، وعندئذ استقبل المضرب الذي علم أن عبلة فيه فلعلع بصوته وانشد يقول :

ظبيـة القناص راعيك اتى	فابشري بالنصر من سيف الفتى
افوحي بالقرب يأكل المنى	لا تقولي ما أتى ها قد اتى
وافهمي ما قلته من قصتي	فمتى هـذا التواني ومتى
حل كل الفرج في ارضكموا	دائـم الاوقات صيفاً وشتا

وكانت عبلة تسمع الغناء من داخل المضرب فعرفت الصوت وتعمدت أن تحدث الجواري بصوت عال حتى سمعها شيبوب ثم أنه أظهر التعب وجلس يأخذ له راحة بجانب المضرب ، وتفرقت من حواليه البنات والنساء والمولدات ، واذا بعبلة قد طلعت من باب الخباء فنظرت شيبوب وهو جاس في زي الاماء فعرفته فلما رآها اقبل عليها وكان المكان قد خلا من النساء فقال لها « اى والله اذا لم اكن بأنه مولدة شداد فأنا شيبوب اخو عنترة فارس بني قراد » ثم انه بعد هذا الكلام كشف عن وجهه اللثام ، فكادت عبلة تطير فرحاً وقالت ويلك يا شيبوب واين اخوك عنترة ؟ فقال لها هو كامن بالقرب من هذه الارض ومعه عروة بن الورد ورجاله وهم مائة فارس فعند ذلك اخبرته عبلة بأن اباها زوجها بمسحل بن طراق ثم حلفت له بأعظم الاقسام ، انه اذ لم يحضر عنترة ليخلصها فلا بد تقتل نفسها وقالت له ارحل الآن الى اخيك واخبره بجلية الخبر ، ولا تنصح له بالهجوم على الحي الآن لأن فيه عساكر لا يعرف لها اول من آخر ، ولكن عليه ان يترقبني يوم الزفاف حتي يراني في الهودج فيخرج الي ويقتل من يكون حولي ، وتقود انت بزمام ناقتي وتعرج بي عن الطريق ومن تبعني فهو يلقاه بسيفه .

. فلما سمع شيبوب هذا الكلام عاد طالباً أخاه وكان عنترة يترقبه حتى انتصف النهار فلما قدم عليه تلقاه وسأله عن جلية الخبر وما تم في ذلك السفر فقص عليه القصة بتمامها وما سمع من حديث عبلة وكلامها فقال شيبوب: ماذا ترى هل نهجم على الحلة او ننتظر حتى تمر عبلة فقال شيبوب : يا اخي الانتظار هنا اوفق لأن القوم في جمع غفير ، وجيش كثير ولا سيما ان ادركنا مسحل بن طراق عقـــاب الحروب الذي لا يطاق فقال عروة : لقد صدق شيبوب فيما قال لأنني سمعت عن مسحل كثيرمن الوقائع والاقوال والرأي عندي أن نقيم هنا حتى تخرج عبلة فتأخذها من الطريق وهذا أقرب الى النجاح والتوفيق فعند ذلك اقام عنترة حتى انقضت ثلاثة ايام وبعد ذلك امر مالك عبهدة بشد الرحال فشدوا الهوادج والاحمال وشد لعبلة هودجـــاً موصعاً بالجواهر وعليه هلال من الذهب الاحمر وأحاطت الفرسان والسادات وتبعهم جماعة من بني كندة وحريم الملك عمر المقصور ومشى العبيد في المقدمة بالحراب والسيوف والجواري تضرب المزاهر والدفوف والرجال من حولهم كتائب وصفوف وتقدم مسحل في اوائلهم ومن حوله الفرسان والعبيد والغلمان وكان ابو عبلة واخوها افرح الناس بهذه الأمور وصارت عبلة ترفع سجف الهودج وتنظر الى البر وتتفرج ، وكان هودجها قريباً من هودج امها ، فقالت لها : يا عبلة ما كانت قبل اليوم تنقطع لك دموع ، واراك اليوم فرحانة بخلاف العادة فكيف انقلب الحال بهذه السرعة ؟ فقالت يا اماه لقد قطعت الرجاء من ابن عمي ومن الرجوع الى الاوطان وانا متوجهة الى احسن مكان فقد اصبحت زوجة من زوجات ملوك الزمان ، وقد سلب عقلي بحسنه وجماله وأعجبتني عظمة جاهه وماله وتسليت به عن عنترة لأن نظرة منـــه تساوي الف عبد واكثر ولا سيما اني ضجرت مما اقاسي من اجله ولا يصح ان اغضب ابي واخي في سبيل عبد مثله ، وهذا بعلي اليوم احب الي من كل الناس لأنـنـي صحوت من جهلي وعرفت فرق الملك المتوج من العبد الاسود ففرحت امها بمقالها واعلمت بذلك اباها فناله السرور وما نالها وقال من مثلك يا عبلة وقد صرت صاحبة هذه الارض وأصبحت عديلة تماضر زوجة الملك زهير ، واعظم منها في عظمة الشرف وكثرة الخير ؟

ثم ساروا الى ان قربوا من الشعاب وعبلة تتلفت الى اليمين والشمال ، حتى بان لأمها امرها فقالت لها يا عبلة بحق اللات والعزى أليس عندك خبر من ابن عمـــك عنترة فقالت لها يا أماه من أين تأتيني الاخبار وانا غريبة وحيدة في هذه الديار وما

قلفتي الا لطلب الفرجة على هذه الارض لأنها كثيرة الرياض والاشجار فسبحان خالقها الواحد القهار فقالت لها امها تكذبين يا ملعونة والله ما هذا الفرح العظيم الا لانك سمعت خبراً عن هذا العبد الزنيم .

وما زالت قافلة عبلة على مثل هذا الحال حتى وصلوا الى الشعب الذي فيه عنترة ومن معه من الرجال فابصرهم شيبوب وكان رقيباً لهم في رؤوس الجبال فصاح باخيه قد اتاك الامر كما تريد فشمر ساعدك الشديد فركب عنترة جواده واراد ان يخبر عروة فناداه يا ابا الابيض هذه عبلة قد اقبلت فهل تريد ان تأخذ بزمام ناقتها وانا ارد عنك الرجال او آخذها انا ثم اعود الى القتال ؟ فقال عروة والله بل دعني لحفظ عبلة وانت ترد عنا الحملة فقال عنترة اي والله يا عروة انا لكسها شارب ولهولها راكب ثم قال له تسلم انت ناقتها عبلة وسر بها الى الوادي ودعني انا اتقي الاعادي ولا يتبعني احد منكم حتى تروا الفرسان قد اطبقوا علي واجتمعوا بمواكبها حوالي ثم انه خرج من فم الوادي كهبوب الرياح وطلب هودج عبلة حتى قرب وصاح ما ابركه من صباح .. وصاح في الرجال صيحة تزلزل الجبال وقال خلوا عن هودج عبلة والا قتلتكم جملة ثم ضرب العبد الذي كان ماسك الزمام فاطاح رأسه واجرى دمه على الاقدام ولما ابصر عمه مالك انقطعت سلاسل ظهره واحار في امره وبعد ذلك امعن عنترة في تقتيل العبيد ففروا طالبين النجاة ثم تقدم فأخذ بزمام ناقة عبلة ورجع الى عروة فسلمه اياه واستقبل عمه فكاد يسقط ميتاً لما رآه فقال له عنترة ويلك تنجو مني يا شيخ العار ومعدن الخيانة والله لاجازينك على فعلك المنكر واجعلك عبرة لمن اعتبر فعاد مالك طالباً مسحل بن طواق ليعلمه بما حدث وكان العبيد حينما رأوا ضربات عنترة الجبارة قد أسرعوا الى مسحل واخبره بهذا الامر فاشتعل قلبه غيظاً وركض طالباً عنترة فأدركه على باب المضيق ، كان عنترة قد سلم عبلة الى عروة وقال له انزل بها في الوادي حتى أعود انا الى الاعادي وأشفي منهم غليل فؤادي ثم عاد الى مسحل تلقاه مثل الجبل ، لا يعرف الخوف او الوجل وكان مسحل قد خانه جلده وصبره لما سمع ان عنترة سبا زوجته فاستقبل عنترة بقلب أقوى من الحجر ، فقفز عنترة اليه والقى بنفسه عليه فالتقاه مسحل وتطاعنا بأطراف الحراب وتضاربا بالسيوف فأبصر مسحل من عنترة ما ادهش منه النظر وبعد ساعة أخذه الملل والضجر غير أنه اخفى الكمد وأظهر الصبر والجلد ونظر عنترة الى خيل مقبلة من جانب البر ، فهاجم خصمه مهاجمة الاسد وطعنه طعنة الحنق فخرج صدره

بما عليه من الزرد ووقع مسحل يتخبط في دمه ويقبض الرمل بكفه ويضرب الارض بقدمه ، وبعد ذلك انطبق على الخيل فأنزل بركابها الذل والويل ، وكان قد وقع في قلوبهم الرعب والوجل ولما رأوا ما حل بمسحل فهابوا ان يتقدموا الى عنترة وهربوا يميناً وشمالاً حتى اشرفوا على بني كندة ، وهم في شدة اي شدة . واتى الملك وسألهم عن الخبر فأخبروه بما فعل عنترة وقالوا له دونك إبن اختك المسكين فقد أهلكه هذا العبد اللعين ، فطار الشرار من عينيه وكاد ان يغشى عليه ثم انه صاح في تلك الفرسان وحمل بمن معه من الشجعان وأطلقوا لخيولهم الأعنة نحو تلك الروابي وهم ينهبون الطريق حتى لحقوا بعنترة في ذلك المضيق .

نجدة اولاد زهير

قال الراوي وكان عنترة بعد قتل مسحل قد امر اخاه شيبوب بان يجمع الخيل والاسلاب وقال له سر بها قدامي الى عروة ومن معه من الاصحاب . ثم رأى ان جيوش بني كندة قد تلاحقت والابطال تسابقت فحمل على الجيش بقلب لا يهاب الموت وانصب عليهم انصباب المطر ، وكلما تطابقت عليه الابطال وضاق عليه المجال يصيح في وجوههم فيردهم ويطعن في صدور الخيل فتنقلب بركابها ولم يزل على ذلك حتى كلت سواعده وصار النهار في عينيه ليلا حالك السواد وبعد ذلك تكاثرت عليه الرجال والخيل فانسد في وجهه كل مذهب ، واختار مذهب الهلاك والعطب وبينما هو كذلك اذ بعروة قد طلع كالعقاب من تلك الشعاب ورجاله بين يديه وقد وطنوا على الموت النفوس ، وصاحوا باصواتهم يالعبس يا لعدنان وحملوا مثل كواثر العقبان ، واخذوا يطعنون في صدور الفرسان ، وكان عروة قد وكل بعبلة عشرة من رجاله ، وامرهم بالمحافظة عليها والقيام بين يديها وكان لحملتهم هيبة عظيمة فأظهروا القوة والعزيمة وكان بنو كندة قد ظنوهم جمعاً كثيراً فتأخروا عنهم ، وسمع عنترة صياح عمه مالك وهو ينادي بني كندة ويلكم اقصدوا هذا الاسود الذي قتل مسحلا ، ولا تهابوا الذين معه فليسوا اكثر من مائة رجل ، فلما سمع عنترة كلام عمه مالك جعل قصده اليه فلم تكن الا ساعة حتى قتل كل من حواليه وادركه قبل ان يهرب فقبض عليه والقاه على الارض ، واذا بشيبوب قد انقض عليه فشده كتافاً واي كتاف واوثق السواعد والإطراف فحمل عليه ولده عمر ليسعى في خلاصه فلما اقترب واراد ان يقاتل ، عنه اذا بشيبوب قد ضرب جواده بنبلة فقتله ، وادركه قبل ان يهرب فامسك به واعتقله ومضى بهما حتى اوصلها الى بطن الوادي ، ورجع

فنظر اخاه يقاتل قتال الجبابرة .

وما امسى المساء حتى كان بنو عبس قد اهلكوا اكثر الابطال واثخنوهم بالجراح فشتتوا وبات المحاربون ينتظرون حتى الصباح ليستأنفوا القتال وكان عنترة ساهر يراقب القوم ، حتى لا يفاجئوه اثناء النوم فلما مطى اكثر الليل واذا ببني كندة قد انطفأت نارهم وركبت فرسانهم ، وعادوا يطلبون اوطانهم فظن عنترة انهم ركبوا للقتال، فلما رآهم راجعين تعجب من ذلك وقال لشيبوب : يا ترى ما بال بني كندة قد عادوا راجعين وما اظن ذلك الا لأنه قد اتاهم خبر يشغل البال فقال شيبوب ساتبعهم لاكشف اخبارهم ثم سار شيبوب ومارآهم حتى لحق بهم ولما قاربوا ديارهم سمع الصياح في بيوتهم ،من كل جانب وسمع مناديأ ينادي يالشيبان انا بسطام بن قيس فارس الفرسان ، فلما سمع شيبوب هذ الكلام اطلق ساقيه حتى وصل الى اخيه واطلعه على الخبر فلما سمع عنترة هذا الكلام والله ما ادع احدا يتمكن من صديقي الامير بسطام سيد بني شيبان ولا بد لي ان اسير على آثار بني كندة واعين ابا اليقظان بسطام الذي سار وراءهم ليشتت جماعتهم ، فقال عروة هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ان عنترة امر عروة بان ينادي في رجاله ، ويسرع في ارتحاله ، واذا بغبار قد علا وارتفع فظهر من تحته فرسان كأنهم العقبان على خيول تسبق الغزلان فقال شيبوب يا اخي اثبت مكانك حتى آتيك بخبر هذا الغبار ، وانطلق كالنعامة في تلك القفار وما غاب الا قليلا حتى اقبل وهو يقول ابشر يا ابن الام بالخبر وتقدم وسلم على اولاد الملك زهير فقد جاءوا لنصرتك بعسكر جرار مثل الجراد الطيار .

فبينما شيبوب وعنترة في هذا الكلام اذا بالغبار قد انكشف وبان عن ألف فارس ينادون يالعبس يالعدنان والمقدم عليهم اولاد الملك زهير الشجعان وهم شاس ومالك ونوفل والحارث ومعهم شداد واخوه زخمة الجواد . فالتقاهم عنترة وعروة واصحابه وترجلوا وسعوا الى خدمة اولاد الملك زهير ودعوا لهم بالسعادة والخير وقال له شاس يا ابا الفوارس قد عتبنا عليك لانك سرت وحدك ولم تطلعنا على مقصدك فقال عنترة والله يا مولاي ما فعلت هذا الا احتراماً لكم لاني لا استحق اهتمام مثلكم من ذوي الاقدار ولا اريد ان تقول العرب ان ساذات بني عبس وعدنان سارت مع عبدها حتى صارت له كانصاف ، فقال له ابوه شداد الى متى يا ولدي لاجل هواك ترمي نفسك كل يوم في الهلاك ؟ وبعد ذلك حدثهم بما جرى له مع بني كندة وكيف زوج عمه عبلة بمسحل بن طراق ، وكيف قبض المهر والصداق ، وكيف قتل مسحل وشتت قومه في الآفاق فتعجبوا من تلك الفعال وسالوه عن

مالك وعبـــلة ، فقال لهم اما مالك وابنته واخوها وزوجته فانهم تحت قبضتي في الاعتقال واما بنو كندة فانهم عادوا الى ارضهم والاطلال ، يطلبون خلاص الاهل والعيال من يد بسطام سيد بني شيبان ، الذي جاء ليعينني وها أنا سائر إلى معونته لولا قدومكم الآن فساروا معه الى مكان المعمعة واذا مالك وزوجته وولده قد اشرفوا على الموت من شدة الوثاق فقال شاس لمالك « ويلك يا مالك ما كان انحس ساعة جئت بها إلى الدنيا ، اما كفاك ان صرت مثل بين الورى ، واحدوثة لكل من يسمع او يرى ? ولكن هذا الهوان بك اولى » فقال والله يا سادات بني عبس ، اني رجل عزيز النفس ، وانا لا اسلم ابنتي اليه وفي جارحة تخفق ولسان ينطق ، الا ان قتلتموني واخذتموها سبية ، حتى يكون عذري واضحاً في البلاد العربية ، فقال عنترة : يا قوم اشهدوا على عمي هذا ان ستر بنته من الفضائح واستمر في دياره ولم يعرضها للزواج على كل غاد ورائح فاني لا اطلبها ابداً ولا اقيم في الأوطان واجعل مقامي عند بني غطفان ولكن ان زوجها لغيري وانا في الدنيا فلا اتركه يعيش ساعة ولا يحيا . فقال شاس لما سمع هذا الكلام : والله يا ابا الفوارس ما بقي عليك ملام فقال مالك بن زهير : يا مالك اكثر من هذا الذل فين يديك ? وقد اجابك الى ما تريد بعد القدرة عليك فقال : يا مولاي انا ما اريد هذا الشرط الا ان يكون بين يدي ابيك حتى يقاتل الذي يرجع عن هذا الكلام ويجرد سيف الانتقام، فقال عنترة وانا ارضى بهذا الحكم ، ولو حملت نفسي الشماتة والعار ، ثم انه تقدم اليه وحل الرباط من يديه وقبله بين عينيه .

قال الراوي هذا واولاد الملك زهير يتعجبون من عظم مروءته ، وشدة احتماله ونخوته ثم أنه عول على المسير الى مساعدة الامير بسطام وقال لاولاد الملك زهير : ارجعوا انفسكم في هذا المقام ولا تباشروا الحرب في هذه الايام ، فقال شاس : لا والله لا نكون الا في اول الرجال ونقاتل بين يديك قتال الابطال ، والا فعليك منا السلام وسنعود الى الديار . فقبل عنترة مسيرهم معه وقال لاخيه شيبوب اقصد بنا آثار خيل بني كندة حتى ننظر ما جرى للامير بسطام ، فسار بهم شيبوب يتطلع الربى والآكام وعنترة الى شاس ينادمه بالكلام .

معركة انس بن مدركة

قال الراوي وكان الحساب الذي حسبه بسطاني صحيحاً لان الخبر وصل إلى بني كندة وقت السحر ، فرحلوا وقد تفرقوا عن عنترة وطلبوا بسطام وبني شيبان

فلحقوهم في ارض يقال لها ذات الجلاجل وكان للملك عمر مقصور سيد بني كندة قد تبعهم في اربعة الاف فارس فلمــا اشرف على بسطام امر العساكر بالحملة والصدام فالتقتهم فرســان بني شيبان واصطدم الجيشان واتصل الضرب والطعان وكانت فرسان بني كندة قد انتشرت في القيعان وانتصرت على بني شيبان وخلصت منهم الأموال وما اشرف عليهم عنترة الا وهم في غاية الخذلان وكان بسطام قــد ايقن بالهلاك من ازدحام المواكب وكثرة الفرسان .

قال الراوي فلما راى عنترة ذلــك قال لاصحابه من هذا كنت خائفاً على أبي يقظان ثم انه حمل بفرسان عبس مشجعان وكان قد وقع لعنترة في قلوب بني كندة هيبة عظيمة فتنحوا عن طريقه . ثم تقدم عنترة إلى ناحية بسطام وحياه بالسلام وهجم على خصومه فاجاد الطعن في صدور الرجال وفعل بسطام ورجاله مثل تلك الفعال فعند ذلك تأخرت جموع بني كندة واضطرت الى الانهزام وتقهقرت الى الخيام وتحكمت فيها سيوف الانتقام فأمر عنترة بنهب الأموال وسوق النوق والجمال واطلاق الحريم والبنات ثم التقى بالامير بسطام فاعتقنه وشكره على فعــاله واثنى عليه وعلى رجاله ، وقال له لقد تفضلت علينا يا ابا اليقظان واوليتنا الجميل والاحسان وما بقينا نقدر على مكافئتك ابدا لانك تكرمت علينا بروحك وجعلتها لنا فداء ، فلما ان سمع بسطام ذلك الكلام قال وحق الملك العلام يا حامية آل عبس الكرام ان خدمتك واجبة على الدوام لانك طوقت اعناقنا بجميل الاحسان فتقدم عنترة وشكر الامير بسطام واخبره بما جرى له مع عمه مالك وانه اقسم على ان يسكن في بني عبس وعدنان فقال بسطام والله لا ادعك تسكن عند احــد ولا تجعل مقامك إلا عندي في بني شيبان لاني اولى بك من كل انسان فقال مالــك بن زهير : (والله يا بسطام نحن مــا نمكن ابن عمنا من الرحيل عنــا الى غير ارضنا فلا تحلف عليه حتى نتلافى قصته ونرد قلب عمه اليه ؟ ونبذل نفوسنا بين يديه وان كان اقسم بان لا يجاوره حتى يرضى عليه فنحن نتركه في بعض اودينا ونقيم كلنا عنده حتى تنحل عقدته ويبلغ مراده وقصده لأن ارضنا واسعة ومياهها نابعة فقال شداد والله يا مالك ان مقــام ولدي عنــد بسطام هو غاية القصد والمرام حتى لا تتفرق العشيرة وتنقسم إلى شطرين فيتعب قلب ابيك عندما يرانا حزبين ونبقى كل يوم في نزاع وعتاب فتشمت بنا الاعداء وتحمل همنا الاصحاب واذا وصلنا الى الديار اخذت عبلة عندي واترك اباها الا اذا صالح ولدي وترضاه وبلغه قصده ومناه .

قال الراوي ثم انفصل الامير بينهم على ذلك وافترقوا على احسن حـــال فعند ذلك بكى شداد على فراق ولده عنترة وتأوه من قلب حزين وكانت عبـــلة تبكي وتقول الشمل مني افترق وقلبي قد التهب واحترق وذرف عنترة الدمع السخين وسار القوم في تلك الارض وعاد عنترة مع بسطام وهو يشاغله بغير ذلك الكلام وعنترة يظهر الجلد ويخفي الكمد ويرفع رأسه ويتنهد لانه كان محروق الفؤاد وكان يخشى على قومه ان يقعوا في نكبة قبل وصولهم الى الاوطان .

وما زالوا سائرين حتى انتصف النهار واذا بعنترة وقف في تلك القفار ونكس رأسه الى الارض وزادت به الافكار فقال له بسطام (ما حالك ، وما الذي جرى لك ؟) فقال عنترة : والله اني خائف من بني كنده ان يعلموا باحوالنا وانقطاعنا عن بني عمنا واهلنا ، فيطمعوا فيهم . ويسير الملك عمر خلفهم في جموعه وجنوده ويلحقهم بفرسان وربما يهلك من اولاد الملك زهير احد فتلحقنا من اجله المضرة فقال بسطام وكيف يكون العمل ؟ فقال عنتره : الصواب انك تأمر هذه الفرسان ان تسبقنا الى المنازل والاطلال ونحن نسير في عشرة من الابطال ونقتفي من بني عمنا الآثار ونرعاهم من بعيد حتى يبعـــدوا عن هذه الديار ، ونأمن عليهم من نوائب الأخطار وبعد ذلك نعود الى ارضكم كما تحب وتختار . فقال بسطام : افعل ما بدا لك ثم ان بسطام امر قومه بالسير الى الاطلال ، وان يسوقوا قدامهم الغنيمة والأموال وانتخب من قومه عشرة من الابطال ، وعادوا مع عنترة وشيبوب قدامهم يدلهم على الطرقات .

هذا ما جرى لبني شيبان وعنترة اما ما كان من بني عبس فانهم لما ابتعـــدوا ضاقت صدورهم لفراق عنترة ومـا فيهم الا من تـأسف وتحسر وساروا وفي قلبهم لهيب النار . وكان شاس قد صمم على قتال مالك ابي عبلة من كثرة غدره وما زالوا كذلك حتى خرجوا من ارض بني كندة فسار شاس في اول العسكر ورافقه شداد ومشي مالك بن زهير في بقية الفرسان وجعل يسير بعبلة سير الامان ويترفق بهـــا وباخيها وبامها وابيها لانه كان اطول بالا من اخيه شاس واكثر منه مداراة للناس فلما انقضى يوم كامل اشرفوا على ارض يقال الرباب وكانت مليحة الجنبات ، طيبة النبات غدرانها دافقة ، وروائحها بالزهور فائحة ، فنزلوا هناك . اما عنترة فكان قد رجع مع بسطام والفرسان العشرة ، ليطمئن على اولاد الملك زهير ، وظل يتبع اثارهم حتى وصل إلى حيث نزلوا فرأى مـا أدهشه وافزعه ، وزلزل قلبه وروعه

رأى القتلى من عبس منطرحين في سائر الجنبات والدم قد غير ألوان النبات والرماح محطة والسيوف مثلمة والاجساد بعضها على بعض مكومة فعندها صاح عنترة واحرباه لقد صح مـا توقعته ، والله لن ارجع من هنا حتى اعرف اين ذهبت عبلة ، ثم انهم نزلوا جميعاً وصاروا يقلبون القتلى ويقولون هذا فلان وهذا فلان الى ان سمعوا صوت نزاع وانين يدل على ان صاحبه قد اشرف على الهلاك المبين فتبينوه فاذا به مالك ابو عبلة وهو مجروح وعلى الارض مطروح ودمه قـد اختلط بالتراب فشدوا جراحه وسكبوا على وجهه الماء ففتح عينيه فابصر مالك بن زهير وعنتره ابن اخيه من حواليه فقال له عنترة : من الذي فعل بكم كل هذه الفعال ؟ واين ابنك عمرو وابنتك عبلة وباقي الرجال ؟ فقال يا ابن اخي الكل في قبضة انس بن مدركة الخثمي وقـد التقينا به نهار امس في هذه البقاع ومعه الف فارس من بني خثعم ، ونحن في أشد ما يكون ما يكون من التعب وكان الامير مالك واكثر الفرسان اصحاب الخيـل الجياد قد انفردوا في طلب الصيد والقنص بين التلال والوهاد ، فدار أنس من حولنا برجاله وحصرنا من كل جانب وترك رجالنا كما ترى مبددين في جنبات الصحراء وساق الباقي معه أسرى وما زلت أقاتل عن زوجتي وابنتي وولدي ، حتى عملت الرماح في جسدي فوقعت على الارض وليس لي مسعف ولا معين ولولا قدومكم الآن لكنت من الهالكين .

هذا ما كان من أمر بني عبس أما ما كان من امر انس بن مدركة فانه بعد أن أوقع ببني عبس الدمار عاد بما نهب يقصد الديار ، وما زال هو ورجاله مجدين السير والعبيد تسوق الخيل والجمال والغنائم والاموال حتى نزلوا على مياه بني هلال وكانت عبلة لم يغمض لها جفن في ذلك الليل وهي مستمرة في البكاء والعويل وكان أنس بن مدركة قد سمع بكاها وصياحها وعويلها ونواحها فالتفت الى بني عمه وقال لهم من تكون هذه الجارية التي كانت تبكي في جنح الظلام وتندب كأنها حمامة مروعة ، فقالوا ايها السيد العظيم ، هذه الجارية ما ذاقت الزاد منذ يومين ؛ فقال لهم بالله عليكم يا بني عمي احضروها امامي حتى انظرها وأكشف عن حقيقة خبرها واطيب قلبها حتى يسكن رعبها فعندها احضروها بين يديه وكشفوا البرقع عن وجهها فنظر الى خلقتها وحسن صورتها فلما رآها خفق فؤاده فجلس وقد تغيرت احواله وزاد عشقه فالتفت لمن حوله وقال لهم ، (اعلموا ان هذه الجارية قد فتنتني بلحظهـا المكسور وأسرت قلباً لا يعبأ بهذه الامور واريد الآن ان تحضروا لي اهلها حتى اطلبها لنفسي

والا هلكت روحي بسببها وان امتنعوا فليس لهم خلاص من التعذيب والقصاص) .

ولما انتهى من كلامه احضروا اهل عبلة بين يديه فوقفوا امامه وسلموا عليه ، فأعاد عليهم الحديث وخطب منهم عبلة فقالوا له (لنا في ذلك الشرف الاكبر والحظ الاوفر غير انه لا يخفاك أن هذه الجارية امرها بيد اخيها عمرو بن مالك ونحن لا نخالفه في ذلك) وكان عروة بن الورد واقفاً بجانب عمرو اخي عبلة) فقال له : يا عمرو سأشير عليك برأي يكون لنا فيه الخير والصلاح وبلوغ الارب والنجاح قال عمرو وما هو يا أبا الابيض ؟ قال ان اردت ضرب رقبته زوجه اختك فلعل الله يرسل اليه عنترة فيعدم عمره ويخلصنا من شره ، واشترط أن لا يدخل عليها في هذا المكان الا عند وصوله الى الاوطان ، واعلمه انها متزوجة بابن عمها عنترة ، فوافق عنترة والتفت الى انس وقال : اعلم ايها الامير ان هذه الجارية كان ابوها قد زوجها بابن عم لها فيما مضى ، وقبض مهرها وانتهى الامر وانقضى ، ثم ندم بعد ذلك فصار يهرب بها من مكان الى مكان وانا يا مولاي اخاف على نفسي وعليك اذا زوجتك بها لأن زوجها آفة من آفات الزمان وطارقة من طوارق الحدثان لا يقاومه فارس في الميدان فقال له انس وقد استشاط غضباً من كلامه : ويلك ياخبيث ومن هو ؟ قال عمرو ، ايها الامير هو الاسد الواثب والليث الغالب فارس المشارق والمغارب الذي افنى الابطال ومزق الكتائب البطل الجواد الذي قهر بسيفه الابطال الشداد الشداد ، قادح النار من غير زناد حامي قبيلة عبس الامير عنتر بن شداد ، وما حدثتك عنه الا وانا صادق في المقال وليس في وصفي هذا زور ولا محال .

قال الراوي : فعند ذلك التفت أنس الى القوم الحاضرين وقال لهم (هل فيكم أحد يسمع باسم هذا الرجل) فقال له شيخ من الحاضرين اعلم يا أنس اني قد سمعت بحديثه من مدة اعوام ، حدثني به رجل صادق في الكلام وذكر لي عنه انه فارس اسمر شديد البأس لطيف المحضر . ليس له شبيه في فرسان العرب قد زلت له رقاب الملوك واصحاب المناصب والرتب وما زوجه عمه بابنته الا فزعاً منه وخوفاً من القتل . ومن طلب ان يتزوج بها او يتعرض لها لقي حتفه على يدي عنترة . والرأي عندي أن لا تتعرض لهذه العروس لأنني تأملت في كعب رجلها فعلمت أن طالبها منحوس .

خلاص عبلة

فلما سمع انس من الشيخ هذا الكلام قال : ضعوا الاسرى في الاعتقال والجارية

بين الحريم والعيال الى ان يأتي ابن عمها بالرجال والابطال ليخلصها من الاسر فحينئذ تعلمون من هو الشجاع ومن الجبان ثم امر باكرام عبلة وخدمتها ثم رحلوا من ذلك المكان وجدوا في قطع البراري حتى مضى نصف النهار واذا بغبار من خلفهم قد ثار حتى كاد يعمي الابصار وبعد ذلك تقطع وانكشف عن فرسان مسرعة وغبارها كسحابات مرتفعة فقال انس اكشفوا لنا خبر هذه الغبرة الطالعة والفرسان المتابعة وكان تحت ذلك الغبار ابو الفوارس الامير عنترة وبسطام سيد بني شيبان فلما اخبروه بأنهم فرسان بني عبس نادى لرجاله فتأهبوا للحرب كما تأهب فرسان بني عبس وفي اوائلهم عنتر وابصر بسطام في مقدمة اعدائه فارساً يقال له مبادر بن غشم وهو ابن عم أنس بن مدركة فسمعة بسطام وهو يقول : (ويلكم اخبرونا من انتم من اوباش العرب ؟) فلما سمع بسطام منه ذلك الخطاب انقض عليه انقضاض العقاب وطعنه بسنان الرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فوقع على ظهر الحصان وانطرح قتيلا وابصرت جماعته تلك الطعنة فبادروا اليه كأنهم الاسود الكواسر وهم ينادون : (واأسفاه عليك يا مبادر) ثم أطبقوا على بسطام فالتقاهم عنترة بجواده كما تلتقي الارض العطشان بوابل المطر وما زال يطعن الخيل ويمزق صدورها واذا ازدحمت عليهم طير جماجم اصحابها فولى من بقي امامه وهم يتعوذون من قطع طعانه وضرب سنانه ، وكان انس بن مدركة قد تبعهم في بقية الابطال حتى اقترب من معركة القتال فرأى رجاله مدبرين على الخيل يلتفتون وراءهم من شده ما حل بهم من الويل فقال لهم انس ويلكم هذا كله جرى عليكم من عشرة رجال ؟ قالوا الا وابيك ان الذي دهانا هو من رجل واحد من الابطال ترتج من صدماته الاودية والجبال وقد رأينا منه اعظم الفعال لانه كان يلتقط الفارس منا من ساحة القتال فيضرب به الآخر فيموت الاثنان في الحال [illegible] كان جواده يعينه على قتال الفرسان ، هلاك الشجعان ، لانه يفتح فاه مثل الغول [illegible] الفارس فتنحل عزائمه ويحل به الخول . فعند ذا[illegible] بدى أنس [illegible] من قلب مفعم بالغضب وانصدغ فؤاده والتهب وقال : (هذا والله من اعجب العجب انه والله الرجل الذي وصفه لي الشيخ وقد آليت على نفسي أن اقتله ، والآن قد اقبل الليل واعتكر وما بقي في الامر الا أن ننتظر حتى للصباح وحينئذ ترون ما افعل به ، وكان قد بلغ الاسارى ما فعل عنترة في ساحة الكفاح فطافت به البشائر والافراح والتفت عروة بن الورد الى عمرو بن مالك وقال له أما قلت لك ان كنت تريد النجاة من



من الاسر والتهلكة ، زوج اختك بأنس بن مدركة فها هو قد تمزق شمله في هذه البطاح وكساه عنترة ثوب الذل والافتضاح !

قال الراوي : واقبل النهار فنهض انس وغاص في الحديـــد وتسربل بالزرد وركب جواد وتقدم الى ساحة الميدان بمن معه من الابطال والفرسان وكان عنترة ابن شداد قد ركب ظهر الجواد وطلب الحرب والجلاد ، واراد بسطام ان يسبقه ويتقدم منه عنترة وقال له : دع هذا الرجل لأني ارى الشجاعة لائحة على اعطافـــه والفروسية تشهد له بثبات الجنان والصواب أن أبرز اليه وأنجز امره فاذا ابصرتم قومه قد حملوا علي وانا معه في القتال فكافحوهم بحد الحسام ثم انه حمل بعد ذلك على انس وعيناه تتوقدان من شدة الغيظ فرآه ينظر الى خلفه ويهز رمحه على كتفه فقال له : (ويلك أما سمعت بما جرى على غيرك من الفرسان عند مجرد ذكر عبلة بالشفة واللسان) فقال بلى والله يا عبد اللئام قد سمعت بحديثك قبل هذه الايام واليوم قد ساقك الاجل منيتك وسيكون على يدي هلاكك ومنتهاك ! وقـــد آليت على نفسي ان لا ادخل عبلة حتى اقطع رأسك وارغم انفك واخمد انفاسك) ثم انه حمل على عنترة وظن انه كمن لاقى من البشر ولم يعلم ان عنترة فارس البدو والحضر فتعجب عنترة من مقاله واوسع معه في مجاله وعلم انه اصبر من غيره على النوائب من كثرة ما لاقى من مكايد الدهر والتجارب ، فصال وجال واخذ في الكر والفـــر واختلفت بينهما المضارب ووقفت الفرسان تنتظر ما يجري بينهما من عجائب القتال حتى اثار الغبار وغابا عن العيال وكانا تارة يفترقان وتارة يجتمعان وقـــد امتدت اعناق الرجال ولم يزالا في اشد قتال حتى تثلمت في ايديهما النصال وتقصفت الرماح الطوال وابتعد جوادهما وقد اعتراهما التعب والملال وتطير من افواههما الزبد حتى صارت كأشداق الجمال ، وابصر انس من عنترة ما لم يكن له على بال .

قال الراوي : ووصل الخبر الى عبلة في الخيام ان عنترة في قتال انس بن مدركة سيد بني خثعم فنادت من وسط السبي بأعلى صوتها وقد انتعشت روحها بعد موتها يا ابن العم لا اذاقني الله فقدك فما جفت لي دمعة من بعدك فلما سمع عنترة نداها . تلهب قلبه لشكواها وصاح على انس صيحة عظيمة فأرهبه وأوهبه واتبعه ثم لاصقه وضايقه وسد عليه طريقه ومد يده واقتلعه من ظهر جواده ورفس حصانه برجـــله فألقاه على وجه الارض فعند ذلك ماجت فرسان خثعم وتجردت للمانعة واحتشدت. للمقارعة والمدافعة وهجمت كالبرق الخاطف واندفعت نحو عنترة فالتقاهم بسطام بمن معه من الابطال وصاح فيهم صيحة الاسد وطعن في صدور الرجال فجرع أبطالها كؤوس النقم وان عنترة لما تمكن من انس بن مدركة عول على ان يكتفه ويلقيه

على بساط المعركة فدافع عن نفسه وتمنع فضربه على كتفه بالسيف فألقاه جريحاً على الارض ثم حمل لمعاونة بسطام وجد في ضرب الحسام ونثر الجماجم تحت الاقــدام فانحلت من اعدائه العزائم وخيل لهم ان البر كله رماح وصوارم فهان عندهم ترك الاموال والغنائم وتفرقوا في الفلوات وما زال عنترة وأصحابه يطاردونهم حتــى فرقوهم في تلك القفار ، ثم رجعوا جميعاً الى قومهم سريعاً فحلوهم من السلاســل والاغلال وهنأوهم بالسلامة وترك الاعتقال ، فانشرحت خواطرهم وزالت عنهم الاتراح وابتهجت سرائرهم من السرور والافراح واقبلوا على عنترة وشكروه واثنوا عليه ومدحوه وتقدم عنترة الى عبلة وسلم عليها واظهر لها ما عنده من كثرة الاشواق اليها وقال لها والدموع تملأ عينيه : أتظنين اني انساك واغفل عنــك ولا ارعاك ؟ فبكت وقالت : ان ابي قد احاط به الويل فأضحى قتيلا تحت حوافر الخيل فوالله لا خلعت لبس عني السواد ولا تبسمت للمواسم والاعياد حتى تأخذ لي ثاره وتكشف عني عاره .

فلما رأى عنترة كثرة بكاءها تألم قلبه من شكواها وقال لها : يا منية القلب ابوك سالم من كل ضير وقد تركته وعنده اخي شيبوب ومالك بن زهير ثم ان عنــترة ارسل عروة بن الورد الى معركة القتال ليأتيه بأنس بن مدركة في الحــال فسار عروة في جماعة من الفرسان وتفقدوه في هذا المكان فلم يقفوا له على خبر لأنــه هرب فرجعوا واخبروا الامير عنترة فقال لقد تهاونت في امره وكان الواجب قتله وقطع خبره .

قال الراوي : وسار عنترة ومن معه من الابطال عائدين الى الديار وقد ظن ان الزمان سالمه وصافاه وانه سينعم بعبلة ويبلغ مناه وهو لا يعلم ان ظروف الزمان تفعل ما لا يخطر على بال انسان .

خطف عبلة

كان اشد الحساد مطلباً لعبلة عمارة بن زياد . فلما علم عمارة ان عنترة قد عاد من الغزو ، ومعه سبي واموال ، ونوق وجمال ، وقع على فراش المرض وهجر الرقاد والطعام ، وشكا الهزال والسقام ، واحترق قلبه بنار الهوى حتى ذابت مهجتــه وانشقت مرارته ، ثم أنه استدعى اخاه الربيع بن زياد فحضر ، وقص عليه الخبر وقال هذا وقت المروءة والقيام بحق الاخوة ، فما عندك من الرأي والتدبــير ، في

هذا الامر العسير ، لأني قد ازداد سقامي ، ودنا وقت حمامي فعليك تنعش نفسي وتحييها ، وتدفع عني شر البلية التي وقعت فيها .

فبكى الربيع لحال اخيه ، وأخذ يشجعه ويواسيه وقال له : « ان هذا امر مشكل وداء معضل ، ولست بقادر من ان ازيل عنك هذه الكربة ، ولا ان اعاند رب السماء الذي اعطى عنترة هذه الرتبة وما في الامر الا ان ننتظر وندبر هلاكه » فقال عمارة : « هذا امل بعيد المنال ، وقد تحين منيتي قبل ان ابلغ منه الآمال ، وها هو عنترة يشاهد عبلة كل يوم ويتمتع بحسنها ومجالستها في منازل القوم ، وينعم بجمالها الباهر . ويجالس الملك زهير فيجد عنده الحظ الوافر ، ولو ان عبلة قتلت في بعض الكرات ، لانقضى امرها وحملني اليأس على السلوان » قال الربيع : ان كنت ترغب في قتلها فابشر ببلوغ الارب وانا ادبر لك هلاكها .

ثم ان الربيع بات بن تلك الليلة وهو يفكر في هذا الامر وعواقبه ولما بدأت غرة النهار استدعى عبيده وجواريه وقال لهم : هل فيكم احد له اختلاط بعبيد بني قراد ؟ فقال احد العبيد : يامولاي ان لي معرفة بخميسه جارية عبلة وهي تحبني وانا احبها ، وكثيراً ما تعرض لي وانا لا التفت اليها لما بينك وبين آل قراد من الاحقاد

قال الربيع : اذن عليك ان تظهر لها المحبة والمودة ، وتحضرها الى خيامنا وادخل بها الى ابياتنا حتى اقول لك ماذا تفعل ، واشير اليك بما تعمل فقال العبد : لك السمع والطاعة ، وانا احضرها الى بين يديك في هذه الساعة . فقد قالت لي الف مرة خذني وسر بي الى اي مكان تريد وانا آتيك بما اقدر عليه من الفضة والذهب ، وبكل ما تملكه مولاتي عبلة من الثياب الفاخرة ، والعقود النفيسة النادرة .

فلما سمع الربيع هذا الخبر فرح واستبشر ، وعلم ان الامر قد تيسر واظهر لعبد الوداد ، وزاد في اكرامه وملأ مزودة من طعامه فسار العبد حتى اجتمع بالجارية وظهر لها الحب والمودة فابتهج فؤادها ثم دعاها الى خيامه فسارت معه بلا تردد فلما بلغ الربيع قدومها زال عنه الهم ، وعلم ان امره قد تم ، فأرسل لهما الطعام ، وآنية المدام فأكلا وشربا ولذ وطربا ، وكان ذلك اليوم عندهما اعظم ايام الافراح ، وما زالا في حظ وانشراح ، الى ان لاح الصباح ، فعند ذلك عولت خميسة على الرواح ، خوفاً من الافتضاح ، فدخل عليهما الربيع واظهر لها الفرح والسرور وقال لها : لقد قررت أن اشتريك من مولاك ، وازوجك بعبدي هذا

لأنه يحبك ويهواك فدمعت له وقالت : وقاك الله يا مولاي من المهالك ، واني والله احبه ولو قال اقتلي نفسك لفعلت ذلك ففرح الربيع بكلامها وصرفها بعدما اوصاها بأن لا تنقطع عن زيارة خليلها .

خيـــانة خميســـة

قال الراوي : وكان للربيع صديق في ارض بني شيبان وهو من أكابر الزمان، واحد ندماء الملك النعمان ، وكان من دهاة الرجال ، وافذاذ الابطال ، اسمه مفرج بن هلال ، وكان بينهما صحبة قديمة ومحبة عظيمة ، فأرسل اليه بعض عبيده يقول له : اريد من فضلك واحسانك ، ان ترسل لي عشرة من ابطال فرسانك ، الذين يحفظون السر ويقدرون على الكتمان ، حتى ارسل لك شيئاً يعز علي اظهاره واريد ان اخفيه ولا ينسب الي عاره فسار العبد بالرسالة ، واجتمع بمفرج وابلغه تلـــك المقالة فاستدعى مفرج بن عم له يسمى سنان وضم اليه عشرة من الفرسان ، وقال لهم سيروا الى ديار بني عبس واقصدوا الربيع بن زياد واطيعوه في كل ما اراد ، فساروا حتى اشرفوا على ديار بني عبس وقت الزوال ، فأخفاهم عبد الربيع بين منحنيات التلال ودخل على مولاه الربيع واخبرهم بقدومهم ففرح بذلك وامره ان يأتي بهم ليلا والناس نيام ، بحيث لا يعلم بهم احدا من الانام .

فلما كان الليل جاء بهم العبد الى الخيام ، فالتقاهم الربيع بالترحيب والاكرام ونحر النوق والاغنام وقدم اليهم الطعام والمدام . واقاموا عنده ثلاثة ايام ، فلما كان اليوم الرابع قال سنان : يا ربيع ما هي الحاجة التي دعوتنا اليها . فان الوقت قد طال ، ونحب ان تطلعنا عليها فبعد ذلك امر الربيع عبده باحضار خميسة بين يديه، فسار وما غاب الا قليلا حتى احضرها اليه ، فاختلى بها الربيع وقال لها : اريد ان اكلفك بمهمة فاذا نجحت فيها ضمنت لك عتق نفسك من الرق ، قالت : وما هـــي حاجتك حتى ابلغك اياها ؟ ولو كان في ذلك هلاك نفسي وفناها ، فقال : ان اخي عمارة قد اشرف على الهلاك ولم يعد له من انياب الموت فكاك وقد طاش عقله وصار مثل الابله ، وما ذلك الا التدله في حب عبلة ، وقد تألم قلبي لحاله ومـــا وجدت من يساعده على رؤية عبلة سواك فان قدرت على ذلك نلت مني مناك .

فلما سمعت هذا المقال قالت : يا مولاي ان حاجتك تفدى بالمهج والارواح ، وخدمتك واجبة علي في المساء والصباح ، فقل لأخيك ان يخرج الليلة الى غــــدير

(ذات الاصاد) حتى انيله المراد فقال : (على ماذا عولت من العمل وماذا دون من الحيل) . قالت : (هذا امر هين لأن عنترة منذ جاء من السفر وهو مقيم عند مالك بن زهير ، لا يفارقه الا في الدحر ، وسأقول لمولاتي عبلة اخرجي الى الغدير في هذه الليلة لان ابن عمك عنترة سيكون في انتظارك هناك وقد امرني ان ابلغك هذا الخبر ، فعلا عمارة ان يكمن في تلك الارض فتخرج عبلة فيراها ، وتبلغ نفسها مناها .

قال الراوي : فلما سمع الربيع كلامها اظهر الارتياح، وبدأ على وجهه الانشراح واخرج لها من جيبه دملجا من الذهب ، وقال لها خذيه على سبيل الهدية . حتى اذا انقضت الحاجة زوجتك بعبدي وعتقتك من رق العبودية . واعطيتكما ما تعيشان به العيشة الرضية ، فامتنعت وقالت ان كان ولا بد من سوابغ انعامك فاودعه لي امانة عندك فاني اخاف ان اخذته الآن ان اسأل عنه فلا ادري مـــا اقول .. ثم انصرفت من عنده في الحال . واجتمع الربيع بفرسان بني شيبان وقـــال لهم ان الحاجة انقضت وهان منها العسير ، ثم التفت إلى عبده سالم وقال له اخرج بهؤلاء الرجال الى جانب الغدير واكمن بهم هناك واخف اثارهم ، واذا رأيت عبـــلة قد وصلت فدلهم ليأخذوها ويسيروا بها الى ديارهم . فقال سنان وما ذنب هذه الجارية؟ قال هي امرأة فاجرة ، وقد ألبستنا ثوب العار ، واني اريد قتلها في ارض بعيدة عن هذه الديار ، حتى يخفى امرها على الكبار والصغار ، لانها من بنات عمي ومن لحمي ودمي ، ولست استطيع ان اصف لك ما عليها من الحلي والجواهر واللؤلؤ الذي لا يوجد مثله عند كسرى وقيصر وما لها من الحسن والجمـال ، والقد والأعتدال ، مما يحير عقول الرجال ، وعند وصولكم الى مفرج بن هلال ، سلموها اليه . وقولوا له ان يتركها عند بعض ثقاته حتى اقدم عليه .

فعند ذلك خرج سنان، بمن معه من الفرسان، حتى اقبلوا على الغدير، وما لبثوا الا القليل . حتى اشرقت عبـــلة كأنها البدر المنير ، مزينة بانواع الحلي والجوهر . وكان السبب في خروج عبلة في تلك الحال ان خميسة ، الخائنة الخسيسة ، بعـــد مفارقتها الربيع خرجت الى الصحراء وما زالت هناك حتى ولى النهار فرجعت عند المساء ودخلت على عبلة وقالت لها : يامولاتي يقول لك ابن عمك عنتر ، انه ينتظرك على الغدير في هذه الليلة المقمرة ، حتى يخبرك بأمر بدا من أخيك عمرو وقد قابلني في هذه الساعة في ابيات الامير مالك . وقال اخبري مولاتك عبلة ان تنتظرني على

جانب الغدير . فما ادري ان كان كلامه صحيحاً ام السكر قد حسن له ذلك) قالت عبلة (والله ما كان كلامه الا صحيحاً ، لأني أعلم ان اخي يبغضه ، وكثيراً ما يفسد قلب ابي عليه حتى يرفضه ، وربما كان مواده ان يحدثني بشيء بداله) .

ثم انها صبرت حتى اظلم الليل وارخى اذياله ، وكان اكثر اهل الحي قد ناموا فأخذت جاريتها رابعة وقالت لخميسة (سيري امامي حتى التقي بابن عمي) فسارت خميسة وقد سر فؤادها حتى كادت من شدة الفرح تطير ، ومشت عبلة ورابعة من ورائها حتى اقبلت على الغدير فأبصرها سنان ومن معه من الانفار ، وكان لها في الانتظار . فتقدم اليها وأردفها عنوة خلفه على ظهر الجواد ، ونزل بعض فرسانه وكتفوا رابعة وخميسة وتركوهما على الارض ، وكانت عبلة تصيح وتستغيث وتطلب الخلاص ولا مغيث ، ثم ساروا بها واوغلوا في القفار . وكانوا يسيرون في الليل ويكمنون في النهار . حتى وصلوا الى الديار .

قال الراوي هذا ما جرى لهؤلاء واما ما كان من ابي الفوارس عنترة فانه كان تلك الليلة قد اطال السهر . في بيت مالك بن زهير الى وقت السحر . ثم رجع الى خيامه ولما كان الصباح . شاع خبر اختفاء عبلة في الحي واشتهر ، فاستيقظ عنترة وهو مخمور وقد غاب عنه خيال السرور . واسودت الدنيا في عينيه ووقع على الارض مغشياً عليه فركب الامير شداد واخوه زخمة الجواد . وسائر فرسان بني قراد . وتفرقوا في كل جانب وما زالوا يقتفون الاثار حتى اضحى النهار . وقد خفيت عليهم الاخبار وعند عودتهم عبروا على غدير ذات الاصاد فرأوا رابعة وخميسة مطروحين على الارض . فنزلوا اليهما وحلوهما وسألوهما عن حالهما . وعما جرى لعبلة . فقالوا « ان عبلة اخذتها خيل مغيرة ، وسارت بها في اول الليل » فقال لهما شداد : « ومن جاء بكما الى هنا حتى حل بكما هذا البلاء »؟ قالت رابعة : يا مولاي ان خميسة قالت لعبلة ان ابن عمك عنترة يقول لك اخرجي في هذا الليل ، وانتظريه على شاطيء الغدير . حتى يحدثك بخبر قد طرق مسامعه . فخرجنا استجابة لهذا الكلام وما استقر بنا المقام حتى هجمت علينا جماعة من الفرسان . فتقدم أحدهم الى عبلة واردفها خلفه على ظهر الجواد ثم كتفونا على هذا الحال وساروا بعبلة بين الروابي والتلال ، فلما سمع شداد كلامها أخذه الحنق والتهب فؤاده من شدة الغيظ واحترق . وقال لخميسة : « ويلك يا خاسرة . من ارسلك بهذه الرسالة . وعلمك ان تقولي لعبلة تلك المقالة » قالت : « يا مولاي خذ لي من عنترة الامان حتى احدثك بما جرى وكان

فعندئذ أخذها شداد في ركابه وعاد الى الخيام. واجتمع بعنترة واخذ لها منه الذمام. واعاد عليه مـا قالت من الكلام ثم حدثته خميسه بجلية الخبر . وما دار بينها وبين الربيع من اتفاق وكيف اعطاها الدملج الذهب ووعدها بزواج عبده عند بلوغ الارب .

فلما سمع عنترة ذلك المقال خرج عن دائرة الاعتدال . وصاح في الجارية وقال: « وحق من رفع السماء . وخلق الارض من طين وماء لو لم يسبق مني الذمـام ، لمكنت منك هذا الحسام ولكن قتلك لا يشفي قلبي العليل ولا يبرد مني الغليل ، ولولا هبة الملك زهير واولاده الاجواد لجردت سيفي على بني زياد ، وجعلتهم مثلا بين العباد ، لانهم لم يتركوا من انواع العداله شيئاً الا فعلوه ولا من الافساد صنعاً الا وهيأوه »

فبينما هم على ذلك ، اذا برسول الملك زهير قد حضر ، وقـال لهم قـد بلغ الملك طرف من حديثكم فتكدر ، وهو يستدعيكم الى حضرته حتى يقف على حقيقـة الخبر ، فساروا حتى دخلوا عليه ، ومثلوا بين يـديه وقصوا علية حديث خميسة ، واوقفوه على حقيقة تلك الدسيسة ، فقال : « يا لها من داهية عظيمة ! كيف تسبى بناتنا من بين المضارب ، بعد ان كانت هيبتنا قد شاعت في المشارق والمغارب ، ثم ارسل في طلب الربيع فحضر مع اخوته ومن يـلوذ به من اهله ، فحيوا وسلموا ، وجلسوا ، ولم يتكلموا ، فالتفت الملك زهير الى الربيع وقال له : هل سمعت بما جرى لهؤلاء القوم ، في صباح هذا اليوم ؟ قال : نعم وقد صعب علي هـذا الحال فركبت مع اخوتي وتفرقنا في البراري والتلال ، وبذلنا الجهد فما عرفنا لعبلة خبراً ولا رأينا لها اثراً ، وهذا الأمر ليس بالامر القليل ولا يرضى به الا كل جبان ذليل» فقال مالك ابو عبلة : يا ربيع دع عنك زخارف المحال ، ورد علينا ابنتنا بما عليها من المال والا خرجنا معك من المقال الى الفعال ، واثرناها حربا شديـدة القتال ، وتكون انت السبب في تفريق شملنا لان خميسة حدثتنا بفعالك ، ومـا دبرت من مكرك واحتيالك » فلما سمع الربيع مقـاله اصفر لون وجهه ، وتغيرت احواله واخذته الدهشة ، واستولت على قلبه الرعشة وعلم انه لا ينجيه من هذه الورطة الوبيلة الا استعمال الخداع والحيلة فقال لمالك : « انا أعـذرك في ذلك لانك فقدت الدرة المصونة والجوهرة المكنونة ولكن يا مالك اعلم ان قدرنا ما سقط بعد الى هذا الحد وما زال كلامنا مسموعاً لا يرد ، فكيف تسمع فينا كلام امة ذميمة ، لا قدر لها

ولا قيمة ، ان خمسة تعلم ما في قلوبكم علينا من الاحقاد ، فالقت بيننا هذه الفتنة وها نحن صابرون الى ان ينكشف خبر عبلة ، فانها لم تصعد إلى الجو الأعلى ، ولا هبطت تحت الارض السفلى ، والآن مالكم علينا الا اليمين واشهاد رب العالمين ، بانا ما طلعنا لها على خبر ، ولا وقفنا لها على اثر » فلمـــا رأى الملك زهير أن القصة مشكلة . والامور معضلة ، خاف من وقوع الفتن واثارة الشر والمحن ، فقال : يا بني عمي الصواب ان نؤخر هذا الأمر حتى ينجلي الحق ، وحينئذ نجازي المفتري بما يستحق ، وسأرسل للبحث عن عبلة وكشف اخبارها » فقال شاس وقد اشتعلت في قلبه نيران الغضب « اعلم ابتاه ان القوم ما داموا في ارض واحدة فستظل الشـ ور بينها متزايدة ، والرأي عندي ان يرحل الربيع باهله إلى بني فزارة ، حتى تسكن الفتنة وتخمد هـذه الشرارة » فاستحسن الملك هذا الرأي واستصوبه ، وامر برحيل الربيع من تلك الساعة مع من يلوذ به من الجماعة فاخذ اخوته وانطلق ولما وصل إلى خيامه امر عبيده وخدامه برفع ابياته وسوق انعامه وما امسى المساء الا وقد رحل باهله وعياله ونوقه وجماله .

قلب العاشـــق

قال الراوي : هذا ما كان من أمر الربيع بن زياد ، واما ما كان عنترة بن شداد فانه رجع الى مضاربه بقلب منكسر ودمع منحدر ثم لازم الخيـــام ، وامتنع عن الطعام مدة ثلاثة ايام وقد احتارت اولاد الملك زهير في امره ولم يطلب لهم الوقت لاشتعال باله ، فكانوا يقصون عليه من نوادر الحديث ما حلا وراق ، باخبار المتيمين والعشاق وما قاسوا من الوجد وألم الفراق ، ويقولون له يا أبا الفوارس وما جرى على قلبك من الأحزان فقال لهم « صدقتم وبالحق نطقتم ولكن ايها السادة المولى . اين قلب العاشق الشجي من الخالي ؟ » ثم انه بكى وزاد به الأمر ، وخانه الثبات والصبر ، فعندئذ صاح بأخيه شيبوب ، وقد زادت به الكروب ، وقال : اما ترى ما حل بنا من النكبه ؟ اريد منك ان تكشف عني هذه الكربة !

قال الراوي : فلما سمع شيبوب مقاله . ورأى عظم ما ناله ، قال : (ابشر يا ابن الأم فسوف اطوف في مشارق الأرض ومغاربها واقصد منازل العرب وجوانبها وان شـــاء الله سأعود اليك بما يطيب له خاطرك) ثم ودعه وسار يقطع القفار والآكام واقام عنترة يكابد الوجد والغرام لا يستطعم الطعام ، ولا يجد الراحة في

منام ، بل يقضي الليل بالسهر والنحيب ، والنهار بالبكاء والتعذيب .

أما الربيع بن زياد فانه رحل عن بني عبس وعدنان ، وسار الى فزارة وغطفان فعلم بقدومه الشيخ بدر بن عمرو ، وخرج للقائه مع اولاده ولما التقوا قال الشيخ بدر : انزلوا عندنا على الرحب والسعة ، والكرامة والدعة ، لانكم اصحاب هذه الديار ، وجواركم نعم الجوار ثم قال لولده حذيفة وكان اكبر اولاده ، وهو الموصي له بالملك من بعده : (يا ولدي اكرم سادة بني عبس وعدنان ، وانزلهم في احسن مكان) ففعل حذيفة ما امره ابوه وقد قربهم القرار ، وطابت لهم الديار وكان الربيع مشغول البال بما بلغه عما كان على عبلة من الدر والجوهر واللؤلؤ النفيس فقال في نفسه : (الصواب ان اسير الى بني شيبان بعد ان اظهر لبني فزارة اني قاصد الملك النعمان وهناك اقسم بيني وبين مفرج بن هلال ، ما كان على عبلة من الأموال ، ثم اقتلها بعد ذلك واعود وقد أمنت عاقبة الأمر) ، ثم انه اظهر لبدر ابن عمرو انه قاصد الملك النعمان واخذ عبده سالم وسار يقطع البراري والكثبان ، حتى وصل الى ديار بني شيبان ، ودخل على مفرج بن هلال ، فاستقبله احسن استقبال ، واحتفل به غاية الاحتفال ، واقام عنده مدة ثلاثة ايام في عز واكرام وبعد ذلك قال له الربيع : (ايها الامير اني ما أتيت الآن الا في امر الجارية التي ارسلتها اليك مع ابن عمك سنان) قال (هي في ابياتنا بين اهلنا ، غير انها قد اشرفت على الهلاك من كثرة البكاء والنواح ، في المساء والصباح) ، فقال الربيع : (واين الأموال التي كانت عليها والجواهر والتحف النفيسة ؟) قال مفرج : (وحق النار ذات الشعاع ما رأيت عليها غير كساء فارسي وقناع) فقال الربيع وقد تغير وجهه (كأنك تظن أنها من فقراء العرب ؟ . انها عبلة بنت مالك بن قراد وابن عمها هو عنترة بن شداد ، الذي تذل لذكر اسمه الأبطال الشداد ، وقد كان عليها من انواع الحلي ما لا يوجد عند سلطان ، ولا احصى ثمنه قلم ولا ديوان ، فقد جاءها عنترة بهذه الجواهر من عند كسرى وقيصر) .

فلما سمع مفرج هذا المقال أطرق مفكراً متحيراً ، وقال : ويلك يا ربيع .. انت صاحبي وصديقي ، فكيف طاوعك قلبك على أن تلقيني في هذه التهلكة ؟ والله لو علمت بحقيقة هذا الحال ، ما أرسلت لك أحداً من الرجال ، ولا ادخلت هذه الجارية أبياتي ، ولو كان في يدها موتي وحياتي ، وعندما وصل بها ابن عمي من دياركم سألته عنها فقال هذه من بنات عم الربيع بن زياد ، وقد ارتكبت اثماً مع

بعض العبيد ويريد أن يعذبها العذاب الشديد ، وبعد ذلك يقتلها في مكان بعيد ، حتى لا يظهر عارفاً فاحفظها له الى ان يأتي فظننت أن حديثه حق وتركتها عند الحريم تقاسي الـــذل الاليم ، والى الآن ما نظرتها ، ولا وقعت عيني عليها ولا ابصرتها ، فجذها بالله عني واكفيني شرها ، وارحل عن أمرها ، ولا تجلب بسببها الشر والضرر من ناحية ابن عمها عنترة . فقد سمعت ببعض فعاله ، ووصل الي طرف من اعماله) .

فتبسم الربيع وقال (ايها السيد الكريم والبطل العظيم ، ليس مثلك من يخاف من عبد زنيم ، ووغد لئيم ، وخلفك مثل الملك النعمان والان احضر ابن عمك سنان واسأله عما كان على عبلة من حلي) .

فعند ذلك استدعاه فحضر وسلم ، ورأى الربيع عنده فتبسم فقص عليه مفرج ما ذكره الربيع من أقوال وسأله عن تلك الجواهر والاموال فخجل ولم يستطع الانكار ، خوفاً من الفضيحة والعار ، فقال ذلك كله عندي وقد أخفيته احترازاً عليه ، حتى يأتي صاحبي وأسلمه اليه ، ثم رجع الى أبياته وأحضر المال . فلما رأى مفرج تلك الاموال والجواهر ، ذهل وقال للربيع : « لقد صدقت وحق النار ، وما هذه الحلى الا عظيمة المقدار ولكن ماذا يكون التدبير في هذا المال الكثير ؟ » فقال الربيع : « تأخذ انت نصفه وانا النصف الاخر . ونقتل الجارية وندفنها في بعض الحفر . وينتهي الامر على ذلك » قـــال مفرج : « نطقت بالرأي الشديد . وأشرت بالفكر الرشيد »

قال الراوي : ثم أن مفرجاً استدعى عبداً له كان قد رباه وجعله صاحب سره ونجواه يقال له بشارة بن منيع وكان عنده في مكان رفيع وقال له : « يا بشارة اريد منك أن تأخذ هذه الجارية العبسية عندما يحل الظلام . وتوسع بها في البراري والاكام ثم تقتلها دون ان يعلم بذلك انسان . وإذا سألك احد عنها فقل اتى اهلها وأصلحو أمرها واخذوها وساروا بسلام » فقال العبد : « لك السمع والطاعة يا مولاي واقبل مفرج والربيع بعد ذلك على المدام . وأخذ في لذيذ الكلام . وسماع الانغام . فقال الربيع لمفرج وقد داخله الفرح وطاب فؤاده وانشرح « اعلم انني بعد ايام ساقصد الملك النعمان واترك بزيارته حجة لي عند كل انسان قال مفرج: وأنا اسير في صحبتك اليه واحمله على ان يوليك من الاحسان ما تشكره عليه » ولا يزال على مثل هـــذا الكلام حتى انسدل الظلام واضطجع كل مستيقظ ونام وعندما دخل عليهما العبد بشارة

واستأذن مولاه في الخروج بعبلة لقتلها . فاعطاه الربيع مدية حادة ذات مقبض من الذهب وقال له : « اذبحها بهذه السكين . واحفظها عندك تذكاراً مني على مر السنين » ثم ركب العبد جواده ، وسار الى مضرب عبلة ، وأردفها وراءه ، وسار بها وهي لا تدري بما حكمت به مشيئة الله ، بل كانت تبكي وتسكب العبرات . وتطلب من الله الفرج حتي غابت عن الابيات ، فقالت للعبد : « الى أين سائر بي في هذا الليل ؟ » قال : الى طارقات المصائب والويل ، وقد أمرني مولاي بقتلك لأنه مالك رقي ، والمحكم في اجلي ورزقي ، فلا يمكنني أن أخالف مقاله ، ولا انكر جميله .

فلما سمعت عبلة هذا الكلام أيقنت بفناء عمرها ، وحارت في أمرها ودقت بيدها على صدرها ، وقد أحاط بها البلاء ، وأخذت تبكي وتهتف باسم عنترة فارس الفرسان ، وتقول : « اين انت يا ابن العم ، لقد صبرت عني وتركتني أقاسي الهوان ، واشوقاه الى الاهل والاوطان واحسرتاه على رؤيتك قبل أن يحين الاوان .

نجاة عبلة من القتل

قال الراوي فعند ذلك عدل بها العبد عن الطريق ثم نزل وانزلها عن ظهر الجواد والقاها على الارض وسل السكين التي اعطاها له الربيع وقبض على شعرها ووضع السكين على نحرها وعول على أن يذبحها ويخفي امرها واذا بصيحة أخذته كأنها الرعد في الغمام وشخص قد أقبل وهو يصيح خل عن سيدة العرب ايها العبد الخسيس ثم ادركه اسرع من البرق وضربه بسيف على كتفه فوقع جريحاً ثم استدار عبلة فرآها قد غابت عن الدنيا من شدة الفزع فقال للعبد لا بارك الله فيك ولا احسنت مساعيك والله لو لم الحقك لفجعتنا في هذه الدرة اليتيمة التي لا تعرف لها قدراً ولا قيمة والتفت بعد ذلك الى عبلة وهنأها بالسلامة من الخطوب وقال لها لا تفزعي فقد زالت عنك الكروب فانا عبدك اخو عنترة أنا شيبوب ، عندئذ هدأ قلبها من الخفقان وتبدل خوفها بامان فقالت ويلك يا شيبوب ابن أخوك عنترة هل اتى معك ؟ قال لا يا مولاتي انه حتى الآن لم يسمع عنك اي خبر فهو يمسي ويصبح في الهموم والفكر وقد تركته على تلك الحال واقتفيت اثرك فطفت المياه والمناهل وسألت عنك كل مقيم وراحل حتى التقيت بك مصادفة في هذا المكان وكنت قد



(وقبض بيده على شعرها وعول على ان يذبحها ويخفي امرها)

يئست من لقائك وعولت على الرجوع فسمعت ان الربيع بن زياد في هذه الاطلال

والربوع وانه نزل على بني شيبان وانا أعرف مفرج بن هـــلال صديق له من قديم الزمان فقلت لا بد أن اسير الى هنالك واقتفي اثره واعرف مجيئه الى هذه الارض ، واكشف حقيقة خبره فاختفيت وسرت تحت جنح الظلام حتى لا يعترضني احد من الانام فساقتني المقادير الى هنـــا وانت على وشك الهلاك فقالت : وكيف يكون التدبير في الخلاص من هذه الديار قال : سأتمم قتل هذا العبد الغدار ، ثم أسير بك في الظلام واذا اصبح الصباح اختفينا في بعض الكهوف ولا نزال على ذلك حتى نصل الى الديار ، آمنين من غوائل الاخطار وان احسست بالتعب سلبت لـــك ناقة من بعض مضارب العرب واسلك بك مواضع لا تهتدي اليها الجن ولا توقد بهـــا نار فقالت عبلة حقاً يا شيبوب ان هذا امل بعيد فالبر بين أيدينا واسع مديد واخاف أن يلتقي بنا من طاعة العرب كل شيطان مريد وما اظن اني بعد هـذه المرة ارى الديار الا ان يكون معي ذلك الكرار ابن عمي عنترة الفارس المغوار فـوا أسفي عليه وعلى جاريتي رابعة وقلة ناصري في هذه المصائب المتتابعة قال شيبوب اما رابعة فقد ذاقت من فراقك الويل وهي تبكي وتهتف بذكرك في النهار والليل وأما أخي عنترة فانت سائرة اليه ولا تقطعي من السلامة الأمل ثم تركها وقصد العبد فوجده قد أفاق وهو يسمع حديثهما وما جرى لهما من عجائب الاتفاق ولكن شدة الجراح والالام منعته من الحديث والكلام فلما رأى شيبوب قد رجع اليه علم انه يريد ان يقضي عليه ، فقال له يا فتى بحق البيت الحرام وما عليه من الالهـة والاصنام أمهلني حتى أسألك عن شيء لي في هذا المقام واثر عليك بشيء يكون لك فيه الحظ الوافر ولا يركب بهذه الجارية طريق الخطر لانك اذا سرت بها في هذا الطريق من غـير حام ولا رفيق ، ولا تأمن ممن يلقاك وتحمل نفسك ما لا تطيق فامامك برية واسعة المسالك كثيرة الافات والمهالك قال شيبوب قل ما تريد وما تختار ، حتى اسمـــع وادبر أمري قبل أن يطلع النهار فقال :

« اعلم يا ابن الخالة انني كنت احب جارية اسمها رابعة وكانت اجمل من الشمس الطالعة ، وقد ربيت معها في هذه الاطلال في نعمة مولاي مفرج بن هلال الى ان بلغنا من العمر سن الشباب فتمكن مني حبها وهواها ثم اختلسها مـــني الزمان في هذا العام ورمى الفراق شملنا بصائبات السهام وتركني بعدها اقاسي الوجـد والهيام وما زلت اتنسم اخبارها من سائر الاقطار فلم أقف لها على خبر ، ولما سمعت هذه الجارية تذكرها في هذا المقام ردت الي روحي ونسيت جروحي وقلت لعل الايام

تجمع شملي بها واريد ان تخبرني عن حقيقة الحال ، وتصدقني في المقال هـل هذه الجارية نشأت في دياركم او ساقتها اليكم الاقدار ؟ فان كانت هي رابعة الـتي احببتها ، فاني اريد أن انظرها قبل الموت ولو نظرة قال شيبوب : والله ما نشأت في ابياتنا هذه الجارية وانما أخذها اخي عنترة في سبي انس بن مدركة ، لما حاربه وانتصر عليه في اعنف معركة ، ثم اهداها لعبلة لما فيها من الذكاء والادب وعذوبة الكلام التي لا توجد عند غيرها من نساء العرب وهي كحلاء العين ، واضحة الجبين. بخال اسود على خدها اليمين ، فقال بشارة : هذه حقاً صفة محبوبتي التي فقدتها ،وكان ينافسني في حبها غريم اسمه غطرفة بن بعيض ، لأنه كان يحبها ويشتهيها ، فلما اعياه الامر خطفها في الليل وهرب بها يطلب بلاد اليمن ، وقد ظن انـــه نجا من الضد والهلكة فوقع به انس بن مدركة ، فقتله في الطريق واخذ منه رابعة ، ومـــا سمعت بخبرها بعد ذلك الا منك . وقد طاب قلبي بذكرها ، والآن ليس لي في الحياة مأرب الا ان اسير معك وحظي بلقائها فاخبرني ماذا تريد ان تفعل فانك هذه الجارية وسرت انا واياك لا تأمن الهلاك وربما ادركتنا الخيل ، فيحمل بنا البلاء والويل ، ويرجعون بنا الى مفرج والربيع ، فنهلك ويذهب تعبنا ويضيع ، ومن الرأي ان تعود الى اخيك عنترة وتعلمه بهذا الخبر ، ودعه يدبر بمعرفته ما يراه ، ثم ترجع انت واياه ومعكما فرسان وجنود تحمينا الى ان نعود واما انا فأعود الآن واخفي عبلة عند والدتي ، وأوصيها بحفظها وكتمان امرها وان لا تطلع أحد على سرها ، وبعد ذلك ادخل على مولاي مفرج والربيع بن زياد ، وازعم لهما انني قتلت الجارية وهذه الدماء الطرية على اثوابي لا بد ان تحملهما على تصديقي ، وها أنا قـد عرضت هذا القول عليك وفرضت لك الامر ، فافعل ما يحسن لديك .

قال شيبوب وكيف اصدقك في هذا المقال ، بعد ما فعلت هذه الفعال قال بشارة : يا وجه العرب الاخيار ،لا تنكر علي هذا الانكار فوحق من أوسع البطاح وخلق الارواح ، وخالف بين الليل والنهار ما حدثتك بلساني الا بما انا معول عليه بجناني ، لأن رهني عندكم ثمين ، وفؤادي من فراق رابعة حزين ، وانت فيما فعلته معي معذور ، لانك ما عرفت بواطن الأمور .

فلما سمع شيبوب هذا المقال ، استشف من وجه بشارة انه صادق وليس بمحتال اما عبلة فقد قالت لشيبوب : ان الصواب ما قاله بشارة فارجع وادع اخاك ليأتي مع فرسان بني عبس لانقاذنا .

فعند ذلك نهض شيبوب واخذ على بشارة العهد والميثاق بان يحفظ عبلة ولا يغدر بها ثم قام واطلق قدميه في القفار ، وكانه الطير اذا طار ، واما بشارة فانه سار بعبلة الى مضارب بني شيبان ، وقد صارت عنده في اعز مكان ، وقد احبها من اجل رابعة محبوبته ، ولما وصل الى الابيات رأى اهل الحي قد رقدوا وانطفأت نيرانهم فدخل بعبلة على امه واعلمها بامرها ، واوصاها بخدمتها و كتمان سرها ، وحدثها بجميع ما جرى له مع شيبوب ، خرج كانه الهائم والمسلوب ، بعد ان وقف على خبر محبوبته رابعة ، ودخل على مفرج مولاه واخبره بقتل عبلة فوجده مع الربيع يشربان الخمر فلما رآه الربيع والدم على ثيابه ابتسم وقال (هل فعلت يا بشارة ما أمرناك به) ؟ فقال يا مولاي قد بلغتك مآربك وكنت اشتهي ان الذي جرى على الجارية يجري على اعداك وهذه دماها تشهد لي بانني حققت مشيئتك فلما سمع الربيع منه ذلك المقال هز أعطافه من الفرح والقى من يده القدح ونهض على قدميه وصار يصفق بكفيه وخلع على العبد افخر ما كان عليه فأعطاه سيفه الذي كان يدخره ليوم الشدائد اما مفرج فقد كان يطير من الفرح ، ونظر الى الربيع وقال له : ان بشارة هذا عبدي وموضع ثقتي ، وكأنه احد عيالي ، وسأوكله عني في جميع اعمالي ، وسأسلمه خزائن اموالي ، ثم نرحل عند الصباح الى الملك النعمان ، حتى اذا انكشف موت عبلة بعد شهور وأيام لا يقطع علينا عتب ولا ملام) ثم انهما ناما تلك الليلة بانعم بال وأحسن حال .

قال الراوي : هذا ما جرى لهؤلاء من الخبر واما ما كان من شيبوب فانه جد في مسيره بالليل والنهار وهو يقطع البراري والقفار وقد منع اجفانه لذيذ الرقاد وقنع بقليل من الزاد ولم يزل سائراً كأنه الطير الطائر حتى اشرف على الديار وفي قلبه لأخيه عنترة شوق مثل لهيب النار وكان عنترة قد يئس من عبلة غاية الاياس ، واعتزل جميع الناس لان العبد الذين أرسلهم زهير الى جميع القبائل،وأمرهم بالبحث عن عبلة ورجعوا بالخيبة بعد طول الغيبة فزادت بعنترة الفكر ، وواظب على البكاء والسهر ، حتى اعتراه السقم والهزل ورثت له النساء والرجال غير ان آماله ظلت متعلقة باخيه شيبوب وكان قد قضى تلك الليلة في البكاء والنحيب يراعي النجوم شوقاً الى لقاء الحبيب فاذا بشيبوب قد دخل عليه وهو في شدة التعب من طول المسير والسهر فلما رآه عنترة قام اليه ملهوفاً عليه وضمه الى صدره وقبله في عارضه وقال له يا أخي لقد كنت بانتظارك في الليل والنهار حتى اقف على حقيقة

الأخبار ، فان كان عندك خبر عن عبلة فلا تكتمه عني قال شيبوب : ابشر يا ابن الأم بالخبر وزوال الهم ثم اخبره بما جرى بينه وبين بشارة بن منيع ، فطاب قلب عنترة بهذا الكلام وامر باحضار رابعة فلما دخلت عليه سألها عن بشارة وحدثها بما سمعه من أخيه شيبوب ، فطار فؤادها فرحاً بذكر المحبوب وقالت والله يا مولاي كل ما قاله بشارة صحيح ولكن كيف شاع هذا الحديث بعد ما انكتم وما دامت مولاتي عبلة عند بشارة بن منيع وقد سمع بخبري وان لي عندها هذه المكانة فقد أمنت عليها من دواهي مفرج والربيع وسوف تسمع ما يصنع في حقها من حسن الصنيع .

قال الراوي: وظل عنترة يتسلى بالحديث مع أخيه شيبوب ورابعة حتى انشقت اذيال الدجى وبدت غرة الشمس فارسل عنترة يدعو عروة بن الورد فحضر واعاد ما سمعه من اخيه شيبوب من اخبار عبلة فاندهل وقال : على ماذا عولت ان تعمل بعد ظهور هـذا الأمر المنكر ؟ فقال : اريد ان ابيد بني زياد ، ولا ادع لهم ذاكراً يذكر قال ما هذا بالرأي والصواب ولا يشير به عليك احد من الأصحاب ولا يشير به عليك احـد من الاصحاب والرأي ان تكتم خبر عبلة حتى لا يظهر بين الناس ولا يشيع والا فسوف يعلم بذلك مفرج والربيع ، فيقتلان عبلة وبشارة بن منيع ويذهب تعبك ويضيع فقال عنترة: صدقت والصواب ان تقصد الملك زهير واولاده ونودعهم ، وان سألوني عن وجهتي ازعم اني اخرج للغزو ، لكي اكسب شيئاً من المـال يكون عوناً لي على مر الأيام ثم اغادرهم وسري مكتوم : واسير في طلب عبلة وحالي غير معلوم فقال عروة : هذا هو الصواب والأمر الذي لا يعاب ثم ارسل عروة في طلب جماعة من خواص فرسانه فركبوا واتوا اليه فقصد معهم الى الملك زهير وسلموا عليه ، فرحب بهم واكرمهم غاية الاكرام ، واجلسهم الى جانبه في صدر المقام ؛ ثم حدثه عنترة بما عول عليه ، فزعم انه يريد الغزو في بلاد اليمن وودعه وركب مع عروة ورجاله وفرسانه وابطاله .

ولما صاروا خارج الأبيات ، خرجت الناس لوداعهم ، حتى النساء والبنات ، ومن جملتهم اعمام عنـترة ، مالك وزخمة الجواد ، وسائر نساء آل قراد ، ثم ودع عنترة اباه شداد ، وساروا في طريق بلاد اليمن ولكنه لما توغل في الصحراء انحرف نحو بلاد العراق . وقد قاده هوى عبلة بزمام الأشواق .

اما شيبوب فظل في بيت امه زبيبة حتى لا يتسرب لاهل الحي شك ولا ريبة

وكان عنترة قد اوصاه ان يلحقهم متى جن الليل . فساروا السير للرفيق ولم يكدوا الخيل ؛ ولما اقبل الظلام لحق بهم شيبوب وهو منطلق كالريح ، فعند ذلك جدوا في قطع البيد والقفار ، حتى اوغلوا في البعد عن الديار .

النعمان يخطب المتجردة

هذا ما كان من ابي الفوارس عنترة ، اما ما كان من الربيع ابن زياد فانه لما اقتسم هو ومفرج بن هلال ما كان على عبلة من الجواهر واللالىء رحلا طالبين الملك النعمان وكان مفرج قد سار في جمع غفير من بني شيبان ، وما ترك في الحلة غير مائة من الفرسان مع ابن عمه مالك بن حسان ، لحفظ الاموال والنساء ، وأقام عبده بشارة أميناً على امواله وسلم اليه مفاتيح خزائنه وأوصاه بحريمه وعياله وسار مع من معه من فرسان العشيرة ، حتى اشرف على الحيرة فوجد الملك النعمان خارج المدينة في موكب عظيم من الخدم والغلمان وكان ذلك اليوم بالاتفاق يوم النعيم والمهرجان وكان الملك النعمان قد سن في مملكته سنة ما سنها احد غيره من الملوك ، لانه كان في كل سنة يومان . يوم يسميه يوم البؤس العقيم ، ويوم يسميه الحظ والنعيم ، وفي يوم البؤس يلبس ثوباً أسود ويركب جواداً أجرد ويأخذ في يده سيفاً مهنداً وتركب بين يديه جبابرة العبيد ، وهم لابسون الزرد النضيد فيخرج بهم الى الطريق وفي ايديهم الحراب والمزاريب ، فمن صادفوه قتلوه ان كان عدوا او اعز صديق وكان يخرج من الصباح ويقيم الى وقت المساء ولا يرجع حتى تتخضب ثيابه بالدماء فتغلق في ذلك اليوم الاسواق ، وتنقطع الطرقات من تلك الآفاق ، ويترك الناس البيع والشراء ، والاخذ والعطاء ، ولا يخرج احد من منزله الا وهو لابس ثياب الحداد ولو التقى النعمان بولده على غير ذلك لقتله وانزل به المهالك .

اما في يوم النعيم فانه يلبس ثوباً اخضر ، ويضع على رأسه تاجاً من الذهب الاحمر مرصعا بالدر والجوهر في اعلاه صورة الشمس والقمر ويركب بين يديه مائة غلام كأنهم مصابيح الظلام وعليهم الثياب المختلفة الالوان وعلى رؤوسهم قلانس مرصعة باللؤلؤ والمرجان وفي ايديهم اطباق من الفضة النقية ملانة من الدنانير الكسروية ومعهم الخلع الفاخرة من الحرائر الرومية فكل من التقوا به تسابقوا اليه ، والقوا من تلك الخلع عليه ونثروا ذلك الذهب بين يديه ثم يأتون به الى النعمان فيغمره بالاحسان ويباسطه في الكلام ويزيد له في الاكرام ويجلس معه الى آخر النهار وبعد ذلك يعيده الى اهله وداره في موكب كمواكب الملوك الكبار .

قال الراوي ومن أعجب المصادفات ان قدوم مفرج والربيع على النعمان كان في يوم النعيم فلما اشرفا على الحي اسرعت نحوهما الغلمان وخلعت عليهما من تلك الخلع الحسان ونثرت عليهما الدنانير ودقت الطبول في سائر الجهات واحضروهما امـــام النعمان فسلما عليه وقبلا الارض بين يديه فرحب بهما وحياهما واحسن ملتقاهما وكان الربيع ذكي الجنان فصيح اللسان لطيف المحاضرة فنطق لسانه بالشعر كما جرت عادة العرب فأنشد وقال :

إدام الله ايام التهـــاني	وعشت من الحوادث في امان
فلا برحت شموسك مشرقات	مدى الايام يا ملك الزمان
ولا زالت سيوفك قاطعات	على اعداك في الحرب العوان
فقطر نداك يحيي كل ارض	ويروي الخلق من قاص ودان
ولولا نور وجهك ما اهتدينا	الى آثار هاتيك بالمعاني
فدم بالمجد ما دامت نجـــوم	وعش دوماً على هام الزمان

فطرب النعمان وتبسم وقال لمفرج من يكون هذا الامير المكرم قال يا مولاي هذا الربيع بن زياد ، شيخ بني عبس الاجواد فقال انني لأعجب كيف زارنا هذا العام سيدهم من بني عبس وعدنان ، لأن ابي المنذر كان قد تعصب لعبده عنترة ، ورفع عنهم الخراج ودخل به على كسرى الملك الاكبر ، واقام عنده مدة من الايام في عز واكرام ، حتى صار له عند الملك اكبر قيمة ، وما رجع الى اهله الا بأموال وافرة عظيمة ، ومع ذلك لم يعرفوا لنا مقاماً ، ولا وفوا لنا عهداً ولا ذماماً .

قال الراوي : وكان السبب في ذلك ان جميع قبائل العرب كانت تحمل الغفارة الى الملك المنذر ابي النعمان ، حتى آل عبس وعدنان فيرسلها النعمان الى كسرى انو شروان ، الى ان ظهر الامير عنترة ورحل الى مملكة كسرى وقتل البطريق الذي جاء الى كسرى بالمال من عند الملك قيصر ، وكان هذا البطريق قد قهر جميع الفرسان كسرى ومن ذلك الوقت رفع المنذر عن بني عبس المال لعنترة بن شداد . ولما توفي المنذر وتولى مكانه ابنه النعمان تبع سنة أبيه وعاملهم بالرفق والاحسان املا في أن يحظى ملكهم زهير ابنة اسمها (المتجردة) لها من الجمال ومكارم الخلـــق وحسن الخصال ، ما ليس لفتاة اخرى فاشتغل خاطره بها ، ولكن عزة نفسه منعته ان يخطبها من ابيها ، ولم يزال على مثل تلك الحال ، حتى قدم عليه الربيع ومفرج بني هلال فقال في نفسه لعل هذا يكون سببـــاً في ان انال ما كنت ارتجيه من

المتجردة ابنة الملك زهير ، فأكرمها غاية الاكرام ، وتحدث مع الربيع وباسطه الكلام ، ثم امر النعمان باحضار الخمر الصافي العتيق ، فجاءت به الخدام في كاسات الذهب والاباريق ، فشرعوا في اكل الطعام وشرب المدام ، وسماع الانغام ثم قال النعمان للربيع : هل المتجردة في الحسن والجمال ، كما وصفها لي بعض الرجال ؟ فقال الربيع وقد انفتح له في هلاك عنترة باب ، ما كان له في حساب : حقاً يا ملك الزمان ، ما هي الا من حور الجنان ، والذي ذكرها لك ووصفها ما أظن انه يعرفها لأنها بغية لمن طلبها ، وسعادة لمن خطبها تباهي الشمس جمالاً ، والبدر كمالاً ، وتفوق سائر بنات العرب شمائل وخصالا ، غير أن أباها رجل جبار متكبر لا يلين له جانب ، لانه من مدة سنين واعوام ، اراد ان يبني له في ارضنا بيتاً مثل البيت الحرام ، يأمر العرب أن تزوره في كل عام وفي هذه الايام زاد في تجبره لأنه ألحق ذلك العبد بنسب ابيه ، واذل به سادات العرب ، واخشى ايها الملك ان ترسل الى زهير رسولا يخطب لك منه المتجردة فيرده بالخيبة وعدم القبول فاستشاط النعمان غضباً وقال : وحق بيت النار الاكبر اذا ارسلت اليهم احد خاطباً ، وعاد الي خائبا ما تركت من بني عبس ماشياً ولا راكبا ، ولأرسلت فرسان العراق يأتون الي ببني عبس في حبال الذل ، واطالبهم بما عليهم من الاموال القديمة ، ثم اضرب رقبة ملكهم زهير بن جزيمة ، ولأفعلن مثل ذلك بعبدهم عنترة الذي طغى وتجبر فقال الربيع وقد امتلأ قلبه من السرور والفرح ، واتسع صدره وانشرح : اعلم ايها الملك الكبير ، صاحب التاج والسرير أن قلبي قد انطوى لك على الصدق وحفظ الوداد والصواب ان تصبر على هذا الامر حتى اعود الى الاوطان واخاطب الملك زهير في هذا الشأن ، واذكر له ما انت فيه من علو الجاه ورفعة المكان واصف له كثرة جنودك وفرسانك وفيض كرمك واحسانك واشير باجابة خطبتك فان اجاب بالسمع والطاعة قولاً وفعلا ، كان ذلك ما تريد ، وان ابى كان الهوان الذي ذكرته اولى به .

ثم حدثه بقصته مع مفرج بن هلال وكيف انه قتلا عبلة وتقاسما ما كان عليها من الحلي ، وبعد ان اعلمه بجلية الحال صاح على عبده وامره سالم ، باحضار تلك الغنائم فخرج الغلام وغاب قليلا ، ثم عاد بقلائد الجواهر والاكليل ، فقدمها الربيع الى النعمان ، مع باقي التحف الحسان ، وقال له ان احسانك قد سبق ، وهذه الذخائر بك اليق ، فاندهش من ذلك وشكر الربيع ، واحضر مفرج ايضاً ما كان قد اخذه

وقدمه بين يدي النعمان ، فقال النعمان للربيع : لقد احسنت واجملت . وهذه الهدية عند مثلي لا تضيّع .

قال الراوي : وبعد ذلك عكفوا على شرب المدام وسماع الانغام وصرفوا تلك الليلة بأوفى السرور . واطيب الحبور . ولما كان الصباح خلع النعمان على مفرج بن هلال الخلع الغوالي . وأرسله الى كسرى في قضاء بعض الاشغال . واقام الربيع بعد ثلاثة ايام في ترحيب واكرام واحتفال واحترام . وفي اليوم الرابع طلب الاذن بالمسير . فأجابه النعمان وامر له بخمسمائة ناقة وعشرة من الجمال . محملة من نفائس التحف والاموال . واهدى اليه خمسين فرساً من الخيول المطهمة الحسان واكثر له من الانغام والاحسان . وامر بالمسير وبان يبذل جهده في خطبة المتجردة ثم ودعه بعد ذلك وسار الربيع حتى وصل الى مكان يقال له « ركايا مالك» فنزل بمن معه للراحة هنالك. وإرسل عبده سالم يبشر اخوته بقدومه. حتى يخرجوا لملتقاه.

الربيع

هذا ما كان الربيع بن زياد، وأ ما كان من عنترة بن شداد ومن معه من الرجال، فانهم ا في قطع البراري والا كام كما تقدم الكلام ، الى ان ولى النهار واقبل الظلام فأشرفوا على ذلك المكان في نصف الليل ، فسمعوا صهيل الخيل ،فقال عنترة لاخيه شيبوب (ويلك يا ابا رباح اكشف لنا خبر هؤلاء النازلين في هذه البطاح) فأجابه بالسمع والطاعة وسار وما غاب الا اليسير،حتى رجع الى اخيه كأنه الطير الذي يطير، وقال له:ابشر يا اخي ببلوغ المراد فان النازل في هذه الارض هو (صديقك) الربيع بن زياد ومعه صناديق واموال وخيول وجمال (فتعجب عنترة من هذه) المصادفات وقال : قد ساقني حظي وسعدي لانتقم من هذا الخسيس) فقال له عروة : (ما الذي تريد ان تفعل ؟ أتقتل الربيع بن زياد . وتلقي بيننا وبين قومه الفتنة والفساد ؟) قال عنترة : (نعم الى حيث القت رحلها ام قشعم ، والله ان هذا غاية مرادي ، ومسرة فؤادي ، وان كنت لا أريد ان اقتله ، فقد خطر في بالي شيء لا بد لي ان افعله) فقال عروة : (افعل ما بد لك ، فما فينا من يخالف مقالك) قال عنترة : (الرأي عندي ان نكبسهم في ظلام الليل ، ونذيقهم مرارة الذل والويل) ثم تأهب عنترة بمن معه من العسكر ، وكان قد صاح في عشرة من الفرسان وقال لهم : اقصدوا الربيع ومتى وقعتم به اجرحوه في ثلاثة مواضع ، ولا تدعوه يدافع او يمانع ، ثم شدوا يديه ورجليه واعصبوا بعمامته مقل عينيه ،

وليكن نداؤكم يا لقحطان ، وإياكم أن تنسبوا الى عبس وعدنان ، حتى لا يعرف منكم انسان) ثم انهم هجموا بعد ذلك على العبيد وهم نيام ، واطلقوا فيهم السيوف ، وهم ينادون يالقحطان فانتبه الربيع ، وقبل أن يتأهب للقتال ، دار حوله الرجال من اليمين والشمال ، وصاحوا فيه صيحات عالية وضربوه بسيوفهم ضربات خفيفة غير قاتلة ، فوقع واعتراه الخوف والفزع ، فأوثقوه بالحبال ، وتركوه ملقى على الرمال ، ثم احاطوا بعبيدة واوردوهم موارد الحتوف ، ورموهم على الارض بشفار السيوف ، واعادوا الاحمال الى ظهور الجمال وساقوها الى عنترة ففرح واستبشر .

وبعد ذلك ساروا في البر الاقفر حتى جاء السحر فوصلوا الى ماء يقال له الجراع ، وهو بين فزارة وعبس ، واقاموا هناك حتى بدت غرة الشمس ، فأناخوا الجمال ، وفتحوا تلك الرحال ، فوجدوا فيها من التحف الحسان ، والاقمشة المختلفة الالوان ، ما لا يستوعبه بيان ، فقال عروة : (وما الرأي يا ابا الفوارس ، في اخفاء التحف والنفائس لأنه سلم الربيع من شر الاعتقال وعلم أننا نحن الذين فعلنا به تلك الفعال لا يصبر على هذا الحال ، وربما تعصب له الرجل النعمان ، وغيره من ملوك العرب ، فتقع الفتن ، وتعظم البلايا والمحن) قال عنترة : (اني لا أبالي بالربيع ولا اخاف من غيره ، ولا يكدرني شيء الا اذا عتب علي الملك زهير) فقال شيبوب : ما خوفك من هذا القتيل فلا تحمل همه ، ولا تخف من عتاب الملك زهير ولا غيره ، لأنه قد خطر في بالي امر فيه كتمان هذا الحال ، وهو ان ترسل هذه النوق مع بعض رجالنا الى ارضنا ليفرقوها بين مراعينا ، واما هذه الصناديق فادفنوها تحت الرمال الى حين رجوعكم عن ديار مفرج بن هلال ، واما الجمال فخذوها معكم والزاد والاثقال) قال عروة : (وحق علام الغيوب لقد اشرت بالصواب يا شيبوب) ، ثم انهم ارسلوا النوق مع عشرة من الرجال ودفنوا الصناديق في الرمال واخذوا معهم الجمال وساروا طالبين بلاد العراق ، وعنترة قد المه الفراق ، وزاد به الى عبلة الاشتياق وظلوا يسيرون بين الشعاب والهضاب الى ان اخرجوا من ارض الحجاز ودخلوا في اوائل بلاد العراق ، ولم يزالوا مجدين في السير الى ان صار بينهم وبين ديار بني شيبان ليلة واحدة فعند ذلك عدل بهم شيبوب عن الطريق وانزلهم في واد عميق ، وقال لهم : (اقيموا في هذا المكان حتى اقصد آل شيبان ، وادخل الى مضارب مفرج بن هلال ، وابصر ما قد حدث بعدي من الاحوال ، واجتمع ببشارة بن منيع وانظر ماذا عول ان افعل) فقال عنترة : « هذا هو الصواب » .

ثم ان شيبوبا خلع ما كان عليه من الثياب ، ولبس ثوباً قصير الاكمام . ووضع على وجهه اللثام ، وتزيا بزي عبيد اهل الشام وانطبق مسرعاً كأنه ذكر النعام ، حتى اشرف على الحي عند دخول الظلام ، فطلب اثر الرعيان آملا ان يقف منهم على خبر او اشارة . ويعلم ما كان امر بشارة فبينما هو سائر واذا بفارس قد قابله على ناصية من الطريق ولم يكن معه صاحب ولا رفيق وكان ينوح ويبكي وهو ينشد ويقول هذه الأبيات :

ريح الحجاز تنفسي من حاجز واقوي سلامي للحبيب الهاجر
فلعل رابعة ترد سلامها ونجود وهنا بالخيال الزائر
هيهات كيف يجود من الف الجفا بالوصل أو يرجى اوفا من غادر
يا عبل أن كان ابن عمك قد سلا أو غاب خوفاً من رجال العشائر
أو كان شيبوب أصيب بنكبة وحوته بطن مقابر وحفائر
فالامر للرب القديم فانه في خلقه يقضي قضاء القادر .

فلما سمع شيبوب منه ذلك عرف انه بشارة بن منيع عبد مفرج بن هلال فتقدم نحوه واعتنقه وضمه الى صدره وقال له : « والله لم تطرق شيبوب نوائب الزمان ، ولا سلاكم ولا خان بل اتي وفي صحبته مائة من الفرسان . تلقي جموح بني شيبان » فبكى بشارة من شدة فرحه وقال له : « لقد اقلقتني بطول غيبتك ، حتى لم يبقى لي هدوء ولا اصطبار وكنت قد عزمت على الرحيل من هذه الديار ، ثم حدثه برحيل مولاه الى الملك النعمان وكيف اقامه وكيلاً على امواله ، وحريمه وعياله ثم قال : (اني عولت على ان آخذ جميع ما لمولاي من الأموال والتحف واسير في حمايتكم الى دياركم ، واقيم مع محبوبتي رابعة في جواركم) فقال له شيبوب : « والله انها لتنتظرك بأعظم اشتياق ولما سمعت بذكرك كادت تذوب من الم الفراق » فلما سمع بشارة من شيبوب ذلك الكلام زادت به لواعج الغرام ، فقال شيبوب « لا تزعج نفسك فالأمر كما تحب وتختار وما بقي غير التدبير في رحيلنا من هذه الديار » قال بشارة : « اعلم يا أخي اني قد دبرت كل شيء وما عليك الا ان تأخذ عبلة الى اخيك عنترة واذا وصلت بها اليه ارحلوا الى هذه الاطلال وانزلوا في وادي النقا على طريق جبال الدوم ووادي الرمال ، حتى اعود اليكم بالتحف والأموال ، على ظهور الجمال وما يكون معي الا نفر قليل من الرجال فاذا وصلنا اليكم فاخرجوا علينا في الحال واقتلوا العبيد ثم نسير بعد ذلك في امان الى دياركم » فلما سمع شيبوب

منه ذلك رآه عين الصواب وقال : « افعل ما بدا لك » فعاد بشارة مسرعاً الى الحي وكانت عبلة قد ملت من كثرة الشوق والانتظار وعلا جسمها الاصفرار . وهي تبكي في الليل والنهار . فدخل عليها بشارة وقال لها : « أبشري فقد وصل شيبوب وعنــترة » وقص عليها الخبر فقالت له (أحسن الله بشارتك) ثم انه البسها ثياب الرجال وعممها واركبها جواده ولثمها وخرج بها من الخيام . تحت جنح الظلام حتى وصل الى المكان الذي فيه شيبوب . فلما رآها سلم عليها وهنأها . وشكر بشارة على فعاله وصار بها الى عنــترة ورجاله . فلما نظر عنترة الى عبلة ضمها إلى صدره وعانقها وشكا اليها حاله من يوم فراقها . فبكت وقالت : ما اظن ان أحداً لاقى مثل ما لاقيت وقاسى مثل مـــا قاسيت . فبكى عنترة لبكاها وتألم قلبه لشكواها ثم حدثه شيبوب بما اوصاه بشارة وكيف انه مزمع ان يهرب بمال مولاه كما سبقت الاشارة .

قال الراوي : هذا ما كان من عنترة واما ما كان من بشارة فانه رجع الى بني شيبان في وقت السحر وكتب عن لسان مولاه مفرج بن هـــلال كتاباً مطوياً على الزور وذهب به إلى مالك بن حسان الذي اقامه مفرج مكانه على بني شيبان فلما دخل عليه وقال له : (قد اتاني البارحة كتاب من عند مولاي فجئتك به لتقرأه وتقف على حقيقة معناه وفيه يقول : (انني قد بليت من خدمة الملك كسرى بما لا اطيق فقد ارسلني الى خراسان لا قاتل اعداءه الذين تمردوا عليه وقـــد اجتمع علينا من الاعداء خلق مثل عدد الجراد فعزمت ان اهرب مع من بقي من رجالي واريـــد منك ان تأخذ اموالي ونوقي وجمـــالي وتسير بها وتنتظرني في جبال الدوم ووادي الرمال حتى اصلح حالي مع الملك النعمان وأسأله ان يشفع لي عند كسرى انو شروان)» هذا ما كتبه مولاي مفرج واريد الآن أن افعل ما امر به وقد جئتك لاستشيرك وأبلغك الخبر . ثم عرض عليه ذلك التحرير المنطوي على الكذب والتزوير فأخذه وقرأه ووقف على فحواه فقال : (يا بشارة اني لاعجب كيف انه اهتم بماله ولم يذكر شيئاً عن حريمه وعياله ?) قال : (لانه يعلم اذا قبض كسرى على النسوان يبقيهن عنده في الاعتقال مدة الزمان ثم يطلق سبيلهن بشفاعة الملك النعمان ولكن اذا نهبت العزب المال والمتاع اقتسموه بينهم وضاع) فقال مالك : صدقت فدبر وما برأيك السديد .

قرار بشـــارة

قال الراوي : فلما انطلق على مالك بن حسان ذلك الاحتيال نهض بشارة وفتح خزانة الجواهر و خذ منها النفيس المفتخر من الزمرد والياقوت واللؤلؤ ، ثم جمع صناديق الأموال ، وأمر العبيد ان تحملها على الجمال ، وما غابت الشمس حتى أتم كل شيء وركب مع العبيد ، وساروا في الوديان « حتى اشرفوا على المكان الذي فيه الامير عنترة ، فهاجمتهم فرسان بني عبس من رأس الوادي وهي تصيح وتنادي : « الغنيمة الغنيمة » فقال بشارة للعبيد : « لا تخافوا دعوني اتقدم واعلمهم بالحال ، واخبرهم بأن هذا المال يملكه مفرج بن هلال » ثم لكن جنوده حتى اقترب من عنترة فسلم عليه ، وقبل الارض بين يديه ، وقال : « يا مولاي ابذل سيفك في هؤلاء الانذال ، وخذ هذه التحف والأموال ، واجمع بيني وبين محبوبتي رابعة » فقال له عنترة : « ابشر يا فتى بحسن الجوار والاحسان » ثم امر الفرسان بأن يطلقوا سيوفهم في عبيد بني شيبان ، فداروا بهم من كل جانب وساقوا الجمال والاموال ، وساروا نحو ديارهم وشيبوب بين ايديهم ، حتى وصلوا المكان الذي كانوا قد دفنوا فيه صناديق الاموال ، فاخرجها شيبوب ... ها على ظهور الجمال ، وركبت عبلة في هودج انيق ثم قصدوا المنازل والاوطان .

ولما اشرف عنترة على ديار بني عبس وعدنان ، كانت معه اموال تملأ السهول والقيعان ، وخيرات يعجز عن وصفها اللسان ، ولما علم الملك زهير بقدوم عنترة خرج لاستقباله مع فرسان عشيرته وخرج معه ابوه شداد وعماد مالك وزخمة الجواد فلما أبصر الملك زهير تلك الغنائم قال « يا للعرب لقد افقر عنترة ملوك الارض وقطع طرقات اليمن ، وانزل عليها البلايا والمحن » ولما رأى عنترة ازدحام الابطال وكثرة النساء والرجال ارسل عبلة الى بيت ابيها وتقدم نحو الملك زهير وسلم عليه وقبل يديه وفعل مثل ذلك اولاده فسأله الملك زهير عن قصته . وما جرى له في سفرته ، فحدثه بقصته من اولها الى آخرها و كشف له عن باطنها وظاهرها فتعجب الملك وقال (والله يا عنترة ان هذه الاحاديث لو كتبت على الصخور لذابت او سمعتها الاطفال لشابت الا لعنة الله على الربيع ما اخبثه وانذله ، لانه سلم ابنة عمه الى قوم غرباء ، وقد عاقبه الله على غدره ورد كيده الى نحره) .

- قال الزاوي : وكان الربيع قد عاد من تلك البطاح بعد ان شفي ومعه مما اصابه من جراح ولما علم بعودة عبلة سليمة يحملها عنترة الاموال العظيمة قال لاخوته :

(وحق من خلق البشر ان ضيع الملك زهير حقي وخدمتي، ولم يراع جانبي وجانب اخوتي ، لاقلعن اثره من الارض ، واريه عاقبة البغي والتعدي والقي الفتنة بينه وبين الملك النعمان لانه لما اتى ليزورني بعد عودتي اشرت عليه بما يزيد في شرفه عند ملوك العرب ويرفع قدره عند السادات ذوي الرتب ، قلت له ان الملك النعمان بلغه حديث ابنتك وما لها من حسن المناقب ويريد ان يرسل اليك رسوله لاجل ان يخطبها فلا ترده وهو خائب فانك تنال بمصاهرته أعلى المراتب . فما أجابني بجواب ولا خاطبني بخطاب ، والآن اريد ان احقق ما خطر ببالي فان صح ظني وكان عنترة هو الذي جرحني واخذ مالي ورأيت الملك زهير بعينه قلعت آثار الجميع وصنعت بهم أقبح صنيع) .

هذا ما كان من امر الربيع بن زياد واما ما كان من عنترة بن شداد فانه بعد أن قص الملك زهير حديث الربيع على التمام ، كما تقدم الكلام قال : « لقد لقي جزاء بغية ابن الانذال ، وما بقي في الأمر الا اننا نطالبه بما كان على عبلة من المال ، فان اقر بخطئه وقال انه سلب منه حين فقد ماله عذرناه ، وان انكر وجحد اقمنا عليه البينه » فقال الملك زهير : « هذا امر لا بد لنا منه على كل حال حتى يظهر لنا الحق من الضلال » فعند ذلك رجع عنترة الى ابياته ، وقد زادت أفراحه ومسراته وأما بشارة بن منيع ، فقد اشتغل بربابعة عن الجميع .

ولما اصبح الصباح قال عنترة لعمه مالك : قم انت وولدك عمرو وادخلا على الملك زهير ، ولا تبرحا من عنده حتى يطالب الربيع بما كان على عبلة من الجواهر والاموال ، فان قصدي أن اثير حرباً واخلص حقي منه ومن بني شيبان ، غصباً فقال له عمه مالك : « لك هذا » ثم نهض وسار معه ولده عمرو حتى دخلا على الملك زهير وسلما عليه وقدما التحية بين يديه وقال له ابو عبلة : (اتسبي ابنة من الاوطان ويلحقنا العار بين العرب ويضيع حقنا وكأنه ما كان ؟ فاما أن تأمر الربيع وطالبه برد ما أخذ من عبلة واما ان اترك ابن اخي عنترة يخلص لنا حقنا » فلما سمع الملك زهير منه ذلك المقال خاف من اثارة الحروب ووقوع الفتن فأرسل ولده قيس الى الربيع لحسم هذا الامر فركب في خمسين من الابطال فترجل وسلم وقال : (أتيت من اجل هذا الرجل الذي جفا اقرباءه وترك اوطانه تتحكم فيها اعداؤه) ثم قص ما جرى من الربيع وطالبه بما كان على عبلة من المال . فلما سمع الربيع ذلك المقال رجع الى المكر والاحتيال والتفت الى قيس وقال : (لقد علمت ان عبلة رجعت الى اهلها وجمع الله بهم شملها وانا راض باقرارها وقولها فان كانت تشهد بانها رأتني

عندما سبيت من الأوطان او شاهدتني في بني شيبان فيكون ذلك علي اعظم بيان واكبر برهان وحينئذ استحق العقاب والقتل والا فدعوة عنترة كاذبة ليس لها اصل وما قصده الا البغي والقاء الفساد واهاجة الفتن في البلاد وان كان هذا العبد يطالب بمال وجواهر وتحف وذخائر فليطلبها من القوم الذين كانت عبلة في ظلالهم وانا اعلم بأنهم لا يتركون لعنترة اموالهم ولا يصبرون على عبدهم بشارة ولا امتهم رابعه ولا بد ان تاتيكم فرسانهم متسارعة وربما انتصر لهم الملك النعمان وامدهم بابطال العجم وصناديد الديلم وفرسان جذامة ولخم فيند على ذلك ابوك غاية الندم .

خبث الربيـــع

قال الراوي : فلما سمع قيس من الربيع هذا المقال جازت عليه الحيلة وقال والله يا عماه صدقت فيما نطقت والآن قد علمت بان عنترة هو المعتدي في كلامـه ونطقه وقد فتح علينا باباً لا نقدر على غلقه ثم ان قيساً الوى عنان جواده راجعاً على بني عبس فوصل عند غروب الشمس ودخل على ابيه وحدثه بما قال الربيع بن زياد وانه راض بما تشهد به عبلة بنت مالك بن قراد .

وكان عنترة بجانب الملك زهير مع ابيه شداد وعمه زخمة الجواد فلما سمع ذلك استشاط غضبا وتكدر وقال للملك زهير : هذا امر لا يفصل فيه حتى يحضر الربيع وحينئذ نقابل المعتدي على فعله الشنيع وارسل الملك زهير مالكاً يسأل ابنته عبلة عن ذلك فقالت اني ما رايت الربيع في الليلة التي خطفوني فيها من الاوطان حتى ولا في بني شيبان .

وكان بشارة بن منيع من جمـلة الحاضرين ، فالتهب فؤاده غيظا ، ومضى الى ابياته ، واحضر الجبة والعمامة والسكين وجميع ما اعطاه الربيع بن زياد ، في الليلة التي امره فيها بقتل عبلة في تلك البلاد . وقال : ايها الملك اريد ان تجمع بيني وبين هذا الرجل حتى اكذبه واخجله وافحمه بالحجة والبرهان، لان هذا القماش هو الذي اعطاني اياه عند مولاى مفرج بن هلال . وهذه هي السكين التي امرني ان اذبح بها عبلة وادفنها تحت الرمال وذلك بعد ان اقتسم هو ومولاي ما كان عليها من قلائد الدر . والجواهر واليواقيت الحمر ، فاندهش كل من كان هناك من الحاضرين. وقالوا ما يقدر الربيع ان يجحد هذه البراهين . وما فيهم الا من ذم الربيـع ، وتكلم فيه بالكلام الشنيع ، فلما سمع قيس مذمة الربيع بن زياد ازداد غيظاً وركب متن الجواد ، وقال : وحق ذمة العرب الكرام لا بد لي من فصل هذه الاحكام ، ثم انه

سار على عجل وقلبه من شدة الغيظ قد اشتعل ، فوصل الى بني فزارة في نصف الليل فانذهل الربيع من سرعة عودته وسأله عن قصته فقص عليه ما قال عنه بشارة. فلما سمع ذلك صفق بيديه من شدة الطرب وقال : وذمة العرب لقد ظهر مالي الذي اخذ مني والآن لم يبق عندي شك في ان عنترة هو الذي اخذه وجرحني وقد بلغني خبر هذه الصناديق والاموال فسكتت عنها خوفاً من وقوع الفتنة والقتال والآن قد انتهك ستر هذا العبد ابن الانذال وهو الذي امر بشارة ان يقول ذلك المقال ويفعل تلك الفعال وقد انكشفت ظلامتي واتضحت حجتي ولا بد لي من العودة الى الملك النعمان لاخبره بما جرى .. فلما سمع قيس هذا الكلام خف عنه ما كان بـــه من الاحتدام وقال : (والله ما طاب لهذه القبيلة سرور ولا سعود ما دام فيها هـــذا العبد المنكود) .

وما كان كلام الربيع الا عن خبث واحتيال وما زال في حديث عنترة الى ان صار وقت السحر فقال لقيس : (يا ولدي انت رأيت الامر قد تعسر فادعني احضر واضرب بشارة امام ابيك حتى يقر بحقيقة ذلك الامـــر المنكر) ثم ودع قيس الربيع وعاد الى دياره فلما وصل الى الحي دخل على ابيه وحدثه بما سمع فتعجب وتحير ثم دعا عنترة واعمامه وكان قد سمعوا بما دار ووصلت اليهم الاخبار فلمـــا حضروا قال لهم الملك زهير : (استدعوا بشارة بن منيع ليسير معنا الى بني فزاره لمواجهة الربيع) فلما سمع عنترة هذا الكلام اخذ القلق وانفذ خلف بشارة فـــما وقف له على اثر فقال الملك زهير : (ما غاب بشارة الي لأنه كذاب وقد خاف من الضرب والعذاب . ثم عاد الى سرداقه وقد اظهر الغيظ والغضب ورجع الى قراد وقد علاهم الخجل وزاد اللهيب في قلب عنترة واقسم الا يخلص حقه الا بالصارم البتار وبعد ذلك يرحل عن الاوطان ويقصد الملك النعمان ويسقيه كأس الهوان ويهـــد ركن بني شيبان ولا يترك منهم اي انسان فلما سمع شداد هذا القسم قال : (والله ما ندعك ترحل الا ونرحل كلنا معك واينما سرت من الارض نتبعك ولا نقيم في في مكان نرى فيه الذل والهوان ولكن لا تحرك ساكناً حتى ينكشف لنا خـــبر بشارة بن منيع ونبصر نهاية هذه القصة مع عمار والربيع فقال عنترة : (اما بشارة فأغلب الظن انهم خطفوا وقد اصبح اسيرا في بني فزارة في قبضة الربيع وعمارة ولا بد ان اكشف خبره واقتفي اثره) .

وقد ضاق صدر عنترة لأجل فقد وتكدره واخذ به الوسام والفكر واستمر

مدة منعزلاً في الخيام وفي رابع الايام بينما كان عنترة جالساً وحده بين أطناب الخيام اذا بعبد قد دخل عليه وانكب على رجليه وقال له : (يا أبا الفوارس قد اتيت لك بخبر يزيل عنك الهم والكدر ولكني لا احدثك به حتى تضمن لي عتق رقبتي وتجمع بيني وبين محبوبتي) قال له : (قل ما تريد) قال : (ادرك بشارة بن منيع وخلصه من اسر الربيع قبل ان يذهب تعبك ويضيع) فلما سمع عنترة ذلك الخبر فرح واستبشر وزال عنه القلق ثم سأله عن السبب فقال : (ان لهذا حديثاً من اعجب العجب ذلك انه من عجيب الاتفاق بعدما جرى للربيع مع قيس ما جرى واقنعه بتلك الاحوال المزورة قالت له اخوته (لله درك على رجل محتال لقد هذبت المقال واخفيت بياض الحق بسواد المحال واقمت الحجة على ما فقد لك من المال فعليك الآن أن تسير الى الملك زهير وتلقي الفتنة بينه وبين عنترة وتطلب منه تحصيل المال) فقال الربيع : (ان هذا الامر لا يتم ولن إكتفي الا بهلاك ذلك العبد لأنه ما دام في زمرة الاحياء فلا بد أن يكشف امرنا ويجعلنا سخرية بين قبائل العرب) ثم انه الربيع استدعى عبدا له يسمى (مسروق بن مالك) وكان يوصف بالمكر وسلب الحيل والهجوم بالنهار والليل فلما حضر قال له : (ويلك انت تدعي الشطارة واللصوصية والعيارة اريد في هذه الليلة أن امتحن فعالك وابصر اعمالك فان قضيت حاجتي اعتقتك من رق العبودية وزوجتك وجعلتك صاحب اموال وخيول فقال : قل ما تريد ولا تطلب الا ما يعجز عنه كل شيطان مريد) قال (اريد ان تأخذ في صحبتك من تشاء من العبيد وتقصد حي بني عبس وتطوف حول ابياتهم سرا وتأتيني ببشارة بن منيع قهرا لا يعلم أحد بهذا الامر) قال : لك يامولاي ما تريد فأنا اخلص العبيد) ثم خرج من عنده واختار اربعة من العبيد وسار بهم قاصدا ديار بني عبس وكان وصوله اليها عند غروب الشمس .

ومضى العبد يقص على عنترة قصة إختطاف بشارة بن منيع فقال : (وكان الملك زهير قد وفد عليه في ذلك جماعة من أفاضل العرب الأخيار فتلقاهم بالتوفير والإكرام ونحر لهم النوق والاغنام وعمل لهم وليمة حضرها مشايخ العشيرة مع مقدمي الاجناد ووصل مسروق ساعة وليمة الملك زهير فاستبشر بالنجاح والخير واخفى عبيده في بعض الوديان وقصد ذلك المكان فرأى القوم سكارى على شرب الراح ولهم ضجيج وصياح ، فاختلط بهم ووقف مع الغلمان كأنه من جملة الخدم ، واخذ يراقب الجميع ، الى ان وقعت عينيه على بشارة بن منيع فصبر عليه حتى قام

وخرج الى الخلاء ، وهو نشوان من شرب المدام . ثم جلس ليقضي الحاجة ، وكان الليل قد نشر أجنحة الظلام ، فانقض عليه مسروق انقضاض الباشق على أضعف الحمام واستعان برفاقه ولفه في كساه وساروا به حتى وصلوا الى ديارهم عند طلوع الفجر فدخلوا به على الربيع ، ففرح لما رآه ، وانعم على مسوق واغناه ، ثم أمر العبيد ان يحفروا له سرداباً في اطراف الخيام، ويطرحوه فيه حتى يصحو من سكره،فامتثلوا امر الربيع ، ولما كان الصباح امر جارية من مولداته كان قد رباها مع بناته ،ويقال لها تميمة ، وكانت عنده ذات منزلة عظيمة وقال لها اطعميه كل يوم قطعة من خبز الشعير . واسقيه من اللبن غير كثير حتى يعود مولاه مفرج من سفرته ، فأجابته بالسمع والطاعة ، ودخلت على بشارة في تلك الساعة فرأته غائباً عن الوجود وفي رجليه السلاسل والقيود فتمكن حبه من قلبها وأخذ بمجامع لبها فقالت له من تكون يا غلام وما هي قصتك مع هؤلاء فلما سمع منها ذلك حدثها بقصته على التمام وكيف أنه خلص عبلة من يد الربيع ومفرج بن هلال فقالت والله انك عالي الهمم كثير المروءة غيورعلى الحريم فماذاتقول فيمن يخلصك من انياب المهالك ويصطنعك كما اصطنعت عبلة بنت مالك ؟ فقال لها اقدم لك الشكر مدى الايام والسنين واهب لك ما يقدرني عليه رب العالمين قالت انا لا اريد منك مالاً ولا نوقاً ولا جمالاً وما اريد الا ان تعاهدني على الوفاء وحفظ الذمام وتكون لي حبيباً على طول الايام فلما سمع منها هذا الكلام وقال لها وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ان اصرف بقية عمري في خدمتك واقوم بحقوقك وحفظ حرمتك .

عند ذاك تقدمت اليه وحلت الوثائق وقد صار عندها من اعز الاحباب والعشاق ثم جاءت اليه بالمأكولات والمشروب وكشفت عنه تلك الكروب واستمرت على ذلك ثلاثة أيام وهو في انبساط واكرام . وكانت كلما سألها الربيع عنه تقول يا مولاي طب نفساً وقر عيناً فاني لا اغفل عنه ولا أكشف أمر لاحد .

وفي اليوم الرابع سألها بشارة العودة الى بني عبس ، والخلاص من ذلك الأسر فقالت له امهلني حتى أدبر لك هذا الامر كما تريد ولا يعلم بنا أحد ، ثم انها اجتمعت باخ لها يقال له جمعة وكان يعشق جارية من بني عبس اسمها سعدى وكان لا يقدر على الوصول اليها فكان يأتي إلى اخته ويقص حديثه عليها فقالت له ماذا تقول فيمن يزوجك بمحبوبتك في الحال ومعها بعض النوق والجمال ؟ قال اكون عبداً مدى الايام فحدثته بحديث بشارة ، وقالت ان الربيع وضعه في ذلك السرداب وغطاه

برحال الجمال والاقتاب وامرني ان اقدم له الطعام والشراب وقد رق قلبي له لما هو فيه من الحزن والاكتئاب فان كنت تريـــد بلوغ قصدك ومرادك والوصول الى امنية قلبك وفؤادك اقصد عنـترة وادخل عليه وحدثه بخبر بشارة بن منيـع وانه في اسر عمارة والربيـع .

فاطمأن قلب جمعة وطابت منه النفس وسار من وقته طالباً ديار بني عبس وها هو جمعة الآن بين يديك يا فارس الفرسان وقد جئت لاخبرك بامر بشارة بن منيع واصف لك ذلك السرداب الذي سجن فيه فان الربيـع قد ســد بابه بالرحال والاقتاب .

فلما سمع عنـترة منه ذلك انشرح صدره وزالت عنه الهموم وقال له ابشر بالخير يا ابن العم .

قال الراوي : وكانت محبوبة ذلك العبد جارية لرجل من جماعة عروة بن الورد فارسل عنترة اليه واحضر بين يديه وطلبها منه فاحضرها في الحال ومعها بعض النوق والجمال فزوج عنترة الجارية بذلك الغلام وأتحفه بالمـال والانعام ثم اسرع عنترة الى ابيه والى من معه ممن يلوذ به ويواليه وقال لهم :

لقـد ظهر خبر بشارة وهو الآن في ديار بني فزارة في اسر الربيـع وعمارة وانا اقسم برب العباد الذي أهلك قوم ثمود وعاد ان لم ينصفني الملك زهير من الربيـع بن زياد لاعرفنه من هو اقدر على الشر والعناد ولا بد ان اذل رقاب الاعداء والحساد وارمل منهم النساء وأيتم الاولاد وآخذ حقي بحد السيف .

وساروا الى الملك زهير وسلموا عليه فرد عليه السلام وأكرمهم غاية الاكرام فقال مالك ابو عبلة : اعلم ايها الملك المعظم انني منذ أيام تمثلت بين يديك في هــذا المقام وعرضت عليك قصتي وطلبت منك المساعدة في استرداد مال ابنتي فاتهمتني بقتل بشارة وصدقت فينا كلام الربيـع وعمــارة والآن تحققنا ان بشارة في حبس الربيع يقاسي العذاب الشنيـع ونريد ان تعاملنا بالانصاف والحق وتجازي المعتدي على قدر ما يستحق .

فلما سمع الملك زهير هذا الخبر استشاط غضباً وتكدر فقال عنــترة ايها السيد المفضال انت تعلم بخبث الربيـع وما فيه من المكر والاحتيال فلما رأى من بشارة ما لم يكن له في بال خاف من انكشاف امره فاحتال عليه حتى اوقعه في الاعتقال قال الملك زهير وهل مرادك ان تســير الى بني فزارة وتطلق السيف في القوم من



(وصار عندها من اعز الاحباب والعشاق وجاءت اليه بالمأكول والمشروب) ،

اجل بشارة فقال وحق الملك الديان يا ملك الزمان لن اخرج بكلامي مع القوم عن حدود الادب ، ولن اظهر لهم شيئاً من الغيظ او الغضب ، غـــير ان مرادي ان

الطالب الربيع بمالي فاذا امتنع واحتشد له بنو فزارة وطلبوا قتـالي حينئذ اكون مضطراً الى المدافعة عن حقي ، وان شئت فارسـل معنا من يشهد علينا وعليه ، فعند ئذ نهض شاس واخوه مالك وقالا : ايها الملك نحن نسير مع هؤلاء القوم ، ولا نعود حتى يفصل في الامر فاذن لهم وقال : اذهبا واسمعا مـا يدور قبل ان يعظم الامر فركبوا واخذوا في صحبتهن خمسين رجلاً من الابطال وركب عنـترة مع اعمامه وعروة بن الورد في عشرين من رجاله ، فلما صاروا في اطراف البيوت قال عنترة لعروة يا صاحب المروة والنخوة اريد من فضلك واحسانك ،ان ترسل في طلب خمسين رجلا من أخلص فرسانك وتأمرهم ان يلحقوا بنا ويمكنوا في وادي اليعمورية حتى تري كيف تنتهي هذه القضية فاني اعلم بحماقة حذيفة بن بدر ، وما هو فيه من الخبث والغدر فاجابه بالسمع والطاعة وارسل في طلب الرجال من تلك الساعة .

قال الراوي وبعد ذلك سار القوم يقطعون القفار ، حتى اقتربوا من تلك الديار ، فلما ارتفع غبارهم وظهر ، قـام فرسان بني فزارة ليكشفوا الخبر ، وفي اوائلهم حذيفة والربيع بن زياد وجماعة من المشايخ ، ومـا خرجوا من المضارب حتى اشرقت عليهم فرسان بني عبس ، ولما وقعت العين على العين ، وتبادلا السلام قال الربيع لعنترة : « اهلا وسهلا يا ابن زبيبة ، هل ندمت الآن على افعالك القباح ، واتيت تعتذر لنا وتطلب السماح ? فقـال له عنترة : يا اخبث العرب ، وقليل المروءة والادب ، من هو الذي فعل القبيح، الا الذي اسلم ابنة عمه الى الغرباء ويلك كم مرة خلصتك من انياب المعاطب ، وكشفت عنك الاهوال والنوائب وانت مع ذلك لا ترجع عن الخبث والفساد ? والله لسوف تكون سبباً في محو آثار بني زياد ، فقال الربيـع :«هذا الكلام لا اصل له ولا أريد ان اسمع به ، ولا اقبله ، فلو كنت مخلصاً لرددت لي مالي الذي اخذته واحضرت بشارة الذي ادعى انني رشوته ، فقال عنترة لاولاد الملك زهير « اشهدوا على ما قاله الربيـع » ثم انه همز بالجـواد حتى وقف على باب السرداب الذي فيه بشارة بن منيـع ، وقال لأخيه شيبوب : انزل الى هذا المكان ، واخرج ذلك المسجون » .

فلما علم الربيـع ان امره انكشف ، خفق فؤاده من شدة الخوف وارتجف ، والتفت الى حذيفة بن بدر وقال : ايها الامير . هل تقبل هذا الذي جرى ، وانت تشاهد وترى ! فوالله ما اتى هذا العبد الا وهو يريد نهب اموالنا وسـبي حريمنا وعيالنا ، ونحن في جوارك ، ونازلون بدارك ، فلما سمع حذيفة كلام الربيع اخذته

الحمية ، وعصفت برأسه النخوة الجاهلية ، فعاد الى ابياته وغاص في سلاحه ، وتأهب بعدة حربه و كفاحه ، ثم صاح في قومه ، فركب معه ستمائة نفر من أهـل القوة والشجاعة ، وركب معهم الربيع وعمارة ، وتبعتهم النساء والعبيد بالعصي والحجارة وهجم حذيفة بفرسانه فامتلأت الارض بالضجيج والصياح ، ولمعت السيوف والرماح هذا وعنترة واقف على باب السرداب كانه أسد الغاب ، حتى خروج شيبوب بيشار ابن منيع امام الجميع ، وسار به مسرعاً الى وادي اليعمورية ، عندئذ هجمت الخيل على عنترة ، فتلقاها بقلب جسور ، وهاج كما تهيج فحول الجمال ، وقـال لاولاد الملك زهير انتم ملقون من السلاح فلا تباشرون القتال ، وانظروا ما يجري بيني وبين هؤلاء الانذال ، ثم الوى عنان جواده ، ولعب برمحـه الاسمر ، وهمهم وزمجر واستقبل اول العسكر ، وحمل على اصحاب الخيول فمزق بسيفه الدروع ونـثر الرقاب على الارض كما تنثر الشجرة اوراقها ، فلما راى اعمامه مـا فعل ، اقتحموا الغبار وقاتلوا قتالا يذهل الالباب .

خدعة شيبوب

وابصر حذيفة من عنترة طعناً يخطف البصر ، وضربا لا يبقي ولا يذر ، فانذهل وتحير ، وهجم عليه هجمة الوحش فتلقاه عنترة وزمجر في وجهه كما تزمجر الاسود ، واخذ في الطعن والصدام ، والمفارقة والالتزام ، الى ان كل حذيفة ومل ، وهان بعد عزة وذل ، فعند ذلك هجم عليه عنترة هجوم الذئب على الغنم ، وضرب رأس فرسه بالسيف فبراه كما يبرأ القلم ، فوقـع حذيفة على الارض وانحطم ، وايقن بالهلاك وعض على كفيه من شدة الندم فصاح فيه عنترة : قم يا ويلك واطلب قومك واهلك ولا ترجع الى قتالي فتهلك فعند ذلك احاط بحذيفة جماعة من قومه وحملوه الى خيامه ووقعت هيبة عنترة في قلوب الرجال، الا ان الربيع اخذ يحرض الفرسان على القتال ، فاطبقوا على الفرقة العبسية .

ولما رأى ابناء الملك زهير شدة الحرب خافا على عنترة من غوائل الطعن والضرب واطلقا اعنة خيلها وطلبا أباهما ليعلماه بالقضية ، وعبرا في طريقهما وادي اليعمورية وقال لرجال عروة : (ادركوا مقدمكم وعنـترة لانهما في حالة الخطر) فخرجوا يتسابقون الى بني فزارة ، كانهم الطيور الطيارة ، وكان شيبوب قـد وصل اليهم

ببشارة فتركه في الوادي وكر راجعاً مع الفرسان ، حتى اشرفوا على ذلك المكان فرأوا الخيول متركة والفرسان على ظهورها مشتبكة وعنترة في ضيق الخناق وهو يطعن في الصدور والأعناق فاقتحموا معركة الكفاح وهزوا في ايديهم الرماح ووردوا الحملات وهتكوا صدور الفرسان ونثروا رؤوس الأبطال وكان الربيع قد ضايقه عنترة كل الضيق وسد عليه كل مذهب وطريق فلما رأى ذلك خاف على نفسه من الهلاك فارتد الى الوراء وهرب الى جوانب الصحراء فطلبه عنترة وأطبق عليه وفاجأه وطعنه بعقب الرمح في قفاه فكسر له ضلعين والقاه عن جواده الى الأرض فغاب عن الوعي من تلك الطعنة وما افاق حتى كان عروة قد شد وثاقه وربط ساعديه .

فلما رأى عمارة ما حل باخيه هدر وزمجر ، وطار من عينيه الشرر ، وهجم على عنترة فرمى شيبوب جواده بنبلة فوقع على الأرض ، وسارع شيبوب فادار يديه الى الخلف ، وقد استرخت منه المفاصل ، وما زال عنترة يقاتل ويتلقى بصدره أسنة الرماح حتى فرق الكتائب ونكس المواكب .

قال الراوي : وبعد ذلك ولت بنو فزارة على ادبارها ورجع عنترة بمن معه ظافراً منصوراً الى ان وصلوا الى وادي اليعمورية ، وكان بشارة في انتظاره هناك ليرى على اي حال تنتهي الموقعة ، فلما وقعت عينيه على بني زياد ، وهم في القيود والأصفاد فرح الفرح الشديد وتقدم الى عنترة وهنأه بالظفر والنصر ، ودعا له بالنجاح وطول العمر ، وقال : « اريد منك يا سيد الابطال ، ان اسبقك الى الاطلال ، وفي صحبتي هؤلاء الانذال ، حتى اشفي غليل فؤادي ، وانال منهم غاية مرادي ، وتراهم مولاتي عبلة في هذا الهوان » فأذن له عنترة بذلك ، فسار بهم وقد جد في قطع الطريق وهو يضربهم بالسياط ، حتى مزق جلدهم شر تمزيق ، وسار عنترة بعد ذلك سير الامان ، حتى قرب من الأوطان ، فالتقى الملك زهير وهو قاصد ديار بني فزارة وغطفان ليكشف عن حقيقة الخبر لانه كان قد سمع من ولديه شاس ومالك بما جرى على عنترة فلما التقى به قص عليه قصته .

قال الراوي : لما وصل بشارة بن منيع الى الحي بني زياد وفي ارجلهم القيود والاصفاد ، نادى هذا جزاء من يسبي البنات ، ويبعدهن عن الأوطان والأبيات ،

وبلغ الامر قيس ذلك الخبر فاستشاط غضباً وتكدر ، فنهض في الحال بجمهور من الفرسان ، وقصد ذلك المكان ، فلما رآه الربيع صاح : « واحرباه يا بني الاعمام، من جور العبيد على السادات ، لقد هانت اقدارنا حتى صرنا نضرب ونهان ويحل بنا الذل والهوان ، اين نخوة الرجال النجباء ، والودة الأهل والأقرباء ؟ » فاسود النهار في عيني قيس حتى صار كالظلام ، وهجم على بشارة بن منيع وضربه ببطن السيف ، ثم نزل عن ظهر جواده واطلق الربيع واخوته وطلب ابيات بني قراد ليشفي منهم غليل الفؤاد ، واذا بأبيه قد اقبل مع عنترة بن شداد ، وعروة بن الورد وباقي الفرسان ، وصاح في قيس وقال له : «ما هذا الجهل بعد الشهامة والعقل ؟ » فقال قيس : « واي عقل يبقي للانسان، اذا رأى سادات قومه في حالة الذل والهوان ثم تقدم اليه وقص عليه ما فعله بشارة ، فلما سمع الملك زهير ذلك الخبر خاف من وقوع الفتن فقال لعنترة : « لقد افتريت وظلمت وتعديت فارحل الآن بقومك من هذه الديار : قال اني راحل الآن بقومي من هذه الساعة ، فان قررت خلصت مالي بحد الحسام ، ثم التفت الى ابيه واعمامه وقال لهم هدوا اطنابكم ، وارحلوا معي من هذه الديار حتى يرتاح قلب الملك زهير منا ، ويبلغ الامير قيس بحمية الربيع مايتمنى»

قال الراوي : فلما فرغ عنترة من هذا الكلام ، اتجه مع عشيرته الى خيامهم ، واذا بالصياح قد ارتفع ، والنهب في ابيات بني عبس قد وقع فاتقدت علينا عنترة من الغيظ وقال : « لقد اظهر لنا العداوة بنو عمنا وظلمونا لاننا حلمنا عليهم ، ولهذا جروا علينا سيوفهم ، وعولوا على أن يلقوا في احيائنا الشر الفظيع ، اطاعة لقيس والربيع » ثم ان عنترة ومن معه سلوا سيوفهم، واندفعوا ليردوا عدوان بني زياد .

وكان السبب في هذه الاثارة ، الربيع واخوه عمارة وذلك ان عمارة بعد ذهاب قيس من هناك ، تمثل محاسن عبلة فهان عليه الهلاك ، فدخل منازل بني قراد لعله يجد عبلة ، أو من عبلة قبلة ، ودخل معه اخوه الربيع فوجد شيئاً من الأمتعة التي استجلبها معه من العراق منشورا هنالك فقال : « يا للعرب هذه أمتعتي التي اخذت مني » ووجد الصناديق عليها الأقفال ، فحركها فوجدها ثقيلة فقال : « المال الحلال » فلم يضع شيء منه وقد ازداد مال بمال ثم نظر لجماعة من العبيد وقال لهم هذا مالي ، دونكم اياه فان الملك النعمان أعطانيه وقد أخذه هذا العبد . فاذهبوا به ولكم فيه نصيب كبير ، فلما دخلت العبيد لأخذ المال تصايحت النساء فسمعهن

عنترة ومن معه وجاء وانكشف الخبر .

ورأى الملك زهير أن الفتنة كادت تشب ، ونار الحرب تكاد تلتهب ، فصاح في اولاده قائلا . اسرعوا الى بيوت بني قراد . وفضلوا بينهم وبين بني زياد ، ودعوا عنترة يرحل عنا بسلام قبل ان تقع الفتنة » فقال قيس : « انا اضمن رد بني زياد » وقال شاس ومالك : « نحن نضمن رد بني قراد ، وعنترة بن شداد » ثم اسرعوا على ظهور الجياد وادركوا الفتنة قبل الاتقاد ، وردوا عنترة بعد ان كاد يمعن قتلا في بني زياد ثم قال له شــاس : « يا ابا الفوارس ، ان فراقك عندي كفراق الروح للجسد ، ولكن ما لقضاء الله من رد ، فلا تيأس لان بني عمك قد عول كل منهم على ان يتبعك ، وانت تريد عبلة وهي معك ، وانا اعلم ان ابي سوف يندم على هذه الفعال » فقال عنترة : « لقد أخذت مال الربيع والآن رجع اليه وأخذ مـالي ايضاً فصار الجميع بين يـديه ، ولكنه سيرى كيف اخلصها منه ولو احتمى بالملك النعمان » فقال شيبوب : « يا أخي بارك الله للربيع في الصناديق وما فيها ، ظهرها وخافيها » فقال عنترة « ومـا معنى هـذا » فقال : لان الصناديق ليس فيها مـال بل فيها حجارة ورمال ، وذلك ان شيبوب لما أخذ الربيع وعمارة سار بهما من وادي اليعمورية فلما دخل بهما بشارة على المضارب سبق شيبوب وأفرغ الصناديق وخبأ مـا فيها من الأموال وملأها من الحجارة والرمال وبقيت حتى رآها الربيع ثقيلة ففرح وقال قد زاد مالي بمال .

ولما وصلت الى بيت قيس فتحها الربيع فلم يجد شيئاً ممـا كان يتمناه فقال : « هذا فعل شيبوب قبح الله وجهه واخزاه » .

في وادي الرمـــال

هذا ما كان من الربيع بن زياد واما ما كان من عنترة بن شداد فانه امر العبيد ان يشدوا الهوادج على الجمال ويشيلوا النساء والعيال ، وقـد نادى عروة بن الورد في رجاله بالارتحال ، فلم يمض غير ساعة من الليـل حتى صاروا على ظهور الخيل ، وارسلوا قدامهم الملل والنساء ومشوا وراء القافلة لحمايتها ، فتقدم شيبوب امام الخيل وسارت تتدفق مثل السيل ، وتأخر عنترة ، وعروة بخمسين فارسـاً احتراساً ممـا قد يقع ، ثم قال عنترة لابيه واعمامه : « تقدموا انتم ، اما انا فسأذهب الى بني فزارة لكي اسوق أموال الربيع وعمـارة ، واجازيهم على ما خسرونا بأعظم خسارة ، ثم نلحق بكم فانه مـا يشفي قلبي إلا ضرب الحسام ، في أعنـاق هؤلاء اللئام ، ثم صبر

حتى تبلج الصباح وتبسم بنوره ولاح وسار حتى أشرف على مراعي بني فزارة ، وشن عليها الغارة ، وامر عروة بن الورد ومن معه من الرجال ، ان يسوعوا ويسوقوا المال ، فساقوا الأموال مجدين ، فقال عنترة لعروة : (دع ثلاثين فارساً يذهبون مع المال والعبيد وانا وانت نقف هنا على مهل) فامر عروة الرجال ففعلوا كما اشار واقاما هناك .

وكان قد وصل الى بني فزارة وبني زياد الخبر بان المال قد صار في يد عنترة بن شداد فركب (حمل بني بدر) مع بني فزارة وركب بنو زياد مع من حضر من الأبطال ، أما حذيفة فانه كان لم يزل ضعيفاً من الوقعة الاولى لما ضرب عنترة رقبة فرسه فتأخر عن الركوب وارسل اخاه حملا ليسد غيبته وركب من الفرسان نحو ستمائة فارس وساروا كالاسود ، وركب مع الربيع من اخوته اربعة ، وسارت الخيل وراءهم متتابعة ، ولما اقبلوا على عنترة هجم عليهم كالأسد المظفر وما مضت الا مدة يسيرة حتى القى منهم على الارض فرساناً كثيرة ومال عليهم عروة بن الورد بفرسانه فترك اكثرهم على الارض ، فلما رأى حمل بن بدر ذلك المصير وكان ممن يوصف بجودة العقل والتدبير ، قال لقومه (يا بني عمي انتم تعلمون ان عنترة بطل همام وانه في كل حرب مقدام وبينه وبين بني زياد عداوة لا تخمد ، وكل من دخل بينهم خسر ، ولو علمت ان عنترة هو الذي أخذ المال لما خرجت له ولا تعرضت لقتاله ، لأنه رجل لايخشى الموت والصواب اننا نعود ولا نتعرض له بقتال) ، فقال اكثرهم هو الصواب والرأي الذي لا يعاب ، فرجع حمل وقومه ومن معه من الرجال ، وتركوا بني زياد في ضنك من تلك الحال فبلغ عنترة مراده . وفعل كل ما اراده ، وقتل منهم ثلاثين فارساً مقداما وتركهم على الارض حطاماً ، فارتد بنو زياد على الاعقاب . وتشتتوا فرجع عنهم عنترة ، وسار قاصداً ارض بني مالك ، لانه امر قومه بالنزول هناك . ولما وصل قام للقائه جميع بني قراد وهنأوه بالسلامة من الحروب والجلاد . واخذ يخبرهم بما فعل في بني زياد .

واقاموا جميعاً يتشاورون على النزول في محل منيع بين تلك الجبال فقال عنترة : « لا بد لي ان أقصد بلاد العراق . وانزل على الغدران القريبة من تلك الآفاق . حتى أقرب الى بني شيبان . وافني منهم الشيوخ والشبان » فقال شداد : « الا تخشى يا ولدي من الملك النعمان ؟ » فاجابه لا وحق مكون الاكوان . وملون الألوان . ولا اخشى كسرى انو شروان فقال شيبوب ، ان رمت هذا المرام .

فسيروا حتى انزلكم في جبل الردم ووادي الرمال. الذي اذا وقف على بابه عشرة من الرجال يستطيعون أن يحموا أنفسهم ومن معهم من ألوف من الأبطال . فقال شداد: لقد أشرت بالرأي الصواب يا شيبوب لاني سمعت بهذه الجبال والوديان وان الخائف يأمن فيها من طوارق الحدثان . وفي نصف الليل ساروا طالبين الوادي الذي ذكرناها والجبال التي وصفناها وهي جبال عالية شاهقة وفي جنباتها كهوف وأشجار . وتكثر فيها الوحوش والسباع . وليس لذلك المكان الا طريق واحد عسر السلوك . وبينها وبين منازل بني شيبان سبعة ايام على مسير الفرسان. فلما وصلوا الى هذا المكان ، انزلوا الحريم والعيال في تلك التلال . ودخل عنترة تلك الشعاب . ورآه اعمامه وعروة ورجاله كاسود الغاب . فرأوا الوحوش تسعى في تلك الجوانب . والاسود مختلطة بالثعالب . فقال عنترة: هذا المكان لا يصلح للمقام. الا اذا كنا نطلق النار بضعة ايام ثم امر العبيد فاطلقوا النار في جوانبه الاربعة . ففرت الوحوش من تلك النيران المفزعة . واحترق جميع ما كان هناك من الذبابات اللاذعة ودامت تلك النيران خمسة ايام على الاستمرار حتى اصبح ذلك الوادي كجهنم . وبعد ما خمدت دخلوا تلك الجبال وضربوا خيامهم فيها على أحسن حال وقبل أن يتم لهم هناك نهار ، استأنست نساؤهم وعيالهم بالديار . وعندئذ قال عنترة لابيه شداد اريد ان اقصد بني شيبان الاوغاد ، وأجازيهم على فعلهم هم والربيع بن زياد ، فقال شداد : « بكم فارس تريد أن تسير ? » فقال عنترة : بمائة فارس من المشاهير قال شداد : ليس هذا بصواب . لانهم في خلق كثير ، وجمع غفير . بل سر اليهم بمائة وخمسين من الابطال . وأترك من تبقى هنا لحفظ الحريم والعيال فانتخب كما قال ابوه مائة وخمسين من الفرسان وسار بهم يقطع البراري ومعه عروة بن الورد .

هذا ما جرى لهؤلاء اما ما كان من مفرج بن هلال ، فانه عاد من عند كسرى ومعه كثير من المال والخلع الحسان ، وفي رجوعه دخل على الملك النعمان واقام عنده مدة من الزمان ، وحدثه بما جرى في أرض خراسان ، ثم رحل عائداً الى الأوطان ، وأخذ معه ثلثمائة حمل شراب من خمر العراق. الذي صفا وراق ، وصار اشف دموع العشاق وجد في المسير الى ان وصل إلى أرضه وقومه ، فعلم ابن عمه حسان بقدومه فخرج للتقاه ، وقبل أن يسأل مفرج عن أهله سأل عن عبده بشارة ، فقال مالك بن حسان انه رجع الى خساسة اصله ، وعمل اعمالاً لم يعملها أحد من قبله . فاحمرت عينا مفرج وقال : ماذ افعله يا ابن العم قال انه لم يقم بعد رحيلكم

إلا عشرين يوماً ، ثم ادعى انه اتاه رسول بكتاب منك تامره فيه بان يأخذ جميع مالك . ويسير معه محملا على جمالك وما وقفنا له بعد ذلك على اثر ولا سمعنا عنه أي خبر ، الا أنه في هذه الأيام اتانا كتاب من الربيع بن زياد ، يخبرني بان بشارة مقيم عند عبد بني عبس عنترة بن شداد . وقد رد عبلة اليه ، وسلم جميع ما معه من الأموال اليه ، وهو هناك في أحسن حال . ويتمتع بقرب محبوبته رابعة . فلما سمع مفرج هذا الكلام غاب عن الوجود ، حتى ظنه القوم انه مفقود . ثم افاق وصار من تعجبه وغيظه يصفق بيديه ، وقال : « كيف ظهرت عبلة في بني عبس بعد ان قتلناها ودفنت في الرمس » فقال مالك : لا ادري كيف تم ذلك فقال ابن عبد العزى سنان وهو حامية بني شيبان : « اری ان عبدك ما قتل عبلة ولا دفنها . وانما حدثك بالكذب ، وصبر حتى سافرت . وسلمته خزائن الأموال فأخذها وفر هارباً » .

واقام مفرج في الحي ثلاثة ايام ورجع الى الملك النعمان ، وهو في غاية الغيظ والاحسان ، وسارت تتبعه بنو شيبان ، ولما وصل الى الحيرة دخل على الملك النعمان فقال الملك النعمان : ما سبب هذه العودة ؟ فأعلمه بقصته وما جرى في اثناء رحلته وكيف أخذ عبده بشارة ماله وسار الى عنترة بن شداد ، واحتمى به فقال له النعمان : انت تعلم اني ارسلت اخطب المتجردة بنت زهير ، والى الآن لم أعلم ماذا تم للربيع في هذا المسعى ، وقد اوصيته ان يطعمه بالمهر ولو طلب خزائن قارون ، ويرسل الي الأخبار والآن لست ادري ماذا كان رد زهير على هذا الطلب . ثم ان النعمان استحضر كاتباً من جماعته وامره فكتب للملك زهير من وقته وساعته : «لقد بلغني ان عندك عبداً يقال له عنترة ، قد خرج من رق العبودية واستكبر ، وطغى وبغى وتجبر وقد صرت تجيز له الزمام ، وتناديه كما تنادي أبناء الأعمام ، والصواب ان تتبع سنة الملوك ، وتستحضر ذلك الصعلوك ، وتأمره ان يرد لمفرج عبده وجماله والا جازيناه بقبيح عاله وارجعناه الى رعي نوقه وجماله ، وبعد ذلك اطلب مهر ابنتك ما شئت من المال .والنوق والجمال ولا ترد رسولي بهذا الكتاب الا بالايجاب وهذا افضل لك وهو الرأي والصواب ، ثم ختمه وارسله مع نجاب .

ولم يزل النجاب يجوب الجبال والتلال حتى اقبل على حي بني عبس وكان يوم وصوله بعد مسيرة عنترة بيومين ، فدخل على الملك زهير وناوله الكتاب ، فلما قرأه اخذ منه الغيظ والغضب ، وقال للنجاب : ان ما ذكره مولاك عن عنترة مستحيل ، وان الرجال الان لبس عندنا ولا في احيائنا ، فقل للنعمان ان وقع له على اثر فليقتله ،

لاننا سمعنا انه رحل لأرض العراق ، ليشن الغارة على اهالي تلك الآفاق ، وامـــا المتجردة فانها لا تصلح للزواج ولا تستحق الطلب واللجاج . ولو كانت تصلح مـــا كنت اغربها عن الاوطان ، ولا اترك احداً يتحكم فيها باليد واللسان وبعد هذا الخطاب لا حاجة الى جواب ولا كتاب .

ثورة النعمان

قال الراوي : فلما عاد الرسول الى الملك النعمان اخبره بما قال الملك زهير من الكلام فزاد بالنعمان الغيظ وقال : هذا جواب رجل قليل الادب كثير العجب سريع الغضب ، وانا وحق ذمة العرب لن اتزوج ابنته الا بعد ان افني اهله وعشيرته واما عبدهم عنترة فلا بد ان يظهر خبره في بعض البلاد ، فأسعى اليه واصلبه مع من تبعه من الأهل والاجناد .

ثم دعا بأخيه مزيد ، وكانت العرب تلقبه بالاسود ، لانه كان سفاك دماء ، وأخبره بكلام الملك زهير ، فتبسم الاسود لذلك ، وكان تبسمه من الغيظ وقال : ايها الملك ارسلني الى بني عبس وعدنان ، وانا اسحب لك الملك زهير وقومه بحبال الذل والهوان حتى لا تقول العرب ان الملك النعمان خطب بنت الملك زهير فلم يقبله ابوها خاطباً ورد رسوله خائباً » فلما سمع الملك النعمان من اخيه هذا الكلام جهزه وسيره في عشرين الفا من الابطال العظام وارسل عشرة من العبيد يطوفون في القبائل ويسألون عن عنترة .

وبعد مسير الاسود بساعة من الزمان ، ثار غبار ظهرت من تحته فرسان هاربة نحو الحيرة ، فتقدم الملك النعمان نحوهم والى جانبه مفرج بن هلال ، فسمعهم ينادون « اجرنا يا ملك الزمان ، فتبينهم فاذا هم من بني شيبان ، وهم بنو عمه وقبيلته واهله وعشيرته ، فقال لهم : يا ويلكم من فعل بكم هذه الفعال ? فقالوا : « هم بنو عبس كبسونا في الظلام ، ونحن سكارى نيام وفتك فينا عبدهم عنترة واخذ الاموال والانعام ، فقال مفرج وقد لطم وجهه ورأسه : وكم كان مع هذا الشيطان ? حتى فعل بكم هذه الفعال ? فقالوا « ما رأيناه الا مع نفر قليل من الرجال » فقـــال الملك النعمان ، وقد اسودت الدنيا في عينيه ، ولم يعد يعرف ما بين يديه . هل لا تعرفون اي طريق طلب هذا الجبان ? فقالوا لا والله يا ملك الزمان لاننا ما انتبهنا الا على صياح النساء ، واغلب الظن انـــه سار على طريق جبـــال الدوم ووادي الرمـــال .

فطيب الملك النعمان قلب مفرج بن هلال وقال له : غــداً سر في طلبه انت وجميع بني شيبان ، وخذ معك من اردت من الشجعان والفرسان ثــم عادوا الى الحيرة ، وباتوا في القلق والحيرة . ولما اصبح الصباح ، وجمع مفرج خمســة الاف فارس طالباً بلاده . ولم يزل سائراً بمن معه حتى اشرف على الديار . فرآها قفراً من القفار . ثم رأى المضارب والخيام .على رؤوس الروابي والآكام والنساء نوائح نوادب على ما جرى عليهن من المصائب وقصد كل من الابطال ابياته وافتقد حريمه وبناته فوجدوا ديارهم قد خرجت الا الابد ولم يبق ممن يغزو عليهم أحد فجمع مفرج المتخلفين من الرجال فكانوا تسعة آلاف فأخذهم وسار قاصداً جبال الدوم ووادي الرمال.

قال الراوي : وكان السبب في خراب ديار مفرج ان عنترة لمــا سار في وادي الرمال . بعدما حصن الحريم والعيال. قصد ديار بني شيبان حتى اشرف على حيهم فنزل واستراح وارسل اخاه شيبوبا يكشف له الاخبار ، فسار شيبوب من وقته وساعته وما غاب غير قليل حتى عاد وقال : « ابشر بالغنيمة يا ابن شداد » فانه لا يوجد في الحي أكثر من الف فارس ، وكلهم قد شغلهم الشراب في الصباح والمساء ولا احد منهم وعيان أحسن الدهر ام ساء ؟ وعند ذلك ركب عنترة وركب وراءه الابطال. وجرى شيبوب قدامهم كأنه الاسد الرئبال ، حتى لاحت نيران بني شيبان في الظلام فتفرقوا ثلاث فرق ودخلوا المشارب ، وصاحوا بهم من كل جانب ، وبذلوا فيهم الرماح والقواضب وفي أقل من ساعة نزل ببني شيبان البلايا والمصائب . وغنم عنترة كل ما كان يملكه مفرج بن هلال وسنان ، ومالك بن حسان ، واخــذ من نساء مفرج ثلاث نساء واربع بنات ، ومن نساء بني عمه واخوته أربعين من الحسان الموصوفات وكسب بنو قراد غنيمة من نوق الجمال ، وجــدا في المسير الى جبال الدوم ووادي الرمال . حتى بقيت مسافة يومين بينهم وبين تلك الجبال ولما وصلوا الى أرض محرقات الجوانب ، اذا هم بغبار سد المشارق والمغارب ، فلمــا دنت الفرسان أخذوا يصيحون يا لعبس يا لعدنان . . .

فرسان الربيع

قال الراوي : وكان هؤلاء الفرسان هم رجال الربيع واخوة عمــارة واتباعه حذيفة ، وقد جاءوا لأخذ الثأر من عنترة واستعانوا بفارس مشهـور من بني مرة اسمه ظالم وكان ظالم فارساً جباراً ، وبطلا مغواراً . افتخر على العرب بسيف قد ورثه من أبيه عن جده وكانت العرب تسمي ذلك السيف ذا الحيات . لانه كان اذا

ظهر تلمع فيه صور حيات » ولما اشرفوا على وادي الرمال وظهر غبارهم لبني عبس رآهم العبيد الذين تركهم عنترة عند العيال . فركب شدادوالمائة والخمسون فارساً ، وانقلب الوادي بصراخ الاماء والنساء . والعبيد والغلمان . وخرج الرجال قاصدين الشعاب . للطعن والضرب واصطدمت الفرسان بالفرسان وتطاعنوا بكل رمـــح وسيف وسنان وتقدم ظالم بسيفه ذي الحياة ، واخذ يجندل به الابطال والسادات وما تنصف النهار حتى تم نصر بني مرة وفزارة وبات بنو قراد ومن معهم اسارى واخرجوا الجميع من تلك الجبال . وساقوا الحريم والاموال ووقع بشارة بن منيع في يد الربيع ، فضربه الضرب المؤلم . وعذبه العذاب الشنيع وصار يحرض مالك ابا عبلة . ويظهر له الشماتة ويقول هذا جزاؤك على تركك أهلك . واتباعك هذا العبد الذي اوصلك الى الهلاك .

قال الراوي : ولم يزالوا يقطعون البراري والاكام . الى ثاني الايام وعندما بدا الصباح التقاهم عنترة ومعهم ممّن سبي بني شيبان ما يشبه الغمام ولما التقت العين بالعين والتطم غبار الفريقين ضجت العبيد بالصياح . وسمع عنترة بكاء النساء والنواح. فقال لعروة ومن معه من الرجال بعد ان اقاموا جماعة للمحافظة على الحريم والعيال. وكان عمارة قد وصل الى الربيع ورفقته واعلمهم بقدوم عنترة ، فصاح الربيع بمن معه من الرجال ، أن يأخذوا الاهبة للقتال ففرح ظالم بذلك الخبر العظيم وقال هذا هو يوم الظفر بالعبد الزنيم . ثم اطلق لجواده العنان وتبعته الفرسان واذا بعنترة قد التقاهم وهو يقول « لقد ارحلتموني عن أهلي وانفقتم على قتـــلي انتم وبنو فزارة وذبيان وسبيتم المال والنساء فابشروا بالموت الزؤام » .

وبينما هو في هذا الكلام اذا اندفع اليه حذيفة وقوم السنان وقال (خذها يا عبد يا حقير من يد حذيفة الفارس الخطير) فتدار كها عنترة وطعنه في صدره فالقاه على قفاه فانحدر اليه جماعة من رجال عنترة وشدوه بالكتاف وقصـــد ظالم عنترة من ورائه وضربه برمحه فانكسر واصاب ساعده فهجم عليه عنترة وقبضه من جلابيب درعه واقتلعه من سرجه وضرب به الارض ، فكاد يدخل بعضه في البعض ، واخذه اسيرا واصبح ظالم ذليلا حقيراً ، ولم يزل يعمل فيهم ما تعمر النار في الحطب حتى لم ينج الا اصحاب الخيول التي استطاعت الهرب قال الراوي : ولما فرغ عنترة من هذه المعركة عاد برجاله الى جبال الدوم ووادي الرمال فدخل بسبي بني شيبان ، وبني فزارة وبني مرة وذبيان وأمر قومه بان يضربوا الخيام ، وكان أعظم الجميع فرحاً بشارة ابن منيع لانه خلص من يد الربيع .

وبعد ثلاثة أيام اذا بغبار طلع عليهم من نحو بني شيبان ، فلما انكشف وظهر ما تحته للعيان ٤ اذا بابطال وفرسان وفي مقدمتهم مفرج بن هلال ووراءه عسكر يملأن الارض والشمال ، فركبت فرسان بني عبس والابطال ، وخرج عنترة بمن معه من الرجال وقد طلبوا الحرب والقتال ولما رآهم بنو شيبان فعلوا مثلهم ولان الربيع معهم لانه كان قد هرب بخمسين فارساً طالباً أرض العراق ، وساروا في تلك الآفاق حتى التقى بهم مفرج في تلك البقاع فاخبرهم الربيع بما حل بهم من الخسارة وان عنتره امر حذيفة وظالما وعمارة ، فقال مفرج : لا بأس عليك فطب نفساً وقر عيناً ، فها نحن سائرون الى عنترة لنقلع منه الاثر ثم ان مفرج حدث الربيع بحديث الاسود اخي النعمان ومسيره الى بني عبس وعدنان ففرح الربيع بذلك الخبر وسار معهم وهو يمني نفسه ببلوغ الوطر من عنترة، لانه رأى مع مفرج تسعة آلاف فارس وفي مقدمتهم ابن عبد العزي سنان قدموا بامر الملك النعمان ومـــا زالوا سائرين حتى اشرفوا على تلك الجبال وخرج اليهم عنترة كما ذكرنا .

الشاعر الفارس الشيطان

قال الراوي ثم انهم هجموا على عنترة واشرعوا الرماح الطوال ولما رآهم عـــلم قصدهم ، فاخذ معه صديقه عروة واباه شداد ، وتمام الثلاثين فارساً من بني قراد ، وهجم عليهم هجوم الليل على النهار وصب عليهم الويل والدمار ، وجال فيهم شرقاً وغرباً واشبعهم طعناً وضرباً وفعل اخوه شيبوب مثل فعاله فكان يحمي جـــواد اخيه بنباله ويقتنص الابطال واما شداد وعروة وبنو قراد ، فانهم جالدوا اشد الجلاد وما هي الا ساعة من ساعات النهار ، حتى اصبحت الفرسان جافلة من تحت الغبار ، وفروا خوفاً من التنكيل والدمار وقد قتل عنترة ومن معه اكثر من الف فارس من ذلك العسكر الجرار ، فقال مفرج وحق ذمة العرب قد وقعنا في ورطة مع هذا الشيطان، وكنا لا نصدق ما نسمعه عنه وها قد تحققناه بالعيان فاذا كان لهذا الرجل اربعمائة فارس ومـــا طاوعته نفسه ان يخرج الينا الا بثلاثين ، وفتــك في عسكرنا وتركنا مشتتين فلو خرج بهم جميعاً ماذا كنا صانعين ؟ فقال الربيع : اما قلت لك يا مفرج انه شيطان في جسم انسان ولو كان اصحابه مثله لاستولى على ملك كسرى صاحب الايوان .

قال الراوي : فعند ذلك التفت مفرج الى بني عمـــه وصاح ، واسمعوا صوته جردوا الصفاح وهزوا الرماح وكان عنترة قد التقى بسنان وهو راجع من الميدان

في جماعة من بني شيبان ومعهم عروة اذ وقع في ايديهم اسيراً فهجم عليه عنترة هجوم القضاء وانزل بمن اسروا عروة البلاء وخلصه من ايديهم وامعن قتلا فيهم ثم انقض على سنان وضربه بكعب الرمح في صدره فانقلب على قفاه فانقض عليه شيبوب وشده بالكتاف وقوم منه الاطراف ، ولما رأت بقية الفرسان من عنترة تلك الافعال فروا خوفاً ورعباً وعندئذ برز مفرج الى الميدان فانقض عليه عنترة انقضاض العقبان ولم يمهله ليجول كما تفعل الفرسان ، وضربه بالرمح مقلوباً في صدره فرماه، وانقض عليه شيبوب وشده بالكتاف وساقه قدامه ..

عنترة والملك النعمان

قال الراوي : ولما ابصر الربيع تلك الحال . وكيف فعل عنترة بمفرج بن هلال انذهل غاية الانذهال ، وقال لرفاقه : « ترجلو عن الخيول واحيطوا بهذا العبد من كل النواحي » فلما ادرك عنترة الحيلة وقال لمن معه من الفرسان : « بادروا الى هذه الخيل وردوها الى ناحية اصحابها واجفلوها لكي تطأ رؤوس ركابها » فلما سمع عروة ذلك استبشر وقال لعنترة (لله درك ما ابصرك بأساليب الحروب » ثم تفرقوا على الخيل من كل جانب وصاحوا عليها بزعقات عاليات وكان من جملة الذين هربوا وسلموا مالك بن حسان وقد تبعه الف فارس من رفقائه ، وعندما انكشف عنهم الغبار رأوا الربيع هائمة في الفلاة فلما رآه مالك صاح في بني شيبان يا بني عمي جميع ما وقع علينا من البلاء والهوان كان بسبب هذا الجبان فدونكم واياه واعدموه الحياة فأحاطت به الفرسان من كل جانب وبذلوا فيه السيوف والرماح فانطرح منحنياً على الارض وتركوه في الفلاء واذا بأبي الفوارس عنترة وعروة بن الورد قد مر على الربيع وهو يقف بين القتلى ، فلما رآه عنترة قال لعروة : « أنزل لهذا الخبيث بالكتاف ، فان الله اوقعه في مكره ورد كيده الى نحره .

وفتح الربيع عينيه ، فرأى عنترة متكأ على الرمح ينظر اليه فصاح : « يا ابن العم ، اكفني ما انا فيه من الهم والغم ، واني مستحلفك بحرمة النسب من شداد الى عدنان ، ونادم على معاداتك يا فارس الفرسان واما المال الذي اخذناه من ابنة عمك عبلة فهو كله عند النعمان ، وهذا ابن عمك في يدك فافعل به ما تشاء ، وان عفوت فاصطنعه واجعله من الاصدقاء، واعلمك ايضاً يا ابا الفوارس ان الملك النعمان ارسل أخاه الأسود الى دياركم بعشرين ألف فارس وامره أن لا يعود الا بزهير وجميع الرجال مأسورين ، وذلك لان النعمان ارسل يخطب المتجردة ، فرجع رسوله

خائباً ، فانذهل عنـــترة لما سمع هذا الكلام ، وقال للربيع : ومن كم يوم خروج الأسود لهذا الغرض ؟ » فقال الربيـع : « قبل سيرنا اليكم بخمسة أيام » فقال عنترة: « والله الذي لا اله الا هو الملك الديان ، لاقلعن لاجل بني عبس آثار الملك النعمان ولاحرمنه ان ينام على فراش الاطمئنان» ثم عاد الى ابيات بني قراد ، واعلن الخبر لاعمامه وابيه شداد ، وقال لهم : «اني اخشى على زهير واولاده وعشيرته ، ولابد من المسير الى نصرتـــه » فقال شداد : « نحن هنا ثلاثمائة فارس ، فكيف نحارب النعمان ومعه عشرون ألف فارس ؟ فقال عنترة : « يا أبي والله لا بد من المسير ، ولو لقيت في حروبهم نار السعير » ثم قال لاخيه شيبوب : « احضر مفرج بن الهلال وعلقه على قمة هذا الجبل ، وافعل بسنان بن عبد العزيز وظالم بن الحارث مثل ذلك بلا مهل ، واجعل بجانبهم حذيفة وعمارة بن الربيع ليكون الجزاء قد شمل الجميع) وبعد ان تمم شيبوب ذلك ســـأله عنترة عن الطريق الذي يمكن ان يسلكه الاسود وعساكره فقال له انه طريق وادي الرخم وما للمسافر طريق غـــيره وهو يبعد عنا مسير ثلاثة أيام بلياليها، فركب عنترة بمائة وخمسين فارساً وترك عند الحريم والعيال المائة والخمسين الآخرين ومعهم عمه مالك وولده عمرو ثم سار عنترة وابوه شـــداد ، واستقبل الطريق وهو طائر العقل والفؤاد خوفاً على الملك زهـــير ومن عنده من الاولاد، وتذكر أرض الشربة والعلم السعدي فجاش الشعر في خاطره فأنشديقول:

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ... ولا ينال العلى من طبعه الغضب

قد كنت فيما مضى ارعى جمالهمو ... واليوم احمي حماهم كلما نكبوا

قال الراوي : فلما فرغ عنترة من هذه الأبيات ، طربت لها السادات واعجبت بها كل من حضر فحفظوها حفظ الآيات ، ولم يزالوا سائرين في ذلك البر الواسع ، والقفر الشاسع حتى وصلوا الى وادي الرخم في ثلاثـــة ايام ، وشيبوب بين ايديهم كفراخ النعام ، وكان الوادي المذكور لقوم يقال لهم بنو الاجرم وكل من قصد ارض العراق ، لا بد له من المرور في تلك الآفاق ، فقال شيبوب : انا اعلم ان الاسود اذا عاد من عبس وعدنان ، لا بد ان يمر في هذا المكان ، ولو ان معنا من القوة ما نمسك به عليهم الطريق ونمنعهم من الماء لهلكت عساكرهم من الخوف والظمأ فقال عنترة : (ان كان الامر كما ذكرت فأنزلوا بنا هنا ، فوالله لا تركت احد منهم يبل لسانه بالماء) ، فنزلوا على ذلك الغدير واقاموا هناك ثلاثة ايام فـــما ظهر الجنود الاسود خبر ولا اثر ، فقلق عنترة وتحير ، وخـــاف على النساء والاولاد في وادي الرمال فقال لشيبوب : (كيف الحيلة ، والطريق طويلة) قال شيبوب :

(انا اكشف لكم الخبر ، وارجع اليكم بأسرع ما يكون من السفر) وقام في ساعته وسار ، وغاب عن الابصار .

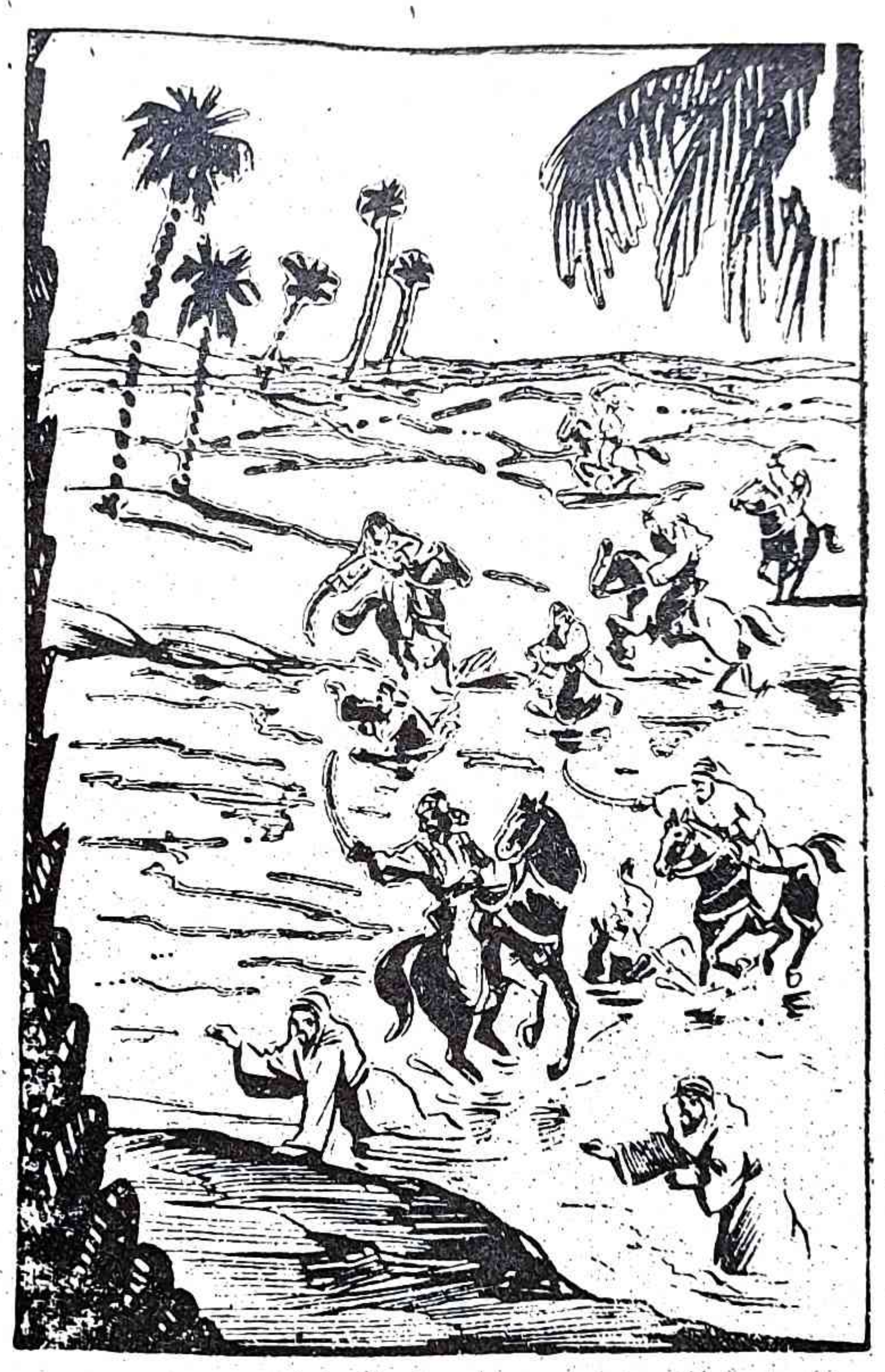
هزيمة الملك زهير

ولما تم لغياب شيبوب يومان قلق عنترة لذلك ، وايقن انه لقي بعض المهالك ، واذا بشيبوب مقبل يركض في عرض البر والتلال ثم تقدم من عنترة وقال (غداً يشرف عليك الملك الاسود ومعه عساكر تملأ البيد) فقال عنترة : (يا ويلك اخبرني ماذا جرى ببني عبس ؟) قال : (قلع النعمان آثارهم ، وخرب ديارهم ، وسبى الحريم ونهب الاموال وقاتلهم حتى اورثهم الفناء والاضمحلال ، وانضم اليه اولاد بدر في بني فزارة وبني مرة لأن المنهزمين اخبروهم ان حذيفة وظالماً عندك في الأسر فلما سمعوا بقدوم الاسود اتوه نجدة لعلهم يأخذوه من الملك زهير من يفدون به اسيرهم ، وهجم الاسود على الملك زهير فأخذه اسيراً ، وامعن في ابياته تخريباً وتدميراً ، فاني لما [illegible] من عندكم سرت يوماً وليلة وما زلت اتبعهم حتى نزلوا على عيون النمرة وخيم الليل فدخلت بينهم متلصصاً فسمعت صوت صديقك مالك ابن زهير وهو يبكي ويئن ويشتكي ، فتقدمت اليه وسألته عما جرى على القوم وعليه ، فقص علي الاخبار ، واخبرته بأننا سنعمل على نصرتهم وان قلبك يتقلب لأجلهم على لهيب النار وما زلت سائراً معهم حتى وصلنا الى عيون الظبا ، ورأيت الملك الاسود لما رأى اتساع الصحارى امامه امر بالاكثار من حمل الماء خوفاً على عساكرهم من الظمأ ، وفي السحر فارقتهم واتيتك حتى تدبر الامر) ، فقال عنترة : وما هو التدبير هنا الا منعهم عن الماء واهراق الدماء ؟) قال شيبوب : (اعلم يا اخي إني دبرت من التدبير ما يرجع عليهم بالويل والتدبير) قال عنترة : (اخبرني بالذي دبرت وأي عمل اخترت ؟) قال : (لما رأيتهم قد استكثروا من حمل الماء ، ما زلت سائراً معهم حتى خيمت الظلماء ثم سللت خنجري وقصدت قرب الماء واخذت اخرقها واحدة بعد واحدة حتي خرقت الجميع ، وفارقتهم واتيت وقد قطعت من الطريق ما لا يقطعونه الا في ثلاثة ليال لأنهم يسيرون على سير الحريم . والرأي عندي ان تأخذ اصحابك وتكمنوا في البر ، وتكونوا متأهبين للكر والفر ، حتى تروهم على الماء واردين فتخرج اليهم بمن معك الكمين) فقال شداد : حقاً يا شيبوب لقد أشرت وما قصرت لأنهم اذا وصلوا الى هذا المكان وهم في شدة العطش فلن يلتفت منهم احد الى احد ولن يدافعوا عن الاسود لأنهم يلتهون بتبريد الظمأ وتحول دون شجاعتهم الاعياء) .

فلما سمع عنترة هذا الخبر ايقن بالنصر والفرج وامر اصحابـــه فركبوا ظهور الخيل وقد تزودوا بالماء وساروا وقد اقترب المساء وانزلهم في مكان يخفيهم عن الاعداء.

قال الراوي : هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من الاسود فانـــه سار بعسكره حتى اضحى النهار وحمى الحر وسخنت الارض وكان الاسود قد اكل شيئاً من الزاد فلحقه الظمأ وطلب جرعة من الماء فلم يجد فنظر الى العبيد وقال لهم (يا ويلكم يا كلاب العرب .. ما الذي دهاكم وما أصاب القرب؟) فقالوا : (والله لا ندري ، فقد اصبحنا فلم نجد في القرب ولا نقطة ماء ، وكلها ناشفة وليس فيهـــا شيء يبل الشفة) فقال الاسود : (وحق النور والنار ما فعل بنا هذه الافعـال الا عدو دبر هلاكنا وها قد توسطنا هذا البر الاقفر والماء بعيد عنا من كل جهة) ثم جمع من معه من وجوه الرجال واستشارهم فيما يفعله في تلك الحال وكان في صحبته شيخ مجرب عارف بتصاريف الحروب فقال (الرأي ايها الملك ان ترسل النجابة بين ايدينا ليملأوا الروايا من منهل الماء والا هلكنا جميعاً من الظمأ) فعند ذلك ارسل مائة نجـــاب واوصاهم بسرعة قطع البراري والهضاب فساروا وسار الاسود في اثرهم والعطش يعمل في احشائه وكان يظن ان الماء يأتيهم قبل السحر ولكن الفجر قد طلع وما ظهر للنجابة خبر ثم انه نزل بمن معه في ذلك البر وقد تزايد الحر وتموجت الهضاب وتجسم امامهم المصاب ولما برد الهواء رحلوا وقد انحطت منهم القوى وكلما قطعوا ميلا يعللون انفسهم فيما ورائه تعليلا .

هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان النجابة فانهم لما وصلوا الى المنهل اقبلوا على الماء في غاية العطش والظمأ ، فما دروا الا الطعن يعمل في صدورهم ، فانذهـــلوا وحاروا في امورهم ، ولم يفلت منهم من يرجع بخبر ، فأخذ بنو عبس منهم بعض الاسرى وتركوا الباقين على وجه الثرى قتلى ، وقال شيبوب : « لا بد ان اصحابهم قد اشتد عليهم الحر وضاقت بهم جنبات البر . ولا بد ان كلا منهم سيطلب السبق والتقدم الى الماء في الصحارى والتلال . وسيتفرقون ولن يفكروا في الاســـرى والاموال ولن يخطروا لهم في بال . ومن رأيي ان احمل هذه الترب والنوق والجمال واقطع بها البراري . ومعي خمسون فارساً من الابطال ، واكمن لهم حتى ارى الجيش قد تبدد في الصحراء . فأظهر انا واصحابي ونخلص السبي ونفك الاسرى ونسقيهم من الماء ما يبرد اكبادهم وان كان معي احد من عسكر الاسود واطلقت عليه الفرسان فنأخذهم اسرى » . فلما سمع عنترة من اخيه شيبوب هذا الخطاب قال



(ورموا بانفسهم في الماء واذا بعنترة ومن معه قد ادركوهم باسنة الرماح)

له « لله درك لقد رأيت الصواب افعل ما بدا لك » فقام شيبوب واخذ معه القرب

والرجال وبقي عنترة في انتظار . حتى انقضى النهار . ولبست الشمس حلة الاصفرار . واذا بغبار قد ثار وانكشف الملك الأسود وبصحبته بنو فزارة وحمل بن بدر ومعه مائتا سيد من قبيلته واكابر عشيرته . وكان السبب في قدومهم هو طلب مياه بني الاحوص في وادي الرخم . فلما وصلوا الى الغدير رموا انفسهم عن خيولهم في الماء كما يتساقط الحمام واذا ومن معه قد ادركوهم بعنترة باسنة الرماح . ورقاق الصفاح وما امسى عليهم المساء حتى اخذوهم أسارى وقادوهم اذلاء حيارى ، وفي جملتهم الملك الاسود الذي انقض عليه عنترة انقضاض الصاعقة فاخذه اسيراً وسلمه الى ابيه شداد . فغلله في الحديد والاصفاد . وكان شداد قد اسر حملا بن بدر مقدام بني فزارة وعاد بنو قراد وهم فرحون وكان اكثرهم فرحاً الامير عنترة وهو يهمهم كالليث ، وكان الاسرى من بني عبس قد تم خلاصهم على يد شيبوب ، لانه لما سار بالماء في تلك البراري وجد رجال الاسود قد تفرقوا في البر وتركوا الاسرى من بني عبس وهم في الوثاق وقد اشرفوا على الموت عطشاً ، فتقدم اليهم شيبوب وحلهم واخذ يسقي النساء والرجال ، واخبر الملك زهير بما فعل عنترة .

والتقى الملك زهير ومن معه من الاولاد ، بابي الفوارس عنترة بن ابي شداد ، فتقدم عنترة للملك زهير وقبل ركابه ؛ فقال له يا ابا الفوارس لقد فعلنا معك القبيح وبغينا عليك البغي الصحيح ، وما عرفنا قدرك الا لما فقدناك ، فلله درك ما اغيرك على قومك وما اعطفك ، فما لنا في كل شدة حامية سواك ، واعلم يا ابا الفوارس ان الملك النعمان اذا سمع ما فعلنا باخيه الاسود فسيجمع علينا ومن ثم يعتمد عليهم في القبائل الشجعان، وان رأى العجز استعان بكسرى انو شروان ، فيقصدنا بعساكر الاعجام وعبدة النيران . ونحن ما نخاف الا عليك من دون الرجال ، لانك ترمي بنفسك في معامع الأهوال ، مستهيناً بالموت فتبسم عنترة والتفت الى الملك زهير وقال : وحق نعمتك التي رفعت قدري ، وواياديك التي عظمت امري ، لو جاءنا كل من على الارض من عرب وعجم ما تركت منهم احداً يصل اليك ، ولا بد ان اجعل النعمان في اسرك وكسرى يرتعد خوفاً اذا سمع بذكرك .

وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى وادي الرمال،حيث تركوا النساء والاطفال ، فرأوه خالي الجنبات ، موحش الساحات ، فدهش عنترة وحار ونظر شيبوب فرأى بشارة بن منيع مصلوباً على احد الجبال فصاح وانتحب من شدة الحزن واما عنترة فانه غاب عن الدنيا من شدة الغضب واشتغل قلبه اسفاً على النساء والاطفال ، وهو لا يعلم من فعل هذه الافعال .

قال الراوي : وكان السبب فيا جرى ان عنترة لما سار لملاقاة الأسود وترك عمه مالكا وولده عمرو لحماية النساء والأطفال، ولحراسة الاسرى في الاعتقال، دخل عمرو على مفرج بن هلال ، وصار يطالبه بما كان على اخته من الاموال ، فالتفت اليه وقال : ويلك يا عمرو اما تستحي من هذا المقال ؟ الا تعلم ان اهل الارض اجتمعت على عداوة عنترة ، وهل تظن انه يسلم بعد أن عاداه الملك النعمان ، اعلم انكم يا بني قراد قد انفرد مع مائتي فارس في برية هذه البلاد وتريدون أن تعادوا العرب والعجم، والفرس والديلم : يا ابن العم كيف يطيب قلبك لان تزوج اختك بمن كان بالأمس عبداً لها يرعى النياق والغنم ولو ارتقى فوق ملوك العرب والعجم وصار له مال جميع الامم ؟ اني اقسم لك ان عنترة لن يسلم هذه المرة ولو انتصرت له الإنس والجن فدع اباك يغتنم الفرصة والا شربتم من عنترة اعظم غصة .

وما زال الربيع يحمس عمرو حتى اخذته الحمية والنخوة الجاهلية وتحرك ما كان في قلبه لعنترة من البغض وقال كيف نفعل الآن وقد احاط بنا اعداؤنا من كل مكان ؟ فقال الربيع بن زياد بدهائه المعهود الرأي عندي ان تأخذوا لكم عند مفرج خير مكان ، وانا آخذ لكم منه الامان ثم نتفق كلنا ونسير الى الملك النعمان ، نقيم عنده حتى يأتي أخوه الاسود قد ظفر به ونوسطنا عند الملك النعمان لقبول توبته وزوجنا الملك النعمان من ابنة زهير المتجردة ونزوج اختك عبلة باخي عمارة الوهاب ونعود الى اوطاننا فتجتمع الاحباب ونكون قد نلنا الفخر بمصاهرتنا الملك النعمان فقال عمرو : وان سلم عنترة في هذه التوبة وظفر بالاسود ؟ فقال الربيع يا عمرو من يصدق هذا الامر ايسير عنترة بمأتي فارس ونلتقي بعشرين ألف مقاتل من الفرسان ويرجع سالماً الى هذا المكان فعند ذلك انخدع عمرو بكلام الربيع فحل الاسرى من القيود فتناولوا اسلحتهم وساروا كالاسود وطلبوا باب الوادي وهم غير مصدقين بالخلاص من الاسر وكان مالك بن قراد كل ليلة يأخذ العشرين فارساً الذين امره عليهم عنترة قبل ذهابه ويرقد بهم بفم المضيق الى الصباح ولما خرج ابن هلال بمن معه من الرجال قتلوا من قاتلهم من رجال عروة ، وقبضوا على مالك وولده ثم انطلقوا فاستولوا على جميع المسالك وصلبوا بشارة بن منيع واستخلص مفرج ما كان له من الأموال والحريم والاولاد وقبض على نساء بني عبس وعدنان ، واهان عبلة غاية الهوان لما بينه وبين عنترة من البغض وساق امواله واموال خصومه وسار طالباً بلاد النعمان .

وما زالوا سائرين حتى انتصف النهار واذا بغبار قد ثار من تلك البراري والقفار

فلما قرب منهم بادر بعضهم لكشف الاخبار ، فرأوا جيوشاً كثيرة العدد مسربلة بالدروع والزرد وامامهم فارس ضخم كأنه البرج العظيم فلما اخبروا بذلك مفرجاً بن هلال ، تغيروجهه في الحال ونادى واحرباه‌هذاوالله معدي كرب فارس بني زبيد ، وان الفرار من بين يديه خير من الاسر والاذلال، قال هذا ثم اطلق لجواده العنان والتفت الى ابن عمه سنان وقال له اتبعني واترك المال والنساء فسيخلصها لنا الملك النعمان، ثم هربا وتبعهما مالك بن حسان و كذلك الربيع واخوه عمارة بن زياد واما ظالم بن الحارث فلما رآهم قد تركوا حريمهم وطلبوا الفرار ، قال ابعدكم الله انكم لا تدافعون غريماً ولا تحمون جديماً ثم فارقهم عائداً الى دياره .

قال الراوي: وكان هذا الفارس الذي فروا من بين يديه ولم يجرؤوا على الوصول شجاعاً لا يشق اليه غبار ويعادل بطول قامته الاشجار واسمه معدي كرب الزبيدي ويلقب بفارس الفرسان وما كان له هم الا ركوب الخيل والطعن بالرماح يباغت البيوت والأحياء فيفتك بكل شجاع وما خرج بذلك الجيش الجرار إلا ليقتل عنترة ويأخذ منه بالثأر لابن عمه خالد بن محارب الذي سبق ان قتله عنترة فحزنت عليه اخته الجيداء وصممت على أن تأخذ بثأره فقال لها ابن عمها معدي كرب : اتقنعين بقتل عنـــترة بن شداد ، وجميع بني قراد ، وسبي حريمهم والاولاد ؟ فقالت له : والله ما أقنع الا اذا رأيت أرض بني عبس بلقعا ، وشربت من دم عنـــترة ، فلما سمع معدي كرب هذا الكلام هاج به الغضب واحب الانتقام ، وأمر بني زبيد بأخذ الاهبة للقتال ووادي الرمال، وقامت معه الجيداء بعد أن خلعت ثياب الحزن والحداد ولبست عدة الحرب والجلاد ، وسارت في اوائل الخيل وهي تتحرق شوقاً للقاء عنـــترة ، وما زالوا سائرين حتى التقوا بجيش مفرج بن هلال الذي بادر الى الهرب من وجه بني زبيد ، كما تقدم المقال فعند ذلك استولى معدي كرب على كل مـــا كان معهم من الاموال ثم امر بعض العبيد بان يرموا مالكا على الارض وان يضربوه بلا رحمة ، وهكذا انزلوا بسائر بني قراد اشد العذاب ، وبعد ذلك قال لابنة عمه الجيداء ، علينا الآن ان نعود الى الديار ، حتى تصلنا الاخبار ، فاذا سمعنا بان الاسود قد عاد ومعه سبي بني عبس ، وانه جاء بعنترة اسيراً مقيداً فاني اذهب الى النعمان واطلب منه ان يهبني عنترة ، وأحضره الى بين يديك وافر بقتله عينيك ثم عاد مع رجاله الى ديارهم .

هذا ما كان من هؤلاء ، واما ما كان من المنهزمين من بني شيبان فانهم وصلوا الى الملك النعمان وشكوا ما انزله بهم عنترة من الاهوال فقـــال النعمان : (وذمة

العرب ان هذا الحديث ليقصم الظهور وان لم تدبر لهلاك هذا العبد اصبحنا في الذل والقهر ، وسأصبر الى ان يأتي اخي الاسود بملك عبس واموالهم وبعد ذلك ارسل الاسود الى هذا العبد العنيد فيسوقه الي مكبلا بالحديد) .

وبعد اربعة ايام وصل مفرج بن هلال ، ومالك والربيع وعمارة بعد ان خلصوا جميعاً من القيود والاغلال ، ثم دخلوا على النعمان ، وشكوا بين يديه ما جرى عليهم من الذل والهوان فأمرهم بالجلــوس حتى اطمأنت منهم النفوس ، ثم التفت الى مفرج ورفقته ، واستعاد منهم الحديث على جليته ، فاعادوا عليه ما صادفهم من قلة التوفيق ، وكيف لاقاهم معدي كرب في الطريق ، فلما سمع الملك النعمان هذا المقال تعجب ، ثم كتب كتاباً الى معدى كرب قال له فيه : (اذا جاءك كتابي هذا فشد الي الرحال وهات اسلاب بني عبس بالتمام والكمال ، ولا تترك عندك من سلبهم اي عقال ، ولا تتعرض لهم بحال) ثم أوصاه في آخر الكتاب بحفظ عبلة ومن لها من الاصحاب ، ووعده بان يعوضه اضعاف ذلك عندمايصبح عنترة في عدادالاموات.

فلما وصل الكتاب الى معدى كرب قرأه ثم ارسل للجيداء واخبرها بهذا المقال. واعلمها بما دبر من الفعال ، وقال لها ان الرأي الصواب ان تسيري بسبي بني عبس وبني شيبان ، الى الملك النعمان ، وانا آخذ خمسة آلاف فارس ، وأسير بهم الى لقاء عنترة بن شـــداد وآتيكم به في القيود والاصفاد ، فتجهزت الجيداء بمائة فارس وساقت بني قراد قدامها وسارت نحو الملك النعمان ، ولم تزل مجدة في السير حتى وصلت الى ارض العراق ، وكان في جملة المأسورين جرير اخو عنترة وقد قاسى من الشدة كل منكر ،وفي ذاك اليوم وجدفرصة للهرب فانتهزهاونجا بنفسه وسار بين تلك التلال ، قاصد جبال الدوم ووادي الرمال ، ولما وصل الى تلك الجبال اخبر عنترة بما جرى من الاحوال .

قـــال الراوي : وكان عنترة لم يزل في الحزن الشديد ، حتى وصل اليه اخوه جرير ، فكان وصوله مثل يوم العيد لانه اخبره بجميع الاسباب وبين له ما لم يكن في حساب ، ولما علم الملك زهير بما قاله جرير قال لعنترة : (على اي شيء عولت بعد ان عرفت هذه الاحوال ؟) قال : (يا مولاي سوف الاقي معدى كرب ومن معه من الفرسان ، واشتت شملهم في اطراف الارض ، واذا ساعدتني المقادير على مقصدي ، ووقع معدى كرب في يدي ، طلبت منه النساء وابنة عمي عبـــلة ، وارغمته عـــلى رد جميع اموالنا ، فان ابى سرت الى حيث حبسهم وخلصتهم من الاسر بعد أن أفني سائر بني شيبان ، واذا كان عمارة قد تزوج عبلة ضربت رقبة

عمارة والاسود ، وافنيت العراق ، واقمت الحرب على قدم وساق ولا اكف عن قتالهم حتى اصبح قتيلا) قال مالك بن زهير : (والله ما نفارقك أينما حوت) .

ولما انصرفوا ذهب كل منهم ليأخذ راحة المنام ، وكان عنترة قد خرج من الخيام ، وسار الى باب المضيق واقام هو وشيبوب يحرسان الطريق وفعل كذلك في الليلة التالية .

وفي الليلة الثالثة انتظروه فما عاد اليهم ، وخرجوا يطلبونه فلم يقفوا له على خبر فقلق الملك زهير لذلك وقال : (والله لقد ركب طريق الخطر بمسيره وحده دون ان يخبرنا بوجهته) ، فقال له شداد : (ايها الملك ان ولدي كما تعلم مقدام على عظائم الأمور فعلينا أن نحفظ هذا المكان من كل خطر حتى يعود وأنا اعتقد انه ما سار الا ليلتقي بمعدي كرب ومن معه من العسكر) .

هذا ما كان من هؤلاء واما معدي كرب فانه لما قارب تلك الجبال نزل بمن معه بين التلال وقال لهم (لقد قربنا الى حيث نحن طالبون القتال وانا اعلم ان عنترة اذا سمع بخبري فلن يخرج الي لن يجد مجالاً للحرب بل يمسك رأس المضيق ويقاتل بقدر ما يطيق وقد بدا لي ان من الصواب أن أنزل بين هذه الهضاب وآخذ معي عشرة من الفرسان الاخيار واهجم بهم على الشعب عند طلوع النهار فما يشعر عنترة وقومه الا ونحن في داخل الوادي وبذلك نستطيع ان نقبض عليهم بالايادي فاذا سمعتم نداءنا فتعالوا لنسوقهم في القيود) فقال له الجميع : (افعل ما بدا لك فما فينا من يخالف مقالك) .

ولما سمع معدي كرب منهم ذلك الكلام راح نفسه ساعة قضاها في نوم عميق ثم قام واعتلى ظهر الجواد وأخذ عشرة من فرسانه واوصى الباقين بأن لا يرحلوا الى الصباح وصار يقطع البطاح حتى اقارب السحر واذا برجل متجنب الطريق وله خطوات أخف من جناح الطائر .. قال معدي كرب لبعض رفقاه : (انظروا ما شأن هذا الرجل الذي نراه) فأطلق ذلك الفارس عنان جواده حتى قارب ذلك الرجل فقال الزبيدي ، (من اي الناس انت يا غلام والى اين انت قاصد في هذا الظلام) واذا بالرجل يرميه بنبلة فيقضي عليه ولما وقع وصاح سمع معدي كرب نداه فقال ، (واحرباه قد قتل ابن عمنا وخسرناه فدونكم قاتله يا بني عمي فأعدموه الحياة) فتبعه اربعة من الفرسان فهرب منهم وغاب عن اعينهم في لمح البصر فتعجبوا منه واطلقوا خلفه الاعنة دون ان يجدوا له اي اثر .

ولكنه ظهر له فجأة ومعه فارس ضخم كأنه طود من الاطواد وكان ذلك الفارس هو فارس الطراد الامير عنترة بن شداد وذاك الرجل الذي امامه هو اخـوه شيبوب فانصب عنترة على راكبي الخيل فقتل منهم اثنين وضرب شيبوب الثالث بنبلة نكسه عن جواده وعاد الرابع نحو قومه يطلب النجاة حتى وصل الى معدي كرب فأخبره بما فعل ذلك الفارس فزاد بمعدي كرب الغيظ وقـدح من عينيه شرر النار فأطلق الجواد حتى التقى بعنترة بن شداد فتطابقا واخذا يتطاعنان بالرماح حتى ابيض مفرق الصباح ولم يبق بين ايديهم الا كعوب الرماح فتركاها وجردا السيوف وتضاربا بها حتى حل بمعدي كرب الضجر والقلق لأنه ما كان يظن أنه يلقى من عنترة ذلـك الملتقى ولما طال القتال كل معدي كرب ومل وفقد شجاعته وعزمه واضمحل فصرخ فيه عنترة صرخة زلزلت بنيانه وتقدم اليه وحمله بما كان عليه من الحديد وجلد به الارض ثم شد كتافه وهو غائب عن الدنيا وانقض عليه شيبوب واخذه اسـيراً وقاده ذليلا .

وما سار عنترة الا قليلا حتى رأى بني زبيدة قد اقبلوا على خيولهم ثائرين فقال لشيبوب خذ هذا الاسير واختف في هذه القفار وانا ارد عنك هذا الجيش الجرار فأخذه شيبوب وسار فدهش معدي كرب وقال في نفسه يا له من فارس جبار يريد ان يلقي وحده الجيش فيه خمسة آلاف فارس ! فتقدم بنو زياد حتى وصلوا الى مكان القتال فرأوا جثث القتلى مطروحة على تلك الرمال وتبينوا فاذا هم بنو عمهم الذين ثاروا مع معدي كرب ليدخلوا المضيق كما تقدم المقال فاشتد بهم الغيظ واخذوا ينظرون الى اليمين والشمال عسى ان يجدوا احداً يسألونه عمن فعل تلك الافعال فـما رأوا الا فارساً سائراً امامهم وهو يلتفت اليهم ولا يخشى اقدامهم فقال بعضهم دونكم وهذا الفارس واسألوه من نكل بقومنا هذا النكال فان كان هو فاعلها فمزقوه بأسنـة الرماح. فأسرعوا وراء عنترة وقالوا ويلك يا ابن الانذال من فعل بأهلنا هذه الفعال فصرخ فيهم صرخة ردتها السهول والجبال وقال : من يستطيع ان يفعل غيري انا؟ انا عنترة بن شداد وها هو سيدكم معدي كرب عندي في الاعتقال، فابشروا بالفناء وكان في يده رمح طويل اخذه من بعض القتلى فطلب به صدورهم واخذ يجندلهم الواحد بعد الآخر وكأنه يلهو بالرمح ، وفي اقل من ساعة قتل منهم اكثر من عشرين ووقف الباقون مندهلين ولما رأوا ذلك انقسموا عليه عشرة مواكب وداروا عليه من كل جانب .

ولما رأى عنترة هذا التدبير اجهد نفسه في قتالهم حتى زاد به التعب وكان جواده

يسقط من كثرة الاصطدام وشدة الاعياء ، فآثر الموت على الهرب ، واذا بخيل بني عبس قـــد ظهرت من ورائه ، وعليها فرسان كالعقبان وهي تصيح « يا لعبس يا لعدنان » وشيبوب قدامهم وخلفه مالك بن زهير ، وعروة بن الورد وشداد وزخمة الجواد ؛ تتبعهم فرسان بني قراد ، وكانت جملتهم خمسمائة فارس .

وكان سبب قـــدومهم ان الملك زهير بعد فقد عنترة تحير وقال لا بد انه سعى لقتال بني قراد ليفرغ بعدهم لقتال النعمان ، والصواب ان نوسل من له يعينه من الفرسان ، ثم ساروا حتى وجدوه فآزروه ونصروه .

جيوش كسرى

ولما خلا قلب عنترة في ذلك اليوم احضر معدي كرب . وقال له « اكتب الى بنت عمك الجيداء والنعمان ، وافد نفسك بما لنا عندكم من النساء ، وان لم تفعل فلا تأمل في خير فقال معدي كرب : السمع والطاعة ، وكتب خطاباً وبعد أيام وصل كتاب معدي كرب الى الجيداء يطلب منها الفداء ، فلما قرأته وفهمت معناه ضاق عليها الكون وقامت الى النعمان واعلمته بما كان فزادت عليه الاكدار ، واستبدت بـــه الافكار ثم جمع ارباب الدولة وأمراء العرب واخبرهم بحال معدي كرب ، وما فعل به وبرجاله عنترة واستشارهم فقال وزيرهم عمر بن نفيلة العدوي : ايها الملك ، الرأي عندي أن ترد على عنترة عبلة وما لها من المال ، فيطلق اخاك الاسود ومن معه من الرجال ، وبعد ذلك تشن عليه وعلى قومه الغارة ، ولا تترك من بني عبس من يخبر بخبر ، فعند ذلك احضر النعمان عبلة وسلمها تاجها ومالها ، وجميع ما كان لها عنده من الملابس ، وقال لوزيره : اطلق اسراهم ودعهم يطلقون اسرانا .

وعاد اسرى بني عبس ودخلوا الوادي بالاستبشار والفرح وأمر عنترة شيبوبا باطلاق الاسرى واخراجهم حفاة عراة في اسوأ الاحوال فقـــال الاسود لعنترة : ويلك اما تخاف من لؤم العرب اذا سيرتنا رجالا مـــا فينا من معه شيء يركبه ، وليس معنا ما نأكله ولا ما نشربه فقال عنترة ، « اني والله اعلم انكم أهل غدر وستعدون الى عنادكم لتشفوا مني صدوركم ، واني لقـــدير على ان اعيدكم الى الاسر ان عدتم الى القتال » .

فلما وصل الاسود الى أخيه الملك النعمان على تلك الحال كادت مرارته تنشق من الحنق ، وقال « والله لا سيرانا بنفسي الى عنترة لانه لا بد ان يكون كسرى قد علم ببعض ما جرى ، وجعل علينا من يراقب ويرى ، وان لم ابادر الامر بنفسي

يأخذ المملكة مني ، ويعطيها لغيري من أبناء جنسي ، فتأهبوا لنغتنم الفرصة قبل فوات الاغتنام ، فعند ذلك تفرقت الابطال ، وأخذت تتأهب للقتال .

قال الراوي: وكان الملك كسرى قد بلغه ان عنترة قد اصبح مرهوب الجانب تخشاه الابطال وتتقي غضبة الملوك فارسل بعض الرقباء ليطلعوه على ما يفعله الملك النعمان ، وكيف اسر خصومه أجمعين وترك بقيـــة جيوشهم مشتتين ، فجمع ارباب دولته وقال لهم : اني اريد ان ارسل لبني عبس جيوشاً تعلمهم الادب ، ليكون لعساكر العجم الفخر على عساكر النعمان وسائر العرب ، ثم امر الموبذان ان يجهز خمسة آلاف من ابطال خراسان ، وعشرين ألفاً من العجم اهل الشجاعة وجعـــل عليهم قائدا عظيما اسمه وردشان ، فسار وردشان بهذا الجيش الجرار حتى وصل الى الملك النعمان عند طلوع النهار ولما التقى النعمان بوردشان سلم عليه وقال له :

ما الذي اشفق قلب الملك كسرى العادل حتى ارسل هذا الجيش لقتال انذال العرب الارذال ؟ فقال وردشان : تواترت الاخبار بعجزك عن هؤلاء حتى انك فديت اخاك الاسود بالمال ، فشق ذلك على كسرى وارسلني لأحمل عنك العبء فقال النعمان : كذب الذي نقل عني العجز للملك كسرى العادل. وها انا قد جمعت عساكري لأسير الى عنترة ، فضحك وردشان وقال : أرى ان هذا دليل على عجزك لأنك تريد ان ترسل عشرين الفاً لقبيلة قليلة العدد ، ساقطة النسب .. الا تدري انك بهذا تجعلهم نظراءك وتظهر انك تخشى هذا العبد وهو لا يخشاك ؟ فغضب النعمان ولكنه اخفى الغضب ، مما اظهره وردشان من قلة الادب ، ثم ركب وردشان وعساكره فقال الربيع للامير حجار : انظر الى وردشان كيف تقدم ليأخذ الفخر للعجم ، فقال حجار : وحق ذمة العرب ان طمع وردشان واراد ان يتقدم علينا لأقتلنه ومن معه من صعاليك العجم. ثم ركب النعمان وركب وراءه سائر عساكر العرب ونفخت امامه الابواق . ونشرت فوق رأسه الرايات .

هذا ما كان من هؤلاء اما ما كان من عنترة فانه كان قد ارسل اخاه جرير الى الحيرة . وقال له كن على بصيرة . وراقب ما يحدث عند النعمان . وارجـــع الي بصادق الخبر . فسار جرير في زي العبيد حتى وصل الى الحيرة . فدخلها وامتزج بين تلك الجموع الكثيرة حتى وصل الى وردشان . وجرى ما تقدم في هـذا الشأن فسار مع العساكر المتجهة لقتال اخيه وبعد ساعات من المسير تسلل من بينهم وسبق ودخل الجبال واخبر اخاه عنترة بقدوم القوم . فقام عنترة من وقته ودخـــل على الملك زهير وأخبره بما سمع من اخيه جرير فاستشاره فيما يراه للقاء تلك العساكر

فقال : « يا ابن العم لا تدبير هنا الا ضراب البواتر » فقال شيبوب : « الرأي عندي انك تسير بألف فارس الى وادي السيل . الذي لا بد للعساكر من المرور به في النهار والليل . فتكمن الى ان تصل العساكر وتزدحم هناك . فتخرجوا عليهم كالاسود فتسقوهم كؤوس الهلاك » فقال عنترة : لقد أشرت بالصواب .

ولما اتفقوا على هذا التدبير . قال عنترة « هيا يا بني العم الى المسير فأمر عروة ابن الورد فرسانه الشداد . وانتخب بقية الالف من بني عبس وقراد ، وركب عنترة ظهر جواده . وركب خلفه الفرسان ، وسار قدامهم شيبوب يرشدهم الى الطريق والمسالك . وكان وادي السيل اقرب الى وادي الرمل . فسبق عنترة عساكر الملك النعمان بنصف يوم وكمن هناك . وصعد شيبوب الى رؤوس الجبال ، وقعد لهم ديدبانا ينظر الى اليمين والشمال . وما جاء آخر النهار حتى ملا السماء الغبار ، وظهرت من تحته عساكر كعدد الرمال على شواطىء البحار . فصاح شيبوب ، (يا ابن الام خذ حذرك وتأهب للقاء الأعداء) .

وكانت العجم قد تشاحنت في الطريق مع العرب وتطاعنوا بالسيوف والرماح ثم انفصل كل فريق عن الآخر وكان اول من اقبل وردشان وحوله عساكر العجم وهو يهز في يده عموداً ضخماً . فانقض عليه عنترة كالعقاب . وطعنه في صدره طعنة قتلته . وانقض رجال عنترة على رجال وردشان واوسعوهم طعناً وقتلا . فتفرقوا فزعين . وعندئذ وصل الملك النعمان بعساكره ولما وصلوا الى وسط الوادي رأوا سيل الدماء وسمعوا أنين الجرحى فتعجبوا من افعال عنترة واضطربت قلوبهم خوفا .

اما الملك النعمان فقد تحير من شجاعة عنترة وعظم في عينيه ووقعت في قلبه محبته . وزادت رغبته في زواج ابنة ملكهم المتجردة . التي طلبها فرد ابوها بالامتناع .

وكان عنترة قد استعد للقتال وقسم عبيد بني عبس على كل مضيق يحرسونه منه الطريق ، وامرهم بأن كل من رأوه خارجاً الى القتال يتركونه وكل من رأوه راجعاً يقتلونه ، ثم قال لهم (وان رأيتمونا كلنا قد انكسرنا ورجعنا عن القتال فما رجمونا بالحجارة وامنعونا عن دخول مساكننا) .

وما فرغوا من ترتيب المواكب حتى طلع النهار ، واقبلت عساكر النعمان وملأت تلك الاقطار ودارت تلك الجيوش بجبال الدوم من كل جانب ، فنزل مفرج بن هلال وبنو شيبان ومعدي كرب والجنداء وبنو زبيد وبنو فزارة عن يمين الملك النعمان ونزل بنو زيادة وبنو مرة وبنو كندة عن شماله في تلك القيعان وكان بنو كندة في غاية القهر والاحزان لأن عنترة كان قد أسر اميرهم حجاراً عندما قتل

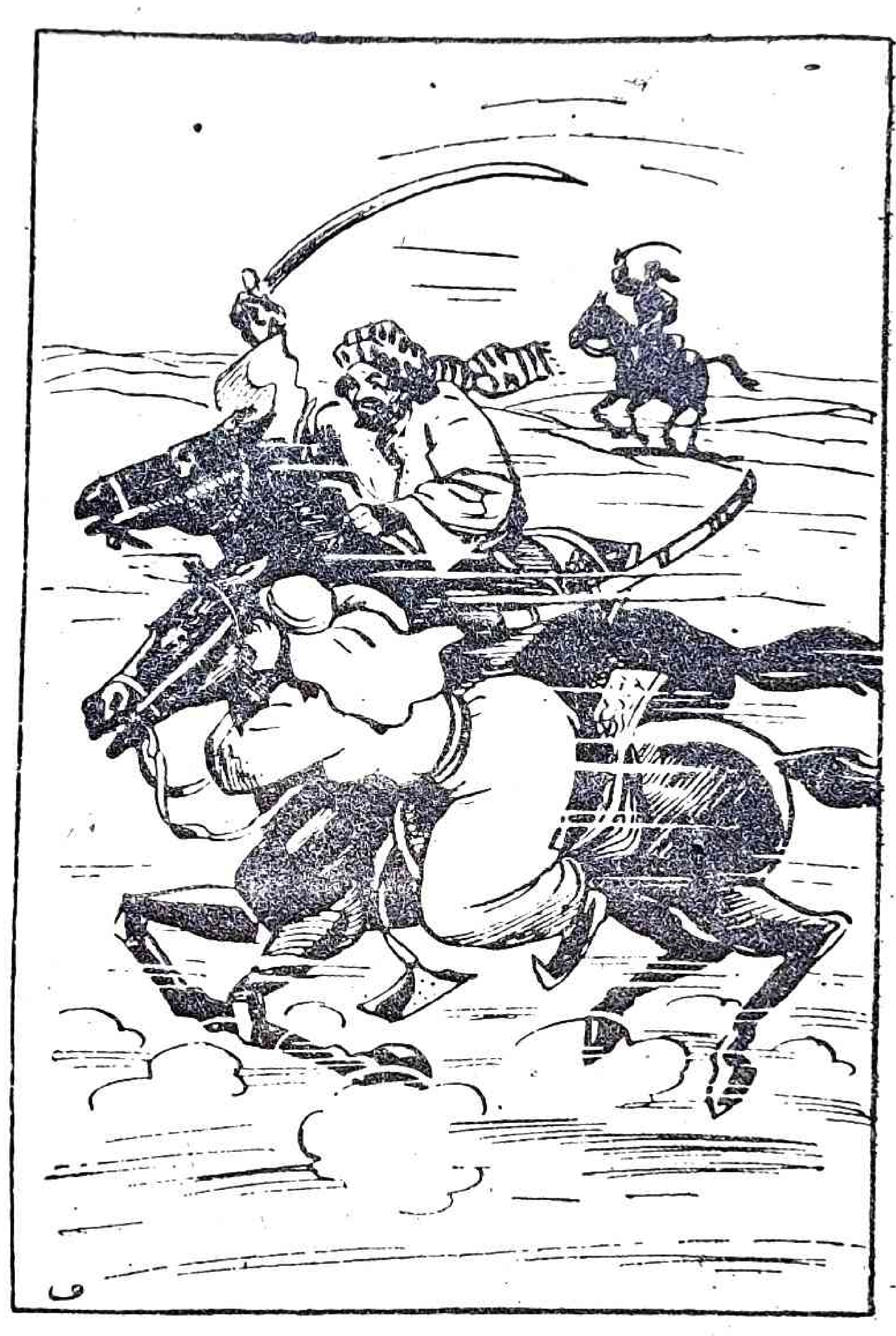
وردشان ولما نظر بني كندة الى بني عبس وهم متفرقون في تلك الجبال قلوا في اعينهم واستهانوا بهم ونظروا الى عنترة فرأوه راكباً امامهم وقد اخرج رجاله من الركاب وثناها غير مكترث بكثرة العساكر وكان عن يمينه ابوه شداد وعن شماله عروة بن الورد وجماعة من بني قراد فتقدم بنو كندة وبدأوا القتال فاندفع عنترة نحوهم واخذ يفرقهم ويشتت مواكبهم ويمحقهم وتقدمت بنو شيبان لمساعدة بني كندة فاشتدت همة بني عبس وما زالوا كذلك حتى مضى نصف النهار ووقع بين بني كندة وبني شيبان الدمار حتى طلب اكثرهم الفرار ولما امسى المساء تفرقوا للراحة بعد العناء حتى اصبح الصباح فركب الملك النعمان ليشاهد في ذلك اليوم معمعة القتال وركب عن يمينه اخوه الاسود ومعدي كرب والجيداء ومعهم عشرون الفاً من الفرسان وعن شماله مفرج بن هلال والربيع واخوته وبنو فزارة ومعهم عشرون الفاً من الفرسان الشجعان .

عنترة والجيداء

قال الراوي : وكان عنترة قد صف عساكره ميمنة وميسرة وجعلهم صفوفاً متقدمة وصفوفاً متأخرة فجعل في الميمنة عروة بن الورد وعدد رجاله الف من بني عبس وجعل في الميسرة اباه شداد وعمه زخمة الجواد واضاف اليها الف فارس اخرى ووقف في الوسط الملك زهير واولاده ومعه الف فارس من الابطال وتقدم عنترة امام الجميع ومعه الف فارس ولما ترتبت الصفوف وتقابلت المئات والالوف تقدمت ابنة زاهر الى الميدان غارقة بالحديد والزرد وهي من حزنها على ابن عمها خالد محروقة الفؤاد ولابسة السواد ولما صارت بين الصفين أنشدت تقول .

يا لقومي قد قرح الدمع خدي ... وجفاني الرقاد من فرط وجدي
كان لي فارس سقاه المنايا ... عبد عبس بجوره والتعدي
يا قتيلاً بكت عليه البواكي ... في جبال الفلا وفي ارض نجد
يا لقومي من يكشف الضيم عني ... ويراعي من بعد خالد عهدي

قال الزاوي : وما فرغت الجيداء من هذه الأبيات حتى صاحت بنو زبيد صيحة هزت الأودية والجبال وتذكروا قتل اميرهم خالد بن محارب فهجموا على عنترة من كل جانب ، وكانوا نحو خمسة آلاف فارس وحملوا جميعاً وقدامهم معدي كرب يزمجر كالأسد اذا غضب ورآهم عنترة فعلم انهم قاصدون اليه لما في قلوبهم من الحقد عليه ، فاخذ معه ثلاثمائة فارس واستقبل اعدائه وقد احمرت عيناه من الغضب



واعترض عنترة طريقها ، وطعنها في جنبها فرماها ، وعانقت الجواد

واكتست اشداقه بالزبد وبينما هو منهمك في الطعن والقتال ، اذ رأى الجيداء تحرض
عليه **الأبطال** فهجم عليها فارادت ان تفتل العنان لتعود هاربة ولكن عنترة اعترض

طريقها بأسرع من لمح العيان وطعنها في جنبها فرماها وعانقت الجواد وفرت جريحة مرعوبة الفؤاد ولما نظر معدي كرب ما فعـله عنترة ببنت عمه الجيداء هجم عليه فتلقاه عنترة كالصخرة الصماء وضايقه ولاصقه وانتضى سيفه وضرب معدي كرب ضربة جبـارة فوقع السيف على الخوذة فقطعها وجرحه جرحاً أرقعه على الأرض، فقام وعانق الجواد وهرب طالباً خيامه ورفقاه والدم يسيل على وجهه وقد اعماه . فلما نظر الملك الأسود الى ما فعله عنترة غضب وحمل هو والعشرين الف فارس على عروة بن الورد ورجاله ، واراد ان يفوز منهم بآماله ، ولمـا رأى عنترة حملة الملك الأسود صاح على شيبوب « ويلك يا أبا رياح سر الى الملك زهير ، وقل له يرسل لي من عنده الف فارس حتى القى بهم الملك الأسود ومن معه ، فأجابه شيبوب الى ما طلب والقى ساقيه الى الرياح حتى وصل الى الملك زهـير ، وبلغه طلب عنترة ، فأرسل له الف فارس من بني عبس ، ولمـا وصل الالف فارس كشفوا رؤوسهم وصاحوا يا لعبس يا لعدنان، وانقضوا على الجيش الأسود ، فالتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال . وجرى الدم بين الفريقين وسال . وما كنت ترى الا قاتلا ومقتولا وكان السيف من قبل ملك الموت رسولا وما زالوا على تلك الحال ، حتى حل بعساكر الاسود الفناء وعول كل منهم على الفرار فولوا الادبار ، ورجع عنترة وبنو عبس وهم فرحون بالنصر والظفر حتى دخلوا الجبال وباتوا مغتبطين بعد ان رتبوا الحرس على ابواب المداخل واكثروا من وقود النـار حتى صارت الأنوار كضوء النهار .

ولما اصبح الصباح ركب الملك النعمان مع سـائر القبائل الموالية له ونزل الى ساحة الميدان ، ولمـا تقابل الفريقان صاح عنترة بين اذني جواده فخرج به كأنه السهم المنطلق واقتحم معركة الطعان ، وتبعته الابطال والشجعان ، واشتبك القوم بين ضرب وطعن، وفي ساعة واحده لفت المغمعة جميع الفرسان بصبابها، وكثرت المنون على انيابها ، وفتحت في وجود الرجـال ابوابها ، وانشبت في لحومهم مخلابها وقد ابصرت الاعداء من القتال ببني عبس ، غير ما كان في حسابها .

قال الواوي : ودام القتال على ذلك الحال حتى اوشك النهار على الارتحال ، واقبل الليل فدقت طبول الانفصال ، وعادت الابطال وطلب كل فريق مضاربه .

وفي اليوم التالي وصلت الى الملك النعمان نجدة من بني قحطان في اثني عشر الفاً من الفرسان وهم قبائل مختلفة الاديان وفيهم طائفة تعبد الشمس والقمر ، يقال لهم بنو الاشتر ، تحت قيادة فارس مغوار يسمى غاسق بن الاصهب ، وكان جريئاً

تضرب بشجاعته الأمثال ، وتتعوذ من قتاله صناديد الرجال ، كثير الحيل ، حنكته قوارع الخطوب ، وكوته صروف الايام ووقائع الحروب .

ومن شدة عجبه بنفسه خلع ما عليه من الحديد ، وسلمه الى بعض العبيد واخذ في يده ثلاث حراب ونزل الى ساحة الميدان وطلب منازلة الابطال ، وقال « يا معاشر الانذال ابرزوا الى فرسانكم وابطالكم وها انا عاري الجسد قليل السلاح ، هدف لاسنة الرماح ، فاخرجوا من ابطالكم الصناديد ، فاني لا اتكبر على الاحرار ولا العبيد » .

وكان الملك زهير قد اعتراه غم جسيم ، من قدوم هذا البطل العظيم ، وعلم عنترة بحاله ، وما هو فيه من انشغال باله ، فقال له « كن مطمئن الخاطر ، ولا تخشى كثرة العساكر ، فاني كفيل بتشتيت جموعهم » .

قال الراوي : فبينما كان عنترة يتحدث مع الملك زهير اذا بفارس من بني عبس برز الى غاسق ، وانقض عليه مثل الباشق ، واراد ان يجول معه في الميدان كما تفعل الابطال والفرسان ، فما تركه غاسق حتى يفتل العنان بل هجم عليه وفاجأه وضرب رمحه فكسره وطعنه بحربة في صدره فخرجت تلمع من ظهره . فوقع قتيلا فبرز اليه فارس آخر فقتله وعندئذ برز اليه عروة بن الورد وهجم عليه هجوم المستهين بالموت وقال له : « لا بد لي ان اسقيك كأس الحمام واقطع رأسك بهذا الحسام » فلما سمع غاسق كلامه تهلل وقال له : والله ما قلت الا قول الشجاع البطل ولكن اين القول من العمل » ! ثم هجم عليه ولطمه بضربة قوية على صدره القاه عن جواده على ظهره ، ثم نزل اليه وشد كتافه وسلمه الى بعض الرجال ، ثم قال لأحد الابطال : « قدم لي جوادي » وآلة حربي وجلادي ، حتى افض امر هؤلاء اللئام ، قبل هجوم الظلام ، فأتاه برمح مكعب ، وجواد منتخب ، من افخر خيول العرب ، فركب غاسق واستل الرمح وأخذ بيده الاخرى حربة ماضية . وحمل على بني عبس « وحدثته نفسه ان يكسرهم وحده وينال بذلك الزهو والافتخار على سائر القبائل ، فقتل اربعة من اشهر فرسان المعارك ، ثم رجع بعد شيء يسير ومعه اسير يقوده قود البعير ، فسلمه الى بعض الغلمان ، وقال لهم : « اذهبوا به الى الملك النعمان ، حتى اسقي من بقي كأس الهوان : فتأمل عنترة في ذلك الأسير المنقاد ، واذا به ابوه شداد ، فاشتد به الغضب وثارت حميته . وانقض على غاسق وفاجأه وارد ان يخلص اباه ، فأعترضه غاسق واشتبك معه في قتال شديد ، ولعبا بالرمحين ما لم تسمع به اذن ولم تر عين ، اعظم مما جرى لهذين الفارسين ومن شدة فرح النعمان بغاسق ،

خرج من تحت الاعلام البيارق .

وصاح الملك زهير في بني عبس وعدنان ، ومن يعتمد عليهم من الفرسان وقال لهم : « كونوا على اهبة اللقاء ، اذ قضى على عنترة بقضاء ، ورأيتم طوائف النعمان قد حملت عليكم في هـذا المكان فقابلوهم بضرب الحسام ، ولاتموتوا الا كما تموت الكرام .

قال الراوي : ودام بين عنترة وبين خصمه الجلاد حتى تحول بياض النهار الى سواد ، ورأى كل واحد من صحابه ما لا يرى ، وحار الفريقان بما جرى وقـد استظهر عنترة غاسق غاية الاستظهار ، فلما رأى غاسق ذلك اراد أن يخدعه بالاحتيال وقال له : (يا وجه العرب وسيد أهل الشجاعة والادب ، من تكون من الفرسان فاني ابصرت من غيرك من الشجعان وقد سمعت ان لبني عبس فارساً يقال له عنترة ابن شداد ومن اجله أتيت الى هذه البلاد ودخلت تحت طاعة الملك النعمان ، وقلت في نفسي اني اذا قتلته افتخرت بقتله على أهل هذا الزمان وما خرجت اليوم في هذا الزي الى الميدان ، الا لاريه طوفاً من شجاعتي ، فتقطع في قلبه هيبتي ، فربما يطيع النعمان ويجيبه الى ما يريد وأحظى انا بالذكر الحميد ، والآن رأيت منك ما أضعف جناني واتعب مناكبي وبناني . فبحق رب العباد هل انت هو عنترة بن شداد ؟ فقال عنترة : (أي نعم وحق خالق الامم ، انـا هو الرجل الذي سمعت بصفته ورأيت طوفاً من شجاعته ، ولو لم تكن قـد خرجت الى معركة الكفاح وانت خال من السلاح ، ما كنت بقيت حيا الى الآن فكفاك ما قتلت من الفرسان وقدم نفسك فداء لمن اسرت من الابطال ، فان اردت السلامة فسلم نفسك ، والا طعنتك في بعض المقاتل ، وتركتك قتيلا بين هذه القبائل) .

فلما سمع غاسق كلامه اجابه من فؤاد موجوع ، وقد اظهر له الذل والخضوع ، اعلم ايها البطل انني سمعت عنك انك منصف في الحرب ، وارى كلامك هذا من اشد الكلام الصعب ، وانا ما تكلمت بذلك القول عن خوف ، ولكن لاسباب عدة اولها : انك خرجت الي وانا تعبان ، فقد قاتلت جماعة من صناديد الفرسان ، والسبب الثاني ، انك تأمرني بان اسلم نفسي اليك كما تسلم النساء بـلا قتال ، ولكن انا اردت الانصاف فاسمع ما ابديه لك وهو ان تقلع سنان رمحك وانا اقلع من رمحي السنان ، وكل من طعن خصمه ثلاث مرات ، وكان في جسده اكـثر الطعنات تصرف برفيقه كيفما اراد ، ان شاء عتقه ، وان شاء قتله وضرب عنقه ، فلما سمع عنتره كلامه صدقه ، لأنه كان سليم القلب صافي الطوية ، ولم يعلم بأن

غاسقاً سيء النية ، فأجابه الى ما دعاه ، وقلع سنان رمحه ورماه، فعند ذلك هجم عليه غاسق بأسرع من لمح البصر واستلب حربة من تحت فخذه الايسر وطعن بها صدر عنترة فوقعت في كتفه خرجت من الجانب الآخر فتعتع عنترة وتأخر حتى كاد يقع عن ظهر جواده ، ثم قوى عزمه وتلقى خصمه وصاح فيه بصوت اهتزت منه الجبال والسهول ، وهجم عليه هجمة الليث المغوار ، وقال له : خذها يا غدار ، من يد عنترة فارس الاقطار ؟ وطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فسقط الى الارض يسبح بالدم .

وعاد عنترة وقد اشتد به الالم ، وحل به الاسف والندم ، ودخل بين الجبلين وقد حارت من فعاله رجال العسكرين الا انه ما وصل الى داخل الجبال حتى نفرت من خلفه الرجال ، وتبعه الفرسان والابطال وحملت الجموع مثل البحر الدافق ، طالبة ثأر سيدها الامير غاسق، وابصر الملك زهير هذا الحال ، فعاد في باقي الابطال وحمل بنفسه وطلب القتال ، والتقت الرجال بالرجال ، وعملت الرماح والنصال وجرى الدم وسال وما زال الامر على مثل ذلك ، الى ان ولى النهار واقبل الليل الحالك ، فرجعت بنو عبس الى الخيام وا كلوا شيئاً من الطعام واحضر الملك زهير عنترة الى حضرته ، واعتنقه وهنأه بسلامته وحدثه بما جرى عليهم في غيبته فقال عنترة (والله يا مولاي ما كان قعودي عنكم باختياري ، وانما القضاء قد حدث شيئاً لم يكن بافتكاري ولكني لا ابالي بالجراح ، وسوف ترى ما افعل بهذه العساكر عند الصباح .

قال الراوي : واما ما كان من الملك النعمان فانه نزل وهو فرح ولما استقرت في السرداق دخلت عليه سادات اليمن من اصحاب غاسق بالنصر وكذلك اخوه الاسود ومعدي كرب وجميع فرسان العرب وهنأوه بالنصر على الأعداء والاضداد، وليس فيهم الا من اشار بقتل عروة وشداد ، فقال لمن حوله من السادات : « وحق بيت النار انني اتأسف على هذه القبيلة كيف تهلك وتعدم بعد ما التقت مع قلة عددها بهذه الطوائف والامم فقال له الاسود وقد اظهر الغيظ : هل مرادك ان تفرق هؤلاء الابطال وترحل بعدما فعل بنا عبدهم ما فعل من الاذلال فقال: مرادي ان ابعث الى الملك زهير برسول واخطب ابنته واسمع مأذا يقول ، فلما سمع القوم كلام النعمان خرجوا من عنده من غير استئذان ، ثم اجتمعوا بالاسود وقد امتلأوا جميعاً بالغيظ فقال لهم : اصبروا ايها السادة حتى انبصر نهاية الأمر ، فان صالح اخي آل عبس وصرف عنهم هذه القبائل ، كتبت انا الى كسرى الملك العادل، واقول له ان اخي

سبباً في قتل حاجبك وردشان . ومن معه من الفرسان، لأنه ارسل الى عنترة وامره ان يكمن للعجم في الوادي تحت ظلال الليل ، ولا ازال حتى اعزله واتولى مكانه ، فلما سمعوا مقاله انشرحت خواطرهم وابتهجت نفوسهم .

قال الراوي : واما ما كان من النعمان فانه لما خلا له المكان احضر وزيره عمرو ليستشيره في ذلك الامر ، لانه يحبه ويرفع قدره ويعتبره في منزلة ابيه وكان كلما اختلى به شكا اليه حب المتجردة ، وقال له : يا ابي انه لا يهون علي هلاك هذه الطائفة العبسية والعصابة القوية ، لأنه اذا كان هذه القبيلة وفارسها عنترة ، تعاظم امري واشتهر وعظم صيتي وانتشر وتغلبت على طوائف البدو والحضر . ثم حدثه بما اشار الرؤساء والقواد بقتل عروة والامير شداد ، فلما سمع كلامه قال له الوزير : يا ولدي ابعث الى القوم برسول ، وامره بأن يترفق فيما يقول ، قال الملك : يا ابي كن انت الرسول الى القوم ، لعله يقع الصلح ويبطل التعب واللوم ، فقال الوزير : انا اسير اليهم ، وابذل الجهد في خطبة المتجردة ابنة زهير ، والصواب عندي ايها الملك سعيد ان تخلع على عروة وشداد الخلع الجياد وتطلقهما من الاعتقال فاستحسن النعمان هذا المقال .

ولما اصبح الصباح ، احضر النعمان شداداً أبا عنترة وعروة بن الورد وخلع عليهما الخلع الثمينة والثياب الكسروية ، وقال لهما يا وجوه العرب ، وحق النار ذات اللهب ، ما اؤاخذكما بسوء افعالكما ولا اقابلكما بمثل أعمالكما لأن نيتي لكما جميلة (واريد منكما ان تسيرا مع وزيري عمرو بن نفيلة ، وتساعداه في خطبة المتجردة بنت الملك ولا تعودا الا بالخبر الخير ، فتقدم شداد وقبل يد النعمان وقال له : يا ملك الزمان ، من لا يعرف قدر الاحسان ، ما هو بانسان ، ولا بد أن نجتهد في اتمام هذا الشأن ، فعند ذلك ركب الوزير وعروة وشداد وقصدوا ديار بني عبس .

خطبة المتجردة

قال الراوي : فلما وصلوا الى مضارب بني عبس اندهش منهم الكبير والصغير، ثم انهم انزلوا الوزير في الخيام ، واكرموه غاية الاكرام ، فلما قربه المقام ، قدم لهم الخلع والانعام وقادالملك زهير الخيل الحسان التي أرسلها له الملك النعمان، وقال له : « لقد ارسلني النعمان اليك ، وهو يسلم عليك ، ويخطب منك ابنتك المتجردة ، حتى تصبح القبيلتان قبيلة واحدة ، ففرح الملك زهير بذلك الخبر ، وزال عنه القلق والضجر ، غير انه تمتع بين الابطال ، وأطرق رأسه في الأرض دون ان يتكلم ،

فقال الامير شداد : « اطلق اللسان يا مالك الزمان ، وجاز الحسنات بالإحسان لما قدر علينا واحسن الينا » فرفع الملك زهير رأسه والتفت الى عنترة وقال له : « ماذا تقول يا حامي بني عبس » ? فقال « ماذا أقول في رجل قد اطلق ابي ، واعتق حبيبي وصاحبي . ايها الملك السعيد لا بد لابنتك من زوج يكون لها بعلا ، وتكون له اهلا ، فهل نجد رجلا اعظم من النعمان أو أعلا ؟ » . فلما سمع زهير كلام عنترة قال للوزير : « ايها السيد الجليل قد أجبت الملك النعمان الى ما طلب » ففرح الوزير واستبشر وسرت البشائر بين الفريقين واجتمع الملك زهير بالملك النعمان وتصافا بعد الفوز والفدوان ، واطلق بنو عبس من كان عندهم في الاعتقال من السادات والأبطال .

أما الملك الأسود فقد التهب من الغيظ وقال : « ما دام اخي قد اعتز ببني عبس وركن اليهم وطلب مصاهرتهم واعتمد في اموره عليهم فأنا أصاهر بنو فزاره وهم معدن الجود والفخر » ، ثم انه خطب اخت سيدهم الامير حذيفه بن بدر . وكانت موصوفة بالحسن والجمال والادب والكمال .

وقد اصبح النعمان بين بني عبس وفزارة وبين عنترة والربيع وعمارة واستمال قلوب الفرسان وقواد العسكر وخلع عليهم من نفائس الأموال والتحف .

وبعد ذلك تفرقت سادات العرب وفي قلوبهم حقد شديد على بني عبس وقد وعدهم الأسود بمكاتبة كسرى انو شروان .

اما الملك النعمان فقد فرح بمصاهرة الملك زهير ملك بني عبس وعدنان .

قال الراوي : واما ما كان من عساكر خراسان الذين انكسروا في وادي السيل بعد مقتل ورشدان ، فانهم تفرقوا في البراري وما زالوا في هزيمتهم حتى وصلوا المدائن ودخلوا على كسرى واخبروه بما جرى فسألهم عن النعمان وما بدا منه ، فقالوا انه ما دخل معنا الى الوادي ولا مكن العرب من مساعدتنا على حرب الاعادي ولم يساعدنا ويؤزرنا الا الامير الأسود. فلما سمع كسرى ذلك الخبر استشاط غيظاً وتكدر وقال : « وحق الشمس والنور . وتربة جدي سابور . لا بد من قتل النعمان ومن ينتصر له » . . وبينما هو على مثل ذلك اذ ورد اليه كتاب من عند الملك الاسود يقول له فيه : (اعلم ايها الملك العادل ان اخي النعمان الذي وليته على رعتيك قد تآمر عليك وعلى دولتك وباع الدولة الكسروية لاجل شهوة دنيئة لانه استجار بني عبس وخطب ابنة سيدهم زهير واجارهم بعد ما ذلوا . وصالحهم بعد ما ضعفوا وقلو وقد اوقفتك على حقيقة. فكن على حذر .

فلما قرأ الكتاب على الملك كسرى امتلأ قلبه بالحقد والغضب وصار من شدة الغيظ لا يسمع ولا يدري ثم انه استدعى ولده خداوند وهو الموصى له بالملك من بعده (وكان اشد اولاده بأساً . واعظمهم مراساً عالي الهمة . كثير الحكمة . فلما حضر بين يديه ثم اعاد القصة عليه . وقال له : اريد منك الآن ان تركب في جيوش كثيرة وتسير الى الحيرة وتقبض على النعمان . وتطلق السيف في رقاب من حوله من الفرسان . ولا ترجع الى هذا المقام . حتى تنتقم من بني عبس غاية الانتقام .

واما الاسود فاخلع الحسان . واشمله بالفضل والاحسان وولّه مكان اخيه فلما سمع خدواند ذلك المقال نهض في الحال يستعد للرجيل . وامر كسرى قائداً من القواد يقال له زرد كال بن قياد بأن ينتخب مائة وخمسين الفاً من ابطال العجم وفرسان الديلم ويسير بهم مع ولده وكان لزرد كال المذكور شقيق وردشان الذي قتله عنترة كما تقدم الخبر . وفي ثلاثة ايام انتخب من عساكر الاعجام كل بطل همام . وفي اليوم الرابع رحلت العساكر كأنها الغمام. قاصدة الحيرة ترفرف فوقها الاعلام.

قال الراوي : واما ما كان من الملك النعمان فانه لما وصل الى الحيرة اخذ في تجهيز المهر . وكان يظن انه سيحظى من كسرى بكتاب فلم تكن الا مدة يسيرة حتى اشرف عليه خدواند بجيش العجم . فأيقن بالهلاك . وركب في جماعة من سادات العشائر وقصد تلك العساكر وترجل امام خدواند ودعا له بالعز ودوام السعد فتقدم الحاجب زرد كال وقبض عليه واحاطت به ابطال الفرس فقال له خدواند : لقد غرك الزمان يا نعمان . حتى جازيتنا بالقبيح بعد الجميل والاحسان .

ثم امر بسجنه مع من يلوذ به من سادة القبائل وان توضع في ارجلهم القيود والسلاسل ، واستدعى الأسود فحضر ، فوضع على رأسه تاج الاكاسرة ، وخلع عليه الخلع الفاخرة وقال له : اعلم ان الملك العادل كسرى انو شروان قد بلغه نصحك لنا ومؤامرة اخيك النعمان، وقد اختارك ان تكون نائباً له على قبائل العرب وقد أمرنا أن نسير من هذا المكان الى قتال بني عبس وعدنان ، فلما سمع الاسود ذلك الخبر قبل الارض وتأخر وقال : وحق النور والنار لقد انكرت على اخي ما فعله غاية الانكار ونهيته عن ذلك جملة مرار . ثم انه كتب الكتب وأرسلها الى الى قبائل العرب ، من بعد منها ومن قرب . العلمهم بتولية الملك بدلا من النعمان ويأمرهم بسرعة القدوم عليه ثم وضع يده على خزائن اخيه النعمان . وفرق الفضة والذهب واستمال قلوب الفرسان .

قال الراوي : هذا ما جرى لهؤلاء من الاخبار وأما ما كان من الامير حجار فانه بعد ان اطلقه عنترة من الاسر سار الى موطنه وهو يتقلب في الغم والكدر من شدة حنقه على عنترة وحدث مثل ذلك لمعدي كرب فلما جاءت جيوش كسرى بقيادة خدواند ساروا معها الى قتال بني عبس وعدنان .

قال الراوي : واما بنو عبس وعدنان فانهم كانوا قد رجعوا الى الاوطان . فرحين بمصاهرة الملك النعمان . فلما وصلوا الى الديار . وقر بهم القرار . اخذوا في اصلاح احوالهم . وقد كثرت نوقهم وجمالهم . الا انه لم يمض على ذلك الا ايام قليلة، حتى وصل اليهم كتاب من الوزير عمر بن نفعلة . يعلمهم فيه بما جرى . ويذكر لهم ان كسرى قبض على النعمان واقام مكانه اخاه الاسود . فلما وقفوا على حقيقة الخبر أخذهم القلق والضجر . وتبدلت افراحهم بالكدر . وبادر الملك زهير ودعا بني عبس واعلمهم بما وصل اليه من الاخبار فلما سمع عنترة ذلك الكلام ، صار الضياء في عينيه كالظلام . وقال « اعلم ايها الملك السعيد أنه لا ينجينا من الاهوال ، الا نستبسل في القتال ، وسترى ما افعل بهذا الملك الجديد ، وكيف ابدل صفو عيشه بتنكيد » فلما سمع الملك زهير كلام عنترة فرح واستبشر ، ونادى في الرجال ،بأخذ الاهبة للارتحال واختار النزول على جبلي آجي وسلمى ، وصحراء بني علما لأنها صعبة المسالك ، فتجهز القوم للسفر .

ثم ان عنترة استدعى برجلين من اهل القوة والشطارة ، وأمرهما بالمسير الى بني فزارة ، وقال لهما اقيما في دياركم ولا تعودا الينا الا بحقيقة اخبارهم فامتثلا امره وساروا الى ديار القوم ، ورحلت بنو عبس بالحريم والعيال ، وحملت الهوادج على ظهور الجمال ، حتى وصلت الى تلك الجبال فنزلت فيها ونصبت خيامها في نواحيها فلما سمع بنو فزارة برحيل بني عبس ساروا اليه بستة آلاف مقاتل ، ورجع العبدان اللذان أرسلهما عنترة واخبراه بما حققاه من الخبر ، فاجتمع بالملك زهير وولده مالك، واخبرهما بذلك ، وقال لهما : الرأي عندي أن نسير من هذا المكان لملاقاة اعدائنا .

فلما سمع الملك زهير ذلك الخطاب ، رآه عين الصواب ، ثم انهم تأهبوا للسفر في ثلاثة آلاف فارس،وتركوا قيساً مع خمسمائة فارس في الجبال لحفظ النساء والاموال.

فلما صار بينهم وبين بني فزارة مسافة فرسخين قال لهم شيبوب الرأي عندي أن تنزلوا هاهنا وتعطوا خيولكم حقها من الراحة ، والخطة الحكيمة هي ان تنقسم الفرسان الى ثلاثة مواكب حتى اذا وصلنا اليهم نقصد كل فرقة الى جانب مستترة

ظلام الليل ، وتبذل فيهم السيوف والرماح ، وحينئذ يتفرق شملهم في الروابي والبطاح فأعجب هذا الرأي الملك زهير وعنترة وكل من حضر .

وبعد ان استراحوا ركبوا الخيول ومضوا حتى اشرفوا على بني فزاره وقت الغسق وقد انقسموا الى ثلاث فرق واحاطوا بهم من كل جانب وكان بنو فزارة في غاية الامان غير متوقعين أن يدهمهم انسان فلم يشعروا الا وقد احاط بهم اعداءهم فثاروا من الخيام ولم يجدوا متسعاً من الوقت لحمل السلاح فتفرق شملهم وتبدد .

وكان بنو كندة قد جاؤوا لنصرة بني فزارة فرأوهم متشتتين فانخلعت قلوبهم أما اميرهم حجار فقد اصابه الذعر ولكنه تشجع وصاح في بني كندة ومن يعتمد عليهم من الفرسان قائلا: «اهجموا ولا تخشوا هؤلاء الجبناء ..» فتبعه ابطال المعارك وعملت السيوف في الرقاب حتى كلت الفرسان الا عنترة فانه فعل في تلك الليلة مالم يفعله بشر الى ان تفرق بنو فزارة في ظلام الليل ولم يبق غير الربيع وحذيفة في نفر قليل واصاب بنو كندة العذاب والتنكيل وقتل منهم في تلك الليلة اكثر من الفي قتيل عند ذلك ركب حجار الجواد وبرز لقتال عنترة بن شداد فلما رآه عنترة تقدم منه واخذ يصول على جواده ويجول .

قال الراوي : ثم انهما تحاربا وتقاتلا وتضاربا وجرى بينهما من الجذب والشد والاخذ والرد ما حير الافكار وأدهش الابصار ولم تكن الا ساعة من النهار، حتى حل التعب بمنكبي الامير حجار فأراد أن يشير الى قومه بني كندة ، ويطلب منهم النجدة ، فما أمهله عنترة بل هجم عليه واقتلعه بيده من فوق الحصان والقاه على الارض ، فانقض عليه شيبوب وشد ساعديه واطرافه واخذه اسيرا ، وكان حجار قد اشتعل فؤاده من القهر والحسرة فبكى وانتحب، فقال له شيبوب: «ما الذي اعتراك حتى اوجب بكاك؟» قال : وحق من كتب علي هذا الهوان انا لا أبكي خوفاً من الأمر وانما بكائي من تقلبات الزمان ، اعلم يا أخا العرب أني أحببت في هذه الايام جارية كأنها البدر التمام يقال لها امامه وهي بنت اسد بن دودان ، صاحب ارض الحيوان ، وسيد بني الريان ، ولم يسمح ابوها بزواجها الا بواسطة الملك النعمان ، وقد اخذت استعد لاداء مهرها ، ولما دنت ايام الوصال ، وحملت لأبيها النوق والجمال امرني بالمسير لقتلل اخيك عنترة فسرت اليه فأسرني ، وبدل افراحي بالكدر ، واطلقني بعد ان جعلني عبرة لمن اعتبر ، فقصدت الى قومي وارسلت في طلب زوجتي ، فأرسل أبوها يقول يا حجار ، قد علاك الذل والعار ، لأنه اسرك

عبد من بني عبس وعدنان ، واليك ثوب الذل والهوان ، فلن اسلم ابنتي اليك ، ولا ازفها عليك ، حتى تأخذ منه ثارك ، وتكشف عنك عارك ، فبينما أنا أفكر في ذلك اذ بلغني خبر القبض على الملك النعمان ، فحزنت نهاية الحزن وسد في وجهي كل باب وما صدقت ان جاءني الاسود كتاب حتى سرت اليه بمن معي من الأصحاب وقلت في نفسي لعلي استطيع استرداد مكانتي ، ولكني وقعت في يد اخيك مرة اخرى ، وما أنا خائف من ضرب رقبتي ولكني حزين لعدم الاجتماع بزوجتي » .

فلما سمع شيبوب كلامه وعرف مرامه قال : ويلك كان عليك بدلاً من ان تسير مع الملك الاسود وتساعده ، أن تساعد النعمان لأنه صاحب الجميل والاحسان، قال والله لقد صدقت يا شيبوب ، فان كتب لي الخلاص فلا بد ان اكفر عن اساءتي واريد ان تتولى مع عنترة توبتي ، فأن اصطنعني ورغب في صحبتي ، بـذلت في خدمته وطاقتي وكنت عوناً له مع اهلي وعشيرتي فلما سمع شيبوب مقاله ، رق له ، وقال يا سيد بني كندة ، انا ازيل عنك هذه الشدة ، ثم اطلقه من قيوده ورد اليه آلة حربه وسلاحه واركبه جواده ، فدهش حجار لشهامة شيبوب وشكره وعاد راجعاً على الأثر ، حتى وصل الى حيث كان قومه يقاتلون عنترة فنادى بأعلى صوته وقال « كفوا ايديكم يا بني كندة عن القتال ، فقد اصلح الله الحال وقد اقسمت ان اكون في خدمة عنترة ولا اخونه في مقال ولا فعال » .

فلما سمع بنو كندة من اميرهم ذلك فرحوا بخلاصهم من حرب ابي الفوارس عنترة وانعطفوا من ساعتهم على بني فزارة وانزلوا بهـم الذل والخسارة ، فدهش عنترة ، وحار من تحول الامير حجار خصوصاً عندما رآه يقاتل فرسان بني فزارة بعزم شديد ، ويجتدل ابطالهم الصناديد فسار اليه ، عنترة وسأله عن حقيقة الخبر فلما علم بما جرى له شيبوب ، ترجل اليه ، وضمه الى صدره وقبله بين عينيه وزال ما كان بينهما من الحقد والخصام ، وتحالفا على الوفاء وحفظ الزمام .

ولما علم بنو فزارة بصلح عنترة والامير حجار ولوا الابار وأركنوا الى الهرب والفرار ، ولما ساد السلام قال عنترة : لم يعد لنا سبيل الى المقام لانغا تركنا اهلنا في الجبال ، وما عندهم غير قيس في نفر قليل من الرجال ، ثم انهم عادوا في غاية الفرح والاستبشار بمصالحة الامير حجار .

قال الراوي : هذا ما جرى لهؤلاء واما ما كان من معدي كرب فانه انتخب ستة آلاف من الابطال وسار في عزم وهمة ، الى ديار دريد بن الصمة ، ولما اجتمع به حدثه عن اسر النعمان وما جرى له وان أخاه الاسود قد تولى الملك مكانه ،

وكيف ان خداوندجاه بفرسان العجم وهو عازم على قتال بني عبس وصلب ساداتهم على اركان البيت الحرام فلما سمع دريد منه ذلك الكلام اشتد به الغضب واشتعل فؤاده والتهب وقال والله ان تم هذا الامر على العرب طمعت فينا عباد النار ذات اللهب ، وباعت حرائرنا في بلاد العجم ، وسأكتب الى قبائـــل ربيعة ومضر ومن جاورهم واطلعهم على حقيقة الامر حتى يكونوا على حذر ثم ارقب ما يجري على بني عبس من الملك الاسود فاذا علمت بان العساكر قـــد كثرت عليهم سعيت في ارسال نجدة اليهم ولولا عبدهم عنترة الذي تمـــرد وتجبر لسرت اليهم بنفسي وكشفت عنهم الضنك والضير .

الحرب بين عنترة وكسرى

فلمـــا سمع معدي كرب ما ابداه دريد ، ازداد حقداً على عنترة وجمع عشرة آلاف مقاتل من خيرة المقاتلين وسار الى بني عبس بين جبلي اجا وسلمى ، وصحراء بني علما ، وكانوا قد تحصنوا في هذه الجبال وعندهم قيس بن زهير في خمسمائة مـــن الابطال ولما رأى قيس قدوم معدي كرب صاح في الفرسان ، ومن يعتمد عليه من الشجعان ، واسرعوا الى خارج المضيق والتقو بخصومهم ونشب بينهم قتال طال مداه حتى ولى النهار فافترقوا عن بعضهم البعض بعد ما امتلأت بجثث القتـــلى جنبات الارض ، ولما انجلت ظلمة الليل واشرقت الشمس نهضت الفرسان من كل جانب

وكان أول من برز الى المعركة والحرب معدي كرب فتقدم اليه قيس بقلب اقوى من الحجر فتقاتلا القتال الشديد ، حتى طعنت ارجل الخيل من تحتها الجلاميد الا ان قيساً لم يكن من طبقة معدي كرب في الفروسية فكادت تلحق به الهزيمة فلما نظرت بنو عبس ما حل بقيس هجموا ودخلوا في القتال والتحم القتال فافترق قيس عن معدي كرب ، بعد ان كان قد أشرف على العطب ، وما زال القوم في قتال ، وحروب ونزال حتى ولى النهار بالارتحال ، فعند ذلك رجعت كل طائفة ، وباتت نساء بني عبس مذعورة خائفة .

هذا ما جرى لهؤلاء ، واما ما كان الملك زهير وعنترة ومن معهما ، فانهم بعد ان تم لهم الظفر رجعوا طالبين الجبال وهم في غاية الفرح ببلوغ الآمال ولما اقتربوا منها التفت حجار الى عنترة وقال له (انني مشغول البال لأن معدي كرب كان قد كتب لي بأنه سيلتقيني في ديار بني فزارة ، وكذلك دريد بن الصمة فارس بني حمير ، والى الآن لم اقف لهما على خبر ، ولا اظهر لهما على أثر واخشى ان يكونا

قد سمعا بمسيركم من الجبال. فسار الى مضاربكم للسطو على حريمكم واولادكم قال عنترة : اذن فلا بد أن نعود في الحال ، قال حجار : «يا أبا الفوارس دعني اسبقك الى معدي كرب ، فاني اريد ان أجعل بينك وبينه مودة فان لم يجبني الى ذلك قدته اليك ، وجئت به أسيراً ذليلا بين يديك » فقال عنترة : « افعل يا اخي ما تريد » .

فسار الامير حجار مع بني كندة حتى اشرف على الجبال فسمع صياح النساء وبكاء الاطفال ، فقال : واحرباه هلكت بنو عبس .

فلما نظر معدي كرب الى تلك الجموع القادمة ورأى راياتها قال لقومه ها هو الامير حجار الذي كنت لك بالانتظار ، ثم سعى اليه وتقرب منه وسلم عليه وقال أهلا بالاخ الشقيق والصاحب الصديق فوالله ما اتيت الا في وقتك فتقدم حتى تأخذ من هذه الغنيمة نصيبك فقال حجار : « لقد خاب ظنك » .. ثم حدثه حجار بما جرى بينه وبين عنترة ووصف له كرمه ، وحسن شيمه وقال له بعد ذلك : « وحق مالك الممالك ، لو أعطاني عنترة اليوم جماله لخدمتها ورعيتها له فان كنت يا معدي كرب ترضي بما رضيته من صداقة عنترة فعاهدني على أن نكون انا وانت من جملة أنصاره الموالين له ، والا فدونك الحرب والقتال فقال معدي كرب : كيف يمكن الآن ان تصفو لي قلوب بني عبس بعدما انزلت بفرسانهم من الخسارة وقتلت منهم من قتلت ؟ فقال حجار : اذا انت اخلصت لهم الوداد ، زالت منهم الاحقاد وسأكون لك الواسطة فيما تريد ، حتى يصير لك في هذه القبيلة ركن شديد ، ولا سيما اذا ساعدناهم على خلاص صهرهم النعمان » .

وما زال حجار يقنع معدي كرب ، حتى اجابه الى ما طلب ولما اتفقا تعاهدا وأقسما بالايمان التي كانت تحلف بها العرب في ذلك الزمان وبعد ذلك انضم بنو كندة الى بني زيد . وكان بنو عبس قد زاد همهم عندما علموا بقدوم الامير حجار لأنهم لم يكونوا يعلمون بما تم بينه وبين عنترة من الوداد . فلما علم حجار بحالهم ارسل اليهم وطيب قلوبهم فرحبوا به غاية الترحيب .

وما هي الا ساعات حتى وصل الملك زهير وعنترة فالتقاهما حجار واخبرهما باجابة معدي كرب الى الطاعة ، وكان معدي كرب قد ركب الى جانب حجار ومعه مشايخ بني زيد ، فلما رأى الملك زهير ترجل عن جواده وقبل ركابه ، وكذلك فعل بعنترة ورق له في الكلام واعتذر وقال : (يا أبا الفوارس) كل دم

بيننا موهوب غير مطلوب والرب الكبير مطلع على ما في القلوب . قـــال عنترة : يا سيد بني زيد ، وحق من أوسع البيد وأنبع الماء من سم الجلاميد نحن ما فعلنا هذه الفعال تعصباً منا للملك النعمان ومن معه من الرجال بل خوفاً على البيت الحرام من أن تطمع فيه صعاليك الاعجام لأنهم لو ظفروا بالكعبة جعلوها بيتاً من بيوت النار) فأمعن معدي كرب على كلامه وشكره على اهتمامه .

ثم ان الملك زهير خلع عليهم الخلع والتأم شمل القبائل فصار عـددهم نحو خمسة عشر الف فارس . واقاموا في مضارب بني عبس مدة سبعة ايام لقوا فيهـــا غاية الاكرام ، وكان عنترة قد ارسل اخاه جريراً الى ارض الحيرة ليكشف له اخبـار الاعاجم فلما كان في اليوم الثامن اقبل جرير واخبرهم ان عساكر العجم والعرب قد اجتمعت في امم كثيرة يبلغ عددها مائة وست وعشرين الفاً . وان خداوند ابن كسرى قادم بهذا العسكر الجرار ، وانه ترك النعمان اسير بالحيرة في حراسة الفين من الفرسان .

فلما سمع معدي كرب بتلك الاخبار قال : الرأي عندي ان نرسل الى الحيرة جماعة من الفرسان ليفكوا اسر النعمان ، فاذا بلغنا هذه الغاية كان لنا أن نطمئن ، لأن عساكر الاعجام لن تصل الى هذا المكان الا بعد مدة من الزمان ، فاذا قدمت قاتلناه بمن معنا من الشجعان ، الى ان يصل الينا الملك النعمان . فمتى وصلنا وصرنا حواليه ، عادت طوائف العرب كلها اليه » فلما سمع الحاضرون ذلك المقال استصوبوا رأيه . فقال عنترة : انا اسير في مائة فارس من ذوي الهمة واقضي هـذه المهمة قال الملك زهير : ايها البطل المهاب ان مسيرك عنا الى الحيرة ليس بصواب ، فقال حجار ايها الملك ان بقاء عنترة في بني عبس اصوب . ومسيري انا في هذا الامر اوجب ، ثم انتخب مائة فارس من ابناء قومه وجعل على رأسهم عروة الفارس المغوار وصار بهم بقطع القفار .

واما ما كان من أبي الفوارس عنترة فانه بعد مسير القوم ، كان يركب هـــو ومعدي كرب في كل يـوم ، ويوغلان في الـــبراري والاكام ليكشفا اخبـــار عساكر الاعجام وما زالا على ذلك ثمانية ايام ولما كان اليوم التاسع ظهرت الطلائع لجيوش خداوند وكان المقدم عليها حاجب يسمى شاه برد وتقدم من عساكره الفا فارس ليكشفوا الاخبار فقال عنترة لمعدي كرب « الرأي عندي أن نلاقيهم انا وانت وحدنا حتى تقع لنا في قلوبهم الهيبة ، ثم حمل عنترة على الميمنة وحمل معدي

كرب الى اليسرة وصاحا صيحات تذكر... بما هدير وزمجرة فنظر الحاجب شاه برد الى افعالهما وتعجب وقال لمن حوله : « ويلكم هل سمعتم بأن فارسين من رعاة الغنم يحملان على الفين من العجم ؟ قالوا : (نعم ايها السيد ان هذا من غنجهة العرب التي تقودهم الى الهلاك)

فبينما هم كذلك واذا بجماعة من العجم قد اقبلوا وهم يلتفتون وراءهم في ذعر فقال لهم شاه برد (ما الذي دهاكم ؟) قالوا : (داهمنا شيطانان لم نلق مثلهما من قبل وان لم تدركنا شربنا كؤوس الحمام وحل بنا الانتقام) فلما سمع ذلك قال لهم : (ويلكم يا لئام.. فارسان من رعاة الاغنام يهزمان الفين من ابطال الاعجام؟) ثم انه اندفع بمن معه من الابطال الى ان التقى بعنترة ومعدي كرب وكانا قد انزلا بعساكره الويل فلما التقوا صاح معدي في بني زبيد فحملت على الاعجام وهجمت بنو عبس وقاتلت ودارت بينهم الحروب وعملت السيوف في رقاب الاعاجم وفعل معدي كرب العجائب وفرق عنترة المواكب ومزق الكتائب حتى التقى بشاه برد مقدم الطليعة وهو يصيح على رجاله بأصوات مرعبة فاعترضه عنترة وصاح في وجهه فانذعر وطعنه بالرمح و... يزمجر فوقع الرمح في احشائه فسقط على الارض يتخبط بدمائه .

فلما رأى الاعجام مقتل مقدمهم ولوا مدبرين يردهم الخجل ويسوقهم الخوف والوجل وجدوا في مسيرهم حتى التقوا بابن كسرى خداوند فسألهم عن الخبر فقالوا : (التقانا عنترة وفرق شملنا ، وقتل مقدمنا شاه برد) فذهل خداوند وجد في السير لينتقم من عنترة ومن معه .

أما ما كان من معدي كرب وعنترة فانهما بعد ما تفرقت العجم في الروابي والشعاب جمعا العدد والاسلاب حيث التقى عنترة بالملك زهير وحدثه بما جرى بينهم وبين العجم ففرح بذلك وباتوا حتى اصبح الصباح ثم تأهبوا للقتال وبينما هم كذلك اذ طلع عليهم غبار عساكر العجم وظهرت الاعلام والرايات ودارت رحى الحرب وكان يوماً كثير الاهوال والمخاطر تقطرت فيه المواتر وثبت الشجاع القادر وكان عنترة يقاتل وهو يهدر كأنه الأسد الكاسر ويجوب على الميامن والمياسر وما زالوا على ذلك حتى امتلأت بالقتلى جنبات الارض ورجع عنترة من المعركة كأنه شقيقة ارجوان بما سال عليه من دماء الفرسان .

قال الراوي : ولما أقبل الصباح عاد الفريقان الى الالتحام وقد قاتل كل من

معدي كرب وعنتر قتالاً تقشعر منه الاجسام . وكان شيبوب يدور حولهما كاللولب . وكلما قتل من تحتهما جواد جاءهما بغيره من الخيول الشاردة . وهو يدافع عنهما بالنبال ، وعندئذ تقدم فارس من العجم جبار عظيم الشأن ، كأنه من عفاريت سليمان وطلب منازلة الفرسان فأراد عنترة ان يبرز اليه ، فمنعه معدي كرب وتقدم من ذلك المرزبان وهجم عليه . وطعنه في فؤاده . طرحه من على ظهر جواده ، فتكاثرت فرسان العجم على معدي كرب . ولكنه ثبت لهم ، ورأوا من فنون قتاله ما حير العقول والاذهان ، فتفرقت عنه الرجال وهابته الابطال . فقال خداوند : ألا يوجد في عساكر خراسان ، من يقدر على قتال هذا الشيطان ؟ فقال الحاجب زرد كمال اخو وردشان : « يا ملك الزمان » انا ما تأخرت عن القتال الا انتظاراً لملاقاة اسودهم عنترة (فلما سمع خداوند من حاجة ذلك المقال . خفق فؤاده واعتراه الانذهال . وقال : (أوليس هذا هو عنترة الذي اسر وقتل . وفعل ما فعل ؟) قال زرد كمال : لا يا مولاي ما هذا الا معدي كرب فارس بني زيد . وما هو الا نقطة في بحار عنترة وان عنترة لأفرس منه واقدر ولكني سأبرز اليه . ولا بد أن أقضي عليه . ثم برز لمعدي كرب الذي كان قد تعب مما لاقى في ذلك اليوم من منازلة الابطال فتلاحما وتناضلا وتصادما وتقاتلا ، ولم يزالا على ذلك الحال حتى اقبل الليل فعند ذلك افترقا واستدار كل منهما ليعود الى قومه ، الا ان زرد كمال كان في غاية الحزن وشدة الغيظ لأنه لم ينل من معدي كرب مراده واراد ان يغدر به فاستدار مسرعاً ورجع اليه وانطبق عليه وطعنه بحربة ماضية كانت تحت فخذيه ، وكان معدي قد أحس بعودته فألقى على ظهره درقته فوقعت على الدرقة اشد من وقوع الصاعقة فمزقتها ونفذت منها الى الحديد ووصلت الى جسده فجرحته فخارت قواه وغاب عن الدنيا رشاده ورقع على الارض على وجهه ويديه وغشي عليه وهم زرد كمال بأن يترجل عن خواده ليجهز على معدي كرب واذا بفارس قد فاجاه وانحط عليه انحطاط الباشق حتي حاداه وطعنه بالرمح في صدره فخرج من ظهره مخضب بالدم ، ووقع على الارض يختبط وكان الفارس الذي قتل زرد كمال هو عنترة لأنه لما رأى العجمي قد غدر بمعدي كرب جازاه على ذلك الغدر والتعدي.

ولما انتهى عنترة من زرد كمال خرج الملك الاسود في الحال وصاح صيحة الغضب وتبعته قبائل العرب وماج البر من ركض الخيل فنادى الربيع بن زياد على من حوله من الجنود والقواد وقال لكم دونكم هذا العبد الاسود فهجت الفرسان وعلا

الصياح من كل مكان فبينما القوم في اشد قتال واذا بصائح قد خرج من معركة الحرب وهو يهدر كالبعير وفي يده اسير ومن خلفه رجل يسابق بمسير الطير وكان ذلك الفارس هو عنترة والرجل هو شيبوب والاسير هو الملك الاسود وسار عنترة من خلفه يرد عنه الابطال ويصارع صناديد الرجال حتى اخرجه من ساحة القتال وامر شيبوباً ان يسوقه الى الجبال ورجع عنترة الى معركة القتال واخذ يجندل الفرسان والابطال .

خـــلاص النعمان

ولما نظر خداوند ما حل بعساكره من الهزيمة ضاق صدره واما الربيع فكان منشرح الصدر واخذ يبشر حذيفة بن بدر بالغلبة والنصر عندما رأى ان بني عبس أنهكهم القتال فقال له حذيفة : « والله يا ربيع ما هم الا جبابرة عتاة ولن يهزموا ما دام عبدهم على قيد الحياة على أنهم ما خسروا فارساً الا وخسرنا امامه ثلاثة أو أربعة) .

قال الراوي : وقد دام القتال على مثل ذلك الحال سبع ليال وسبعة ايام وفي اليوم الثامن ضعف بنو عبس من طول القتال و كثرة الاعادي وكان عنترة قد جرح في ثلاثة مواضع فعند ذلك صاح الربيع بن زياد على من حوله من الجنود والقواد وقال لهم دونكم هذا العبد قطعوه بسيوفكم ومزقوا جسده على أسنة الرماح واذا بغبار قد ظهر للعيان وان من تحته ابطال وفرسان كأنهم مردة الجان وهم يصيحون يا للخم بالحزام ابشروا بالويل يا بني الاعجام فقد جاءكم الملك النعمان .

فلما سمع الربيع ذلك اعتراه الخوف والتفت الى حذيفة وقال : لقد تخلص النعمان وأتى لنصرة بني عبس وعدنان بالابطال والفرسان والسيوف وسوف يعتب علينا انكم لما علمتم بغيابي اتيتم لمناصرة اخي وقتال أنسابي وان لم نتدارك امرنا ونحسن التدبير حل بنا الهلاك ثم رجع الى خبثه ومكره وصاح في قبائل العرب: كفوا عن الحرب فقد أقبل عليكم الملك النعمان) فلما سمعت العرب بذلك ترجلت عن ظهور الخيل وسعت الى بين يدي النعمان لأنها كانت قد ذلت بعد اسر الاسود وصارت بلا قائد ورأت الهوان من عساكر العجم والديلم ولولا طمعها في نهب الاموال وحقدها على عنترة لما كانت ثبتت في المعركة هذه وقد ارتفع من بينهم الخلاف وحصل بين القبائل الاتفاق والائتلاف .

قال الراوي : وكان السبب في خلاص النعمان من الاسر ان الامير حجار بن عامر وعروة بن الورد . سار بمائتي فارس كما تقدم الكلام حتى اشرفا على الحيرة ، واعملوا السيوف في العبيد والرعيان وحاصروا البلد وخلصوا النعمان من الاغلال والقيود وساروا في ركابه ، فكان كلما مر على قبيلة هللت لمقدمه وتبعه ابطالها وفرسانها الى أن صار في جيش جرار وما زال يواصل السير حتى وصل الى المعركة فتقدمت العرب الى خدمته ، واذعنت لطاعته ، واجمع الربيع وحذيفة بن بدر وهناه بالخلاص من الأسر .

ولما سمع خداوند بذلك الخبر ، ايقن من الهلاك والخطر . فاضطرب وامـــر بكف القتال وتأخر الى الجبال وكان قد بقي معه نحو خمسين الف فارس فعند ذلك خروج بنو عبس من الشعاب . مثل الاسود اذا خرجت من الغاب وفي مقدمتهـــا حاميها عنترة .

ولما رأت العرب أحجام العجم واجتماعهم للانسحاب طمعت في نهب اموالهـــم ومتاعهم وهجموا عليهم من كل جانب فمنعهم النعمان عن ذلـــك لأنه كان حسن السياسة والتدبير وخرج من تحت الاعلام والى جانبه الامير حجار . وعروة بن الورد وجماعة من كبراء دولته ورؤساء مملكته . وقصد خداوند بن ملك العجم . ولما وصل اليه قبل الارض وسلم عليه . ودعا له ولأبيه بدوام العز والنعم وقال له لا تخف ايها السيد المحترم من قدومي عليك بهذه الأمم فما نحن الا اعوان الدولة الكسروية وحلفاء المملكة الفارسية وانا اعلم ان لي ذنباً يستحق القصاص غير مصاهرة بني عبس وها أنت قد شاهدت فعالهم وخبرت بنفسك قتالهم ومن اجل بسالتهم هذه طلبت مصاهرتهم فسمع ابوك في كلام الحساد وقبض علي ظلماً وعدواناً لشيء لم يحط به علماً وبياناً . والآن فقد كان الذي كان ونظر العين اوفى من سماع الآذان وقد رأيت بعينك ما قد كفى وانا لا اعرف لي ذنباً لشيء يستوجب النفور والجفا فان رضيتموني لمملكتكم حامياً ومدافعاً كنت لكم سامعاً وطائعاً وان كرهتموني فالبر بين يدي واسع .

فلما سمع خداوند من النعمان ذلك الكلام ارتاحت نفسه وابدى الابتسام وتلقاه بالترحيب والاكرام وقابله بما يليق ومقامه لأنه جميل الخلق حميد الخصال ذا فكر ثاقب في سياسة الرجال وقد ارتفع الخلاف وصفت النفوس فقال خداوند وحـــق بيوت النيران لن اسير الى بلاد خراسان الا وركابي في ركابك حتى ادخل بك على

ابي واجعله يسترضيك بعد ان جهلنا قدرك واريد منك ان تأتيني بعنترة حتى اكافئه واخلع عليه الخلع الحسان .

فلما سمع النعمان ذلك فرح واستبشر ، وقال : وحق من خلد سلطانك وشيد اركان ملكك وبنياتك ، ما عنترة الا وحيد دهره ، وفريد عصره . ثم التفت الى عروة بن الورد وامر بأن يأتي بعنترة والملك زهير ومن معهم من الابطال ، فسار عروة واجتمع بعنترة واوقفه على حقيقة الخبر فعند ذلك التفت الملك زهير الى عنترة وقال له : ما عندك من الرأي ؟ : « والله ما عندي الا قتل خداوند بهذا الحسام . وقتل كل من معه من الاعاجم غير اني لا اخرج عن رأي الجماعة ولن اخرج النعمان في مثل هذه الساعة . بل اجيب بالسمع والطاعة » . ثم جمع الفرسان وسار بهم فلما دخلوا على خداوند قال لهم : يا وجوه العرب الاجواد ، إن العتب في مثل هذا الوقت مما يجدد الاحقاد وما احضرتكم الا لأتخذكم لي كالاخوان ، ولتكونوا لدولة كالاعوان » . ثم احسن اليهم . وأنعم بالخلع عليهم ، فصفت منهم القلوب ، وانجلت عنهم الكروب . ثم أشار الى عنترة فتقدم منه وصافحه ، واعتذر فشكره خداوند ، ثم لقبه بسبرسياه ومعناها « السبع الاسود » وامر له بالخندل والتحف والجواهر . والتفت الى النعمان وقال له : يا شاه « تيزان » أي يا ملك العربان ، هات عنترة معنا الى بلاد خراسان : فقد ولدت لي صحبته ، وسرتني مسامرته فقال (لقد سمعنا وأطعنا) .

وكان النعمان غير مطمئن القلب من ناحية كسرى ، وكان يتمنى أن يأخذ عنترة معه الى بلاد الاعجام . فلما وصل طلب خداوند اصحابه وطابت نفسه ، وبلغ مراده ثم انه طلب من بني عبس اطلاق سراح اخيه الاسود وسائر الأسرى فاطلقوهم .

وتقدم الاسود الى اخيه واعتذر اليه واصلح النعمان بين بني عبس وعدنان ، وفزاره وغطفان ، وقال : (ان الصلح بين بني الاعمام انعام على انعام ثم التفت الى ابي الفوارس عنترة وقال يا فارس ربيعة ومضر وشاعر شعراء البدو والحضر ، انا اعلم بأن عيشك منغص لتأخر زفافك على ابنة عمك عبلة والآن حق علينا ان نسعى في اتمام هذا الامر فقال عنترة (والله لن اسعى الى ابنة عمي . ولن يزول همي وغمي الا بعد ان تسترد مكانتك عند كسرى ، فلما سمع النعمان ذلك شكره على وفائه .

ثم أقاموا بعد ذلك الكلام ثلاثـــة ايام ، وفي اليوم الرابع تجهزت العساكر للسفر ، وقال النعمان للملك زهير : ارحل انت الى منازلـــك وجهز بنتك المتجردة الزفاف . وقال الاسود مثل ذلك لحذيفة سيد بني فزارة لانه كان قـد خطب اخته ماوية كما سبقت الاشارة وعند الصباح تفرقت قبائل العرب الى منازلهـــا ورحل خدواند وفي صحبته الملك النعمان وعنـترة وحجار بن عامر وعروة بن الورد الى بلاد كسرى ولما طال الترحال زاد بعنترة الوجد والحنين الى ابنة عمه عبلة وتذكر ارض الشربة ، والاهل والاحبة ،فجاش الشعر في خاطره وأنشد يقول :

ذنبي لعبــلة ذنب غير مغتفر لما تبلج صبح الشيب في شعري
رمت عبيـلة قلبي من لواحظها بكل سهم غريق النزع في الحور

وكان قد وصل الى بني فزارة رسول آخر من قبل الملك الأسود أخي النعمان ومعه من التحف والهـدايا الحسان ما لا يصفه لسان وطالب حذيفة بن بدر بارسال اخته ماوية اليه وسرعة قدومها عليه لانه كان قد خطبها فطار حذيفة من الفرح وأخذ يجهز العروس وأملأت الاحياء بالافراح والمسرات .

وبعد ثمانية أيام حملت الهوادج على ظهور الجمال وجللوها بثياب الديباج وســار حذيفة واخته في مائة وخمسين رجلا من الابطال والفرسان وارسل الملك زهـير مع ابنته المتجردة ابنه شاس .

وما زال القوم يقطعون البراري والمنازل حتى وصلوا إلى الحيرة فخرج النعمان للقائهم في جيوش كثيرة يتبعه أخوه الأسود وجماعة من السادات . ولما التقوا ببعضهم علا منهم الصياح وزادت المسرات والافراح وبعد ذلك جدوا في المسير ، حتى انتهوا الى القصر الكبير وكان قصراً عظيم البنيان ، مشيد الأركان بديع المنظر ، جميـــل الرونق وجلس النعمان على السرير وقام في خدمته الكبير والصغير ، وجلست من حوله الامراء والاعيان والوزراء ، وصفت بين أيديهم صحاف الطعام ودارت عليهم كؤوس المدام وما زال القوم في سرور وأفراح مـدة عشرة أيام وبعـد ذلك زفت المتجردة إلى النعمان ، وزفت ماوية إلى الملك الأسود ثم تفرقت الضيوف بعد أن ودعوا الملك النعمان وطلب حذيفـة الانصراف إلى منازله فخلع عليه الاسود وعلى اخوته وكذلك فعل النعمان مع شاس بن زهير . فلما نظر شــــاس الى تلك الهدايا والتحف الحملة على الجمال بادر إلى الملك النعمان وقال له وحق الملك الديان لا يصحبني من هذا المال قليل ولا كثير ، لانك أرسلت الينا ما فيه الكفاية وقد بلغنا احسانك

للغاية ، ونحن ما طلبنا مصاهرتك طمعاً في انعامك ، بل رغبة في علو قدرك ومقامك فشكره النعمان وأمره أن تحمل الناقة التي اتت عليها المتجردة من افخر العطور . ذات الرائحة الزكية كالمسك الازفر والند والعبر. وقال لشاس خذ هذه في صحبتك لأن الناقة التي أتت بالحبيب . لا يجوز أن ترجع إلا وهي محملة بالطيب . ثم ودعه وسار شاس وليس معه غير عبده سالم ورجع في الطريق مع حذيفة .

ولما ابتعدوا عن الكوفة جرى بين شـــاس وحذيفة ذكر الدعوات والولائم وافتخر كل منهما بصهره وعظم من قدره وبالغ حذيفة في مدح الأسود . وفضله على سائر العرب فعلم شاس أنه تعمد ذلك لكي يثير غيظه حتى يفارقه ويسير وحده في الطريق . فلما تحقق من ذلك سار وحده وأظهر أنه يريد السير في البراري . فلما نظر حذيفة الى سرعة مسيره قال لمن معه جدوا بنا في المسير ودعوا شاساً وحده عسى أن يلقاه قاطع الطريق يضرب عنقه لانه من محبي عنترة ومن المتعصبين له ثم جدوا في التسيار ، وتركوا شاساً في تلك القفار .

فلما وصل شاس إلي ديار بني عامر كان قـد حل به الظمأ ، فعدل الى المنهل في طلب الماء واتفق أنه كان في ذلك المكان صياد يقال له ثعلبة بن الاعوج ، وكان قد مد شباكه . ونصب شراكه . فلما وصل شاس اليه نفرت الوحوش من حواليه فغضب الصياد وزعق على شاس وقال له قاتلك الله من تكون من الناس ، لقد قطعت رزقي وضيعت صيدي فقال له شاس والله يا ابن الانذال لو لم تكن من فقراء الرجـــال لقابلتك بهذا الحسام . على ما ابديت من غيظ الكلام . فتحمس الصياد من زيدة حماقته وانتزع سهماً من كنانته ومكنه في قوسه ، ورمى به شاساً فاصابه في فؤاده فوقع قتيلا عن ظهر جواده . ثم دنا منه وتأمله فأيقن أنه قـــد قتله . ثم نظر إلى الجواد وإذا هو بركاب من ذهب يكاد يضيء في الليـــل . ورأى عليه زي الملوك فاضطر وتحير . وكان سالم عبد شاس قد رأى مصرع مولاه فتركه واما الصياد فانه بادر في الحال ودفن شاساً بين الرمال وأخذ ماله وجواده كما أخذ الناقة المحملة بالمسك والطيب وسار إلى بيته . فلما دخل على زوجته اخبرها بقصته . وامرها أن تكتم ما جرى له في ليلته ثم انه ذبح الناقة وطبخ لحمها حتى لا يعلم بخبرها احد . واخفى الاموال والطيب وباع الجواد في أبعد مكان .

ولنعد الى حذيفة بن بدر ، فانه وصل الى دياره ، وبلغ الملك زهير قدومه دون ان يعود ولده شاس فاستبد به القلق ولعب بعقله الوسواس إلى ان جاء العبد سالم



وكان القوم في سرور وافراح وزفت المتجردة الى الملك النعمان

الذي كان مع ولده فأخبره بمقتل شاس في ديار بني عامر . وكيف قتله ذا لك
الصياد . فعظم مصابه . وزاد بكاؤه وانتحابه ووصل الخبر الى اخوته والى ا

تماضر فلطمت وجهها . وبللت الارض بدموعها وامتلأ الحي بالبكاء والعويل .

وبعد ثلاثة ايام اخذوا في الاستعداد للرحيل الى بني عامر لكي يبحثوا عن قاتل شاس فجهزوا الفي فارس وساروا يقطعون الوديان والدساكر حتى وصلوا الى تلك الديار فاستقبلهم ملاعب الاسنة غشيم بن مالك في جماعة من فرسان المعارك وقال للملك زهير أيها الملك فيم اتيت الى ارضنا أزائر لنا حتى نأخذ منك حظنا أم متصيد حولنا ؟ فقال لا والله ما جئتكم كما تجيء الضيوف وما جئتكم الا لأبذل في ساداتكم السيوف قال وما الذي غير ما بيننا من الوداد حتى تستحق هذا الجفاء فقال الملك زهير ان ولدي شاساً قتل في هذا المكان عند رجوعه من عند النعمان قال غشيم وهل تريد ان نأخذ البريء بما ارتكب المسيء فلما سمع الملك زهير ذلك المقال لم يجد له حجة على بني عامر ، وعاد راجعاً خوفاً من عاقبة البغي فلما وصل الى منازله شق قيس ما عليه من الثياب وقد اشتعل قلبه بنار الالتهاب وامتنع عن الطعام والشراب وقال وحق الارباب لا بد لي من الوصول الى قاتل اخي ولو تعلق بالسحاب ولن اترك دم اخي يذهب هدراً ثم عمد الى ناقتين وحملها قمحاً ودقيقاً وتمراً ، واستدعى بعجوز شمطاء كأنها الحية الرقطاء وقال لها « يا قرة العين خذي هاتين الناقتين واقصدي ديار بني عامر ودوري بين المنازل والعشائر ولا تبيعي هذا الذي معك الا بطيب فاخر فاذا عرفت من يملكون افخر الطيب فارجعي على الاثر واعلمينا بالخبر فأجابته بالسمع والطاعة وسارت الى بني عامر .

وكانت تلك السنة كثيرة القحط والغلاء والناس في غاية الاحتياج لعدم وجود الحنطة والكلاء فلما وصلت العجوز الى ديار بني عامر دارت بين البيوت وعرضت ما معها على النساء والرجال فجعلوا يخرجون لها من الطيب الذي عندهم وهي تمتنع عن بيعهم وتردهم ولما انتهت من بني عامر وكلاب، قصدت بني غنى وشقت طريقها بين الاطناب وكادت تيأس من بلوغ المراد وما زالت تدور في تلك البلاد حتى وصلت بيت ثعلبة بن الاعوج الصياد وكان ثعلبة غائباً عن زوجته وهي محتاجة الى المؤونة في غيبته فلما سمعت نداء العجوز دخلتها الى خائبها وقالت لها اعطيني احسن ما عندك من الحنطة لأن عندي من الطيب احسن مما عند سائر العرب ثم اخرجت لها ذلك المسك والعنبر ففاحت رائحته وعبق منه المكان فلما رأته العجوز قالت لها بالله عليك من اين لك هذا الطيب الذي لم أر مثله في سائر الاقطار ، ولا يوجد نظيره عند تاجر ولا عطار » فلما سمعت منها ذلك المقال قالت لها لن اخبرك حتى

تعاهديني على ان الحديث لن يخرج منك لانسان فعاهدتها العجوز واجابتها وحلفت لها فقالت لها اعلمي ان لي زوجاً يقال له ثعلبة بن الاعوج الصياد ، سار في بعض الايام الى ناحية الغدير ليصطاد فمر عليه غلام من عبس ، فلما دنا منه ، نفر الوحش عنه ، فصعب ذلك على زوجي فانتهره فكلمه الغلام بكلام أغاظه وكدره فرماه بسهم قتله ، وكان معه عبد وناقة محملة من الطيب فلما رأى العبد ما حل بسيده طلب النجاة والفرار ورجع زوجي بالجواد والناقة وقد ذهب عنا ما كنـــا فيه من الفقر والفاقة ، ومضى الآن زوجي ليبيع الجواد والسلب ، في بعض احيـــاء العرب ، ويأتين بالفضة والذهب ، ولو لم تكوني امرأة غريبة ما اعلمتك بهذه القصةالعجيبة (فأعطتهاالعجوز ما كان على الناقتين واخذت منها من الطيب ما يساوي ثمن الزاد مرتين. ورحلت من عندها مسرعة الى ديار بني عبس ، ودخلت على الملك زهير وسلمت عليه وبكت وانتحبت بين يديه واخبرته بما جرى لها من الحديث العجيب ، فلما سمع منها ذلك التهب فؤاده وصاح على من حوله من الابطال ، بأن يأخذوا اهبتهم للقتال ، فركب الفرسان ظهور الخيل ، وسار الملك زهير في مقدمتهم حزين القلب ثم انهم جدوا في السير حتى وصلوا الى ديار بني عامر فتقدم اليهم ملاعب الاسنة في نفر من أهله واقربائه وسألوه عن سبب عودته ، فأخبرهم بقصته . وما دبره قيس من الحيلة التي عرفوا بها قاتل شاس وهو ثعلبة بن الاعوج الصياد فلما سمعوا منه ذلك الكلام وتحققوه طلب ثعلبة بن الأعوج الصياد فلم يجدوه، فأحضروا زوجته وسألوها واغلظوا عليها بالكلام وهددها ، فحدثتهم بما فعل زوجها من قتل الفارس الغريب ، فلما سمع ذلك الملك زهير شق الامر عليه وكبر لديه وطاش صوابه ، فالتفت الى ديار بني عامر وقال لهم :) اريد منكم ان تعيدوا لي ولدي كما كان حتى يرجع معي حياً الى الاوطان او تسلموا الي بني غنى حتى اطلق السيف فيهم وأمحوهم عن بكرة ابيهم وان لم تفعلوا ذلك ، انزلت بكم المهالك، فقالوا : (لقد تعديت ، وظلمت وبغيت لأن الذي تطلبه لا يعدو مخلوق عليه) وعندئذ هجم الملك زهير ومن معه على بني عامر وجندل فرسانهم وهو غاضب وما زال معهم في نزال وقتال،حتى شتتهم في الجبال ثم جمع جنوده وعاد طيب النفس ، طالباً ديار بني عبس .

مقتل الملك زهير

وكان سيد بني عامر خالد بن جعفر غائباً في بعض البلاد فلما عاد رأى قومه على رؤوس الروابي والتلال ، وهم في بكاء ونواح ونحيب وصياح حزناً على من فقدوم

من الرجال ، فطيب خالد قلوبهم وجمع فرسان عشيرته وسار في خمسة آلاف فارس ولما اوغل في البراري قسمهم الى فرق ومواكب واقام قائداً لكل فريق ، وفرقهم بين كل درب وطريق .

وكان الملك زهير قد نزل على مياه هوازن بن منصور فلحق به خالد وهو غاضب فلما رأى قيس غبار القوم ، قال لأبيه : (خذ حذرك يا ابتاه فهذا غبار بني عامر قد ظهر ، واني لأظن أن القادم هو خالد بن جعفر . ومن هذا كنت اخاف واحذر) ، فعند ذلك لبس الملك زهير آلة الحرب وتهيأ للقتال ، ووثب على ظهر فرسه القعساء ، وبادر للقاء الاعداء ، وابصر خالد بن جعفر ذلك فصاح في بني عامـــر ، فحملوا كالنسور الكواسر ، فتلقاهم بنو عبس وعدنان ، واخذوا في الضرب والطعان ، وفي تلك الساعة وصلت فرقة من بني عامر وكثر على بني عبس العدد ، وزاد عليهم المدد ، وقل منهم الصبر والجلد ، لأنهم كانوا مائة فارس واعداؤهم خمسة آلاف فلما رأى الملك زهير كثرة اعدائه أيقن أن ليس من الموت فكاك ، فجعل يلتقي الرماح بصدره ويحمل حملات من لا يفكر في عواقب امره ، ولما ابصر خالد فعاله ، برز له وطلب قتاله فالتقاه الملك زهير بقلب اقوى من الجبال ، وصدمه صدمة اقوى الن الزلزال ، وما زالا على ذلك حتى كلت منهما قوى الزندين فتماسكا باليدين ووقعا معاً على الارض ، الا ان الملك زهير كان قد تعب من طول القتال فقبض خـالد عليـه ، وجذبه اليه ، واراد ان يستل حسامه ليقتله فلم يتمكن منه ، لأنه خاف ان يفلت اذا نهض عنه ، فصاح بملء فمه على من حوله من قومه ، ويلكم يا بني عمي أدركوني واقتلوا زهيراً وخلصوني وعندئذ اقبل من خلفه جندح بن البكاء فارس بني عامر وضرب الملك زهيراً بالسيف على رأسه ، فشقه الى اضراسه ، وسمع للسيف خشخشة وطنين ، فعلم جندح ان ضربته قاتلة ، فوثب خالد الى ظهر فرسه بعد ما اخذ سيف الملك زهير وعدته ، وسار ، في غبطة وانشراح يرفل في ثياب الافراح .

واما قيس واخوته الابطال الذين كانوا مع الملك زهير ، فانهم لما علموا بمقتله خافوا على انفسهم من العطب فآلوا رؤوس الخيل وطلبوا الهرب ، حتى بعدوا عن ساحة القتال ولما امنوا على انفسهم رجعوا الى الملك زهير فوجدوه يتململ وهو في النزاع الاخير . . فلما اسلم الروح بكى عليه اولاده ثم غسلوه وكفنوه وحفروا له ودفنوه ورجعوا الى ديارهم وهم في اسوأ حال .

هذا ما كان من أمر هؤلاء ، واما ما كان من ابي الفوارس عنترة فانه حينـــما

كان في ديار الملك النعمان بلغه ان بعض قبائل اليمن خطفوا سلمى زوجة أسيد عم الملك زهير فسار قاصدا بلاد اليمن. ليخلصها وبعد ان انجز المهمة عاد يقطع الوديان والجبال قاصداً ديار بني عبس حتى قرب ومن معه من شعاب كمن له فيها خالد بن جعفر ليورده موارد الهلاك وكان قد ترك في اعلاها بعض الحراس الارصاد. لتأتيه باخبار عنترة بن شداد ولما اشرف عنترة ومن معه من الرجال نزل الحراس من رؤوس الجبال. وقالوا لخالد « لقد رأينا خيلا مقبلة من صدر البيداء. وقد نزلت على الماء » فلما سمع خالد ذلك الخبر فرح غاية الفرح، وصبر حتى اظلم الليل، وارسل بعض عبيده ليستقصي خبر القادمين فعاد العبد وقال له :ابشر ببلوغ المراد فان القوم من بني عبس ومعهم عنترة بن شداد » فلما سمع خالد مقاله نبه رجاله. وقال لهم: « استعدوا للقتال واركبوا ظهور الخيل حتى نكبسهم في ظلام الليل ». وصبر حتى اقترب عنترة ومن معه من ذلك المكان. ثم انحدر اليهم من رؤوس الشعاب وتدفقت خلفه الفرسان وكانوا نحو سبعمائة فارس. فجردوا الصفاح. وهزوا الرماح. وحملوا على بني عبس في الظلام من كل جانب وكان اسبق الناس الى عنترة الربيع بن عقيل فصدمه صدمة شديدة واطبق عليه بحربة مسنونة. فتلقاها عنترة على الدرقة. فمرت كأنها صاعقة. واشتد بعنترة الغيظ، فهجم على خصمه وضربه بالسيف على رأسه ضربة غيبته عن رشاده. فوقع عن ظهر جواده وكان عنترة قد انتبه لنفسه بعد هجمة الربيع بن عقيل وطعن في صدور الابطال طعناً يشفي الغليل. وكانت فرسان بني عبس حملت على بني عامر. كأنها الليوث الكواسر. وقاتل عنترة في تلك الليلة اشد قتال.. ولما ابصر خالد بن جعفر ما حل بقومه استبد بقلبه الخوف ولجأ كعادته الى الخديعة والاحتيال. والقى الرمح بين يديه. ورد السيف الى غمده. وتقدم من عنترة بن شداد وقال له: « أيها الفارس لقد قتلت ساداتنا وكباتنا وأهلكت ابطالنا وحماتنا. فقل لي بالله من تكونون من سادات العرب وقل لأصحابك يرفعوا عنا الحسام حتى ينتهي ما بيننا من الكلام » فلما سمع عنترة مقاله. صدق احتيالة وامر شيبوب ان يرد فرسان بني عبس عن رجاله خالد. وقال له: اما سؤالك عن انسابنا فنحن بنو عبس وانا هو حاميتهم عنترة بن شداد واحب ان اعرف من أنتم ؟» فصاح خالد: « يا أبا الفوارس .. قاتل الله الليل الذي اوقعنا في هذا الخطأ حتى آذينا أعز الناس علينا فبالله لا تدع ما جرى منا يقطع ما اتصل بيننا من النسب » فتعجب عنترة من كلامه وقال: «واي قرابة بيننا وبينكم وأي نسبه

فقال خالد : يا فارس الفرسان ، انا اعلمك ، بما حدث وأنت غائب عن الاوطان، وقد وهبتك ما اهرقت من دماء رجالنا اكراماً لسيدكم الملك زهير ، الذي صار لنا حصناً وحمى . لقد التقيت به عند البيت الحرام وصارت بيننا حرمة وذمام . ثم اخذته معي الى ديار بني عامر لأنني انا سيدها خالد بن جعفر ، وقد انزلته هو وأولاده معي في منازلنا واكرمته غاية الاكرام ، واقام عندي مدة عشرة ايام ، وقد خطب مني ابنتي بدو الحلل لولده شاس ، وبذل لي من المهر ما لا يقدر عليه احد من الناس ، ولما رحل من عندي وهبني فرسه وسيفه ذا النور وبعد رحيله اخذت في تجهيز ابنتي ، فسرت مع هؤلاء الفرسان وقصدت بلاد اليمن ، وقد عولت على ان اجلب لها من المال ما لا تقدر عليه ملوك الزمن ، ولما اقبلتم طمعنا فيكم ، ثم ما كان بيننا من قتال ، فلما سمع عنترة ذلك الخطاب ، صدقه وهو لا يعلم انه كذاب . ثم اطلقه وصاح في العبيد وامرهم أن يطلقوا كل اسير ، فأطلقوهم وكان منهم جندح بن البكاء والربيع بن عقيل ، وغيرهم من شجعان بني عامر ثم انهم ودعوه وساروا ، وخالد لا يكاد يصدق انه نجا .

فلما توغل في الفلاة قال له الربيع بن عقيل: «والله يا خالد لقد احكمت الحيلة ، وخلصتنا من هذه الورطة الوبيلة » فقال خالد : « لا بد لي من التقي بعنترة مرة اخرى لكي اعدمه الحياة».

أما عنترة ومن معه ، فعندما اشرفوا على ديارهم رأوا الجموع ترتج والدروع تلمع من كل فج ، فتعجبوا من ذلك غاية العجب ، واندفعوا مسرعين نحو المضارب فركبت للقائهم فرسان بني عبس وفي مقدمتهم مالك بن زهير ، صديق عنترة وصاحبه ، واخوه الحارث ، ولما شاهد مالك عمه اسير وعنترة بن شداد ترجل من ظهر الجواد ، ودق على صدره ورأسه ومزق ما كان عليه من الثياب، ونادى واحرباه وأأبتاه واسيداه واملكاه ، فلما رأى عنترة ذلك انقبض صدره وقال : (ما الخبر يا مولاي) فقال : (مصيبة تجل عن العزا ، ومحنة عمت الرجال والنساء) ثم نعى اليه اباه ، وشاساً اخاه ، فلما سمع عنترة ذلك خارت قواه ، ثم ان مالكاً حدثه بكل ما جرى مع خالد بن جعفر ، فندم عنترة على اطلاق سادات بني عامر من الاعتقال ، وانخداعه بما ابداه خالد من المكر والاحتيال ، وعز ذلك عليه، فأظلمت الدنيا في عينيه ، ونادى (واحرباه عليك يا خالد والله لاجعلنك مثلا بين الناس) فقال الربيع بن زياد وقد نما غيظه لما رأى عنترة بن شداد قد عاد بالاموال والغنائم :

(يا بني العم لاتكثروا من النواح لأن قيساً استعد لأخذ الثأر بكل فارس كرار)
وكان قصد الربيع بذلك الكلام أن يشعر عنترة بالهوان ، وانه لا مكان له بين الفرسان ، فاغتاظ عنترة وخرج من بين المضارب وقلبه ملتهب من شدة الحزن ومضى الى بيت ابيه امير شداد ،وقد امتلأ صدره حقداً على الربيع بن زياد ، ودخل على امه زبيبة ، وقد عظمت عليه تلك المصيبة فانحدرت دموعه وتعثرت من الغيظ ضلوعه ، فقالت له امه وقد بكت لبكاه ، ورثت لحاله على ما أصابه ودهاه : « الى كم تلقي بنفسك في المهالك وتلقي الاهوال ، وتضحي في سبيل من لا يحفظك ولا يرعاك ؟ » فقال عنترة : « وحق من سطح الغبراء ورفع السماء ، لامزقن شمل بني زياد اللئام الاوغاد ، واجعلهم احدوثة بين العباد ، لانهم علة الفساد » ، ثم سأل امه عن ابنة عمه عبلة وعن احوالها . وهل كانت تذكره في غيبته ، فقالت : « انها كانت تسهر ليلها في انتظارك ، وتسأل عنك وعن اخبارك ولا تكف عن التحدث بشهامتك وتدعو الله أن ينعم عليها بسلامتك » فطابت نفس عنترة وخف بعض همه .

واما قيس فانه تجهز في اليوم التالي للسفر ورحل بجيش من بني عبس وعدنان لقتال خالد بن جعفر ، ولم يأخذ معه الامير عنتره فلما اقتربوا من ديار بني عامر خرج لهم الحارث بن ظالم ، وكان خالد قد حرضه على القتال معه ، واعطاه فرس الملك زهير وسيفه فقبلها الحارث وركب الفرس وتقلد الحسام والتقى الجمعان وكان في مقدمة بني عبس حذيفة بن بدر فبرز للحارث بن ظالم ، تقاتلا وتطاحن وراءهما الابطال وتصادموا على ظهور الجياد ، وفعل الحارث ما اذهل النواظر وحير الخواطر وما امسى المساء حتى وقعت الخسارة في بني عبس فقال قيس لمن معه : (لقد اتينا في طلب الثأر فكادت تلحق بنا الهزيمة ويحيط بنا العار، وما في الامر الا ان ارسل في طلب حامينا فارس الجلاد عنترة بن شداد ، فهو القادر على ان يكشف عنا هذه الغمة) .. ثم ارسل من وقته وساعته الى عنترة كتاباً يترضاه فيه ويعتذر اليه ويطلب سرعة قدومه عليه .

وعند الصباح وثب كلا المعسكرين الى القتال واشتد بنهم الضرب والطعن حتي تضعضعت قوى بني عبس واصبحوا في شر حال ، واراد ان يخفف عن بني عبس فطلب النزال فارساً لفارس وقال لبني عامر (يا معشر الانذال ابرزوا لي فرسانكم حتى اريكم كيف تكون الحرب والوقوف في مقام الطعن والضرب) فبرز اليه الحارث بن ظالم وكان راكباً على فرس الملك زهير ، ثم حمل على حذيفة وتقاتلا قتالاً تشيب لهوله الولدان وتبودلت بينهما طعنتان فاصلتان فكان الحارث اسبق

فوقع الرمح في فخذ حذيفة فارتد الى الوراء وقد اشتد به الالم ، فعند ذلك اعجب الحارث بنفسه فصارت تخرج له الفرسان وهو يقبض ارواحها ويرمي الى اصحابه عددها وسلاحها واخيرا برز لقتاله نازح بن اسد وهو على جواد منتخب من افخر خيول العرب فالتقاه الحارث في الحال ، وانطبق الاثنان في القتال فبينما هما على مثل ذلك ، واذا بفارس اسود قد خرج من طوائف بني عامر ، طويل القامة ، عريض الهامة ، ملثم الرأس خال من الزرد واللباس ليس عليه غير ثوب من الخام قصير الاكمام وهو راكب على جواد اعرج ، بسيف اعوج وفي يده رمح مكسور معصب ، ومن تحته سرج من خشب فلما صار بين الصفين تقدم نحو الفارسين .

وكان الحارث قد ظن انه من عبيد خالد بن جعفر وقد اتى من عنده بخبر فلما صار في ساحة الميدان صاح عليهما صيحة ارتجت منها الجبال والوديان فقال له الحارث (ويلك ماذا تريد ؟) قال البدوي . (ويلك لقد اخذت لنفسك ساحة الميدان ، واحتقرت من اجتمع هاهنا من الفرسان ، وما تركت أحداً من فرسان العرب يكسب شيئاً من الفضة والذهب .. أما علمت يا ابن الانذال ان هذه القبائل قد اجتمعت من السهول والجبال ولها عند بني عبس دم ، فارجع الآن ودع عنك المحال والا طعنتك بهذا الرمح المكسور وتركتك عبرة لمن يعتبر) فلما سمع الحارث ذلك الكلام البذيء طار من عينيه الشرر وقلب سنان رمحه وطعن البدوي طعنة اسرع من لمح البصر ، فمال البدوي عنها وأخرج رجله من الركاب وانقلب كسبع الغاب ووثب من ظهر الجواد حتى صار على وجه التراب فخابت الطعنة بعد أن كانت صائبة ثم عاد البدوي الى ظهر الحصان وهجم على الحارث وطعنه بالرمح . فوقع على وجهه . وطار الرمح أربع قطع ، فاندهش الحارث واعتراه الخوف والفزع وابتعد عن البدوي الذي نزل عن ظهر حصانه واخذ يجمع الرمح من الارض ويشد بعضه في بعض فتعجب فرسان العرب من فعاله وغريب اعماله . واما نازح فقد تقدم الى البدوى وسلم عليه وقال له هنيا يا وجه العرب ، خذ لك هذا الرمح المكعب ، وعد الى خصمك في ساحة الميدان وخذ لك هذا الحصان فانه يعينك على الصمود في الميدان فاخذ منه الرمح وركب ظهر الجواد وقال لنازح لا تبرح هذا المكان حتى اكافيك على هذا الاحسان لأنك تعصبت معي ، ورفعت مكاني وموضعي ، ثم همز جواده فقفز نحو الحارث واخذ ينازله ولم يلبث حتى طعنه البدوي بعقب الرمح في صدره فأوقعه ، فأشار البدوي الى نازح أن يأخذ الفرس ، وكانت فرس الملك زهير عمه

وكان الملك قيس قد زاد عليها غمه ، لأنه كلما رآها تحت الحارث يبكي وينوبه كما بكى على يوسف ابوه يعقوب .

قال الراوي : ثم ان ذلك البدوي التفت إلى ناحية بني عامر وأومأ بيده ونادى: عرج يا مفرج فما انتهى من مقاله،حتى خرج اليه فارس حاله كحاله إلا أن قامته دون قامته وصورته أحسن من صورته فلما وصل اليه قال له:انزل لهذا الخبيث ابن الانذال وأوثقه بالسلاسل والاغلال ، فنزل وشد كتافه وأطرافه ثم ان ذلك البدوي عاد إلى قتال بني عامر ، وكان خالد بن جعفر قد انكر ذلك الامر ، وقال : وحق ذمة العرب لا بد ان يكون في هذه العشائر من هو متآمر علينا ثم التفت إلى من حوله على الفرسان ، وقال : من منكم يبرز إلى هذا الشيطان فعند ذلك برز جندح بن البكاء الذي اشترك مع خالد بن جعفر في قتل الملك زهير كما تقدم ، وكان من فحول الرجال وكماة الابطال الذين تطرب بهم الآمثال ، فلما صار في ساحة الميدان صاح على ذلك البدوي : ويلك من تكون ؟ اذكر ما لك من الحسب والنسب فقال له البدوي وقد تبسم اعلم ايها الاحمق المغرور ان ذكر الآباء والاعمام لا يكون وقت ضرب الحسام وانما يكون ذلك في الولائم وشرب المدام ، وهذا مقام لا ينفع فيه الا ثبات الجنان والصبر على الضرب والطعان ، ثم انهما بعد ذلك الكلام حملا على بعضهما البعض ، فتطاعنا وتضاربا والتحقا وافترقا ، حتى حل بمنكبي جندح التعب ، وأراد أن ينسحب ، ليلحق بخالد بن جعفر فلم يمهله البدوي بل اطبق عليه في لمح البصر واقتلعه بيده من ظهر الحصان ، فألقاها على الارض ، ولما اقترب من نازح اومأ بيده نحو بني عامر وقال : هيا يا مساعد يا مساعد فخرج اليه فارس آخر كأنه شيطان ، ولما صار بين يديه سلمه جندحاً وقال له : احتفظ حتى يذهب النهار وتنتهي من قتال هؤلاء الاشرار .

وكان قد كثر الكلام بين القبائل في صف هذا الفارس العجيب وقال قيس بن زهير : يا بني الاعمام هل هذا الذي نراه في يقظة أو في منام ؟ فقد اسعفنا هذا الفارس بما لم يكن لنا حساب . وأريد أن يذهب واحد منا ليستميل قلب هذا البدوي الصنديد ويضمن له على كل ما يريد ، من الأموال والنوق والعبيد ، لانه فعل من الأفعال ما لا يقدر عليه أحد من البشر ، حتى ولا أبو الفوارس عنترة ، ولقد ابصرت من قتال عنترة العجب حتى ظننت انه لا يوجد له مثيل في فرسان العرب ، إلى أن رأيت فعل هذا البدوي الذي يحير الافكار ، ويذهل الأبصار ،

فقال شداد : ايها الملك الجليل ، والسيد النبيل ، إلى كم تحط من قدر ولدي وترفع منزلة غيره ، ولقد عرفت أنا من قتال هذا البدوي انه ولدي عنـــترة فارس البيد والحضر وقد عرفته بالفارس الآخر الذي خرج اليه فهو شيبوب ، الليث الوثوب)

وكان الكلام الذي قاله الأمير شداد صحيحاً لأن عنترة لما تخلف في الخيام كما سبق الكلام ، عاد فقال لأخيه شيبوب ، لا بد ان اتبع قومي فاني اخاف عليهم من الحارث بن ظالم لا بد ان اخرج اليه وآخذه أسيراً واقوده ذليلا حقيراً ، فقال له شيبوب : في اي زي تريد ان تسير قال : في زي العبيد ، أنا وأنت وأخي جرير ، ثم انهم ركبوا الخيول التي ذكرناها ، ولبسوا تلك الثياب التي وصفناها وساروا الى أن التقوا في الطريق ببني عامر ، واندسوا بينهم ثم جرى ما جرى من القتال .

ولما اسر عنـــترة جندح بن البكاء كما تقد الكلام اسفر عن وجهه اللثام فعرفه قومه وعندئذ فرح الملك قيس غاية الفرح وتقدم من عنترة وسلم عليه ، وقبله بين عينيه ، فقبل عنـــترة أياديه ، وسلمه قاتل أبيه ، فأخذ قيس سيف جندح وسله من غمده وهزه في يديه حتى لاح بريق الموت من خديه ، وضربه فأطاح رأسه .

وسار قيس في أربعة آلاف فـــارس من بني عبس وعدنان وجماعة من بني غطفان ، وقصد بهم ديار بني عامر ، وعنترة في اوائل القوم كأنه الأسد الكاسر .

قال الراوي : « واما خـــالد بن جعفر فانه عنهما وصل الى دياره جمع قومه وحصنوا النساء والبنين ، وعند طلوع الشمس ، اشرفت عليهم فرسان بني عبس ، فخرج لهم خالد في مقدمة الفرسان والتحم الفريقان وقد فعل عنترة في ذلك اليوم ما تعجز عنه مردة الجان ، ورجع من ساحة القتال كأنه شقيقه ارجو ان من كثرة ما سال عليه من دماء الفرسان وأمـــا بنو عامر فانهم رجعوا الى خيامهم واجتمعت ساداتهم بخالد بن جعفر وشكوا له ما لاقوا من سيف عنترة ، فقال لهم (والله يا بني عمي ان عذركم لواضح ، في هذا الاسود الكالح ، لانه هو الذي فتك بالابطال وأنزل بهم الوبال) ولما اصبح الصباح عاد الفريقان الى القتال والكفاح وكان اسبق الناس الى الحارث عنترة ، واسبق الابطال الى خالد الربيـع ابن عقيل ، فحمل كل منهما على صاحبه بساعد شديد ، وقلب اقوى من الحديد . وكان عنـــترة قد جادل خصمه وطعنه بالرمح في صدره فانطرح على الارض صريعاً ، ثم حمل على بني عامر وفرق الناس عن قيس وخـــالد فرآهما متماسكين كأنهما شخص واحد ، وهما في اشتباك واعتراك ، فهجم على خالد هجوم الليث ، واراد ان يقتله فاعترضه الربيـع بن

زياد وقال له (ارجع يا عنترة ولا تفعل ، لانك ان قتلته فان قومه لا بد ان يقتلوا صديقك مـــالك بن زهير) واخي عمارة لانهما اسيران عندهم منذ الصباح فلما سمع عنترة منه ذلك صعب عليه اسر مالك ، وكان شيبوب قد قبض على خالد وشد كتافه واوثق ساعديه واطرافه ، ثم عاد عنترة غاضباً الى الميدان واخذ يطعن فرسان بني عامر حتى شتتهم ، ولما نزل القوم للراحة هنأوا الملك قيس بالسلامة ، واخبره الربيع بأسر اخية مالك واسره عمارة كذلك . فاستدعى قيس خالداً وطلب منه ان يفتدي نفسه باطلاق مالك وعمارة واخذ عليه العهد بذلك ثم يطلقه ، فلما عاد لقومه اطلقهما من الوثائق ، واركبهما على جوادين من الخيل العتاق ثم ان الملك قيس تهيأ مع قومه للرحيل . واخذوا ما وصلت يدهم اليه من الأموال وساروا طالبين الأهل والديار ، وعنترة يحرسهم في الليل والنهـــار ، الى ان وصلوا الى منازلهم ، ولما استقروا في ديارهم ، وتمهدت لقيس قواعد الملك . اخذ يسلي عنترة ويهون عليه مـا فعله به بنو زياد ، حتى بردت نار عنترة .

وكان قيس قد جعل عنترة نديمه . وجليسه وكليمه ، وكان اذا حضر معه على الطعام ، وابصر تقصيره وازدياد حسرته وهمه ، يعلم ان ذلك كله من أجل عبـلة ابنة عمه ، فيقول له (يا أبا الفوارس لا تيأس فقد هـان الامر ، وما بقي علينا الا قتل خالد بن جعفر ، لانه ما دام سالماً فلن يطيب لنا عيش ولا تهنأ بعرس ، ولا يمكنني ان ارغم عمك على أن يزوجك بابنته لاني اذا غصبته على ما لا يريـــد وقع الخلاف وتفرق شمل العشيرة في البيد وخلفي خالد مثل الشيطان المريد) وكان عنترة كلما سمع مثل هذا المقال هان كربه وتعلق قلبه بحبال الامال .

اما بنو عامر فانهم رحلوا الى ارض الملك النعمان ومعهم الحارث بن ظـــالم فاكرمهم غاية الاكرام ، وانزلهم في افضل الخيام ، وجلسوا يتسامرون على الطعام وكان الحارث بن ظالم قد سمع خالد بن جعفر يثني على شجاعة ابي الفوارس عنترة ويصفه بقوة الجنان ، ويفضله على سائر الفرسان فأضمر له الشر والنكال ، به مجبول على الغدر والاحتيال وقال : « والله لا بـد من قتل خـالد بن جعفر في بيت الملك النعمان » ثم صبر حتى نام كل يقظان ، فنهض وهو نشوان الى ان وصل الى الخيمة التي فيها خـــالد ، ودخل عليه وهو مستغرق في النوم ، وضرب به بسيفه على رقبته فقطع رأسه ، ثم ركب جواده وهرب خوفاً من القصاص ، اما اصحاب الحارث فلما علموا بانه قتل خالداً هربوا وجدوا في السير ، وسابقوا بسير الطير حتى وصلوا الى

ديار بني عبس ، ودخلوا على الملك قيس بن زهير وحدثوه بقتل خالد بن جعفر ، ففرح واستبشر وزال عنه القلق والضجر وخلع عليهم الخلع السنية واجزل لهم الهبات والعطية وعمل وليمة وقدم لهم الطعام والمدام ، وكان عنترة حاضراً وبعد ان اكلوا وشربوا ، ولذوا وطربوا التفت الملك قيس الى ابي عبلة وقال له « لماذا امنعت ابنتك عن عنترة وحجبتها عنه ؟ اما هي زوجته وقد اخذت مهرها منه ؟ » فقال « نعم ايها الملك الهمام اني ما حجبتها عنه الا من كلام الاعداء اللئام ، الذين ليس لهم عهد ولا ذمام » قال الملك قيس « الآن لم يبق لك من سبب يحول دون قبولك عنترة زوجاً لابنتك وقد عولنا على اقامة عرس عنترة بعد ثلاثة أيام » .

ولما انتهت الوليمة سار مالك الى خيمته واختلى بزوجته ام عبلة وقال لها « قد خلا الآن قلب الملك قيس ممن هم اعاديه وصار عنترة عنده اعز مما كان عند ابيه ، وقد لزمني ان ازف ابنتي عليه واسلم قيادها اليه وانا وحق ذمة العرب لو بلغ رأس هذا العبد اوج السماء لا يطيب على قلبي ان اسلمه عبلة » .

مروة بنت شداد

وعاد عنترة الى دياره وهو مسرور الفؤاد ، ولما اقبل الصباح اذا باخيه شيبوب قد دخل عليه وقال له : « لقد وصلت الآن اختك مروة من بني غطفان وهي باكية ولهانة ، وقد ارسلتني اليك حتى تحضر لمقابلتها في بيت ابيك شداد » فنهض الامير عنترة قاصداً بيت ابيه ، وكانت مروة بنت شداد من غير زوجته سمية . وكان لها ولد كأنه الهلال ، اسمه الهطال ولما بلغ سن الشباب تعلم الفروسية حتى صار بطلا مذكوراً وفارساً مشهوراً ، وكان دابه ركوب الخيل وملاقاة الفحول ، وكان عنترة يحبه فلما دخل عنترة على اخته رآها باكية العين حزينة القلب ، فسألها عن حالها فقالت له اعلم يا اخي ان ولدي قد خرج ليغير على بعض قبائل العرب في طلب الأموال ، وقد طالت علي غيبته حتى اشرفت من فقده على الموت ولي مدة طويلة وانا لا آكل ولا اشرب وبالامس جاءني عبد عليه ثياب رثة في زي سائل وسألني شيئاً لله ، فقدمت له ثريداً ولحماً وقلت له « خذ واشبع واقتل الجوع وادع لولدي الغائب بالرجوع ، فقال لي . وقد تبسم اليس ولدك هو الهطال ؟ قلت نعم وهل تعرفه فقال هو مأسور يا بنت الاكارم عند لقيط بني زرارة سيد بني دارم وقد اوثقه وقيده بالحديد وهو يقاسي العذاب الشديد ، وقد اتيت من عنده في زي رسول وهو يسلم عليك ويقول اقصدي خالي عنترة واعلميه بحالي وقولي له ان يسرع

ويدركني قبل ان يقتلني لقيط » .

فلما سمع عنترة كلام اخته زادت نكبته وعظمت بليته لانه كان يظن انه قد زالت كل نحوسه وانه سيزف الى عروسه ثم قال لاخته « ارجعي الى ديارك وسوف اعيد اليك ولدك بالتحف والغنائم من اموال بني دارم وقام فأخـــذ عدة الحرب والقتال وركب في صحبته ابوه شداد وجماعة من بني قراد ولما سمع عمه مالك بذلك فرح واستبشر وقال لعله لا يعود هذه المرة ومضى عنترة ومن معه فلما بعد التفت خلفه نحو الديار وتذكر حبيبته التي فارقها كما تذكر ايامها ولياليها .

قال الراوي : ان السبب في اسر المطال ان لقيط بن زرارة الذي أمره كان قد رحل قاصداً جابر بن صفوان ســـيد قبائل اليمن ليخطب ابنته بدر اليمن المشهورة بالحسن والجمال فالتقي بـه المطال وطمع فيما معه من التحف والاموال وهجم عليه . وقال له : « انزل عن جوادك وسلم نفسك » فتبسم لقيط وقال له : « من انت ايها المسكين ؟ » قال: «انا المطال سيد الابطال الذي ذاع صيته في البلاد كما ذاع صيت خاله عنترة بن شداد » وعندئذ قال لقيط ، (اذهب لحالك ويا ليتني التقيت بخالك) فصرخ عليه المطال وقال له (تهيأ للنزال) ثم سدد اليه حربته وطعنه طعنه مال لها لقيط فخابت وهجم على المطال هجمة الاسد وطعنه بكعب حربته القته عن جواده ثم شد وثاقه واخذه اسيراً ذليلا .

قال الراوي : اما عنترة فقصد ديار بني دارم ولما اشرف عليها قال له شيبوب: (انتظر هنا يا اخي حتى ادخـــل ديار القوم واعرف مداخلها ومخارجها . ثم اعود اليك بما يصل الي من الأخبار) ثم مضى شيبوب وطلب لقاء لقيط ، فلما ادخلوه عليه وقال له ، (يا سيد العرب جئتك برســـالة من عند سيدنا الاحوص بن جعفر وهو يبلغك ان تكون في غاية الاستعداد لقتال عنترة بن شداد لانه قادم اليك بجحافل من الابطال ليخلص ابن اخته المطال) فشكره لقيط وقـــال : (والله لقد تهيأت لي الأمور فقد كنت في شوق لقتال ذلك الفارس المشهور واني لملتهف في ملاقاته لكي اضع بسيفي حداً لحياته) وقبل طلوع الشمس خرج لقيط للقاء عنترة ومن معه من بني عبس ولكن شيبوب كان قـــد تسلل قبل الفجر وفك قيود المطال . واسرع به الى حيث كان عنترة في الانتظار فلما وصل لقيط الى حيث كان عنترة ورجاله نادى بصوت كله عزيمة (بني عبس لقد جئتكم بالنكال والهزيمة) ثم دارت رحي الحرب واشتد الطعن والضرب وانقض عنتره على لقيط ونازله فرآه فارساً شديد

المراس ليس كمن لقيتهم من سائر الناس وما زال معه في محاورة ومداوره حتى اتعبه وسدد اليه ضربة بكعب الرمح طوحه على الارض واسرع شيبوب فشد وثاقه واخذه اسيراً وعاد عنترة ومن معه الى ديار بني عبس بعد ان غنم الكثير من الأموال وعدد الحرب والقتال ولما وصل عنترة سلم لعمه الأموال والغنائم التي جاء بها من ديار بني دارم وقال له : (يا عماه اني من يوم ما ملكت هذه الغنيمة خصصتها لاجل العرس والوليمة) فقال : (يا ابن عمي سأعمل على تحقيق آمالك ولن تجد ما يحول دون ذلك فطاب قلب عنترة وفرح واستبشر وهو لا يعلم ان قول عمه زور ومحال .

ولما سمع الملك قيس بن زهير هذا الكلام قال ، لن تمضي ثلاثة ايام حتى تزف عبلة الى ابن عمها عنترة ، قبل ان يأتينا عائق آخر ، لان اعداءنا كثيرة ، ومصائب الدهر غير يسيرة ، وكان مالك ابو عبلة قد قطع رجاه وعظم بلاه ،لعلمه أن ابنته سوف تخرج من يده ، ويتزوج بها عنترة على غير ارادته ، فاشعل قلبه بلهيب النار ، وزادت به الوساوس والافكار ، فاختلى بولده عمرو ، وتحدث معه في ذلك الأمر ، فقال عمرو : والله ان هذا لن يكون ، ولو شربت كاس المنون ، والرأي أن ترسل رسولا الى بني فزارة ، وتعلم حذيفة والربيع بهذه العبارة ، وتذكر لهما ان الحارث ابن ظالم ، بعد ان قتل خالد بن جعفر استجار بالملك قيس وعنترة على الملك النعمان وعندئذ لا بد ان يخبرا الملك النعمان بهذا الخبر فيرسل عساكره ليؤدب الذين اجاروا عدوه ، وبذلك نجد ما يشغل الملك قيس وعنترة عن التفكير في شأن عبلة فلما سمع مالك ذلك الخطاب ، رآه غاية الصواب ، ارسل من وقته كتاباً الى حذيفة والربيع بن زياد يعلمها بذلك ويطلب منهما المساعدة والامداد على هلاك عنترة بن شداد .

وبعد ذلك بخمسة ايام دخلت خميسة جارية عبلة على عنترة وهي تتخفى عن الانظار ، وقالت : (احذر يا مولاي على نفسك من المهالك ، ولا تغير بوعد عمك مالك ، فانه قد نقض عهده واخلف وعده وتآمر عليك مع ابن زياد ، وقد جاءه بالأمس رسول من عند الربيع واتفق معه فقال له : اذهب بعنترة غداً الى غدير ذات الآصاد ، واظهر له المحبة والوداد ، كانك تقول له اخرج تريد ان تستشيره في عرس عبلة ، ونحن ندهمه بالابطال ونقتله على حين غفلة) ثم قالت خميسة لعنترة: (اعلم ان هذا الحديث لم يسمع به احد من أهل الحي حتى ولا مولاتي عبلة ، وان

الرسول الذي جاء عمك بهذه الرسالة وبلغه عن هذه المقالة يقال له مكتوم بن عياد وهو من خواص عبيد الربيع بن زياد ، وقد اعلمني بهذا الخبر لانه يحبني ، ولولا شدة محبته لي ما كان حدثني بشيء من هذا الحديث) فلما سمع عنترة من تميمة ذلك الخبر ، كتم ما سمعه وصبر حتى يتضح له الحال .

قال الراوي : لما وصل رسول مالك بن قراد ، الى الربيع بن زياد اجتمع بحذيفة بن بدر ، وحدثه بذلك الأمر ، واتفقا على تدبير مكيدة لاغتيال عنترة ، ثم انهما ارسلا الى الملك النعمان كتاباً يقولان له فيه : (اعلم ايها الملك الهمام ان عدوك الحارث بن ظالم ، الفاتك الغاشم الذي سبق ان قتل ولدك شرحبيل ، وقتل خالد بن جعفر وهو في حمايتك ، وهرب من حسبك ونقمتك ، هو الآن في ديار بني عبس ، ينعم بكل خير ، وقد أجاره عنترة والملك عبس بن زهير .

ثم ارسل الربيع الى مالك ابي عبلة ، يأمره بان يأخذ عنترة الى غدير ذات الآصاد ، ويكثر عبس شرب الراح .

اما عنترة فقد قال في نفسه لا بد لي الى المسير ، اذا دعاني عمي الى الغدير حتى اعرف حقيقة الحال واكتشف عمي عند الاحتيال ، وما زال عنترة في هموم وافكار الى ان تضاحى النهار ، واذا بابن عمه عمرو قد أتى اليه وسلم عليه ، وقال له ؟ (ان ابي يدعوك للمسير الى المنهل والغدير ، حتى يستشيرك في امر الزفاف ، ويتفق معك حتى لا يقوم بينكما أي خلاف ، فقال عنترة : سألبي دعوة عمي على العين والرأس . ثم انه دخل الى مضربه وهو يدمدم كالاسد ، وافرغ عليه صدرية من الزرد ، مضاعفة العدد ، لا يعمل فيها السيف المهند، ولبس من فوقها ثوباً من الحرير الاصفر وتقلد بسيفه وركب جواده ، وانطلق مع عمرو أخي عبلة ، وسار شيبوب وجرير في ركانه وكان قد حدثهما سراً بتلك المؤامرة واوصاهما بالاحتراز والتيقظ من عمه مالك وولده عمرو وغدر الربيع وحذيفة بن بدر .

ثم انهم جدوا في المسير حتى وصلوا الى الغدير فوجد عنترة عمه في الانتظار والعبيد بين يديه يشربون المدام وهم في شغل واهتمام فلقاه عمه بالترحيب واظهر له الاحترام وزاد له في الاكرام فترجل عنترة اليه وقبل صدره ويدية ، وما استقر بهم المقام ، حتى قدمت لهم العبيد الطعام وبعد ان فرغوا ادارت عليهم اقداح المدام ، ثم اخذوا في المسامرة والكلام ولما طابت لهم الخلوة وعملت في رؤوسهم النشوة ، قال مالك ابو عبلة لعنترة : اريد ان ترسل غداً الى اصدقائك ، وتدعو من تريد من

اصحابك وحلفائك ، حتى نشرع في امر العرس وتبلغ مناك . فطاب قلب عنترة بهذ المقال وكاد يصدق هذا الاحتيال ، واخذه مـــالك يميل الى عنترة بشرب الخمر ويشاغله بذكر عبلة ويسفك بالطاسات ، وكان العبيد يتغامزون على عنترة فتحقق من تلك النسبة ، وصح كلام خميسة ، وكان شيبوب يدور بالعبيد من اليمين والشمال ويراقب الروابي والتلال ويحرس اخاه عنترة كما تحرس اللبؤة الاشبال ، فبينما هو على تلك الحال واذا بعمرو أخي عبلة قد تقدم وسل سيفه يريد قتل عنترة ، فوثب عنترة وثبة الليث ، وسل حسامه وهم بأن يفتك بالعبيد . واذا بغبار قـــد علا وثار حتى خيم على البراري والقفار وقـــد علا من تحته الصياح فلما انكشفت لمعت اسنة الرماح وظهر في مقدمة القوم حذيفة بن بدر والربيع بن زياد وقد هجما على عنترة بمن معهما من الرجال .

فلما ابصر عنترة هذا الحال اسرع ليركب الجواد . واذا بعمه مالك يصيح بولده عمرو ويقول له : (ويلك اضرب هذا العبد بسيفك) فتقدم عمرو وضرب عنترة بالحسام فوقع السيف على ثيابه . ونفذ الى الزرد فلم يؤثر فيه وفي الحال ركب عنترة جواده وهو يزمجر ثم اندفع نحو الخيل وهو يلعن عمه ويشتمه وصال وجال وصدم الفرسان والابطال وشيبوب من وراءه يرمي خصومه بالنبال فيصيب بها مقـــاتل الرجال وجرير يطعن بالحراب . ويحز بسيفه الرقاب .

ومـا زال عنترة يشتت الفرسان ، ويذيقهم الهزيمة والهوان ، حتى وقع الرعب في قلوب بني فزارة ، فولوا هاربين وتفرقوا في الروابي واراد حذيفة ان يهرب واذا بعنترة قـد اطبق عليه ، وفاجـأه وطعنه بعقب الرمح في قفاه فالقاه عن جواده الى الارض ثم طلب الربيع بن زياد ولكن الربيع كان قد هرب قاصد ديار بني فزارة فعاد عنترة الى الغدير وقلبه يغلي حقداً على عمه ، وكان قد عول على ان يثخنه بالجراح ويسبي عبلة ويكسبه العار والافتضاح . فلما وصل الى الغدير لم يقع لعمه على اثر ولا وقف له على خبر فاستشاط غضباً وارتد راجعاً الى الخيام وانطرح على فراشه ونام .

وكان الملك قيس قد استدعى في ذلك اليوم الحارث بن ظالم والامير شـــداد وعروة بن الورد وزخمة الجواد ، واقام لهم وليمة عظيمة ، وسقـاهم من صافي المدام وزاد لهم في الترحيب والاكرام ، فرجعوا من عندهم وهم سكارى وكان عنترة قـد انتبه وقت السحر وهو في اشد القلق والضجر فبينما هو على تلك الحـال اذا بخميسة قد دخلت عليه وقبلت يديه وقالت له : (يا ابا الفوارس ويا زين المجالس ان مولاني

عبلة تهديك السلام وتقول لك ان اباها واخاها قد سارا في البراري والآكام بعد ان حلفا ان لا يسكنا في الحي ما دمت انت حيا) فقال عنترة وقد تألم : (الى حيث القت رحالها ام قشعم) .

قال الراوي : وكان مالك ابو عبلة قد خشي من انتقام عنترة ، واستحى ان يرجع الى الخيام ، خوفاً من العتب والملام فقال لولده عمرو : (لم يبق لنا في الديار مقام ، وقد عولت على ان اسير الى الملك النعمان . واستجير به واقول له ان الحارث بن ظالم عند بني عبس وعدنان ، وقد اعطوه الذمام والامان ، لينتقم منهم شر انتقام ثم قال لبعض العبيد سيروا انتم الى الديار ، وقولوا لابنتي عبلة ان اباك قد هام على وجهه في القفار ، من جور ذلك العبد الغدار ، فان كانت تختاره علينا فلتذهب اليه وان ارادت صيانة عرضها من كلام الاوغاد ، فعليها ان تلجأ الى اخي شداد او لعمها زخمة الجواد ، لانها ان لجأت الى اعمامها فلن يستطيع عنترة ان يأخذها) .

فلما وصل العبيد ودخلوا على عبلة ، حدثوها بذلك الكلام فقالت : لا اظن في ابن عمي هذا الظن السيء لانه احسن الناس سيرة واخلصهم سيرة عالي الهمم كريم الشيم ، بعيد القدم عن الظنون والتهم ، وكثير ما خلصني من النوائب والأهوال ، فوالله لا برحت من بيت ابي الى الأبد وباتت تلك الليلة في البكاء والنواح ، ولما اقبل الصباح ارسلت جاريتها خميسة الى عنترة وأوقفته على ذلك الخبر ، فغضب وطار من عينيه الشرر فبينما هو كالمسلوب الهائم اذ دخل عليه عروة بن الورد والحارث بن ظالم ، فقام لهما باحترام ، وكرمهما غاية الاكرام ثم قص عليهما ما كان من عمه مالك والتجائه الى الملك النعمان ، فقال الحارث « اما النعمان فاني قادر على ان ارد كتائبه اما عمك فمن الصواب ان تتبعه وترضاه ، وترفق به وترده الى الديار لاجل خاطر محبوبتك عبلة فلما سمع عنترة هذا الكلام اغرورقت عيناه بالدموع وبكى من فؤاد مصدوع ، وعند ئذ دخل على عنترة رسول من عند الملك قيس ، وقال له ان الملك يدعوك اليه ، لان حذيفة بن بدر قد ارسل له رسولاً على سبيل الشكوى ، وهو يقول ان له عليك دعوى ، لانك تعديت عليه وجرحته . وقتلت رجاله وفضحته ، وهو مشرف على العدم ، من شدة الألم فقال عنتر : « وحق ذمة العرب لو قدرت على بني فزارة من اليوم صاعداً لابيدنهم عن آخرهم » .

ثم تقلد حسامه وسار حتى دخل على الملك قيس بن زهير فسلم عليه وقال له :

(بلغني ما فعلته امس وانك اكثرت في شرب الخمر حتى كدت تقتل حذيفة)
فقال عنترة (وحق رب الارباب اني ما سكرت ولا غاب لي صواب وهذا الحديث
كله زور وما افتراه حذيفه والربيع الا لكي يعاونا عمي على قتلي وسفك دمي) ثم
حدثه بالقصة التي جرت والحيلة التي دبرت فقال قيس (لقد صدقت فما تعودنا منك
الا الصدق) ثم التفت الى الرسول وقال له ارجع الى مولاك وقل له : (يقول لك
الملك قيس انه قد وقف على شكواك ، وفحص دعواك فلم يجد على ما ادعيت به على عنترة
ادنى دليل ولا برهان) ثم ان قيس بعد هذا الكلام طيب قلب عنترة . فعاد الى
الخيام والحزن يعصف في فؤاده وكان اكثر همه وغمه لاجل رحيل عمه .

قال الراوي : وفي اليوم التالي دعت عبلة وامها عنترة الى بيتها فلما حضر قالت
له ام عبلة :(اعلم يا ابا الابطال انه قد امسى بيتي خالياً من الرجال وهذا هو الخراب
الاكبر والصواب ان تقتفي اثر عمك وولده لاننا نخشى أن يقع بهما ممن له من بني
عبس ثار) فقال عنترة : « انت تعلمين كم مرة اضمروا لي الشر والنكال وسعيا لي
في الهلاك والوبال ولو أن عمي قال لي ياعنترة ارحل عن الارض فاني لااريد ان ازوجك
بابنتي عبلة لامتثلت ورحلت » فلما سمعت عبلة منه ذلك المقال تبسمت في رقة ودلال
وقالت : (ويلك وكيف تصبر عني ؟ والآن عليك ان تكشف خبر ابي واخي ولا
تؤاخذهما على ما فعلا) فقال عنترة : (والى متى هذه المداواة ؟ فوالله لقد كرهت
الحياة لكثرة ما صنعت من المعروف والجميل الذي اجازى عليه بالشر والتنكيل
ولكن هذا يهون على عبدك ما دمت باقية على عهدك) ثم انه عاد الى الخيام وقد
زال بعض ما كان عليه من الآلام ولما جاء المساء ركب واخذ في صحبته عروة
بن الورد والحارث بن ظالم وخرجوا من بين المضارب وشيبوب يتقدمهم ، وما زالوا
ممعنين في السير حتى قربوا من ديار بني عامر فأخفاهم شيبوب في بعض الكثبان ،
وقال لهم : (انتظروني في هذا المكان ، حتى اكشف لكم خبر القوم ، واعود
اليكم في آخر اليوم) ثم تركهم وسار . واقاموا هم في الانتظار حتى انقضى النهار ،
واذا به قد اقبل كأنه نعامة ومعه عبد اسود مثل الغمامة ، مقيد في الكتاف وهو
يسوقه بحبل ويسحبه ، وكان كلما وقف يضربه ، فتعجب عنترة وتقدم الى اخيه وقال
له : (من يكون هذا العبد ؟) قال : (هذا رامح بن الصباح ، سيد بني جبهان وقد
عرفت منه خبر عمك مالك وولده عمرو ، فقد ذكر لي أنهما في اسر رامح بن الصباح
وهو يعذبهما في المساء والصباح) .

وكان السبب في أمر مالك وولده عمرو انهما سارا في الوادي ووصلا الى ارض قوم من العرب يقال لهم بنو صالح فالتقوا بالأمير رامح ومعه زوجته دعد وعبده مناه فارس عشيرته ، وكان مالك وولده عمرو قد ابصرَ المحمل والهودج المكلل : فقال عمرو لأبيه : (والله ما هذه الا عروس سائرة الى بعلها او امرأة ذاهبة الى اهلها وليس معها سوى فارسين وانا اريد ان احمل عليها وانزل بها النكال وآخذ صاحبة هذا الهودج سبية بما عليها من الحلي والاموال واحظى منها بالتقبيل والعناق الى ان نصل ارض العراق) فقال له ابوه : (دعنا يا ولدي من معاداة الفرسان والطمع في وصال الحسان) ولكن عمرو زين له الشيطان هذا الضلال وصاح على الرجال : (ويلكم خلوا عن الهودج والاموال واطلبوا لأنفسكم النجاة فتقدم عبد مناة وحمل على عمرو ولم تكن الا ساعة حتى اخذه اسيراً وقاده ذليلا حقيراً فلما ابصر مالك ذلك حمل على عبد مناة وبذل معه غاية الجهود وتكافحا مكافحة الاسود وما زالا في عراك حتى تمكن عبد مناة من مالك وطعنه طعنة شديدة ، فوقع مالك عن جواده فتقدم اليه رامح بن الصباح وشد كتافه واخذه اسيراً ثم سألهما عن حسبهما ونسبهما فقال مالك : « انا مالك بن قراد ، وهذا ولدي عمرو ، ونحن من بني عبس فقال رامح : (والله لا بد من تعذيبكما وتسليمكما للأحوص بن جعفر ، ولقيط بن زرارة) ثم انه جد في قطع القفار حتى وصل الى دياره فربطهما بين الكلاب وعذبهما اشد عذاب وارسل ذلك العبد الى لقيط بن زرارة والاحوص بن جعفر ليعلمهما بذلك وبينما هو راجع التقى به شيبوب في تلك الارض ، واسره واتى به الى اخيه عنترة وحدثه بما أعلمه هذا العبد فقال الحارث بن ظالم لعنترة : (من الصواب ان تسرع الى عمك وتخلصه من العذاب ولا بد انه بعد هذه المرة يصير لك مثل العبيد وتبلغ منه كل ما تريد) فقال عنترة : (كم مرة خلصته من الاسر والاهوال وهو يضمر لي الشر والنكال ولولا ذلك الشفيع لعجلت له الهلاك الفظيع نعم لولا عبلة منية الروح التي بين الجنبين واكراماً لعين تكرم الف عين) وتذكر عنترة فراق عبلة وما لها في قلبه من المحبة والوداد وما قاسى لاجلها من الاهوال الشداد فسال دمعه .

وكان عنترة ينشد الاشعار والحارث بن ظالم يطرب من عذوبة الفاظه وفصاحته ويتعجب من كرم اخلاقه وعلو همته فقال له : يا أبا الفوارس وزين المجالس والله لو جرى لي بعض ما جرى عليك من الحيف لقتلت عمي وسلبت نعمته واخذت ابنته

وسبيت زوجته ، فقال عنترة : والله يا حارث لن افعل ذلك ابدا ولو مت شوقاً وكمدا .

ثم انهم ساروا بعد هذا في الروابي والآكام مدة تسعة ايام وفي العاشر وصلوا الى مكان اسمه غابة الاسد ، وهي منازل بني جبهان وكان وصولهم عند المساء فنزلوا ونصبوا الخيام ودارت بينهم المشورة فقال لهم شيبوب من الصواب ايها السادة ان تنتظروني في هذا الوادي حتى اقصد ديار الاعادي واقف لكم على حقيقة الاحوال وكم يوجد هناك من الابطال وارجع اليكم في الحال فقال عنترة وانا اسير في صحبتك ولا ادعك تخاطر وتذهب وحدك فقال شيبوب : اخاف ان تقع علينا العين فنهلك معاً ، فاني اذا كنت وحدي وطاردتني الابطال اهمز همزات الغزال اذا طارده الصياد واروغ مثل الثعلب ، ولن تلحق بي الخيل اذا جدت في طلبي اما انت فلا تقدر على الهرب نظراً لضخامة جسمك وشهرة اسمك فقال عنترة دع عنك هذا الكلام ولسوف ترى مني ما تذكره على طول السنين والايام فقال شيبوب اذا كان لا بد لك من ذلك فاخلع عنك الحديد والبس ثياب العبيد حتى تتخفى ويتم لنا ما نريد فأجابه عنترة الى ما طلب .

ثم انهما احتطبا لهما حزمتين من الحطب وكانت حزمة شيبوب صغيرة وحزمة عنترة كبيرة وسارا تحت جنح الظلام حتى وصلا الى الخيام وما زالا يخترقان المضارب والقباب ، حتى وصلا الى المضرب الذي ربطوا فيه مالكاً وولده عمرو مع الكلاب ، فرآهما شيبوب وقد تغير جسدهما من شدة العذاب ، فالتفت اليه اخيه وقال : انظر يا اخي الى عمك فلما نظر عنترة لعمه اشفق عليه وسالت الدموع من عينيه وتظاهر انه متعب ووضع عن ظهره حزمة الحطب لكي يستريح وفعل شيبوب مثل ذلك الا انهما ما جلسا الا قليلا حتى خرج رامح بن الصياد من مضربه وجلس على السرير واخذ يسأل الرعيان عن العشب والكلأ وكل واحد يحدثه عما جرى في البيداء فقال له بعض العبيد : اعلم يا مولاي اني ابصرت اليوم العجب قال رابح : وما الذي ابصرت قال : بينما كنت في المرعى والابل بين يدي اذا بفارس راكب على جواد وهو يطارد غزالة في تلك الروابي وامامه رجل اسود كلون الظلام فوقفت انظر اليهما وهما يتسابقان كأنهما فرسان رهان واذا بالرجل الذي يجري على قدميه قد سبق الفارس بسرعة جريانه وقوة عصبه وجنانه وادرك الغزالة فقبض عليها وعاد بها الى الفارس وهو يخرجها من قرنيها فأخذها منه وقبلها بين عينيها واطلقها

وانشد يقول :

اذهبي بالامان من كل سر عمرك كله مدى الايام
وحماك الاله من كل سوء ووقاك من شر رامي السهام
انت من عبلة التكحل في العين كذا الجيد قد اهاج غرامي

وما انتهى ذلك الفارس من كلامه حتى لحق به فارسان آخران وهما غائصان في الحديد والزرد ، ولما تلاقوا عدلوا عن الطريق الواضح ، وتبطنوا الروابي وقصدوا غابة الاسد ولم ادر بعد ذلك ما جرى لهم .

فلما سمع رامح من العبد هذا الكلام تعجب وخفق فؤاده وقال : (وحق ذمة العرب ان صاحب هذا الانشاد هو عنترة بن شداد وما طرق هذه الاطلال الا ليخلص اصحابه من الاسر والاعتقال ، ولا بد لي أن القاه في الميدان وامام الفرسان . واسوقه مع اصحابه سوق الاغنام ، وانتقم منه غاية الانتقام .

وكان عنترة قد دهش عندما حدث العبد مولاه بذلك الخبر وتعجب كيف حفظ شعره لأنه هو الذي حدث له مع اخيه شيبوب ذلك الحديث واما مالك ابو عبلة فقد فرح واستبشر عندما سمع العبد يصف ذلك الفارس ، وعلم ان تلك صفات ابي الفوارس ، وايقن انه جاء لانقاذه فالتفت الى ولده عمرو وقال : والله ان صحت هذه القصة وخلصني عنترة من هذه القصة ، لأعاهدن نفسي ان لا اتعرض له بسوء ، ولا انقض له ذماماً ولا عهداً .

أما رامح فقد التفت الى من حوله من الفرسان وقال لهم : لقد ابطأ علي خبر عبدي سرور بن جوهر الذي ارسلته الى لقيط بن زرارة والاحوص بن جعفر يدعوهما ليحضرا قتل هذين الاسيرين ، وكان مالك وولده عمرو قد سمعا هذا الحديث فأيقنا بالهلاك وكان عنترة وشيبوب يسمعان هذا الكلام وكل منهما متكىء على حزمة حطب وقد سترهما الظلام اما رامح فقد دخل للراحة والمنام .

وعندئذ قال عنترة لاخيه شيبوب : والله لن اذهب من هنا حتى اخلص عمي وولده قبل ان يذهب الظلام واذا خرج رامح سقيته كأس الموت ، قال شيبوب : وكيف ذلك ؟ قال : سألقي هذا الحطب في النار ثم اهجم على هؤلاء الاشرار ، قال شيبوب اني اخاف من العواقب لأنك متى فعلت ذلك دهمتنا الرجال من اليمين والشمال ، واوقعوا بنا النكال . فقال عنترة ان كنت خائفاً فانج بنفسك ، فقال

شيبوب : افعل ما اردت واحببت ، وانا معك الى النهاية .

ثم ان عنترة حمل حزمته ووضعها على النار وسل سيفه وقصد البيت الذي فيه عمه ، وفعل شيبوب مثله وكان العبيد الموكلون بمالك قد انطرحوا بين الخيـــام . واستولى عليهم سلطان المنام ، فمال عنترة بالحسام ودخل شيبوب المضرب وحل قيود مالك وولده ، وهنأهما بالسلامة ، وقال لهما : فليأخذ كل منكما سيفاً من سيوف هؤلاء العبيد واتبعاني ففعلا ما امرهما به شيبوب أما عنترة فانه وقف على باب رامح ابن الصباح وأمهله حتى خرج على الصياح فضربه بسيفه على وريده فأطاح رأسه من بين كتفيه وتبع اثر اخيه شيبوب من خوفه عليه .

هذا واشتعلت الاحطاب . فارتفع اللهب وسرت النيران بين القباب وتنابحت الكلاب . وعاد الليل مثل النهار ، من شدة لهب النار ، وكان شيبوب يمشي بمالك وولده ، ويخترق بهما الخيام ، وعنترة على اثره يرد عنهم الرجال حتى خرجوا الى الخلاء ، وركبوا من الخيول التي شردتها النيران ، وهنا التقى بهم عروة بن الورد والحارث بن ظالم لأنهما كانا قد سمعا الصياح وابصرا لمعان السلاح فأتيا لنجدة عنترة فلما ابصراه فرحا باقباله ، وسألاه عن حاله ، فحدثهما بما جرى له ثم انه خلع لباسه ولبس درعه وجدوا في قطع البطاح الى ان اصبح الصباح .. عند ذلك اقبل الحارث على مالك ، ووبخه على ما سلف من فعاله واكثر له من العتب والملام ، فقال مالك ايها السيد دعني من هذا العتاب ، فقد كان على عيني غشاوة اعمت مني البصر وقـــد زالت اليوم ثم ترجل عن جواده وتقدم الى عنترة وتذلل بين يديه . واعتذر اليه وقال له : يا ابن اخي الآن قد زال الجفا ، وتبدل البغض بالمودة والافاء وأشهد الله على ما اقول . فلما سمع عنترة كلام عمه ، زال الحقد من قلبه ، وخف عنه مـا كان بـه من كربه ، وترجل اليه وعانقه وقال له : والله لو فعلت بي اضعاف ما فعلته لمـــا قصرت في خدمتك ، اذ ليس للعبد الا مولاه ولو أماته واحياه فشكره عمه واثنى وقبل صدره وما بين عينيه ثم انهم جدوا في قطع القفار ، وساروا يطلبون الديار وعنترة يكاد يطير من الفرح للقاء حبيبته عبلة بعد طول الغياب .

حرب داحس والغبراء

طالت غيبة عنترة على قيس فاشتغل باله وارسل العبيد يبحثون عن اخبـــاره. ويطلبون منه العوة الى دياره .

وفي أحد الأيام عاد اليه عبد من العبيد الذين ارسلهم وقال له : اعلم يا مولاي انني حين ارسلتني للبحث عن عنترة سرت أقطع القفار وأسأل كل راحل ومقيم حتى وصلت ديار بني تميم فبت في حي قوم يقال لهم بنو رياح ولما أقبل الصباح رأيت عندهم مهراً محجر الأربع يقال له (داحس) وهو لرجل من سادات العرب موصوف بالكرم وحسن الأدب يقال له (كريم بن ذهب) والله ما رأت عيني مثل هذا المهر بين جياد العرب وقد سألت عن أصله وفصله فقيل لي ان امه (حجرة) يقال لها (جلوة) وأبوه جواد اسمه (وعقاب) وان (داحس) هذا تضرب به الأمثال وانه من فصيلة نادرة وليس له نظير عند أحد من الأكاسرة ولا عند تبابعه اليمن ولا المناذرة .

فلما سمع الملك قيس خبر هذا الجواد ارسل رسولاً الى صاحبه يقول له أن قيساً يحييك ويطلب منك أن تبيعه داحس ولك منه ما تريد من الثمن فمضى الرسول حتى دخل على صاحب الجواد وأبلغه هذه الرسالة فقال : والله ما قيس الا رجل قليل الادب . ايظنني رجل ابيع الخيول ، وهل حسب أنني لا اركبها ولا أصول بها ولا أجول ؟ . والله لو أنه طلبه مني على سبيل الهدية لأرسلته اليه في الحال ، أما وقد ظن انني اقتني الخيل للبيع والشراء ، فلن ارد عليه الا بالاستهزاء .

فلما سمع الرسول هذا الخطاب عاد وأخبر الملك قيس بهذا الجواب فثار غضبه وقال : والله لاخذن الجواد قهراً ، ولو كان صاحبه كسرى ثم جمع أبطاله الصناديد ممن يعتمد عليهم وأمرهم أن يتأهبوا للقتال ، وبعد ساعات كان الحي يموج بالابطال وقد اعتدوا بعدد الحرب وسار بهم قيس الى ديار كريم بن وهب ، فلما بلغ الديار وجد القوم آمنين ، وكان كريم غائباً عن الحي ، فأمر قيس رجاله بالهجوم فهجموا واعملوا سيوفهم ورماحهم في القوم وسبوا النساء والاطفال ، وهرب من هرب الى الوديان والجبال .

وكان كريم قد ترك الجواد وترك عنده عبداً يرعاه ، فخاف العبد على الجواد واراد ان يهرب به ولكنه لم يجد متسعاً من الوقت ليفك قيده فركبه مقيداً وانطلق به كأنه السهم المارق ، ورآه قيس فاندفع وراءه يريد اللحاق به ولكنه لم يستطع ذلك ، فصاح على العبد : قف يا اخا العرب واسمع مني هذا الخطاب فوقف العبد على حذر وقال له قل ما تريد قال : اريد ان تبيعني هذا الجواد ، ولك ما شئت من الثمن ، ولا تخش بأس سيدك فانك تستطيع ان تزعم اننا اخذناه قهراً فقال العبد :

والله لن اخون سيدي ابداً ولن إكذب عليه ، ولكن اذا شئت ان تأخذ الجواد فان ثمنه ان تترك السبايا من النساء والاطفال وان تفك الاسرى من الاعتقال فوافق قيس على طلب العبد وامر برد الاموال والسبايا وفك الاسرى فنزل العبد وحل قيود الجواد ، وسلمه لقيس وقلبه يكاد ينشق من الاسف فركب قيس وعاد مع رجاله وهو يكاد يطير من شدة الفرح .

ووصل خبر داحس الي بني فزارة من قبيلة بدر فاشتعلت النار في قلب حذيفة رئيسها واشتدت غيرة الربيع بن زياد ، واراد حذيفة ان يرسل عبداً من عبيده يقتل الجواد سراً ، الا ان الربيع استمهله حتى يدبر تدبيراً آخر .

وبعد بضعة ايام أقام حذيفة وليمة عظيمة ، ودعا كثيراً من السادات ومن بينهم قراوش بن هاني، ابن عم الملك قيس وكان قراوش هذا مشهور بالفصاحة والشجاعة فلما فرغوا من الطعام ، اخذوا في شرب المدام وكان حديثهم عن الفروسية والفرسان ثم انتقل الحديث الى الخيل الحسان ، فقال قراوش والله ما رأيت مثل جواد ابن عمي قيس المسمى داحس ولا أظن أن له شبيهاً ولن يوجد له منافساً . ثم اخذ يبالغ في وصف داحس وقال : وحق البيت الحرام ، ما مشى على وجه الصحراء جواد خير من فرس اخي حذيفة (الغبراء) التي شاع ذكرها في سائر الارجاء .

ثم صاح حمل بن بدر على العبيد ان اعرضوا على الاضياف خيولنا فجاء العبيد بخيول تعد من النفائس ، تتهادى كأنها حسان العرائس كانت (الغبراء) من بين هذه الخيول فقال حذيفة لقراوش : كيف رأيت خيولنا يا ابن الامجاد ؟ قال : والله ما اعجبني منها فرس ولا جواد فاستشاط حذيفة من الغضب وقال لقراوش ، كذبت والله فما ملك مثل هذه الخيول احد وما هو الا الحقد والحسد. واذا لم يكن قولك هذا عن كذب ورياء . فراهني نيابة عن ابن عمك على سباق « داحس والغبراء » فقال قراوش : قد اجبتك والرهان على عشر نوق يأخذهما السابق من المسبوق ثم حددا يوم الرهان ، واتفقا على المكان .

وفي الصباح رحل قراوش الى احياء بني عبس ، ودخل على ابن عمه قيس ، واخبره بما كان من حذيفة بن بدر ، فانقبض صدر قيس وقال : لقد اخطأت يا ابن العم في عقد هذا الرهان ، ووالله ما هذه الا بادرة من بوادر الشر سوف يعقبها تطاحن وتنافر وحروب ما لها اول وقد لا يكون لها آخر .

ثم انه قام فركب مع جماعة من فرسان بني عبس وسار حتى وصل الى بني

فزارة فوجد القوم في الخيام ، يأكلون الطعام ويشربون المـــدام فنزل عن جواده وتقدم اليهم وسلم عليهم ، فلما رأوه وقفوا اجلالاً له واكراماً وتعظيما واحتراماً ، وأجلسه حذيفة إلى جانبه في صدر المكان ثم لحوا عليه في مشاركتهم الطعام فأكل قيس ليظهر لهم المودة والوئام ولما فرغوا من طعامهم كانت الخمرة قد لعبت برأس حذيفة . فبدا يظهر ما في قلبه من المكر والخداع وتكلم الملك قيس فقال اعلم أيها الامير انني ما جئت الا لاحول دون شر قد يستفحل بيننا وبينكم ومرادي ان نمحوا هذا الرهان ، حتى لا يكون باباً للشر والعدوان .

فلما سمع حذيفة هذا الكلام ظهر على وجهه الابتسام وقال : وحق الملك الخلاق اني لا أتنازل عن هذا السباق إلا إذا أعطيتموني ما إتفقنا عليه من النياق ، فاذا ابيتم تقديها طوعاً اخذتها منكم قهراً وكرهاً وإذا شئت بعد ذلك استبقيها واذا شئت رددتها عليكم فتعجب الملك قيس من سوء أدب حذيفة وقال يا حذيفة دع عنك هذه الحماقة ولا تطمع ان تأخذ غصباً عنا جملا ولا ناقـــة قال حذيفة والله لن ارجع عن الرهان حتى تدفعوا لنا النوق واعترفت كذلك بانني انا السابق وانت المسبوق .

وكان قيس كلما تلطف في الخطاب طمع حذيفة وأغلظ في الجواب حتى بـــدا الحاضرون يضحكون ويستهزؤون وعندئذ ثارت حمية قيس وقال لحذيفة والله يا ابن بدر لقد أسأت التقدير ولم تقدر عواقب هذا الامر الخطير وما دمت تصر على السباق فانني لا أقبل ما عقدته مع قرواش من اتفاق ، وأراهنك رهاناً جديداً لا على عشر بل على عشرين من النياق ، فهلل حذيفة وقال : « بل اراهنك على ثلاثين قال قيس فليكن على أربعين قال حذيفة : ولماذا لا يكون على خمسين ؟ » قال قيس أراهنك على مائة ، وان شئت زدتها وموعدنا في مثل هـذا اليوم من الشهر المقبل ومسافة هذا الرهان مائة « غلوة » والسابق من يصل الى غدير ذات الآصاد .

ثم ركب جواده وعـــاد مع رجاله بعد ان ترك بني فزارة في أشد الدهشة والذهول ثم امر عبيده بان يعنوا بجواده (داحس) أكثر من عنايتهم بجميـــع الخيول .

اما عنترة فكان يجد في قطع القفار وكلما تذكر عبلة فاضت دموعه واشتعلت بنار الوجد ضلوعه وبينما هو كذلك اذ التقى به عبد من العبيد الذين ارسلهم الملك قيس للبحث عنه فلما رآه مع من كان في صحبته من فرسان بني عبس هلل من الفرح وتقدم منه وقال له يا ابـــا الفوارس . ان مولاي قيس يبحث عنك في كل الاقطار

ويكاد لا يكف عن ذكرك في الليل ولا في النهار ثم ساروا جميعاً حتى وصلوا الديار فتلقى الملك قيس عنترة بالفرح والاستبشار . وبعد ان استقر به المقام قص عليه ما كان من امر حذيفة واصرارة على الرهان ووقاحته في مخاطبة قيس فقال عنترة « لقد بغي حذيفة » وسيتجرع عاقبة بغيه.

ثم استأذن عنترة لكي يزور ابيات أهله وأعمامه وكان مراده ان يلتقي بعبلة بعد أن احترق قلبه من طول بعدها ، وكان خبر عودته قد شاع في الحي فطار فؤاد عبلة من الفرح ، ولبست افخر اثوابها وتعطرت بأطيب الطيب وأخذت تنتظر قدومه فلما رأته مقبلا صاحت تقول لأمها ها هو عنترة يا أماه وخرجت مع امها للقائه على باب الخباء فتلقاهما بدموع غزيرة واحتبس الكلام فلم ينطق الا باسم عبلة في همس تخنقه العبرات ، وبعد ما قدم لامرأة عمه ما معه من التحف والهدايا والاموال استبقي شيئاً منها وذهب به لامه زبيبة فتلقته بالعناق والتقبيل ودموع الفرحة تسيل عن عينيها .

فرسه (الغبراء) فاتفق مع عبد يقال له (دامس) على أن يكمن في الطريق ، فاذا رأى (داحس) قد سبق الغبراء ، فعليه أن يلطمه بقبضته بين عينيه ليعوقه عن الجري فذهب العبد و كمن في مكان منعزل وظل يترقب الساعة التي ينفذ فيها امر مولاه !

وقبل أن يبدأ السباق بلحظات سمع القوم صوتاً مجلجلا يقول : (يا معشر العرب .. يا بني عبس وعديان ، وفزارة وذبيان ، ومره وغطفان يا من حضرتم الى هذا المكان . اسمعوا ما أقول) .. فالتفت الجميع الى المنادي واذا به شيبوب أخو عنترة .. فالتفوا حوله وقالوا له : (قل ما تريد) فقال شيبوب : لقد (جئتم لتشاهدوا سباق داحس والغبراء وأنا أحب أن أجعله سباقاً لم تشهد الدنيا له مثيلا .. فأنا أراهن من يشاء على ما يشاء على أني سأسبق الفرسين ولو طار كل منهما بجناحين وسأسبقها وانا أجري على قدمي ، بشرط انني اذا فزت في السباق ، آخذ الجمال والنياق التي تم عليها الاتفاق ، واذا لم أفز فاني أعطي خمسين ناقة تقسم بالتساوي بين صاحبي داحس والغبراء) فقال له بعض مشايخ العرب ، وقد تعجبوا من هذا العرض العجيب : (ويلك يا أبا رباح .. كيف تأخذ مائه ناقة اذا سبقت وتعطي خمسين اذا لم تفز ?) قال : ما أجهلكم وأبعدكم عن العدل .. ذلك لانني أجري على رجلين والجواد يجري على أربع !) فضج السامر بالضحك ، ووافق الحاضرون على

هذا الرهان الطريف ! .

وبدأ السباق فانطلق الجوادان وكل منهما كالشهاب المنقض وفي لمح البصر غابا عن الانظار وشيبوب يجري بينهما كأنه البرق الخاطف وبعد مرحلة من الشوط تقدمت الغبراء على داحس ، فصاح العزاري الذي يركبها (سبقتك يا عبسي فعز نفسك) فقال العبسي وقد اشتد به الحنق (كذبت يا أخا فزارة ، ولسوف تبصر الآن ما تدمع له عينك .

وبعد أيام وصل الى ديار بني عبس رجل يقال له سنان بن أبي حارث وكان موفداً من قبل النعمان فلما دخل على الملك قيس قال له : « ايها السيد المبجل .. لقد سمع الملك النعمان أن الحارث بن ظالمة في دياركم وأنكم قد اجرتموه وحميتموه وانكم اقسمتم الا تسلموه ولو طلبه الملك النعمان أو كسرى انو شروان وقد ساءه هذا ، وأرسلني الآن في طلبه وأمرني بأن لا أعود إلا به ، ومن الأصوب ان تجيب الملك النعمان إلى ما طلب والا أرسل لكم جيشاً ضخماً يخضعكم لمشيئته » .

فلما سمع قيس هذا التهديد ثار وانتفخت أوداجه وقال لسنان : يا شيخ الضلال ، الا تعلم أن الحارث قد قتل قاتل أبي ، وبلغني منه مقصدي وأربي ووالله لن اسلمه لأحد فعد من الآن الى مولاك قبل أن أسقيك كأس الهلاك وقل له ان قيساً قد أجار الحارث ولن يمسه أحد بسوء ولو أجتمعت الأنس والجن. فقام سنان من فوره وركب جواده قاصداً بلاده .

وكان بنو فزارة قد علموا بعودة عنترة بالاموال والتحف فأكل صدورهم الحقد والحسد ، واستشاط حذيفة من الغضب وقال : « وحق ذمة العرب ، لا بد أن أشفي صدري من هذا العبد الأسود فلولاه لكان بنو عبس وعدنان اليوم تحت طاعتي » فقال له حمل بن بدر : « والله يا أخي لن تبلغ من هذا العبد مأربا ، فانه فارس زمانه الذي لا يشق له غبار وقد رأيت من فعاله ما يحير العقول والالباب » فقال حذيفة وهو يكتم ما في قلبه الغيظ : « سترى ما يحل بهذا العبد الحقير » .

ومضت الأيام ، وجاء يوم الرهان ، فاجتمع قيس وحذيفة في مكان السباق ، وانتخب كل منهما فارساً من قومه ليركب جواده في السباق وتجمعت القبائل من كل فج لمشاهدة سباق (داحس والغبراء) .

قال الراوي : وكان حذيفة قد خشي أن يسبق جواد قيس (داحس) وينفطر له قلبك فاصبر حتى نقطع هذه الحجارة لان الاناة تحسن الجري فيها وتحسنه في

غبرها . ثم انه لكز داحساً ، وأطلق له العنان ، فاندفع ينهب الارض وكانه يطير فوقها ولا يسير عليها ، ولم يلبث أن ظهر غبره أمام الغبراء . بعد أن كان متأخراً وراءها ، فصاح راكبها العبسي يقول للفزاري : (اذا وصلت إلى آخر السباق فلا تنس أن توقظني من نومي لاعود معك!) فاغتاظ الفزاري من هذه السخرية وحاول عبثاً أن يلحق بداحس... أما شيبوب فكان يجري كأنه الغزال إلى جانب داحس.

قال الراوي : ولما وصل داحس الى المكان الذي كمن فيه العبد دامس ، خرج العبد من مكمنه ، ولما رأى داحساً قد قطع الفلاة ، وانه سابق على فرس مولاه ، تعرض له فجأة ، ولطمه لطمة عظيمة طاش لها الجواد وانصرع ، وكاد من هول الضربة أن يقع ولكنه تجلد ومشى متمايلا من شدة الالم .

ولما أبصر شيبوب ما حدث ، ورأى الغبراء قد تقدمت على داحس طار صوابه وأدرك أن هذا الكمين من تدبير حذيفة بن بدر ، فهجم على العبد دامس وطعنه بالخنجر طعنة نجلاء ، شقت بطنه وأخرجت الامعاء وخشي أن تسبقه الغبراء فعاد يعدو وتكاد رجلاه لا تلمسان الارض وما زال يجد في الجري حتى سبق الغبراء بمرحلة طويلة ، وأخيراً بلغ آخر الشوط عند غدير ذات الآصاد ، وانتزع من هناك علماً كانوا قد وضعوه ليأخذه السابق علامة على سبقه ثم جلس حتى أقبلت الغبراء وجاء بعدها داحس وأثر اللطمة ظاهرة في عينيه . وعندئذ قام شيبوب ورجع يعدو إلى حيث بدأ الشوط ، فلما عاد والعلم بين يديه هلل القوم وتعجبوا لسرعة جريه وقوة أعصابه وشدة احتماله .

وأخبر شيبوب الملك قيس بما جرى لجواده من العبد دامس فهاج غضبه وقال : (والله لأجعلن هذه اللطمة شراً مستطيراً على بني فزارة ، ولأحولن ربح حذيفة الى خسارة) .

قال الراوي : واختلف الفريقان واشتد بينهما اللجاج والخصام ، وكادت الحرب تقوم بينهم فتدخل شيبوب بينهم لمنع الفتنة ، فعاد الملك قيس ورجاله الى مضاربهم وتسلم شيبوب النياق ، فأقام الافراح ونحر من النواق ما أطعم منه الحاضرين .

أما بنو فزارة فقد كبر الأمر لديهم . فاجتمعوا بحذيفة وقالوا له : (أيها السيد .. كيف نكون السابقين ، وتأكل أموالنا عبيد بني عبس ؟ ارسل اليهم وطالبهم بقيمة الرهان ، فان أجابوا ظفرنا بثمرة الفوز ، وان أبوا أخذنا منهم حقنا بحد السيف) ، وعندئذ دعا حذيفة ابنه ندبة ، وأمره بأن يذهب إلى الملك قيس ،

ويطلب منه النياق التي اتفقا على أن يأخذها من فاز في السباق ، فذهب ندبة ودخل على الملك قيس وأبلغه ما قاله أبوه حذيفة ، وكان عنترة حاضراً في المجلس فثار وقال لندبة : (ان الذي كسب الرهان هو أخي شيبوب و أما أبوك فلعنة الله عليه ، لقد أراد أن يفوز جواده بالغش والخداع ، اذ وضع في طريق داحس عبداً ليضربه ويعوقه ، ووالله لولا هيبة الملك قيس لقطعت رأسك فقال ندبة : انني اكلم سيداً مثلي فكيف يجوز للعبيد أن تتدخل في حديث السادات ؟ والله ان لم تدفعوا الينا نوقنا ليذيقنكم أبي حرباً تشتت جمعكم ، وتفري أكبادكم وضلوعكم) .

وعندئذ اتقدت عينا الملك قيس من شدة الغضب ، وقال لندبة : أسكت يا قليل الأدب ، لقد جعلت مقامك من مقامي ، وشتمت فارسنا أمامي ، فخذ هذه الضربة من حسامي) ثم ضرب ندبة بسيفه على هامته فشق جسمه إلى نصف قامته ، فقام عنترة فحمله وربطه على جواده . واطلقه في الفلاة ، فسار به الجواد يقطع الطريق ، وقد صار من كثرة الدماء كقطعة من حجر العقيق ، فلما ابصرته الرعيان اقشعرت منهم الأبدان ، وصاحوا : (هذا والله ندبة ابن سيدنا حذيفة) وحملوه الى الحي فخرج الابطال . وضجت النساء بالعويل ، ولما رأى حذيفة ما أصاب ابنه شق اثوابه ، واسمع السماء والارض انتحابه ، وصاح في قومه : (يا ابن فزارة البدار البدار يا بني حذيفة اكشفوا عني وعنكم العار) فامتلأ الحي بالصياح ، وتقلد الفرسان بالسيوف وهزوا الرماح ، وركب القوم في الحال . طالبين الحرب والقتال .

اما الملك قيس فانه بعد أن قتل ندبة أيقن أن أباه سيسعى لاخذ الثأر فجمع من قومه كل فارس جبار ، ولم ينتظر حتى يأتي اليه فزارة ، بل ركب في هذه الجيوش الجرارة وقصد الى احياء حذيفة ليهاجم اعداءه قبل أن يهاجموه .

والتقى بنو فزارة ببني عبس ، وكان ذلك عند طلوع الشمس ، ودارت رحى القتال ، والتقى الابطال بالابطال . وحمل عنترة حملات عنيفة . فأطاح الرؤوس والاجساد وازهق النفوس وفعل كذلك عروة بن الورد ، وشداد بن قراد . وما زال الفريقان في صدام وطعان حتى ارتوت الارض من دماء الفرسان . وعندئذ خرج جيوش الفريقين ووقفوا بين المتقاتلين و كشفوا رؤوسهم وصاحوا : (ايها الناس كفوا عن القتال والا افنيتم بعضكم البعض) وما زالوا يردون الابطال ، ويخففون من حدة القتال ، حتى كف الفريقان ، واجتمع نفر من هؤلاء وهؤلاء

واتفقو على أن يدفع الملك قيس الفداء ، ولكن حذ رض أن يقبل الفدية وصمم على الثأر ، فقبح جيوش قومه فعله واصراره على الد . وأرغموه على قبول فدية ولده وعندئذ همس في أذنه شيخ من بني فزارة ، ف بالدر والمكر وقال له : « يا حذيفة خذ الفدية من بني عبس . وتحين فرص لقتل سيد من ساداتهم ، تأخذ بدمه ثأر ولدك » فارتاح حذيفة الى هذا التدبير ، رضي بقبول الفداء ، ولما اتفق الفريقان على الفدية وحددوا مقدارها . اغمدت السيف وضعت الحرب اوزارها .

قال الراوي : وكان حذيفـــة قد جعل على بني عس العيون والارصاد ليجد فرصة يغتال فيها واحداً من ساداتهم الكبار ، واتفق بعد ذلك بعشره أيام أن خرج مـــالك بن زهير أخو الملك قيس مع نفر من فهان بني عبس طالبين الصيد والقنص . فلما اوغلوا في القفار ، واشتد عليهم الحر في سط النهار ، عرجوا على واد بنزل فيه قوم من فقراء الاعراب يقال لهم بنو عراب واتجهوا نحو غدير ماء رووا منه ظمأهم ثم التفت مـالك فرأى شيخاً رث الثياب معمص الاهاب ، يجلس امام خباء فيه صبية مليحة ، كأن وجهها القمر المنير . حمء الخد . ميساء القـــد دعجاء العينين ، بضة الساقين واليدين . فسحره جمالها ، وبهر قدها واعتدالها فاتجه نحو أبيها ومال اليه ، وحياه وسلم عليه ، وقال لهم : اترضاني يا شخ لابنتك بعلا ؟ فقـــال الرجل : « اهلا بك وسهلا يبدوا لي انك من سادات لعرب ، فكيف ترضى أن تربط بفقير مثلي برباط النسب ؟ بالله قل لي من أنت ؟ . قال : « أنا مالك بن زهير » قال الشيخ أنعم بك واكرم ، سيد من نسل سادات، اما انا فرجل فقير من بني عراب فهل ترضى هذا الانتساب ؟ » قال مالك : » لست قيمة النساء الا بالادب والعفة والحياء ، وقد رأيت في ابنتك ما رفعها في عني وقربها الي ، فرضي الشيخ واجـــاب بالقبول . وعندئذ قدم عنترة ومن معه ، فقال له مالك والله «يا ابا الفوارس لقد كنت الومك على حبك لعبلة والآن وقد ذقت كيف يكون الهوى عذرتك » ثم حكى له قصه الصبية التي اجلها وطب زواجها .

قال الراوي : « ولما عاد مالك الى احياء بني عبس ارسل الى الشيخ قافلة من الجمال ، معملة بالتحف والاموال ، وضرب للشيخ موعداً لعقد القران .

ولما جاء يوم الموعد سار مع جماعة من الفرسان ، ونفر من سادات بـــني عبس وعدنان ، فلما وصلوا الى ديار بني عراب اقيمت معالم الافراح وبسطت الموائــــد ودارت الاقداح ، وامر مالك بأن يقام له سرداق كبيرة ويفرش في وسطه سرير ،

يكسى بالدمقس والديباج لحرير ، ولعبت الفرسان على ظهور الخيل ، وظلوا في انس حتى انتصف الليل وعند دخل مالك الى سرداق الزفاف ، واختلى بعروسة باهرة الاوصاف ، ونام كل، في الحي حتى كاد ينبلج نور الفجر وعندئذ رأى عنترة أن يترك مالكاً في هناء ، وود الى احيائه ، ليلتقي بعبلة التي ارقه الشوق اليها واشتاق فؤاده الى نظرة من نيها ، او كلمة من شفتيها ، فركب جواده وانطلق دون ان يعلم بمسيره احدالا ابوه شيبوب .

وقبل ان تشرق شمس الصبح ، تبدلت الافراح الى اتراح ، وذلك لأن حذيفة بن بدر قد علم بمجيء مالك، وزواجه من ابنة ذلك الشيخ من بني غراب ، فجاء في جيش كثير العدد ليأخذ أر ولده ندبة فلما وصلوا الى الحي هاجموا القوم ، وكانوا من اثر السهر يغطون في الم ، واطلقوا فيهم السيوف والرماح ، فلما ادرك شيبوب ما وقع اطلق ساقيه للريح، اثر اخيه ليخبره بغدر حذيفة .

وسمع مالك وهو في سره اصوات الصياح ، وصليل السيوف وقعقعة السلاح ، فخرج بملابس نومه ، ليرى مجرى لقومه ، وكان ما زال مخموراً يترنح من اثـــر الشراب ، فلما رأى المعركة ائرة ، ارتد فلبس عدة القتال ، فخرج ليري زوجته همته وشجاعته ، وركب جواده وزعق بين اذنيه وهو غير متمكن من عنانه لتأثره بما شرب من الخمر ، فقفزبه الجواد قفزة القت براكبه على الارض ، وانتهـــز حذيفة هذه الفرصة فهجم على مالك وضربه بالحسام على هامته ، فشق جسده الى نصف قامته وفر حذيفة بعد ان نال بغيته .

وفي هذه اللحظة عاد شيبوب ومعه عنترة ، فلما رأى المعركة حامية اقتحمهـــا بقلب كأنه الصخر الجلمود ، اوغل فيها حتى عثر على مالك وهو يتخبط في دمه بين حوافر الخيل ، فنزل مسرعاً اليه ووضع رأسه على احدى ركبتيه وناداه والدموع تدر من عينيه . فنظر اليه مالك وهو مطروح ، ثم شد على يد عنترة واسلم .

وعندئذ صاح عنترة صيحة الغضب . وحمله الى سرداقه وعاد للقتال وفؤاده يلتهب واخذ يطيح الرؤوس عن الابدان ، ويجندل الابطال والفرسان . وصار يبحث عن حذيفة لينتقم منه شر انتقام . ولكنه لم يجده بين هؤلاء الاقوام . وبعد ان شتت شمل بني فزارة . عاد فحمل مالكاً على جواده وسار به الى الديار . وفي فؤاده نار شديدة الاستعار .

قال الراوي : فلما اقترب عنترة من الحي . خرج قيس ليلاقيه وهو لا يعلم مـا

حل بأخيه . فلما رأى قيس واخوته ذلك المصاب ضجوا بالبكاء والانتحاب . ومما زاد مصاب عنترة ان هذا المصاب الكبير ، كان لا بد ان يؤخر زواجه بعبلة مدة عام على اقل تقدير .

ثم ان الملك اقسم الا يقعد عن ثأر اخيه حتى يفنى بني بدر جميعاً . ويترك حذيفة قتيلا صريعاً . وامر رجاله وفرسانه بأن يستعدوا للسير عند ضحى الغد لمهاجمة بني فزارة .

وبات عنترة في تلك الليلة يبكي فقد كان أحب الناس اليه . الامير مالك بن زهير . وعند الفجر غفلت عيناه فرأى مالكاً في المنام يقول له : يا أبا الفوارس لقد نمت نوم الامان ، وغفلت عن اخذ ثأري فهب عنترة من نومه مذعوراً ، وتقلد حسامه وعدة قتاله وركب جواده واصطحب معه عشرة من فرسان بني عبس المغاوير ومنهم اخوه شيبوب وانطلقوا على خيولهم الى ديار بني بدر ودهموها قبل ان يظهر نور الفجر وعملوا سيوفهم في رقاب الاعداء ومزقوا منهم الاوصال والاحشاء ، وبحث عنترة عن حذيفة فلم يقف له على اثر ، اذ كان قد فر فرار الجبان ، فسبى عنترة النساء والاولاد ، وعاد بعد ان شفى من بني بدر الغليل .

وعند عودته التقى ببني عبس متجهين الى ديار بني بدر وفي مقدمتهم الملك قيس وبعض اخوته ، فقال قيس لعنترة : اين كنت يا ابا الفوارس فقد بحثنا عنك لتسير معنا لقتال بني بدر فلم نجدك ؟ فقال عنترة : (ارح نفسك يا مولاي فقد فتكت بأعدائك وشتت شملهم بين الجبال والتلال) ولو انك سرت اليهم لما وجدت منهم في ديارهم احداً ولكني لم اظفر بحذيفة لانه فر كما يفر الغراب المذعور ، ولم يهدأ بالي حتى اروي بالارض دمه . وعند ذلك هدأ قلب قيس ، وعاد بقومه الى دياره . اما حذيفة فقد عاد بعد انفضاض المعركة واخذ يجمع ما تشتت من شمل قومه واستنجد ببعض حلفائه من قبائل العرب ومن لهم ثأر عند بني عبس واخذ يستعد لغزوة ينتقم بها من الملك قيس .

هذا ما كان من امر هؤلاء وأما ما كان من امر الملك النعمان فانه لما عاد اليه رسوله واخبره بما قاله الملك قيس وانه رفض ان يسلم الحارث بن ظالم اشتد به الغضب وثارت ثورته وقال : كيف اكون ملك ملوك العرب وصاحب جيوش تحجب قرص الشمس ثم يخالف امري رجل مثل قيس ؟ ثم استدعى في الحال اخاه الاسود وأمره بأن يجهز جيشاً جرارا يؤدب به بني عبس ويأتيه بملكهم قيس ذليلا اسيراً فصدع

الاسود بالامر ولم تنقض غير بضعة ايام حتي كان جيش الاسود يقطع البراري والقفار متجهاً الى تلك الديار

الانتقام لمقتل مالك

قال الراوي : كان عنترة قد أمر أخاه شيبوباً بأن يجوس خلال التلال والوديان ليكشف أمر حذيفة فغاب في هذه المهمة بضعة ايام وعاد لأخيه وقال له : جئتك بخبر خطير . لقد التقيت على مسيرة يومين بجيش كبير يقطع الفيافي نحونا فاقتربت منه لاكشف أمره وتظاهرت بانني من صعاليك العرب وإخذت استجدي عسكر هذا الجيش بعض الطعام فاشفقوا علي وأعطوني وما زلت أسير معهم انهم جيش الملك النعمان يقودهم أخوه الأسود وانهم قادمون لقتالنا وعندما أظلم الليل تسللت من بينهم وعدت مسرعاً اليك فلما مررت بديار بني فزارة فرأيت احياءهم تضج بالفرسان الذين جمعهم حذيفة وأخذ يجهزهم للوثوب علينا فعدت اليك وأنا اسابق الطير وها قد اخبرتك فدبر الامر كما ترى .

فأسرع عنترة إلى الملك قيس واخبره بما سمع من شيبوب فتغير وجهه وقال : ماذا ترى يا فارس عبس قال وحق الملك العلام لنقاتلهم حتى نجعلهم أحدوثة بين الانام ولنطردن من ينجو من الموت مطاردة النعام وما علينا الا أن نستعد للقتال وان نحصن النساء والاطفال فقال الملك قيس سأرسل لبنى غطفان ومن جاورهم من الاصدقاء والخلان وأطلب منهم المساعدة والامداد وامهد الى بعض فرساننا بحفظ الحريم والاولاد وكذلك ارسل الحارث بن ظالم إلى قومه يستنجد بهم ويقول لهم ان الملك النعمان أرسل جيشاً فليسرعوا لنجدته .

وفكر عنترة ودبر حتى اهتدى الى رأي سديد فالتفت الى الملك قيس وقال له ايها الملك ، الى متى هذا الانتظار .. وقد بات العدو على ابواب الديار ؟ هيا نخرج للقاء جيوش النعمان على ان يلحق بنا في ميدان المعركة الاصدقاء والخلان .

فاستصوب الملك قيس هذا الرأي وقبل مغيب الشمس تهيأ بنو عبس ، وما زالوا سائرين طول الليل وشطرا من النهار حتى وصلوا الى ارض استحسن عنترة ان يتخذها ميداناً للقتال ، فنزلوا هناك ينتظرون قدوم جيش النعمان وما كادت الشمس تميل الى الاصفرار حتى لمحوا طلائع جيش جرار فاستعدوا للنزال واشرعوا السيوف والرماح الطوال . وما هي الا ساعة حتى التقى الفريقان ، وبدأ القتال والطعان

وعملت السيوف في الأعناق ، وملأ غبار المعركة فسيح الآفاق وتخضبت بالدماء الرماح ، وباع عنترة نفسه بيع السماح فكان في وسـط المعركة ، كشيطان من الشياطين ينثر رؤوس الفرسان ذات الشمال وذات اليمين ، حتى اوقع الرعب في قلوب الاعداء ولم يجدوا من سيفه مهربا في الارض ولا في السماء .

ولما رأى الاسود ما حل بعساكره من الهزيمة، أخذ يصيح ويقوي فيهم العزيمه ، وقال لبعض فرسانه : عليكم بهذا العبد اللعين فاننا اذا لم نقتله كنا من الخاسرين فحمل القوم على عنترة حملة شديدة ، ولكنه تلقاهم مستهيناً بالموت والقى بنفسه عليهم غير هياب واقتحم بجواده حتى اوقع الكثيرين منهم على التراب ولكن كثرة جيوش الاسود ضمنت لهم الصمود وتعب فرسان بني عبس وأصاب أجسامهم الصمود وبدأوا يتقهقرون وتلحق بهم الهزيمة فتشددت من جيوش الاسود العزيمة وضاعفوا الهجوم وشددوا حتى خارت قوى بني عبس واوشكوا ان يتبددوا ولكن عنترة ظل في الميدان وشيبوب وراءه كأنه شيطان يرمي خصوم أخيه بالنبال فيجندلهم في حلبة القتال .

وسالت الدماء من جسد عنترة حتى صار كشقيقة الارجوان وفضل ان يموت دون ان يستسلم للهوان واذا بغبار قد ظهر من وراء التلال انكشف عن جيش من الوف الرجال فصاح شيبوب ابشروا يا بني عبس وعدنان لقد جاءتنا فرسان بني غطفان ورجحت كفة الميزان وبدأت جيوش الاسود تشعر بالهزيمة والخسران .

وعندئذ صاح شيبوب لثاني مرة : ابشروا يا بني عبس فقد جاءتنا نجدة بني مرة فتطلع القوم واذا بفرسان كأنهم الابراج قد ملأوا الارض وسدوا الفجاج وانحطوا على جيوش الاسود يوسعونها طعنا وتقتيلاً فلم يصمدوا أمامهم الا قليلا ثم تشتتوا في الفلاء طالبين الرأفة والنجاة .

قال الراوي : وكان الحارث بن ظـالم لما رأى هزيمة بني عبس امام جيوش النعمان قد عاوده طبعه الميال الى الغدر وانضم الى جيوش الأسود طمعاً في ان يشفع له عند أخيه النعمان فلما رأى عنترة ذلك اشتد حنقه عليه وقال : الا لعنة الله على هذا الغادر الخؤون فنحن ما حاربنا النعمان الا لاجله ولكنني لن أغفر له هـذه الخيانة ثم حمل عليه بطعنة صادقة بكعب الرمح فاسقطه عن جواده واخذه أسيراً وعندئذ قال الحارث لعنترة (يا ابا الفوارس .. لقد أخطأت في حقك فالتمس لي المعذرة وكن كعهدنا بك تعفو عند المقدرة ووالله لن اعود الى خداعك ما حييت وسأكون

خادماً لك ان رضيت او أبيت ولو اطلقتني ايها السيد الأمجد لاجزين معروفك بان آمر لك الأسود ثم اضربه بين يديك بهذا الحسام) وقبل أن يتم هذا الكلام فاجأه عنترة بان ضربه بسيفه ضربة شجت رأسه ولولا ما كان على رأس عنترة من وفاء لكان مصيره الفناء وعندئذ على الدم في عروق عنترة وضرب الحارث بحربته ضربة مزقت أضلاعه ثم أخرجها وحطم بها رأس الحارث ونثر بها نخاعه وتركه واتجه نحو الأسود وصال معه وجال وطال بينهما القتال .

وبينما هما في محاورة ومداورة وإذا بغبار قد ملأ الجو وظهر من تحته فرسان بني زارة يقودهم حذيفة بن بدر فانصبوا على فرسان بني عبس وخاضوا فيهم بقوائم الخيل .. ولما رأى الملك قيس ما حل بفرسانه من التعب وما خالط نفوسهم من اليأس صاح فيهم لكي يرتدوا إلى التلال فاخلوا الميدان مسرعين وعندئذ هجم بنو فزارة وعسكر النعمان فسبوا حريم واطفال بني عبس واطفالهم ولما رأى عنترة ما حدث ثار وقال للملك قيس . كيف تأمرنا بالتقهقر ونحن قادرون على الكفاح ، وما زالت ايدينا تحمل السلاح لقد أتحت للاعداء سبي الأطفال والنساء فقال قيس : وهذا ما أردت أن يكون ، حتى تستخفوا بالموت. فيهون وتثور نفوسكم لتخليص ذويكم والآن كروا على اعدائكم بارك الله فيكم .

فهجمت فرسان بني عبس هجوم الأسود . وقد عول كل منهم على الا يعود . أما عنترة فقد رأى عبلة بين يدي من سباها . تلطم خدها وتنادي أباها . فهجم وقد طار صوابه ، وضرب خاطفها ضربة واحدة لم يتنفس بعدها . وحمل عبلة في يسراه. وأخذ يشق طريقه وسيفه في يمناه . حتى اجتاز بها ساحة القتال . وسلمها لشيبوب ليحفظها إلى ان ينتهي السجال . وعاد إلى حيث كان الاعداء . وأبلى في تقتيلهم أحسن البلاء وأسر الملك الأسود . وما جاء المساء حتى انتصر بنو عبس أكبر انتصار وتفرق أعدائهم بين البراري والقفار وعاد عنترة الى حيث اقيمت الخيام ، وأوى كل الى مضجعه لينام ، وتركوا حول الخيام بعض الحراس ، حتى لا يفاجئهم أحد من الناس .

ولما سطع القمر ، ورق النسيم سعى عنترة الى خباء عبلة ، فوجدها ساهرة على باب الخبا ، وحيدة تناجي البدر في السماء ، فاقترب منها وقال لها : ماذا ارقك يا ابنة العم ؟ دعيني احمل عنك ما تحملين من الهم .. بالله عودي إلى مرقدك .. وغداً نعود إلى الديار ، وننعم بما طال انتظارنا له من طيب الوصال ، وستكونين لي نعم

الزوجة والعشير وما ذلك على الله بكثير ، فودعته ودخلت لتنام ولتهنأ بلذيذ الاحلام .

في عرس عنترة

ولما استتب الامر لبني عبس ، وانتصروا على خصومهم ، من بني بدر وبني حذيفة بفضل فارسهم المغوار البطل الذي لا تشق له غبار عنترة بن شداد ، وعادوا الى مضاربهم فرحين بهذا النصر واقاموا الافراح ودقوا الطبول ، وملأوا باغانيهم الوديان والسهول، وكان اشدهم فرحاً بالنصر الملك قيس . فقال لسادات العشيرة والله لولا فارسنا عنترة الكرام ، لكنا اليوم في الاسر والذل والعار ، وقد حق علينا ان نجازيه على اعماله ونكافئه على جليل فعاله ، فنزوجه ممن ملكت منه الفؤاد عبلة بنت مالك بن قراد قالوا لقد نطقت بالصواب واثبت فاحسنت الثواب .

فارسل الملك قيس يدعو مالكا وعنترة ، فلما حضرا بين يديه اخبرهما بما أستقر الرأي عليه ، فقال مالك : ان زواج عبلة من ابن اخي غاية المنى ويوم زفافها اليه سيكون عندي يوم الفرح والهنا ، وعندئذ تقدم عنترة وقبل يدي عمه ثم تقدم نحو الملك قيس وقال له : والله لو بذلت الروح في سبيلك لكانت اقل واهون من رد بعض جميلك ، وما انا الا عبد نعمتك ، وسيف نقمتك ثم اذن له الملك قيس في الانصراف ، ليعد العدة للفرح والزفاف .

قال الراوي أما منافسه في حب عبلة . عمارة بن زياد فلما علم بهذا الاستعداد التهب منه الفؤاد وزاد كمده وذاب من الحزن جسده واسرع الى اخيه الربيع وقال له : اعلم يا أخي أنه لم يعد لي مقام في هذه الارض فانا لا أطيق أن أعيش في هذه المذلة ، في حين ينعم هذا العبد بحسن عبلة ، وها هو قد ارسل الدعوات وبدأت تتوافد عليه الفرسان والسادات ، فاذا تم له هذا الامر فلن ابيت ليلتها إلا في القبر فقال الربيع : وماذا نفعل وقد دبرنا لهلاكه كل تدبير ، ولكن حظه انجاه من كل امر خطير قال عمارة لقد طفت يا أخي بكل الامصار واختلطت بالسحرة والاطباء الكبار ، فهلا عرفت حشيشة مهلكه ندسها له في الطعام فنهلكه بها ونبلغ المرام ؟

فانبسطت اسارير الربيع وقال : اذا كنت ترغب في ذلك فانه امر يسير ، ولن نحتاج الى تفكير ولا تدبير ، فانني عندما كنت في بلاد العراق جلبت معي

حشيشة يقال لها (ذات المحق) دلني عليها بعض حكماء الملك النعمان ، وقال لي ان من أكلها انطفأت حرارته وتراخت اعصابه ومفاصله وبردت رجولته وماتت رغبته في النساء .

فقال عمارة : بالله عليك يا أخي أعطيني شيئاً من هذه الحشيشة قال ومن الذي سيضعها لعنترة في الطعام قال ان جارتي كحلا صديقة خميسة جارية عبلة وأنا على يقين من ان خميسة ستدعوها لمساعدتها في اعداد طعام العرس وعندئذ تستطيع ان تدس الحشيشة لعنترة في الطعام وبذلك نبلغ المرام ويصبح هذا سخرية بين الانام .

قال الراوي : وكانت الجارية كحلا ذات حسن وجمال وقد واعتدال فكان عمارة يحبها ويعتز بها لما بينها وبين عبلة من الشبه العجيب ولكنها كانت تبغض عمارة وتحب عبداً من عبيد بني قراد يقال له سعيدبن مراد وكان عمارة يغار عليها ويحجبها فلا تزداد الا بغضاً فيه .

فقام الربيع فجاء بالحشيشة وأوصاه بكتمان الخبر ففرح عمارة واستدعى جاريته كحلا وقال لها : اذا دعتك خميسة جارية عبلة لتساعدها في اعداد الطعام فضعي هذا النبات في وعاء عنـــترة فقالت كحلا : اعلم يا سيدي أن خميسة قد دعتني من أول النهار لهذا الامر وكنت في انتظارك لاستأذنك وسأنفذ ما أمرت به ولكن أريد أعرف حقيقة هذا النبات إذا كان مضراً أخفى أمره عن الناس فقال عمارة : لا تخافي فما هو الا نبات يبغض الانسان في معشوقه ، وانت تعلمين ما قاسيت من حب عبلة وقد فاز بها دوني هذا العبد الاسود وأنا اريد ان أطعمه هذا النبات حتى يبغضها فقالت كحلاء : اذن طب نفساً فسأفعل ما تريد ، فقال عمارة : وأنا أعدك عند بلوغ الارب باكداس من الفضة والذهب .

فلما جاء المساء وانتشرت في الحي الافراح ، وترددت الاغاني ورقصت الابكار وأخذ بنو عبس يرقصون على الجياد ، ويلعبون بالسيوف والرماح على سبيل الفرح والمزاح، وأخذوا في شرب المدام واكل الطعام وقفت كحلا بين الجواري تقوم بالخدمة وعندئذ ابصرت محبوبها سعيداً فزاد قلبها لهيب الشوق اليه ، وفي تلك اللحظة خطر ببالها خاطر عجيب ، اذ قالت في نفسها ان عمارة يطارحني الهوى ويحول بيني وبين من أحب ، فماذا يضرني لو انني اطعمته الحشيشة حتى يبغضني ويبعدني عنه، فأجد الفرصة للقاء من أهواه ؟

وفي الحال اسرعت الى خميسة واخبرتها بتلك الدسيسة وتوصلت اليها ان تأخـــذ

الحشيشة وتضعها في اناء عمارة ، فاخذتها خميسة ووضعتها في قطعة من الطعـــام ، وقصدت عمارة حتى وصلت اليه وسلمت عليه ووضعت القصعة بين يديه وقالت له : اعلم يا مولاي ان جارتك كحلا مشتغلة بخدمة عنترة وقد أرسلتني اليك بهذا الطعام المختار ، ففرح عمارة وايقن ان كحلا ستنتهز الفرصة وتدس الحشيش لعنترة ثم مال على القصعة وأخذ يلتهم ما فيها حتى أتى عليه .

قال الراوي : وعندما انتصف الليل ، خرجت المواشط بعبلة كأنها الدرة الثمينة مزدانة في أحسن زينة ، فلما رآها عمارة اصفر لونه ، وخفق قلبه ، وانصرف غاضباً يكاد الحسد يأكل صدره .

وعند خروجه التقى بكحلا ، واراد ان يسري بها على نفسه لانها اشبه الناس بعبلة ، فلما خلا بها ، احس بما لا عهد له من الخمود والخمول وعبثاً حاول ان يستمتع بها ، فبدا على وجهه الغضب ، وقال لها : « ان قلبي يحدثني بأنك اطعمتني الحشيشة بطريق الخطأ . فقالت : (والله يا سيدي لقد أعطيتها لخميسة جارية عبلة ، وطلبت منها أن تطعمها لعنترة لانها جارية عبلة الحبيبة ، فهي بعيدة عنده من كل ريبة) ؟

فلما سمع عمارة ذلك لطم وجهه وقال وافضيحتاه لقد ارتد السهم إلى صدري ، وغداً ينكشف عند الناس امري .

اما عنترة فانه لما رأى ان الليل أوشك ان ينقضي . اراد ان يخلو بعروسه ، فصرف عنها الجواري اللواتي كن حولها ، واخذ بذراعها نحو السرداق الذي نصبه لها وما كاد يهم بالدخول حتى علا الصراخ من اطراف الحي ، وتعالى العويـــل ، ونفرت الخيول والجمال فنظر عنترة فاذا بفرسان كأنهم العقبان ، ينقضون على كل من يصادفونه ويوردونه موارد الهلاك ، فقفز على جواده بعد ان حمل عـــدة القتال وصاح في رجاله (اتبعوني ايها الابطال ، لنرد هؤلاء الانذال) ثم اندفع نحـــو المهاجمين وقد امتلأ صدره بالغيظ والحنق على اولئك الذين كدروا ليلة عرسه ، وتلقى جموعهم مستهيناً بالموت ، واخذ يجندلهم الواحد اثر الآخر ، وتبعه ابوه شداد وعروة ابن الورد ، ولحق بهم الملك قيس واخوته ، وسائر بني عبس ، وتدفقوا على الاعداء كالسيل حتى اخرجوهم من بين الخيام وما زالوا يطاردونهم حتى امعنوا في الهرب ، وطواهم ظلام الليل .

أما سبب الهجوم فهو ان اخت حذيفة بن بدر لما قتل اخوها وسادات عشيرتهـا جمعت نساء القبيلة ونشرن شعورهن واخذن يندبن قتلاهـــن ، وارسلن في طلب

النجدة من الأقارب والاصهار وقد أهبن بهم ان يأخذوا لهن الثار ، فجاء لنجدتهن بنو كهلان وعلى رأسهم ملكهم المسمى الرميم ، ورأى ان يأخذ بني عبس على غرة ليضمن النصر فانتهز فرصة انشغالهم بعرس عنترة فهجم على ديارهم قبل طلوع الفجر كما تقدم القول

فلما فر بنو كحلان عائدين الى ديارهم ، اقسم عنترة الا يدخل خباءه ولا يستمتع بعروسه الا بعد ان ينكل ببني كهلان ويرد هيبة بني عبس وينتقم ممن افسدوا عرسه اشد الانتقام ثم عاد الى الخيام واخذ ما يكفي رحلته من الطعام والشراب ومضى مع خمسين من امهر الفرسان قاصداً ديار بني كهلان .

هذا ما كان من امر عنترة ، اما ما كان من امر الملك قيس فانه لما اقبل الصباح جاء رسوله من قبل اخته (المتجردة) ، زوجة الملك النعمان ، ومعه رسالة تقول فيها : (أعلم ان الملك النعمان ساق اليكم جيوشاً لا تحصى ، فسارع يا اخي بالرحيل الى ارض لا يعرف مقركم ، والرأي عندي ان ترحلوا الى بلاد اليمن ، والا بعتم ارواحكم بلا ثمن) .

فلما رأى قيس هذه الرسالة ، جمع اهل الرأي من رجاله وقال لهم : اعلموا يا بني العم ان الملك النعمان سير الينا جحافل من الابطال والفرسان وقد اصبحنا محاطين بالاعداء من كل جانب ، فاذا بقينا هنا تكاثر علينا الاعداء ، ونهبوا الأموال وسبوا الاطفال والنساء ، والرأي عندي ان نرحل الى بلاد اليمن ، ولن نعدم ان ننزل هناك بواد مؤتمن) .

فقال له اخوه الحارث : (انرحل ونترك عنترة قبل ان يعود ؟ انني افضل أن انتظره بضعة ايام حتى يرجع ونستشيره) فقال الربيع بن زياد وما زال قلبه على عنترة ممتلئاً بالاحقاد : (لست على هذا الرأي ، فاننا اذا انتظرنا عنترة فلا بد أن يشير علينا بأن نقاتل لأنه لا يقدر عواقب الامور ، والرأي عندي أن نعجل بالرحيل فاذا عاد ولم يجدنا لحق بنا وسأترك له عبدين يخبرانه بما اتفقنا عليه) فاستحسن الملك قيس هذا الرأي وامر الجميع بالاسراع في الاستعداد للرحيل ولم تمض الا ساعات حتى كانت قوافل بني عبس وعدنان ، وبني زياد ، تقطع الوديان المهاد .

اما عنترة بن شداد فقد سار بالفرسان الخمسين حتى وصل الى ديار بني كهلان ، وقلبه يخفق للأخذ بالثار ، وانقض عليهم وهاجمهم هجوم الوحوش الجياع وملأ الارض بأشلائهم فلم يخل من جثثهم شبر ولا ذراع ، وما زال يطيح

بالرؤوس ويزهق النفوس حتى مزق شملهم شر ممزق وشرد ابطالهم في كل طريق ثم جمع الاسلاب والاموال وحملها على النوق والجمال وعاد مظللاً برايات الانتصار مكللا بأكاليل الافتخار .

ولما وصل الى ديار بني عبس لم يجد بها احداً من الاحياء فاندهل وتصاعدت في رأسه الدماء وخشي ان يكون قد اصابهم مكروه واذا بالعبدين اللذين تركهما له الربيع قد جاءاه واخبراه بما كان من امر الرحيل فاشتد به الحزن والاسى وقال لمن معه : (والله لو ادركتهم لمنعتهم من الرحيل فانه غاية الذل والهوان .

ثم جد في السير ليلحق بقومه . اما بنو عبس فكانوا قد دخلوا ارض اليمن ونزلوا بأرض قوم يقال لهم بنو سعد وكان ملكهم اسمه معاوية بن النزال فلما استأذنوه في النزول في اراضيه رحب بهم وافسح لهم مكاناً في مراعيه فضربوا الخيام وسرحوا الجمال والانعام واستقر بهم المقام .

ولكن بني سعد لما رأوا ما عند بني عبس من الاموال الكثيرة والنعم الوفيرة طمعوا فيهم وصمموا على أن ينهبوا اموالهم ويسبوا نساءهم وزرايبهم وشجعهم على ذلك كثرة ما عند بني عبس من الاموال وقلة من معهم من الرجال وكان صاحب هذه الفكرة من بني سعد فارسهم الاخيل بن عمرو لانه كان من اهل الشر والغدر فذهب الى معاوية وقال له : (ايها السيد المهاب . لماذا سمحت لهؤلاء الاغراب النزول في ارضنا ؟ لقد اوغلوا في مراعينا وسرحوا ومرحوا في اراضينا حتى كادوا يزحمونا في ابياتنا ومضاجعنا واني لأراهم ينظرون الينا باحتقار كأنهم الكبار ونحن الصغار فأذن لنا بطردهم ونهب اموالهم لأن قومك قد صمموا على هذا التدبير) .

وعندئذ ادرك معاوية ان قومه طمعوا في اموال هؤلاء الغرباء وخشي ان يمنعهم فيثوروا عليه ، فقال للأخيل : « لقد صدقت يا ابن العم ولكن الرأي عندي ان ننتظر ، ونتحين فرصة ننقض فيها ذمامهم حتى لا يقال اننا غدرنا بقوم نزلوا في رحابنا » فرضي الاخيل بهذا الرأي ، ولكنه صمم على اختلاق اسباب الشر والشحناء وصار يحرض الرجال على الرجال والاطفال على الاطفال .

ولما رأى بنو عبس ان القوم يمنعوهم من المراعي ، ويردونهم عن مناهل الماء ويتحرشون بهم في الصباح والمساء ، وادركوا ما في نفوسهم وشكوا الامر للملك قيس ، وبينوا له ما يجدونه من غلظة واذلال فقال لهم اصبروا حتى نرحل من هذه الاطلال .

وعندما رأى الاخيل ان بني عبس يتلافون اسباب الخلاف مضى يوماً فرأى صبية مليحة تطبخ ثريداً امام خبائها لأبيها الشيخ ، فتقدم منها وقال لها : دعي هذا الثريد ، وتعالي واستجيبي لما اريد ، فنظرت اليه الصبية وقالت له : « يا سيد السادات ما هكذا تغتصب البنات ، اغرك ان ابي هذا شيخ كبير اذهب لحالك ولا تطمع فيما لا مطمع فيه ، فان بني قومي يؤدبون كل سفيه ».

وعندئذ تقدم الاخيل واراد ان يأخذها غصباً ويردفها على جواده فقام له ابوها وهو يصيح : « يا لعبس يا لعدنان ، ردوا عنا هذا الشيطان فتواثب بنو عبس ، ونهبوا الاخيل بسيوفهم حتى تركوه اربع قطع اشلاء ممزقة .

وكان عبيد الاخيل يتربصون للهجوم فلما رأوا كثرة بني عبس وما فعلوه بسيدهم فروا واخبروا معاوية بما جرى للأخيل ولكنهم زعموا انه قتل اغتيالا ، ولم يذكروا محاولته اختطاف الجارية . وعندئذ جمع معاوية فرسانه وهاجم بني عبس ، ودارت رحى القتال ، واستبسل بنو عبس ، ولكنهم امام الكثرة بدأوا ينهزمون وصمموا على ان يموتوا عن آخرهم حتى لا تقع اعينهم على نسائهم واولادهم وهم في حوزة معاوية وفرسانه .

وبينما القتال مستعر كأنه لهب مشبوب ،اذا بغبار قد تعالى في الجو فلما اقتربت من مكان المعركة ، جلجل صوت رهيب يقول : « يا لعبس يا لعدنان . اثبتوا يا فرسان بني عبس فقد جاءكم عنترة ليؤدب من اجترأوا عليكم .

وكان عنترة قد تبع آثار قومه حتى لحق بهم ورآهم مشتركين مع بني سعد في قتال شديد الهول ، كما أسلفنا القول ، وعندئذ قويت قلوب بني عبس ، واستردوا بناتهم ، وهجموا على خصومهم هجمة رجل واحد ، واندفع عنترة ومن معه من الابطال ، وجندل بني سعد من اليمين ومن الشمال وما هي الا ساعة حتى رجحت كفتهم وذعر بنو سعد من ضربات عنترة ومن سداد سيفه ورمحه فتفرقوا في التلال والوديان وقد صحبتهم الهزيمة وحالفهم الخذلان !

فلما خمدت نار الحرب ، استراح عنترة ومن معه حتى اقبل الليل ، فتقدم منه اخوه شيبوب وقال : (يا اخي ان بني سعد لن يسكتوا على الهزيمة ، ولا بد أن يجمعوا علينا اقواماً اكثر منا عدداً . ونحن غرباء منقطعون عن الاحباب والابصار ومن الحكمة ان نرحل عن هذه الديار فان الشاعر يقول :

لا تقعدن على نار وما خمدت ... ان القعود على النيران خسران

فقال عنترة : نعم الرأي ما اشرت به يا شيبوب ، سأحدث الملك قيس في امره

الرحيل ، فلما دخل عنتره على الملك قيس واقترح عليه الرحيل من بني سعد قال له : انه لرأي جميل ، وقد فكرت قبلك في الرحيل ، ولكني أرى أن تدخل الليلة بعروسك عبلة ، وتهنأ بها بعد ان عكر عليك صفو عرسك هجوم بني كهلان علينا وسنقيم لك الليلة عرساً جديدا ثم نرحل عند الصباح ، فقال عنترة : لا والله لا ادخل حتى نبلغ مأمننا ونحط رحالنا في ديارنا فلربما قاتلنا في الطريق من نضطر لقتالهم وقد تكون منيتي مكتوبة قبل الوصول فاذا مت فاني ان اتركها بكراً تتزوج بعدي من تشاء ولا يكون لي منها اولاد يضرهم اليتم ويذلهم من يحقدون علي ومن لهم عندي ثأر فقال الملك قيس ما دمت تريد هذا الرأي فلك ما تريد .

قال الراوي ثم انهم باتوا تلك الليلة على حذر وعنترة ساهر العين يحرسهم من الخطر وعند الصباح حملوا الرحال ووضعوها على ظهور الجمال وساروا يقطعون الوديان والتلال وقد تأخر عنهم عنترة وعروة بن الورد وشيبوب ومعهم نفر من الفرسان الاشداء ليردوا عنهم من يحاول ان يتبعهم من الاعداء .

فلما قطعوا مرحلة طويلة ، رأى عنترة جارية جميلة وقد اركبها فارس وراءه على الجواد وهو يتدرع بعدة الحرب والجلاد فظن ان الفارس خطف تلك الجارية فتقدم وقال له ايها الفارس ، خل عن الجارية ، فقال الفارس : يا اخا العرب ، سر في طريقك ولا تتدخل فيما لا يعنيك ، فتقدم منه عروة بن الورد وقال له : خلها والا قتلتك ، فضحك الفارس وقال اذهب في طريقك ولا تدع أولادك يذوقون اليتم فاغتاظ عروة من سخريته وهجم عليه وهو يقول : خذ حذرك فاني قاتلك ، ثم صار معه وجال وطال بينهما القتال ، ووجد عروة من ذلك الفارس مقاتلا لا يبارى ومحارباً لا يجارى وما شعر الا وقد طعنه الفارس بكعب رمحه فأوقعه عن جواده. وعندئذ خشي عنترة ان يطعنه الفارس طعنة قاضية فانقض عليه انقضاض الاسود وتلقاه الفارس ثابت الجنان ونازله منازلة الشجعان فرأى عنترة من تفننه بالقتال ، ما لم يراه في غيره من الرجال وطال بينهما الصدام والافتراق والالتحام حتى بلغ منهما التعب منتهاه فقال له عنترة ايها الرجل اني والله ليعز علي ان اقتلك واني لأشهد بأنك بطل صنديد وفارس ذو بأس شديد ، فاذا امضيت في قتالي فلا بد ان يدركك التعب والكلال اما انا فلن ينال مني التعب اذا غلت في صدري مراجل الغضب فاترك الجارية وكف عن القتال ، فقال الفارس : لأهون علي ان تتمزق احشائي وان تنتثر اشلائي من ان اترك لك زوجتي ، واتخلى عن محبوبتي التي لقيت في غرامها الاهوال وقاتلت من اجلها الفرسان والابطال ، وتتبعت الذين خطفوها من الشام

لى ارض اليمن حتى انقذها من ايدي ثلاثين فارساً من الصناديد . وعندئذ تذكر اعنترة حبه لعبلة وما قاسى في سبيلها من الشدائد وعرف ان الجارية هي زوجة الفارس وليست مخطوفة فقال له : ايها الفارس ما دام الامر كذلك فلن احرمك ثمرة صبرك على حبها فقد جربت ما قاسيته ، وذقت الحب والوجد حتى جمع الله شملي بمحبوبتي عبلة فصاح الفارس : اذن فأنت والله عنترة بن شداد الذين طار صيته في البلاد لقد سمعت عنك وتمنيت أن اراك فما يعرف قدر الابطال الا الابطال فقال عنترة : لك الامان مني ومن معي ثم ارخى حسامه وتقدم منه وعانقه وقال له : (من تكون ياسيد الرجال ومن اي ارض جئت) قال انا فارس بلاد الشام واسمي مقري الوحش وهذه زوجتي مسيكة ونحن ندين بالمسيحية وقد زاحمني في حب مسيكة ابطال وفرسان وملوك وحكام ولكني اقسمت بالمسيح وبالدين الصحيح ان اظفر بمسيكة التي تهواني كما اهواها وما زلت في قتال ونزال حتى ظفرت بها . وكان لي مزاحم فيها اسمه شهاب الغساني لا يتعفف عن ستر النساء فأمر بعض عبيـــده ان يخطفوا مسيكة ويرحلوا بها الى ارض الحجاز لكي يتبعهم وينعم بها في هذه البلاد فانطلقت وراء فرسانه الثلاثين وقاتلتهم حتى افنيتهم عن آخرهم وخلصت زوجتي وسرت بها حتى التقيت بك وهذا من حسن طالعي لأني سمعت عن مروءتك وشهامتك كما سمعت عن بطولتك فقال عنترة : اذن فأنت ضيف بني عبس ولن يمسك سوء فقد اعجبت بثبات جناحك وفصاحة لسانك . ثم بعد ذلك جدوا في المسير ليلحقوا بني عبس فلما اقتربوا منهم حسبهم بنو عبس نفراً من قطاع الطرق واستعدوا لرد غاراتهم وتصايحوا (يا لعبس يا لعدنان) وهز عمارة بن زياد سيفه في اختيال فلما رآه عروة ابن الورد قال لعنترة : ها هو صاحبك عمارة بن زياد يظهر الفروسية في غيبتك وانا اريد ان نذهب اليهم متنكرين ونتظاهر اننا من اللصوص واهجم على عمارة واقتل فرسه واهزمه هزيمة تجعله سخرية بين قومنا ثم نكشف عن حقيقتنا) فقال عنترة : اني اخاف اذا وقع عمارة عن جواده هجم عليك الابطال والفرسان ليردوا عنـــه العدوان فيشتد البلاء ويستحكم بيننا وبينهم العداء . فقال عروة : (لا بد من ذلك ولو لقيت المهالك) . ثم ان عروة وضع على وجهه اللثام وهز في يده الحسام وهجم على عمارة وهو يقول له : (ويلك يا كلب العرب ما هذا الغرور والعجب ثم ضربه بعقب رمحه فأوقعه على الارض وهنا هجم على عروة فرسان بني عبس واحاطوا به من كل جانب فانبرى مقرى الوحش بطل الشام يدافع عنه في قتال يذهل العقول وقال عنترة : هذا والله ما كنت اخشاه ثم هجم ليدفع عن عروة ومقري الوحش

وهو متحرز من ان يقتل احداً من المهاجمين لأنهم قومه وعشيرته . ولما ضاق صدره ورأى وقعة القتال تتسع صاح في القوم : « كفوا عن القتال فهذا ابن عمكم عروة ابن الورد وما اقدم على هذه الجسارة الا ليمزح مع عمارة » فتعجب الرجال و كفوا عن القتال . اما عمارة فقد كان في غاية الخزي والمهانة ولما ناله من الهزيمة والاهانة فذهب يشكو الى الملك قيس وقال له ان هذا من تدبير عنترة بن شداد الذي دأب على بث الفتنة وزرع الفساد فغضب الملك قيس ودعا عنترة وقال له : « ما هـــذه المهازل يا ابن زبيبة و كيف اجترأت على هذه الفعلة العجيبة . عندئذ انتهز الربيع اخو عمارة هذه الفرصة واراد ان يزيد ثورة الملك قيس على عنترة فقال : لقد فضحنا هذا العبد بهذه الاعمال . واذل سيداً من سادتنا بين النساء والرجال ، ووالله لئن لم تطرده لهجرناك ورحلنا الى ارض لا تضيع فيها هيبتنا فقال الملك قيس لعنترة : (لقد بغيت وتعديت ، ولم تحفظ لي حرمة ولا حسابا ففارقنا بخيرك وشرك ولا تجلب علينا اكثر مما جلبت من المتاعب والخصومات) . وعندئذ نادى عنترة في احبابه واتباعه ان يستعدوا للرحيل ثم مضى معهم يقطعون القفار والوديان وكان عددهم ثلثمائة فارس من الفرسان فلما رأى مقري الوحش ما في وجـــه عنترة من امارات الاكتئاب اخذ يسري عنه الم الاغتراب ويقول له : (لا تحزن يا ابا الفوارس فنحن معك ولو صرت الى النار فلا بد ان نتبعك . اما الملك قيس فقد سار بالابطال والاجناد وقد شمت في عنترة رجال بني زياد وما زالوا يقطعون البراري والمحاجر حتى وصلوا الى ديار ابن عامر فتلقاهم عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة والاحوص بن جعفر ورحبوا بهم دون ان يعرفوا سبب قدومهم . وكان الملك النعمان لما علم بما لقيه بنو عبس من المتاعب والهوان بعد ان رحلوا عن الاوطان وقد رق قلبه اليهم وخاصة بعد ان استعطفته زوجته المتجردة عليهم فأرسل اخاه عمرو ليبحث عنهم ويوصي القبائل والعشائر بأن لا يؤذوهم فوصل عمرو الى بنـــي عامر بعد وصول الملك قيس ورجاله بقليل ولما استقبله شيوخ بني عامر وقال لهم : (اعلموا يا وجوه العرب انني قد اتيت اليكم من قبل اخي النعمان لأوصيكم ببني عبس ليبقوا عندكم برهة من الزمان حتى يتهيأ لهم ان يعودوا الى ديارهم في امان فقالوا : (لقد استقبلناهم احسن استقبال ، واحتفلنا بهم اكثر احتفال ولكننا في قدومهم لفي هم عظيم ، وغم جسيم لأن هؤلاء القوم كما تعلم خاصموا سائر الأمم ، وليس لهم صديق في العرب ولا في العجم . وانا لنخاف ان يهاجمهم بعض من لـــه عندهم ثأر ، فاذا تخلينا عنهم ركبنا العار واذا دافعنا عنهم احترقنا معهم بالنار وقد

رأينا ان نترك لهم الديار امتثالاً لأمر الملك النعمان فقال عمرو : ما داموا قـد تركوا عنترة فلن يستفحل الامر .

ثـار دريـد

سار عنترة يقطع ويجد في السير بالليل والنهار والتفت الى اخيه شيبوب وقال له: ايها الاخ المحبوب اما تعرف لنا مكاناً في هـذه البيداء نتخذه مسكناً ونتقي شر الاعداء فقال شيبوب (نعم اعرف مكاناً في هذه البقعة يقـال له (ثنية بني غيلم) وهو مكان جميل كثير البساتين والانهار والرياحين فقال (سر بنا اليه) فمضى شيبوب أمامهم ليدلهم عليه .

وما زالوا على ذلك الحـال حتى وصلوا إلى ثنية بني غيلم فرأوا ارضاً عديمة السكان منقطعة عن العمران ، فقال عروة : هذه والله أرض صعبة المقام موحشة الاكام فقال عنترة: واللهانها ما كنت اريد واشتهي لاني لا اريد أحداً من الناس ، ثم انهم نزلوا في تلك الاكام ونصبوا المضارب والخيام وسرحوا المواشي والانعـام وعولوا على الانقطاع والمقام .

وكان مقري الوحش ساءه ما فعله بنو عبس بعنترة فقـال لعروة بن الورد : (اعلم يا ابا الابيض ان في قلبي من بني عبس ما يشبه النار وها قد رأيت مـا فعلوا من العقوق والاحقاد وما عاملونا به من قبيح الفعال وكيف طردونا وسأرسـل بعض عبيدي في اثرهم ليعرف أين نزلوا ثم أسير اليهم وحدي وابذل في قتالهم غاية جهدي والا مت من الغم والكمد) فقـال عروة : افعل ما تريد واذا عولت على قتالهم فسأسير معك لان في قلبي مثل ما في قلبك من الغيظ والحنق .

وعند ذلك ارسل مقري الوحش عبداً من عبيده وامره ان يكشف له اخبار بني عبس ، فذهب العبد ثم عاد بعد ثلاثة ايام وقال لمولاه : لقد جئت بالخبر اليقين فاني بعد ان فارقتك سرت كالطائر حتـى التقيت في اليوم التالي باحد عبيد بني عامر فتقدمت اليه وسلمت عليه ثم سألني عن حسبي ونسبي : فقلت له انني من عبيد بني هوازن وجشم وقد ارسلني مولاي ذو الخـار لاكشف له اخبار بني عبس وعدنان حتى يقصدهم برجاله وأبطاله ويأخذ بثار صهره دريد بن الصمة فقضيت فترة من الزمان ادور البراري والكثبان حتى عثرت على عبدهم عنترة ومعه ثلثمائة فارس. فقلت بنفسي لا بد ان اقطع الشك باليقين ، واعرف مقر قومه الباقين ؛ فعلمت انهم نزلوا بديار بني عامر . وها انا ذاهب اليهم لاعرف عدد فرسانهم وابطالهم ، ولو لم

نكن عبداً مثلي لما اطلعتك على هذا السر ، فلما سمع يا مولاي هذا الكلام ، بدت عليه دلائل السرور والابتسام ، فقال لي ابشر يا اخـا العرب بقرب الطريق ، وستعلم مني الخبر الوثيق ، ثم سألني عن عنترة اين نزل ؟ فلما قلت له انه نازل في ثنية بني غيلم قال لي ، اذن فاعلم انني عبد من عبيد عامر بن الطفيل ، وقد ارسلني وراء عنترة لاكشف خبره ، واقتفي اثره لانه يريـد ان يقصد بالابطال والعساكر ويهاجمه في ظلام الليل العساكر ، ويمكنك الآن ان تعود لمولاك ذو الخمار ، وتخبره بهذه الاخبار ، وقل لـه ان بني عبس قـد نزلوا حول جدع للطواف وعددهم ثلاثة آلاف ثم فارقني العبد وغاب عني في جوانب البيد ، فعدت لك بهذا التأكيد . فلما سمع مقري الوحش من عبده هـذا الكلام تعجب كل العجب ، وخفق فؤاده واضطرب وقال الحمد لله اذ لو لم يخطر لي هذا الخاطر لكنا دهينا في الليل، وكسبتنا الابطال بالحيل. ثم دخل على عنـترة وحدثه بذلك الخبر فاتقدت عيناه وصارتا مثل الجمر الاحمر وقال ما دمنا علمنا بالخطر فلنكن منه على حـذر ثم اخذ في الاستعداد وارسل اخاه شيبوباً ليكشف له الاخبار .

قال الراوي : وكان عبد عامر بن الطفيل ، قـد وصل الى مولاه في آخر الليل ، وحـدثه بان عنـترة نازل في ثنية بني غيلم ، ففرح واستبشر ببلوغ غايته ، وعندما لاح الصباح ركب في تسعمائة فارس كل فارس يعد بالوف وقـد تسلحو بالجراب والسيوف وساروا حتى اقتربوا من مكانه فنزلوا في بعض التلال واختفوا بين كثبان الرمال وكان شيبوب قد ابصرهم فعاد واخبر عنترة بقدمهم فجمع عنترة الفرسان والابطال ومن يعتمد عليهم من الرجال واخبرهم بواقع الحال وقال لهم : (ابعدوا الحريم والعيال وارفعوهم في رؤوس الجبال حتى نأمن عليهن من النكال ونتفرغ نحن للقتال) ثم قسم الفرسان الى ثلاث فرق وامرهم بأن يخلو المضارب والمساكن وقال لهم لا تظهروا انفسكم حتى تروا الاعداء قد توسطوا بين الاطناب ثم اهجموا عليهم كاسود الغاب ولكني استحلفكم يا بني الاعمام باللات والعزى وسائر الاصنام ان تخلعوا اسنة رماحكم وتستقبلوهم بدون اسـنة حتى لا تقتلوهم فيحقدوا على قومنا النازلين في ديارهم فينتقموا منهم شر انتقام . ولكن عروة ومقري الوحس وسائر الرجال رفضوا هذا الرأي في الحال وقال كيف نعفوا عن قوم جاءوا ليوردونا موارد الهلاك ؟ ولكن عنترة ظل يلح في الرجاء ،حتى اجابوه الى ما اراد ، ولكنهم اشترطوا انهم اذا اوشكوا على الهزيمة فسيعيدون الاسنة الى الرماح ليضمنوا النصر والنجاح ، ثم انهم تفرقوا في سـائر الاماكن ، واتخذوا لهم من الارض مرابط

ومكامن ، وعندما انتصف الليل ، ركب بنو عامر على ظهور الخيل ، وتدفقوا تدفق السيل فلما توسطوا الخيام ، هجموا كسباع الاجام ، واحاطوا بالاطناب من خلف ومن قدام ، ولكنهم لم يروا احدا في الديار : فذهل عامر بن الطفيل واحتار وقال لا بد ان يكونوا قد علموا بقدومنا فأخلوا الديار ، وركنوا إلى الفرار .

قال الرواة : وما زال الامر عندهم بين تكذيب وتصديق ، حتى خرج عنترة من المضيق . وتبعه الابطال والفرسان ، وهم يصيحون صياحاً ترج من حوله الوديان ، ومالوا على بني عامر ، كأنهم الاسود الكواسر ، واخذوا يطعنون باعقاب الرماح ، حتى اثخنوهم بالیم الجراح ، وكان عنترة في مقدمتهم يصول ويجول ، كأنه الوحش او الغول ، وابصر عامر ضربات عنترة ، فاراد ان يبرز له ، فصدمه عنترة صدمة تزلزل لها بنيانه ولم يثبت لهولها جنانه و ثم طعنه بعقب الرمح في جنابه فاوقعه عن جواده ، وامر شيبوباً بان يشد وثاقه ويأخذه اسيراً . ولما رأى رجال بني عامر ما حل بسيدهم وشاهدوا قتال عنترة الذي يحير العقول تفرقوا هاربين بعد ان وقع كثيرون منهم في الاسر والاعتقال .

قال الراوي : ولما جاؤوا امام عنترة بالاسرى وفي مقدمتهم عامر بن الطفيل قال لهم : ويلكم يا لئام ، ما الذي اطمعكم فينا حتى اتيتم لقتالنا .. اغرتكم قلة عددنا فحسبتم اننا نستسلم لكثرتكم ونترك نسائنا واطفالنا نهباً لكم .. لقد غركم الطمع وقادكم سوء تدبيركم الى سوء المصرع ووالله لولا وجود قومي في دياركم لوضعت حداً لاعماركم . وعندئذ وقع الرعب في قلوب بني عامر ، وقال بعضهم اعلم يا ابا الفوارس اننا ما قصدناكم عمداً فقد كنا قاصدين بلاد اليمن في طلب الغزو والكسب فلما التقينا بكم لم نعرف من انتم وظنينا انكم من سائر العرب ، فقال عامر لقد كذبوا والله ، وزوروا في القول فما اتينا الى هنا الا لقتلك وابادة قومك . ولكننا غلبنا على امرنا فافعل بنا الآن ما تشاء فلما سمع عنترة ذلك القول الصريح اعجب بصدق عامر وجرأته وقال له ايها السيد الجليل ، لقد قلت التقويل الصراح ولو اردنا ان نقابل اساءتكم بالاساءة لما خلعنا اسنة الرماح ، ولكنا قوم نحفظ الزمام ، ونتبصر في عواقب الايام . وانتم وان جئتم لتمزقونا بشفار السيوف الا اننا سنتخذكم من بعض الضيوف ، ولا نقابل اساءتكم الا بالمعروف ، . ثم قال لاخيه شيبوب اطلق الاسرى ، وحل عامراً من شداده ورد اليه عدة حربه وجلاده ، فانه والله بطل والبطل لا يهان ولو خانه الحظ وجار عليه الزمان ، فذهل عامر من كرم اخلاق عنترة ، وتقدم اليه وسلم عليه ، وقبله في عارضيه ، وقال له

يا فارس بني عبس ، ويا اكرم من طعت عليه الشمس ، لقد غمرتني باحسانك ، وتفضلت علي بكرمك وامتنانك ، فاتخذني اليوم صديقاً ، واجعلني خليلا ورفيقاً فما عدت والله اضمر لك شيئاً من الشر وقد اتخذتك من الآن عوني وعمدتي ونصيري في وقت ضيقتي وشدتي ، واقسمت عليك ان تسير معي ، الى ارضي ومربعي حتى أرد لك بعض افضالك ، واجزيك على جميل فعالك . قال عنترة والله يا سيدي لقد اعجزت لساني ، واخجلت بياني ، وكنت احب ان اجيب دعوتك ولكني لا أستطيع تلبيتها لسببين ، الاول عقدت النية على ان لا اعود الى قومي ابداً .. وهم الآن في ديارك ، والسبب الثاني ان بيني وبين قومك احقاداً قديمة منذ قتل الملك زهير بن حذيفة ، واخشى اذا صحبتك ان تثور هذه الاحقاد من جديد ، فأحشمك من المتاعب ما لا اريد . قال عامر يا فارس بني عبس ؟ ليس بني قومي من يعصي امري فسر بنا ولا تحسب اي حساب ، اما قومك فنازلون بجذع الطواف وبيننا وبينهم مسيرة يوم على التقريب . وعندئذ لم يرى عنتره مناصاً من اجابة الدعوة ، فركبوا وساروا حتى وصلوا الى الاوطان ، فأنزل عامر عنترة ومن معه في أحسن مكان ثم قال لقومه يا بني الاعمام لقد كنت اكره عنترة واتمنى له الموت فلما خالطته وصاحبته رأيت فيه من اللطف والايناس والشهامه وشدة البأس ما ليس عند سائر الناس فلما سمع قومه ذلك صفت قلوبهم لعنترة وتقدموا اليه وسلموا عليه ، وعرضوكل اموالهم عليه فقال عنترة والله يا وجوه العرب ، انا لا طلب الا مودتكم ولا اطمع الا في اخائكم ومحبتكم ، ففرح عامر بما تم بين قومه وبين عنترة من الوداد . واقام الولائم والدعوات . واختلفوا بمقري الوحش وزوجته مسيكة احسن احتفال . اما الملك قيس ومن معه من رجال بني عبس ، فانهم لما علموا بقدوم عنترة ومن معه ونزولهم على عامر بن الطفيل ولم يعرفوا سببا لقدومه وظنوا انه جاء ليحتمي ببني عامر من الخصوم والاعداء .

قال الراوي : وبعد بضعة ايام خرج عنترة مع عروة بن الورد ومقري الوحش فارس الشام ليشتروا بعض الخمر والمدام وكان عامر بن الطفيل قد سبقهم الى هذا الامر وخرج معه رجال من رجاله لطلب الخمر وعند عودة عنترة ومن معه اشرفوا على روضة كثيرة الاشجار ومغردة الاطيار متدفقة المياه كثيرة الثمار فأعجبوا بهذه المناظر البهية والروائح الزكية وكان قد امسى عليهم المساء فنزلوا بتلك الارض وباتوا حتى الصباح في انس وطرب وافراح ولما ظهر الصباح بالاشراق استعدوا للانطلاق واذا بغبار كأنه الغمام قد ظهر من بعيد متجهاً اليهم فالتفت عنترة الى اخيه



شيبوب وقال له ايها الاخ المحبوب اكشف لنا خبر هؤلاء القادمين وارجع الينا بالخبر اليقين فأسرع شيبوب في السير كأنه يطير بجناح كجناح الطير ولما اقترب من الغبار رأى تحته مائة فارس كرار يتقدمهم فارس طويل القامة ملثم بلثام يخفي من وجهه كل علامة فتقدم منهم شيبوب وقال ايها الفرسان خبرونا من انتم قبل ان تطير رؤوسكم عن الابدان فتقدم منه فارس وقال له ايها الصعلوك عد الى القوم الذين

ارسلوك وقل لهم ان يبادروا بالقدوم ليقدموا الطاعة والولاء للبطل الهمام والاسد الضرغام عمرو بن ود العامري فارس البيت الحرام وحامي حمي الارباب والاصنام قبل ان يأتي وينتقم منكم شر انتقام وكان عمرو بن ود هذا بطلا له حديث عجيب وتاريخ عجيب فقد نشأ نشأة الفرسان وتطبع بطباع الشجعان حتى سارت بذكره الركبان وهو الذي عاش حتى بلغ مائة وعشرين من الاعوام وطال عمره حتى ظهر الاسلام وخرج يومئذ ليقاتل الامام علي كرم الله وجهه فوجد فيه الامام مقاتلا عنيداً وفارساً شديداً وما زال يحاوره ويداوره حتى تمكن منه وضربه بسيفه ذي الفقار ضربة قطعت فخذ عمرو فتناول عمرو فخذه من فوق الارض وهي تقطر بالدم وطوحها في الهواء كالمقلاع وضرب بها الامام علي ضربة حاد عن طريقها ومرت الفخذ كالريح حتى وقعت على خيمة على بعد ثلاثمائة خطوة فهدمتها وقتلت تحتها رجلين ، هذا هو عمرو ابن ود العامري الذي كان الفارس يخاطب عنه شيبوباً .

البطل الذي صمد لعنترة

قال الرواي : فلما سمع شيبوب هذا الكلام رمى الفارس بنبلة فوقع يتخبط في دمه . ثم عاد مسرعاً واخبر عنترة بما حدث فلما سمع عنترة حديث اخيه فرح غاية الفرح وقال لقد كنت والله اتمنى لقاء عمرو بن ود ثم لكز جواده واندفع نحو فرسان عمرو ابن ود ، ولما اقترب منهم صاح فيهم قائلا : « اين فارسكم يا رجال » فاني والله لفي شوق الى مداعبته بهذا السيف لاريه انه لم يدخل في حياته قبل قتالي في قتال وعندئذ برز له عمرو بن ود ، وقال له في تؤدة ووقار : مهلا يا فارس عدنان ثب الى نفسك ولا يغرنك ما أنت فيه من سلاح ، فالبطل من لا يحتقر الابطال والرجل من لا يستهين بالرجال ، فضحك عنترة وقال وكيف تعد نفسك من الابطال قبل ان تدخل معي في حومة النزال وعندئذ احمرت عينا عمرو من الغضب وهجم عليه وهو يقول له : « وسوف اعلمك كيف يكون الادب » وهجم كل منهما على الآخر وتطاعنا بالرماح الطوال ووقف الفرسان ينظرون مندهشين من شدة القتال وكانت لهما موقعة تقشعر منها الجلود ، ويلين من حرارتها الصخر الجلمود وما زالا كذلك حتى تقصفا في ايديهما الرماح ، وتثلمت البيض الصفاح وارتجت من وقع حوافر خيلهما البطاح . وأقاما على تلك الحال الى ان ولى النهار ، وقبض كل منهما على جواد غريمه فوقعا على الارض واشتبكا اشد الاشتباك ، حتى اشرفا على الهلاك ، ولم يبق لهما من الموت مناص ولا فكاك ، وكان عمرو قد ضعف ووهن كل عزمه وانحل وكذلك عنترة كان قد مل وضعفت قوته واضمحلت فالتفت عمرو وقال لعنترة ما

قولك في الانفصال حتى نأخذ راحة في القتال ثم نعود في الصباح لنستأنف الكفاح فقال عنترة وحق خالق الاصباح لا ابرح هذا المكان ، حتى تذهب روح أحدنا الى عالم الارواح فاشتعل الغيظ في قلب عمرو ، وصار صدره كلهيب الجمر ، ثم هجم على عنترة واستأنف القتال وطال بينهما الكفاح حتى اصبح الصباح ، دون ان يتمكن احدهما من الآخر وعندئذ صاح عمرو : يا فارس ربيعة ومضر ويا بطل البدو والحضر لاتطمع في قتلي فاني مثلك في البطولة وكفانا ما جرى اذ ليس بيننا ولا دفع ولا كشف عار ومن الخير ان يتخذ كل منا صاحبه خليلا ورفيقاً ويجعله على الزمان ركناً وثيقاً . وعندئذ سمع عنترة ذلك فرح بوقف القتال ، لانه كان قد تعب وأصبح في شر حال وقال لعمرو لقد اجبتك إلى هذا الأمر اني والله لاشهد لك بالاقـــدام والبراعة في ضرب الرمح والحسام ثم تعانقا وتعاهدا على المدة وحفظ الذمام وبعد ان استراحا ودع كل منهما صاحبه احسن وداع .

قال الراوي : فلما توغل عنترة في القفار وشيبوب يسرع امامه كأنه الطير اذا طار واذا باعرابي قد ظهر امامهما من بين تلك الروابي وهو راكب على ناقة حمراء يقع بها كثبان الصحراء فلما اقترب منهما تبيناه ، واذا هو شاعر من بني عامر يقال له الحطيئة ، فلما رأى عنترة اسرع اليه ، وبكى بين يديه ، وقال له : ادرك صديقك عامر بن الطفيل ... قال عنترة : (وماذا جرى له ؟) قال : (لقد خرج كما تعلم في طلب الخمر وما زال يقطع الروابي والتلال حتى مرجى بني هلال فهجم عليهم هو ومن معه من الفرسان ونهب ما استطاع من النوق والجمال ، مضى حتى مر بواد عميق ، فأشـــار على اصحابه ان يستريحوا فيه من عناء الطريق واذا بهم يرون عشر جواري كأنهم الأقمار في وسطهن واحدة كأنها شمس النهار ، موردة الخدين مصقولة الساقين ان أقبلت فتنت ، وان ادبرت قتلت ، وكانت هذه الجارية يقال لها هند وهي زوجة زيد الخيل بن المهلهل التبهاني ، الذي لا يشابهه فارس ولا يدانيه وكانت قد خرجت إلى الغدير لترفه عن نفسها ، فلما رآها الامير عامر بن الطفيل هجم عليها واختطفها وأمر رجاله بأن يسبوا من معها من الجواري فأردف كل فارس واحدة من الجواري خلفه وانطلقو بهن حتي انتصف النهار ، واذا بغبار من خلفهم قد ثار فلما انجلى ظهر من تحته مائتا فارس كرار ، يسيرون على خيلهم في صفوف ، وقد لمعت في ايديهم السيوف وهم يصيحون (يا لنبهان... يا لنبهان) . ثم مضى الحطيئة يقص على عنترة ما جرى لعامر بن الطفيل فقال : وكان على رأس هؤلاء العربان ، زيد الخيل ، زوج هند وقد جاء ليخلصها من السبي وأحاط ومن معه بعامر بن الطفيل.

ورجاله ودار بين الفريقين القتال فتناثرت الأعناق وتقطعت الأوصال ثم هجم زيد الخيل على عامر فتلقاه عامر بقلب لا يعرف الوجل وهمة تستهين بدنو الأجـل وجرت بينهما عجائب واهوال تحير عقول صناديد الرجال ومـا زالا في قتال وصدام وافتراق والتحام حتى كل عـامر ومل ووهن واضمحل ، فافترق منه زيد الخيل واقتلعه من فوق جواده ورفس الجواد ووقع من الارض واخذ عامراً اسيراً . قـال الحطيئة لعنترة : (وكنت انا بين الاسرى فقلت لزيد الخيل : بالله عليك يا سيد العرب اطلق سراحي فما انا الا رجل شاعر من الشعراء اهجو الناس او اسبغ عليهم الثناء ، وأعيش من ما انا له من عطاء ولم اسر مع عامر لاحارب معه وها انت ترى انني لا أملك الا هـذا الجواد وضعته في يـدي من قيود واصفاد ، ولئن اطلقتني من الاسر والهوان لامدحنك بقصيدة لم يمدحك بمثلها انسان فضحك زيد الخيل واطلق سراحي وقال اذهب الى قومك وخبرهم بما جرى لاصحابك ليفتدوهم بالمال . فلما سمع عنترة من الحطيئة هذه القصة ، امتلأت نفسه بالغصة وقال : (لقد سمعت من قبل عن زيد الخيل وسأسير اليه الآن لاذيه الويل) فتعجب الحطيئة وقال لعنـترة (اتريد أن تحارب بني نبهان بأربعين فارساً من الفرسـان ؟ والله لن اسير معك ، ولو قطعت رأسي فلن اتبعك فضحك عنترة من خوف الحطيئة وقال له (والله لن اتركك حتى تجيء معنا وترى كيف انكس من بني نبهان الاعلام ، وكيف اسقيهم كأس الحمام) ثم أخذه معه وسار برجاله يقطع الكثبان . هذا ما كان من أمر هؤلاء أما زيد الخيل فانه لما عاد الى دياره بمن معه من الاسرى ، نحر النوق والجمال وأقـام وليمة عظيمة ، ودارت على القوم الكؤوس وطـابت منهم النفوس ، ومـا زالوا في فرح وانشراح واكل طعام وشرب راح ، حتى كاد ان يشرق الصباح ، واذا بالحي يضج بالصراخ والصياح فسأل زيد الخيل عن الخبر فقيل له لقد دهمتنا الخيل . تحت ظلام الليل . وخلصوا الاسرى من الاعتقال . وقتلوا منا كثيراً من الرجال . فقال احضروا لي جوادي وعدة حربي وجلادي فـذهبوا ثم عادوا يولولون ويقولون . لقـد سرق جوادك وخنق سائسه وسرق معه نحو الفي عرس من ابنذر الافراس . التي كنا نفخر بها على سائر الناس ، فلطم زيد الخيل وجمع من رجـاله خمسمائة فارس . وسار يتبـع اثار الخيل . فرآها متجهه الى ديار عامن بن الطفيل . وعندئذ قال المهلهل لولده زيد الخيل : (يا ولدي من الصواب ان نعود الى الاطلال ونأخـذ أهبتنا للحرب والقتال) فرجعوا إلى الديار وفي قلب زيد الخيل لهيب النار ! .

قال الراوي : أما السبب في الكسبة التي حدثت في الليل على ديار زيد الخيل ،



فهي ان عنترة لما سار برجاله وصل إلى ديار بني نبهان وارسل أخاه شيبوبا ليكشف له خبر عامر بن الطفيل، فلما وصل رأى القوم في الوليمة غارقين ، وفي الخمر والافراح منهمكين فتقدم وسأل بعض الغلمان عن سر هذه الوليمة . فقال الغلام : (وكيف لا نفرح في الليل والنهار وسيدنا زيد الخيل يحمي الديار ، ويرد عنها كل من أغار ويغنم لنا الغنائم ويقيم لنا الولائم ؟ فاذا كنت في حاجة الى شرب او طعام ، فتقدم وخذ ما يكفيك عدة ايام) . فمضى شيبوب فرأى الخيام خالية من كل حي ، لانهم

كانوا في وليمة زيد الخيل في طرف الحي فدخل خبا واذا به يرى عامر بن الطفيل واصحابه مصفدين بالاغلال فتقدم منهم وفك قيودهم وسار بهم محاذراً ان يراهم احداً حتى خرجوا الى الخلاء ومروا على وادي الجماجم ، وهناك رأوا الوفاً من الخيل هي التي كان بنو نبهان يفخرون بها على سائر العرب . فقال شيبوب (هذه والله غنيمة عظمية ولا بد من أن يأتي أخي عنترة ليسوقها معه قبل طلوع الفجر) . ولما وصل شيبوب مع عامر بن الطفيل واصحابه الى حيث كان عنترة في الانتظار تقدم عامر إلى عنترة وشكره على سعيه في خلاصه وعندئذ قص شيبوب على أخيه خبر الخيل الكثيرة التي رآها فسار الجميع اليها وشيبوب يرشدهم إلى الطريق حتى وصلوا الى وادي الجماجم ونهبوا الخيل وعادوا سالمين .

دريــد بن الصمة

قال الراوي : وكان عنترة قد اضناه الشوق الى عبلة فأخذ يسرع في المسير وهو يترنم بالشعر الكثير ، حتى وصل الى الديار والشوق في قلبه يتأجج كالنار . فلما دخل على عبلة تلقته بالعناق ، فأطفأ بعناقها لهيب الشوق وقص عليها كل ما لقيه من الاهوال ، وقدم لها نصيبه من الاموال . ثم قالت له « اعلم يا ابن العم ان بني عبس مشرفون على الهلاك وانهم في كرب وارتباك ، ولم يبق من حرب دريد بن الصمة ، مناص وليس لهم من فرسانه خلاص ، فقد احاطوا بهم من سائر الجهات ولهم الآن ثلاثة ايام يبحثون عنك ويفتقدونك لتكشف عنهم الغمة ويجنبهم هجمات دريد بن الصمه ، وقد علمت ان عمارة بن زياد قد وقع اسر دريد ، وقد عول على صلبه هو وجماعة من بني زياد ليشفي منهم غليل الفؤاد .

فلما سمع عنترة ذلك قال « وماذا يريدون مني ؟ لقد عولت على أن اقطع بيني وبينهم كل اتصال ، ولا يجمعني واياهم ناد ولا محل ولا اساعدهم في حرب ولا قتال » . ثم انه احضر المدام ، وهيأ الطعام وقضى يومه في انس وانشراح اما بنو عبس فبعد أن نزلوا في تلك الديار علموا ان دريداً قد سلم من طعنة عمارة بن زياد وانه جمع خمسة عشر الف فارس وسار بهم يطلب ثأر اخيه عبد الله ، فاغتنم الملك قيس ، وارسل عبداً يكشف له الاخبار فعاد بعد ثلاثة ايام ، وقال للملك قيس ان دريداً جمع هؤلاء الابطال ، وارسل الى لقيط بن زرارة ليلحق به مع جيوش جرارة . وعندئذ جمع الملك قيس رجاله وابطاله ، واطلعهم على الامر ، وامرهم بأن يستعدوا للقاء لقيط ومن معه ، اما دريد فظل يسير نحو بني عبس . فلما اقترب من منازلهم قال

لأخيه خالد : اعلم يا اخي اني سأترك لك امر تدبير العساكر لكي اسبقك الى منازل بني عبس واعرف اخبارهم ، واكشف اسرارهم ثم انتخب عشرة من صناديد الرجال واقصد بهم ديار بني عامر . فلما اقترب منا طلع عليه عدد كبير من الفرسان وفي ايديهم السيوف والرماح ، فأنكر امرهم ، وتأهب لقتالهم ، وصاح فيهم : من انتم هؤلاء الفرسان من بني عبس ، وقد خرج بهم الربيع بن زياد . وكان هؤلاء الفرسان من بني عبس . وقد خرج بهم الربيع بن زياد ليكشف اخبار القادمين لقتالهم ، فلما سمع قول دريد ورآه عرفه ولجأ الى الخداع فقال له : نحن قوم من بني عامر خرجنا للقاء دريد لنستحثه على قتال بني عبس ، فلما سمع دريد ذلك هدأ باله ، وقال لهم : ابشروا فقد تحققت ، وها أنا دريد وستأتي من خلفي جيوش لمحوا آثار بني عبس فاذهبوا واخبروا قومكم بذلك فارتعد الربيع مع رجاله حتى التقى ببقية فرسانه واخبرهم بقدوم دريد وانتظر معهم حتى اقبل دريد عليهم بالفرسان العشرة الذين معه وعندئذ احاطوا به من كل جانب واسروه قبل ان يجد وقتاً للدفاع عن نفسه ثم جاءوا به الى الملك قيس فأمر بوضعه في احدى الخيام محروساً بحرس شديد حتى ينجلي الامر وامر رجاله بأن يستعدوا للقاء رجال دريد الذين اقبلوا يقودهم خالد وعندئذ التحم الفريقان ولعبت السيوف بالابدان وتخضبت الرماح بالدماء وارتفع مغبار على عنان السماء وطال القتال حتى وهن عزم بني عبس لكثرة من تألبوا عليهم وايقن الملك قيس بأن الدائرة ستدور عليه فدعا شيوخ عشيرته اليه ومعه الربيع بن زياد وقال لهم : اذا طالت علينا الحرب يوماً آخر فلا بد ان نفنى عن آخرنا وتسبى نساؤنا واطفالنا ، والرأي عندي ان ندخل على دريد ونحله من الاسر ونتعذر اليه ونسترضيه بما نطلب من المال على ان يكف عن القتال فقالوا له اشرت بالصواب فذهب الملك قيس الى دريد ودخل عليه وعرض الامر بين يديه وقال له : اعلم ايها السيد الجليل اننا قد مللنا القتال بعد ان ترملت النساء وتيتمت الاطفال ونريد ان نتخذك صديقاً وحليفاً فاطلب ما تشاء من الاموال والنوق والجمال فلما سمع دريد ذلك حتى عاقبة البغي وقال الملك قيس : اما وقد قدمت اعتذارك فقد طاب قلبي بهذا ، واما المال والنوق والجمال فأنا لا ابيع بها دم اخي عبد الله فان شئت ان تضع حداً للقتال فسلمني بني زياد حتى اقتص منهم فان خفت اللوم فأبعدهم عن ديارك حتى استطيع أن اسير اليهم واقتص منهم فاذا ابيت ايضاً اطلق سراحي ودعني ابارزهم فارساً فارساً حتى افنيهم او اقتل وعندئذ استمهله الملك قيس حتى يستشير قومه ثم ذهب وعرض الامر على بني عبس وبني زياد فقال الربيع : ايها

الملك اجب دريداً الى ما طلب وسأخرج انا لقتاله حتى اكفيكم شره .

قال الراوي وعندئذ ذهب الملك قيس واطلق سراح دريد بعد أن اخذ عليه العهود والمواثيق بالا يعود الى القتال وان ينازل بني زياد اذا شاء ، وعاد دريد الى قومه ففرحوا به غاية الفرح وبعد ان استراح عاد ليقاتل بني زياد ونادى فيهم ان ابرزوا ايها الاوغاد فاراد عمارة ان يبرز له واذا بفارس آخر يسبقه هو ذوائب ابن اسماء وكان فارساً معدودا وبطلا مشهودا ولكن ما كاد ينزل الى دريد في الميدان حتى هجم عليه هجوم الباشق على العصفور وضربه بالحسام على عنقه ففصله عن جسده وخر ذوائب يسبح في دمه . وعند ذلك تقدم الربيع ليظهر لقومه انه شجاع من اهل الجسارة وظل ينازل دريداً حتى كل ساعداه ، واخذ يفكر في الفرار ، واذا بدريد يضربه ببطن السيف فوقع على الارض وانقض عليه فرسان دريد واخذوه اسيراً . ولما رأى الملك قيس ما آل اليه امر ابناء عمه بني زياد قال لرجاله والله ان ظل الحال على هذا المنوال فلا بد ان يفنيهم دريد ثم يهون شأن بنو عبس عليه ، فلا يبقي على احد منهم ، والرأي عندي ان نرسل في طلب فارسنا وحامينا عنترة بن شداد فهو الذي يستطيع وحده ان يلقي جيوش امة ، وهو وحده القادر على كشف الغمة ثم ارسل فارساً ليستدعي عنترة . واما دريد فقد ظل يقاتل فرسان بني زياد ويجندلهم فارساً بعد الآخر ، حتى امسى المساء ، فتفرق القوم الى الصباح . ولما بزغت الشمس خرج دريد الى ساحة القتال ، فبرز له كليم فارس بني كليم ،وكان فارساً لا يشق له غبار ، وبطلاً اشتهر في سائر الاقطار وكان قد نزل مع بعض رجاله ضيفاً على الملك قيس فاراد ان يدافع عن بني زياد اكراماً لأبناء عمومتهم بني عبس فخرج لدريد في ساحة القتال فرآه على جواده متعجباً يختال وسمعه ينشد ويقول :

يا نديمي اسقني كأس الحيا	في ثنيات اللوى من كف ريا
بين روض ونبات عرفه	طيب اهدى لنا مسكاً ذكيا
كل عذراء خلوب قصدها	يخجل البانات والنجم المضيا
يا نديمي اسقنيها واجتهد	ودعاني ابصر الشيئين شيئا
ففؤادي قد صحا من سكره	واشتفي الداء الذي كان دويا
ليت عبد الله ابقاه الردى	يا بني العم وعاد اليوم حياً
ليته عاد كما اعهده	حسن القامة وضاح المحيا
يا بني عبس جلبنا لكمو	بعد عبد الله ذلاً ابديا .
فوحق البيت والركن ومن	طاف بالخيف ومن حث المطيا

لاتركت النوم في ارضكموا غير شمطا او شويخاً منحنيا

قال الراوي وعندئذ التحم كليم مع دريد في عراك شديد استمر يومين وكان الفارس الذي ارسله الملك قيس الى عنترة واسمه قراووش بن هانيء - قد وصل الى حيث نزل عنترة ، واخبره بما جرى لقومه وطلب منه ان ينجد بني عبس ، ولكن عنترة قال لقراووش (لقد سمعت هذا الخبر عند قدومي من السفر ولكني لم اهتم بهذا الشأن ولم اخف لنجدة قومي نظراً لسوء افعالهم ، لقد انقذتهم مراراً ولما اوصلتهم الى الأمان طردوني طرد الكلاب وصبوا علي اشد اللعنات واقذر السباب وقد استرحت بابتعادي عنهم فارجع اليهم وحدث الملك قيساً بما سمعته . عند ذلك رجع قراووش بادي الهم ولما دخل على الملك قيس واخبره بما تم قال لم يبق امامنا الا ان نرسل لعنترة نساءنا وبناتنا ونوصهن اذا وصلهن اليه ان يكشفن رؤوسهن ويسترضينه ويطلبن منه النجدة من هذا الكرب العظيم ، وسأرسل في مقدمتهم ابنتي وسائر عيالي فوافق عقلاء بني عبس على هذا الرأي . وخرجت النساء ومعهن المدللة زوجة الملك قيس وابنته الجمانة ، وريحانة زوجة الربيع بن زياد حتى بلغ عدد النساء اربعين من زوجات السادات وبناتهم ، وسرن متجهات الى حيث نزل عنترة . ولما اقترن من مكانه ، حللن شعورهن ونشرن ذوائبهن واخذن يضربن الصدور وينادين بالويل والثبور ، وتقدمن من عنترة وكان ساعتئذ جالساً مع عامر بن الطفيل ، ومقري الوحش وعروة بن الورد والهطال ، وجماعة من السادات والابطال وعندما رأى نساء عشيرته على هذه الحال . اعتراه الانذهال ، وقد تعالت اصوات النساء ونحيبهن وتقدمت منه المدللة زوجة الملك قيس وقالت له : يا فارس الزمان كيف طاب لك العيش هنا وقومك تأخذ السيوف برقابهم ، والاعداء تسبي نساءهم واطفالهم ولم تترك في ديارهم الا اليتامى والارامل . بالله عليك قم وادفع عنهم العريم واحم العيال والحريم . وهنا تعالت زفرات النساء وانات البنات فألقى الحاضرون ما كان في ايديهم من الاقداح ، واخذتهم النخوة فالتفت عامر بن الطفيل الى عنترة وقال : والله يا عنترة ما عدت آكل معك طعاماً ، ولا أشرب معك مداماً حتى تنهض معي لنصرة بني عبس ، وكذلك قال سائر الرجال فنهض عنترة وعيناه تذرفان بالدموع حزناً على ما أصاب قومه ، ثم ركب الجميع خيولهم ، وتجمع حولهم اكثر من خمسمائة فارس . وما زالوا سائرين حتى اشرفوا على ديار بني عبس ، فرأوا بني زياد يدافعون دفاع المستميت وقد صاروا في اسوأ حال ، فانقضوا على دريد ورجاله واندفع عنترة وقد شرع حسامه وصار يحصد به الرؤوس والاعناق

وما وقف امامه فارس الا وتركه جثة هامدة ، حتى دب الرعب في قلوب الرجال ، وخشي دريد ان يفر رجاله ، فنادى عنترة وقال له : اذا شئت ان تحقن الدماء فابرز الي وقاتلني واي منا يقتل صاحبه سلم قوم المقتول بالهزيمة فرحب عنترة بهذا القول ، وقال : قد قبلت ما اشرت به ، فناد في قومك بأن يكفوا عن القتال ، فنادى دريد بالكف عن الحرب ، ونادى عنترة بمثل ذلك ، ووقف ينتظر هجوم خصمه ، وهنا هز دريد رمحه وقال لعنترة : خذ حذرك واستعد لتوديع الحياة . وصحك ضحكة سمع لها دوي في جنبات الوادي . وانطلق رمح دريد نحو صدر عنترة واذا به يتلقاه بالترس فينزلق عليه ويطير في الهواء ، وارسل عنترة طعنة من رمحه هال لها دريد فذهبت هباء ثم تطاعن الرجلان بالسيوف والحراب حتى ذهب قرض الشمس وغاب . وعندئذ طلب كل منهما ناحية قومه وانفصلا على ان يلتقيا في الصباح .

قال الراوي : فلما اشرق صبح اليوم التالي خرج كل منهعنترة ودريد الى ساحه القتال . وتبادلا الطعنات والهجوم . وظلا في عراك وصدام، وهجوم واقتحام حتى ارتفعا فوقهما القتام . وارتجت من وقع حوافر رجليهما السبراري والآكام . وكان دريداً عرقاً لا يلين فلان وابصر امامه فارساً ليس كسائر الفرسان فخفق فؤاده واضطرب وايقن بالهلاك والعطب . ووهنت يداه وكل ساعده فوقف في ساحة القتال . ونظر الى عنترة وقال :(اعلم يا فارس بني عدنان . ان مثلي ليس بالجبان فأنا لا اتكلم الزور ولا انطق بالبهتان وقد ابصرت منك في هذا النهار ، ما لم اره من فارس غيرك ولا جبار وقد عشت طوال عمري مرفوع الهامة مرفوع الكرامة . واريد منك ان تستر حالي . وتجيبني على سؤالي . فتقاتلني ساعة امام السادات والفرسان . ثم ترجع لقومك وتظهر امامهم انك طلبت الاقالة من قتالي وتشير على الملك قيس بأن يتوقف عن قتالنا . وانا ارجع بهذه العشائر ، وارد هذه العساكر . ويكون رجوعي رجوع المنهزم الخاسر في ثوب المنتصر الظافر . فاذا فعلت ذلك فاعتبرني من الاعوان واخاً من اخلص الاخوان . وسوف ترى ما ارسله لك من التحف الغوالي اذا اجبتني الى سؤالي . واذا كان عندك ادنى شك في كلامي ، ولم تحقق مرامي فسأسلم نفسي اليك والقي سلاحي بين يديك حتى يأتي صهري ذو الخمار ، ويخلصني من الاسر والعار . وعندئذ تخسر صحبة مثلي وتندم حيث لا ينفع الندم) . وعندئذ تحركت المروءة في صدر عنترة وقال لدريد : « اعلم ايها البطل ، انني معجب بقتالك ، معتز بفروسيتك ونضالك ، والله لو اردت قتلك لقتلتك ، ولكني استخسرت ان يموت بطل مثلك ،

وقد اجبتك الى مرادك حفظاً لهيبتك ، ثم تظاهر بأنه يحاوره ويداوره ، واذا بجيوش خالد اخي دريد تحيط بعنترة وتحاول نهبه بالسيوف والحراب ، فظن عنترة ان دريداً خدعه فتلى الاعداء الكثيرين بقلب كأنه الصخر الذي لا يلين ، وروي من دمائهم الحسام ، وانضم اليه مقري الوحش بطل الشام ، فتقدم عنترة نحو جواد دريد وضربه بحسامه فأطاح رأسه ووقع الجواد ووقع معه دريد ، فتقدم منه شيبوب وشد كتافه واخذه اسيراً ، اما مقري الوحش فقد هجم على لقيط وضربه بكعب الرمح فاسقطه عن جواده واخذه اسيراً ، وظل خالد أخو دريد يقاتل طمعاً في خلاص اخيه صامداً هو وعدد من الفرسان ، حتى اقبل الليل وتفرق المحاربون للراحة .

قال الراوي : وما كاد عنترة يجلس في احدى الخيام لكي يستريح حتى اقبل اخوه جرير وعلى وجهه آثار السفر وقال لعنترة : « اعلم يا اخي ان عبلة ، ومسكة معرضتان للسبي والفضيحة ، وان لم تدركها اخذهما زيد الخيل سبيتين ، لأنه بعد مسيرك من ديار بني عامر دهمنا زيد الخيل بالفرسان والابطال ، واستولى على النوق والأموال فاسرع ودافع عن العشيرة ، والا حلت بها البلية الكبيرة » . فلما سمع عنترة هذا المقال ، اسرع الى الملك قيس في الحال ، واستشاره فيما يفعل ، فقال له: « افعل ما يتراءى لك فعهدي بك ذو عقل حصيف فقال عنترة : (سأسير بنفر قليل من بني عبس ، وانا كفيل بهزيمة زيد الخيل قبل ان تغيب عن غد الشمس) . ثم انه انتخب عشرين من امهر الفرسان ، واثبت الشجعان ، وسار بهم يقطع القفار والوديان ، وبينما هو سائر تذكر ما صادفه من المتاعب والآلام ، وما لقيه من معاندة الايام ، فسالت منه العبرات ، وانشد هذه الأبيات :

حاربيني يا نائبات الليالي ... عن يميني وتارة عن شمالي
واجهدي في عداوتي وعنادي ... انت والله لم تلمني ببالي
ان لي همة اشد من الصخر ... واقوى من راسيات الجبال
وحساماً اذا ضربت به الدهر ... تخلت عنه القرون الحوالي
وسناناً اذا تعسفت في الليل ... هداني وردني عن ضلالي
وجواداً ما سار الاسير البر ... ق وراءه من اقتداح النعال
ادهم يصدع الدجى بسواد ... بين عينيه غرة كالهلال
يفتديني بنفسه وافديه ... بنفسي يوم القتال ومالي

قال الراوي : فلما سمع الرجال هذا الشعر الرائع ثارت البطولة في نفوسهم ومضوا مع عنترة حتى اشرفوا على ديار بني عامر حيث نزلوا بنو عبس ، فرأوا

القتال على أشده فانقضوا كالقضاء المبرم على العشائر التي جمعها زيد الخيل للقتال وكان عنترة في مقدمتهم يكتسح الفرسان ، ويجندل الشجعان ، فاشتدت به قلوب بني عامر وأخذ بنو نبهان يتفرقون في البراري والوديان ، وعندئذ اخذ عنترة يبحث عن عبلة حتى التقى بها بين نساءوبنات كثيرات، كان زيد الخيل قد اخذهن سبايا وو كل بحراستهن بعض العبيد فقتل عنترة من العبيد من قتل ، وتفرق الباقون يطلبون النجاة في البر الاقفر ولما فرغ عنترة من ذلك وكل بعض الابطال والعبيد لحراسة النساء والاولاد . وكان يعلم أن عبلة مقصودة بذاتها فأكثر عليها من الحراس وعاد الى ساحة القتال ، فوجد رجاله قد اتموا الانتصار ، وخلت ساحة القتال من رجال زيد الخيل وأتباعه فعاد الى عبلة قرير العين .

وامر باقامة بعض الخيام للراحة ، حيث اقام مستمتعاً بقرب عبلة بضع ساعات تذكر بعدها ان خالداً أخا دريد بن الصمة ، ما زال بجيوشه يهدد بقية بني عبس وبني زياد ، فنادى برجاله بالرحيل فرحلوا الى ان وصلوا حيث كانت المعركة على أشدها بين جيوش خالد بن الصمة وبين بني عبس ، وعندئذ صرخ عنترة صرخة الوحش الغاضب وانقض على خالد نفسه ، وصدم جواده بجواده صدمة شديدةأسقطه بها على الارض .

قال الراوي فلما رأى رجال خالد أن سيدهم يكاد يقتله عنترة ، أحاطوا به ، ودافعوا عنه بالسيوف والحراب ، وتكاثروا حوله ، ولكن عنترة اخذ يبيدهم كما تبيد الريح اوراق الشجر ، واصبح خالد في متناول سيف عنترة ، وعندئذ وجه عنترة سيفه نحو عنق خالد وقال له : الآن لم يبق بينك وبين الموت إلا لحظات ولكني اعفو عنك حتى لا افجع فيك اخاك دريد ، فانه بطل صنديد،شديد،ومقاتل وسأكتفي بربط يديك ورجليك واقودك اليه في أسره ليطمئن عليك.

وعندئذ أمر بعض العبيد بربط خالد بالحبال ، اما جيوش خالد فقد تفرقت بين الوديان والتلال ، وابتلعتها السهول والآكام ، وساد السكون وانفض الزحام . واسرع عنترة الى الملك قيس ، وعانقه عناق الاخ الشقيق ، وهنأه بهذا النصر والتوفيق .

قال الراوي : وقبل الرحيل اراد أن يأخذ بنو عبس كفايتهم من الراحة اذا بغبار قد ثار ، حتى سد منافس الاقطار ، وظل يقترب حتى يكشف عن جيش جرار ، مزود بكل سلاح بتار ، وبانت من تحته اعلام كسرويه ورايات عراقية . وبنود وهوادج فيها صبايا كأنهن الحور ، تلمع الجواهر منهن على الصدور ، وحولهن

رجال كالصقور ، على خيال أخف من الطيور ، فلما تمعن الملك قيس في هذا الركب صاح وافرحتاه هذه اختي المتجردة ، قد ارسلها زوجها الملك النعمان لزيارتنا . وها هو أخوه عمرو بن هند في مقدمة الفرسان. ثم خرج وخرجت واءه الفرسان من بني عبس وبني زياد لاستقبال موكب المتجردة . واطلقت النساء الزغاريد . وانقلب الحي بالافراح وتلاعب الفرسان بالرماح . وبعـــد ان انزل القادمون في اكرم المنازل اقيمت لهم الولائم وذبحت لهم النوق والانعام. ومدت موائد الطعام والمدام. وبات الحي في غناء وتطريب حتى كاد نور الفجر يلوح فقاموا الى مضاجعهم وناموا حتى الصباح . وقبل ان ينتصف النهار اخذ الملك قيس مجلسه ، والى يمينه عمرو بن هند . والى يساره عنترة بن شداد . واخذوا يتشاورون في امر دريد واخوه خالد: وامر ذي الخمار الذي وقع مثلهما في الاسر فقال عمرو بن هند للملك قيس : اطلقوا سراحهم واتوني بهم فلما جيء بهم قال لهم :يا وجوه العرب اعلموا ان الملك كسرى انو شروان . ما ولي اخي النعمان على قبائل العرب ، الا لكي يصلح ما بينهم من فساد وينزع ما في صدورهم من احقاد . وانا ارى ان تحققوا لاخي ما أراد. فتحقنوا دماء النساء والاولاد . والا فستظل بينكم الحروب حتى تحل بكم الخطوب ويطمع فيكم القريب والبعيد ويذلكم السادة والعبيد . فلما سمعوا منه هذا الكلام شاع في وجوههم الابتسام واجابوه بالسمع والطاعة وتصافحوا في تلك الساعة . وعاد بينهم الوئام ، وساد في ربوعهم السلام .

قال الراوي : ثم انهم عكفوا على شرب الراح ، واغتنام المسرات والافراح . حتى انقضت عشرة ايام . واراد عمرو بن هند أن يعود الى الاوطان ، وفي صحبته المتجردة زوجة اخيه النعمان . فأعد لهم الملك قيس كثيراً من التحف الجلية ، وودعهم الى مسافة طويلة .

قال الراوي : وفي الليلة التالية ، بينما كان عنترة جـــالساً يتحدث إلى عروة بن الورد ، اذ رأى دموعه تنحدر على خديه ، فقال له : يا أبا الابيض ماذا يبكيك ؟ فقال عروة : اعلم يا ابن العم اننا لما كنا في الديار والوطن ، قبل وقوع هذه الفتن اشارت علي اختي سلمى بالزواج وألحت في ذلك غاية اللجاج، وحدثتني عن جارية معتدلة القوام كأنها البدر التمام يقال لها ميس بنت همام واخـــذت اختي تطري ملاحتها ، وتذكر دهاءها وفصاحتها وارادت ان تخطبها لي ولكني لم اكن احب البقاء في مكان ولا اطيق الحبس في حجرات الحسان فاعرضت في ذلك ودارت الايام الى ان كنت في زيارة اختي سلمى في بني غطفان واذا بي ارى جارية غاب لرؤيتها رشادي

وخفق لمرآها فؤادي فقد كانت صورة نادره المثال وغـــادة بديعة القد والاعتدال فقلت لاختي من هذه الجارية التي تميس فقالت انها ابنة همام المسماة لميس فلهشت وقلت لها : واالله ما كنت عارفاً بها حق المعرفة وما كنت اظن انها بهذه الصفة وأريد منك الآن ان تسرعي إلى ابيها لكي تخطبيها فقالت سلمى ليس لك اليها سبيل فقد زوجها أهلها من رجل جليل وقـــد مضى ليأتي بالمهر ووعد بان يعود قبل ان ينقضي الشهر لكي يسير بزوجته الى اهله وعشيرته ... فلما سمعت يا ابا الفوارس هذا المقال انحلت عزيمتي غاية الانحلال وقلت لها : هو هذا الرجل الذي تزوج بها فاني واالله لن اتركه يستمتع بها دوني فقالت هو عمرو بن معدي كرب سيد زبيد ومراد وهو من الابطال الشداد فقلت : وكيف اتصل بها عمـــرو حتى تم له هذا الامر فقالت ان ام هذه الجارية من بني مراد ، وقـــد اتفق ان زارت اهلها وعشيرتها وكانت ابنتها في صحبتها ، فابصرتها ريحانة اخت عمـــرو وافتتنت بحسن معانيها ووصفت جمـــالها لاخيها فجاء مع كبار عشيرته وخطبها من ابيها ، فرضي أبوها عن هذا الزواج ، ولم يجد في الزواج ما يدعو الى الرفض او الاحتجاج، ومضى عمرو ليأتيها بالمهر والصداق ، بعد أن تم على ذلك الاتفاق . فلما سمع عنترة كلامه وفهم قصده ومرامه ، قال له : (ابشر يا ابا الابيض فاني باذل روحي حتى تحقق امانيك ، وأريد منك أن تكتم سرك ، وتتأنى في أمرك ، وتوصي اختك انه متى رجع عمرو من سفرته وعزم على أخذ زوجته ، تعلمك بهذا الحال ، حتى اكمن له مع جماعة من الرجال ، ونأخذها منه غصباً ، وننهب بني زبيد بالسيف نهباً) . فلما سمع عروة هذا المقال اطمأن منه البال ثم انهما جـــدا في قطع القفار حتى وصلا الى الديار وحدث عروة أخته سلمى بما دار بينه وبين عنترة من المقال وكذلك أوصى عنترة اخته ام المطال .

عمرو بن معـــدي كرب

قال الراوي : وكان عمرو بن معدي كرب فارساً لا يطاق وعلقماً مر المذاق وكان له تاريخ عجيب وامر منذ نشأته غريب ذلك إنه كان من صغره نهماً لا يشبع من طعام ، عربيداً سكيراً لا يرتوي من مدام وكان ابوه كلما رآه على تلك الحال تحسر على هذا الابن الضال واقسم انه اي يكون رجلاً نافعاً كسائر الرجال فكان يرسله إلى المراعي ليرعى الابل فنشأ عمرو محباً لركوب الخيل والكر والفر بالنهار والليل وما زال يزداد قوة ويتدرج في مراحل الفتوة حتى صار من الصناديد واصبح

عصبه أقوى من الحديد . وحدث عندما كان عمرو في شبابه ان ارسل الاشعث بن ضمرة يطلب من بني زبد اتاوة اعتادت القبائل ان تدفعها له خوفاً من سطوته وحذراً من بطشه فرفض بنو زبد – قبيلة عمرو بن معدي كرب – أن يخضعوا لهذا التهديد وردوا رسل اشمت رداً غير حميد ، فلما علم الاشمت بذلك كبر الامر عليه واعد جيشاً من اكبر الجيوش ، جنوده كأنهم الوحوش، وأرسله لتأديب بني زبيد فتجمعوا هم وبنو خثعم وبنو مراد لما بينهم من القرابة والمودة ، واتحدوا لرد الاشعث ودار القتال ثلاثة ايام حتى هزم الاشعث تلك القبائل وامعن نهباً وسلباً في المنازل .

قال الراوي وفي تلك اللحظة عاد عمرو على المرعى ، فرأى ما حل بقومه من الهلاك . وشاهد امه واخته واقفين هناك ، وقد نثرن ذوائبهما وانهمرت من عيونهما الدموع ، فتقدم وسأل امه عن الخبر ، فقالت له : لقد اهلك الاسعث قومنا وشتت شملنا ، فهز عمرو رأسه في حسرة وقال : آه لو كنت شبعان البطن يا اماه . اذن لأريتك كيف يكون القتال فقالت له اخته ساخرة قاتلك الله . حتى في هذه الساعة لا تنسى بطنك ، وفي مثل هذا الموقف تشكو الجوع ولا تفكر الا في ملء ما بين الضلوع فقالت امه : ويلك يارجاتة اما كفاك ما نحن فيه من الذل والاهانة اما ترين اموالنا تنهبها الاعداء ، وولدنا لا يجد القوت . ثم قدمت لولدها ناقة ، وقالت له : خذ يا ولدي هذه الناقة واملأ بطنك منها ، فأنت اولى من الاشعث فأخذها عمرو في الحال ثم نحرها واضطرم النار على أحد التلال وأخذ يأكل قطعة بعد قطعة وهو ينظر للقتال ، حتى أتى على الناقة الذبيحة ؟ وأخرج زقاً من الخمر المليحة وأخذ يشرب وهو لا يكف عن النظر الى المعركة .

فلما رأى قومه منهزمين وفرسان الاشعث تضرم في اقفيتهم بالسيوف والحراب، ازاح زق الشراب ثم انحدر من فوق التل كما ينحدر السيل المندفع ، ولم يكن معه في تلك الساعة جواد ولا سلاح ، وعندما وصل الى طريق الهاربين ، رأى أباه عائداً وقد خضبته الدماء ، فاقترب منه حتى ساواه ، ثم جذبه عن جواده وقال له اعطني هذا الجواد وهذا السلاح وسترى مني اليوم ما لا يخطر لك من بال فتعجب ابوه من فعاله وأعطاه ما أراد وهو يتمنى ان يدخل المعمعة فلا يعود منها .

قال الراوي : ثم ان عمراً ركب الحصان ، وحمل على الفرسان وطعن برمحه في صدور الاقران وحارب ببسالة الشجعان ، كأنه مارد من الجان حتى أخرج الاعداء من بين الخيام ، وقد ذهل بنو زبيد من فعاله واشتدت قلوبهم وسواعدهم لما رأوا من اعماله فكافحوا اشد كفاح واطبقوا في اجسام أعدائهم كل سلاح ، حتى دارت

الدائرة على الاشعث ورجاله ، فاندفع عمرو نحو الاشعث بن ضمرة وفي قلبه حقد لاذع كأنه الجمرة وصـال معه وجال حتى أتبعه بفنون القتال : ثم طعنه بالرمح فاخترق صدره ، وخرج مخضباً بالدم من ظهره . وعندئذ تفرق الاعداء ، وامعنوا في الهرب في البيداء والتفت بنو زبيد حول عمرو وحيوه وأثنوا على بسالته وعظموه وانطلقت في الحي الزغاريد حتى تورد صداها في البيد فقال عمرو : اعلموا يا بني العم ان الله يغير من حال الى حال ، وقد الهمني أن اترك الخمول وانزل للقتال فاذا ضمنتم لي ناقة آكلها كل يوم فلن يجرؤ عليكم أي قوم ، وانا اضمن لكم رد الاعداء ، ما دمتم تكلفون لي ما طلبت من غذاء فقال شيوخ قومه والله يا عمرو ما عدنا نسلم لغيرك زمام كل أمر ، فخذ من انعامنا ما تشاء فانت اولى بهـا على ان تنهبها الاعداء . ولما وصل عمرو الى المضارب والخيام استقبلته النساء بالحفاوه والاعتبار وهنأته على هذا الانتصار ، ومنذ ذلك اليوم طار صيته في البلاد ، وسار ذكره بين العباد وقدمت له القبائل الغفارة ، واخذ من كل مجلس مكان الصدارة . وصار صاحب اموال ونوق وجمال فبنى لنفسه أبياتاً ذات سقوف وشيـد داراً كبيرة الصوت . وكان لا يضارع شجاعته الا جماله ، فتحدثت عنه البنات ، وتمنى مصاهرته السادات . الى ان سمع من اخته ريحانة خبر الجارية (لميس) التي سبقنـا حديثها فخطبها من ابيها . فاجابه الى ذلك الامر ، وعادا الى دياره ليـأتي بصداقها ، ثم شاهدها عروة بن الورد . وتحدث عنها مع عنترة . وتم بينهما الاتفاق على ان ياخذها عنوة من عمرو كما سبق ان فصلنا هذا الامر .

قال الراوي ، وبعد ان جهز عمرو مهر لميس ، سار به الى ديار بني غطفان ، ولم يصحب معه غير خمسة من الفرسان . ولما وصل الى الديار كان وصوله آخـر النهار فخرجت السادات تتلقاه واسرع اليه ابو لميس وهنأه . وضربوا له أفخر الخيام وقدموا له اطيب الطعام واعتق المدام وقدم عمر لآل عروسه الحلع السنية واجزل لكل اهل الحي في العطية وأهدى إلى ابو لميس ، خاتماً من الجوهر النفيس ثمنه خمسة آلاف كيس . ولما علمت اخت عروة واخت عنترة بقدوم عمرو ارسلتا تخبرانهما بهذا الامر ولكن عنترة كان في تلك الايام قد رحل الى بلاد الشام ليشتري كفاية قومه من الخمر والمدام فلما علم عروة بعودة عمرو تأسف لغياب عنترة ولكنـه نهض في الحال ، واخذ معه جماعة من الرجال وسار بهم يقطع الفيافي والكثبان حتى وصل الى بعض الوديان ونزل فيها و كمن مع رجاله الذين تفرقوا في نواحيها ولما طال بهم الانتظار عول عروة على ان يذهب الى الديار عسى ان يقف على بعض الاخبار فلبس

ملابس عبيد الحجاز واوصى اصحابه بالحذر والاحتراز حتى وصل الى حي بـــني غطفان فرآه يعج بالافراح ورأى يلعبون بالسلاح وسمع اصوات الاماء ينقرن بالدفوف ويترنمن بالغناء فعرف عروة ان عمرو قد زف الى زوجته وكان يغشى عليه من شدة حيرته وعول على الرجوع ليكمن للعروسين عند عودتهما .

ثم انه ارتد راجعاً وهو يتنهد ويتحرح ولما وصل الى بقية اصحابه حدثهم بمـــا سمع وابصر وقال لهم : (اعلموا يا بني الاعمام انني لن أرجع حتى آخذ الجارية او أقتل دونها فمن شاء منكم أن يبقى معي فليبق ومن شاء أن يرجع فليس لي عليه من سبيل) فقالوا جميعاً :(والله يا ابن العم ليس فينا من يتخلى عنك في هذا المقـــام ولو شربنا كأس الحمام) .

قال الراوي : هذا ما كان من امر عروة بن الورد واما ما كان من أمر عمر بن معدي كرب فان صهره جهز له ابنته وزفه اليها فأحبته وتعلق قلبها به وبعد ان قضى في ضيافتهم عشرة ايام قال لعروسه انه قد اشتاق الى دياره وعشيرته فقالت له اينما ذهبت فخذني معك ولو سرت إلى آخر الارض فلا بد أن اتبعك فاستأذن من حمية فأذن له وخرج لوداعه الى مسافة بعيدة وليس معه الابطال الخمسة الذين صحبوه عند قدومه . وما زال عمرو يقطع البراري والقفار الى أن انتصف النهار فوصل الى المكان الذي كمن فيه عروة بن الورد ومن معه من الفرسان وعندئذ فوجـــىء بهجوم عروة ورجاله وقد مدوا اليه الرماح وطلبوه بكل سلاح فتبسم اعجاباً بنفسه ونظر الى رجاله وقال : (تنحوا ولا تتدخلوا في القتال ودعوني اؤدب هـــؤلاء الانذال وعليكم أن تحفظوا هودج لميس ولا تمكنوا من الوصول اليها اي خسيس) ثم حمل على عروة ورجاله وصدمه صدمة جعلته على حاله وقاتله القتال الرهيب وأراه من فنونه الاعاجيب وما زال على ذلك حتى وهنت من عروة كل عزيمة وايقـــن بالخسارة والهزيمة . وبينما كان يفكر في الهرب والابتعاد اذ ضربه عمرو بكعب الرمح فوقع عن الجواد ثم شد كتافه واخذه اسيراً وعاد فانقض على رجاله حتـــى شتتهم وفرقهم ، وفتهم ، ثم عاد فأقام له مضرباً استراح فيه وجاء بعروة وقال له قل لي ايها الكلب الاجرب .. ما الذي جعلك تتعرض لي فقال عروة : سأقول لك الحقيقة بلا خلاف . فانه لا يكذب الا الجبان الذي يخاف » ثم قص عليه قصة لميس واتفاقه مع عنترة على خطفها فتبسم عمرو وقال : والله ان هـــذا في غاية المراد وسأحتفظ بك اسيراً حتى يأتي هذا العنترة ليخلصك وعندئذ اجرعه كأس الذل والهزيمة فاني في شوق الى منازلته من سنين قديمة . ثم وكل بحراسته بعض العبيد

واستأنف الركب سيره في هذه البيد ولما عاد عمرو ليسير الى جانب هودج لميس اطلت عليه وقالت له : لقد شرحت صدري يا ابن العم بفعالك وبعثت الاطمئنان في قلبي بروائع قتالك وقد ازددت عندي محبة وبلغت في فؤادي اعلى رتبة والآن احب أن تطيع ما أشير به عليك وتطلق اسرى بني عبس من بين يديك ولا تدع عنترة يعاديك أو يقصد اليك فاني اسبق ان رأيت من فعاله عندما كنا في الجبال ما تعجز عنه صناديد الرجال فقهقه عمرو وقال : ليتني التقي به لأنازله في حضرتك وآخذه أسيرا واضعه في خدمتك وأخصصه للسير في ركابك والاخذ بزمام ناقتك ولولا انني في شوق للقياه لطاوعتك وأطلقت رفقاه .

سليك بن سلكة

قال الراوي ثم مشى الركب وما زال يقطع الروابي والرياض حتى وصل الى أرض يقال لها « عين أباض » فأحب أن يأخذ شيئاً من الراحة وأمر رجاله بالنزول في تلك الساحة وإذا بغبار قد ثار ، وبعد قليل تكشف للابصار وبان من تحته نوق وأسيران مشدودان ، ومن ورائهم جماعة من العبيد يتقدمهم فارس صنديد وهو من دونهم مكشوف الرأس خال من الزرد واللباس ليس عليه غير ثوب من الحام وهو طويل القامة . مسفر اللثام تبرق عيناه كالمشاعل والفروسية عليه شواهد ودلائل . فلما ابصره عمرو ، ودهش لهذا الامر وأراد أن يرسل بعض عبيده لكشف خبر هذه السرية وإذا بالفارس المتقدم ذكره قد ركض بالجواد نحوه حتى حاذاه وقال له : على تكون يا فتى من العرب اذكر حسبك ونسبك قبل أن يحل بـــك العطب فاستشاط عمرو غضباً واضطرم فؤاده لهباً وقال له : يا عبد السوء . عد الى ورائك وارجع الى رفقائك والا خطفت روحك من بين جنبيك . وتركت الحسام يفصل ما فوق كتفيك وإذا كنت جاهلاً حسبي ونسبي فأنا صاحب النسب العـــالي رب الفضل على السادات والمعالي فارس العجم والعرب معدي بن كرب وعندئذ تبسم العبد عجباً واظهر سروراً وطرباً وقال : أهلا وسهلا يا ابن معدي لقد شفيت من قومك اليوم كبدي . واعلم أن ما معي من الغنيمة انما هو من اموال قومك الانذال اخذتها بعد أن جرح أخاك عبد الله وقتلت جماعة من الرجال ولا من أن اجردك من كل ما معك وإن قاومت فستشهد بعينك مصرعك . وكان هذا العبد يقال له «سليك بن سلكه » ويوصف بأنه الداهية المهلكة تحذره جبابرة الفرسان ويستعيذ من بطشه الشيطان ، لا يعرف الا سفك الدماء وارتكاب الفجور وخطف البنات والنساء من

الحدور يحسن القتال راكباً كما يحسنه وهو راجل واذا عدا عجزت عن لحاقه الخيول الصواهل . فلما سمع عمرو هذه الاخبار اشتعل قلبه بلهيب النار وقال لسليك « لقد قادتك الى المهالك رجالك واوقعت نفسك في شرك ليس لك منه فكاك فارجع الى قومك والبس الزرد والحديد وعد الى نزالي حتى لا تكون لي حجة علي » فقال سليك : ان مثلي لا يحتاج الى احتراز ولا يخاف الرماح في معامع البراز واقسم بالرب المعبود ألا ارجع عنك حتى اغتنم منك ربة هذا الهودج واحظى بالمقصود . ثم هجم كل منهما على الآخر كسباع الآجام واخذا في الطعن والصدام والاحجام والاقدام والمفارقة والالتحام وظلا على ذلك حتى ولى النهار وشعر كل منهما بالضعف والانهيار فعز على سليك أن يعجز عن قتل عمرو فاستلب من تحت فخذه حربة اسرع من القضاء واحد من البلاء واخرج رجليه من الركاب ونزل حتى صار على وجه التراب وقال : « احترس يا عمرو على نفسك من هذه الحربة فانك لا تحتاج الى أكثر منها من ضربة . وها انذا قد تخليت عن فرسي وانطلقت من محبسي وصرت في حكم نفسي . ثم انه أطلق رجليه في سرعة الغزال ودار حول جواد عمرو من اليمين ومن الشمال واخذ يضربه بالمزاريق ضربات مخيفة ، فكان عمرو يتقيها بحركات خفيفة وكانت لميس تنظر الى هذه الوقعة وقلبها يرتجف خوفاً على عمرو بن الورد فنزلت من الهودج وهي تبكي حتى تكاد تتشنج وتقدمت من عروة بن الورد وحلت وثاقه وامرت عبيدها بحل وثاق رفاقه وقالت له : انج بنفسك فاني اخشى عليكم اذا هزم عمرو ان يقتلكم ذلك الفارس اللعين ووالله ما كان عمرو يريد بكم شراً وما احتفظ بكم في الاسر الا لكي يأتي عنترة ليخلصكم فينازله عمرو وينال بهزيمته غاية الفخر . واذا شئت ان تسدي الي مكرمة فاذهب الى ابي وقل له ان يدركنا بالابطال ليخلصنا من هذا الاذلال .

ثم انها زادت في البكاء . فبكى عروة لبكائها وقال لها : (والله يا بنت الأكارم لن نتخلى عن نصرتك وسنقاتل عنك اشد قتال وننكل بهؤلاء الانذال) . ثم اندفع نحو ساحة القتال هو ومن معه من الابطال واحاطوا بسليك من كل جانب فلما رأى رجال سليك ذلك اشتركوا في المعركة واستمر القتال وصال كل بطل وجال وان سليكاً كان يدور كاللولب السريع ويزوغ من ضربات الجميع ثم انقض على عمرو بالحربة من يده كالصاعقة ووقعت على درقة عمرو فنفذت منها كأنها شهاب من الجمر وصدمت كتفه فوقع عن جواده وهجم عليه سليك وشد وثاقه وشد ساعديه فلما رأى عروة ذلك تضعضع عزمه ولكنه سمع صراخ لميس فتحمس واخذ يبث في

رجاله الامل فقاتلوا مستبسلين بعزم لا يلين . وبينما هم كذلك اذا بثلاثة فرسان قد ظهروا من جانب الوادي يتقدمهم رجل يسير على رجليه في سرعة الظبي وهو يصيح : ابشروا يا بني عبس فهذا حاميتكم عنترة بن شداد قد وصل اليكم بعد أن اقتفى آثاركم من خوفه عليكم) .

قال الراوي : وكان هؤلاء الثلاثة الابطال الذين اقبلوا كأسود الأدغال هم عنترة وابوه شداد ومقري الوحش اما الرابع الذي كان يمشي أمامهم فهو شيبوب وكان عنترة قد عاد من الشام وعلم بمسير عروة نحو ديار لميس فخشي ان يصيبه شر فتتبع اثره في ذلك البر حتى التقى به على تلك الحال وهو سليك في اشد قتال فلما اقترب عنترة من ساحة المعمعة صاح بصوت كأنه الفرقعة وقال ابشر يا ابا الابيض واخرج من ساحة القتال ودعني اؤدب هؤلاء الانذال فتنحى عروة لما اصابه من الاعياء ولما نزف من الدماء وتحفز عنترة للوثوب واسعد معه ابوه وأخوه شيبوب .

ولما رأى فرسان سليك قلة عدد خصومهم طمعوا في قتلهم وهجموا هجمة رجل واحد فتلقاهم عنترة كأنه الطود وخاض فيهم ابشع خوض ونثرهم ذات اليمين وذات الشمال وروى من دمائهم الصخر والرمال فلما رأى رجال سليك هذه الضربات تفرقوا في الفلوات وهجم عنترة على سليك ليمنعه من الهرب فتضاربا وتطاعنا بالرماح والقنا حتى تثلمت السيوف وتورمت منها الكفوف ، وعندئذ نزل سليك عن جواده مرة اخرى واراد ان يفعل مع عنترة مثلما فعل مع عمرو بن معدي كرب وضربه بحربة حاد عنترة عن طريقها وخاف على جواده فترجل عنه ونازل سليكاً وجهاً لوجه الا ان سليكاً كان سريع الحركة وكاد كذلك ان يظفر بعنترة ولكن عنترة كان شديد الحذر ثابت القلب في ساعة الخطر وعندئذ سحب سليك حربة وسددها الى صدر عنترة وقال : خذه هذه من سليك بن سلكة فأنت اليوم على موعد من الموت والهلكة وأطلق الحربة كما ينطلق الشهاب فسجنها عنترة على الدرقة دون أن يهاب فمرت كالصاعقة واشتد الغيظ بعنترة فأراد أن يقبض على سليك بيديه ففر من أمامه وانطلق بسرعة الرياح وانطلقت الخيل في أثره ولكنه كان أسرع منها في الجري واختفى بين التلال والكثبان .

قال الراوي : ولما يئس عنترة من اللحاق بهذا الشيطان عاد وفي قلبه لهيب النيران ثم جمع الأسلاب والخيول التي كان قد نهبها سليك من بني زبيد والتفت الى عروة وقال : والآن يا أبا الابيض قد نلت المأمول فقم واقتل عمرو بن معدي كرب واستمتع بلميس فقال عروة وقد اعترته الوساوس مهلاً يا أبا الفوارس لقد رأيت

عاقبة البغي وخيمة وان الانتصار على النساء شر من الهزيمة ووالله ما عادت لي رغبة في لميس فقد عرفت من جزعها على عمرو انها أحبته حباً جزيلا ولن ترضى برجل عنه بديلا وهو والله فارس يستحق الاعتبار وبطل لا يشق له غبار ولا فائدة لي من جارية أحبها ولا تحبني والرأي عندي أن نترك هذا الأمر وأن نطلق سراح عمرو وأن نتخذه أخ وصديق ويكون لنا عوناً في وقت الضيق . فلما سمع عنترة هذا الكلام تعجب من مروءة عروة وقال له : والله يا أبا الأبيض لقد أنصفت وما تعديت ، فافعل ما رأيت ثم ان عنترة أمر باحضار عمرو ، وأمر بحل وثاقه ، وأجلسه الى جانبه وبالغ في اكرامه وقال له : اعلم يا عمرو أن هذه الجارية التي تزوجها هي ابنة عمنا ودمها مختلط بدمنا ، وما اعترض عروة طريقك إلا لأنه ظن أنك أخذتها قسراً ، فأراد أن يردها الى أهلها ، فلما أبصر حسن دفاعك ، وشدة حربك وقراعك فضلك على سائر الشجعان ، لأنك اخذته أسير في الميدان ، كما تظفر الفرسان بالفرسان ، فلما انفك أسره وملك زمام امره ، أراد أن يتخذك أخاً وخلا ، وآثرك على نفسه ورضيك لابنة عمه بعلا فكن له الاخ الذي أراد وخلص قلبك من الاحقاد

فلما سمع عمرو بن معدي كرب هذا الكلام ، أطرق حياء وقال يا وجوه العرب ، لقد وضعتم الصنيعة موضعها ،أودعتموها عند من لا يضيعها ، وإذا كان لي نصيب في الحياة فسأجزيكم على مروءتكم أحسن المجازاة ، أما أنت يا عنترة فقد كنت تواقاً الى قتالك،مشتاقاً إلى نزالك لأرى مبلغ قوتك، وأختبر مدى شجاعتك؟ فلما رأيت قتالك وشاهدت أعمالك : فرأيت أنك رب الشاعة ، وواحد الجسارة والبراعة وها أنا منذ اليوم تابعك الامين ورمحك الذي لا يلين .

وعندئذ عانقه عنترة وضمه اليه وقبله بين عينيه وباتوا في تلك الليلة في انس وانشراح يأكلون اشهى الطعام ويضربون افخر الراح الى ان طلع عليهم الصباح ، فقدم عنترة لعمرو جميع ما ملكه من الخيل والاسلاب وهي التي كان قد سلبها سليك من ديار بني زبيدة وامره بأن يردها الى اهله وعشيرته ، وانعم على الخمسة الفوارس الذي كانوا في صحبته . ثم ودعه وداع الصديق للصديق ، وشيعه الى مرحلة بعيدة من الطريق . وكان الربيع بن زياد قد بلغه رحيل عروة بن الورد من اجل الجارية لميس ، ومسير عنترة لمساعدته في مهمته ، ففرح واستبشر لانه كان يتوقع لعنترة الهلاك على يدي عمرو بن معدي كرب ، واراد ان يغير قلب الملك قيس عليه فاجتمع به وقال له : (اعلم ايها الملك المفضال ، ان كل ما قاسيناه من الأهوال . كان بسبب عنترة ، ولولا ان اختك المتجردة حرضت زوجها الملك النعمان على

نصرتنا لها أعداؤنا آثارنا ، وازالوا من الدنيا أخبارنا وما قصدنا القبائل بالعساكر والجنود ، الا بسبب ثارها عند هـذا العبد ، والآن قد سار مع عروة بن الورد لاغتصاب لميس ، وزوجها عمرو فارس كانه ابليس ، فاذا قتله عنترة وعاد عدنا الى الى الشر والفساد ، لأن بني زبيد لن يسكتوا عن ثار فارسهم المغوار ولا بد أن يشعلوا علينا حروبا مستعرة الأوار . والرأي عندي ان تطرد عنترة اذا عاد ، حتى تستقر كسائر العباد ولا تثير في قلوب الناس الاحقاد . فلما سمع الملك قيس هذا المقال اشتعل قلبه غضباً من عنترة وقال (هل بلغت عند هذا العبد الهوان . حتى يسير بغير امر مني ولا استئذان ؟ والله ان عاد فلا بد من أن اطرده طرد الكلاب واذا أخذه الغرور لاعذبنه اشد العذاب) فلما سمع الربيع هذا الكلام ، هدأ باله وبشر اخاه عمارة ، وذكر له تفاصيل هذه العبارة . وما انقضت بضعة أيام حتى عاد عنترة ومعه الاسلاب والانعام فلما علم الربيع بذلك ، امتلأ قلبة بالحقد لنجاته من المهالك اما عنترة فقد تعجب من عدم سؤال الملك قيس عليه ، فبات تلك الليلة يناجي عبلة بعد الفراق ويملأ عينيه من محاسنها بعد طول الاشتياق . وعند الصباح ذهب الى الملك قيس ودخل عليه وسلم وجلس بين يديه فقال له الملك في شدة وخشونة ولهجة قاسية ليس فيها ليونه : ما هذا يا ابن زبيبة كيف تجاسرت على أن تسير بلا استئذان وتوقعنا في حروب مع الابطال والفرســان . ومن اباح لك ان تقاتل بني زبيد وتوقعنا معهم في قتال جديد ؟ وعندئذ ادرك عنترة ان هذه مكيدة من الربيع ، لما في قلبه عليه من الحقد الفظيع فقال للملك قيس : (والله يا مولاي ما تعديت ، ولا ظلمت ولا بغيت وبــدلاً من اجعل عمرو بن معدي كرب من الأعداء جعلته لك من ادنى الاصدقاء وكسبته لك صديقاً وجعلته لبني عبس معيناً ورفيقاً ولكنك ما دمت قد سمعت في أقاويل الحساد فلن اقيم في هــذه البلاد وسأرحل الى بلد من بلاد الله ، واصنع لنفسي ما أريد من العز والجاه . وخرج عنترة والشرر يتطاير من عينيه ، دون ان يحيي الملك قيس أو يسلم عليه ، ونادى في بني شداد وبني قراد ، أن يستعدوا للرحيل من هـذه البلاد ، فحملوا المطايا بالمتاع ، وساروا يضربون تلك البقاع .

قال الراوي : وما زال عنــترة ومن معه يقطعون القفار ، وهو يحرسهم بالليل والنهار ، حتى وصلوا الى بني قحطان ، واشرفوا على حلل بعض العوبان ، فرأوا في تلك الارض نعما لا تحصى ، وخيرات لا تستقصى والحي يضج بساكنيه ، ويرتج بقاطنيه ، وفي الحي قباب مضروبة وخيــام منصوبة ونوق وخيول ، وأغنام كانها

السيول ، فلما رأى عنترة هذه المناظر ، قال لشيبوب : (من يكون هؤلاء القوم من العشائر ؟) فقال شيبوب (هم قوم يقال لهم بنو الجريش وهم حلفاء بني عامر . ولهم مآثر ومفاخر . وسيدهم بطل رفيع القدر . عالي الذكر يقال له معاوية بن شكر . وهو من قوم كرام . لهم حرمة وزمام) فقال عنترة لشيبوب (يا ابا رباح انزل بنا في هذه البطاح ، فنزل القوم وضربوا الخيام والقباب . حتى امتلأت بهم تلك الرحاب وسرحوا النوق والجمال بين الروابي والتلال !ولما رأتهم عبيد بني الجريش تعجبوا وقالوا (ترى من انزل هؤلاء القوم في اطلالنا ، بغير اذن من ساداتنا وابطالنا) وتقدم اليهم أحد الغلمان . وكان يقال له سعيد بن صفوان ، وقال لهم : حياكم الله يا وجوه العرب ، من انتم ومن انزلكم في هذا المكان ؟ فقال له بعض عبيد عنترة نحن من بني عبس الأجواد ، الكاشفين الشدائد عن العباد ، والمقدم علينا فارس الطراد ، قادح النار من غير زناد الامير عنترة بن شداد ، وهذه كلها نوقه وامواله وهذه فرسانه وابطاله . فلما سمع العبيد بقدوم عنترة اليهم ، ونزوله عليهم نهض الشيوخ والاعيان واستقبلوا بني عبس وعدنان واكرموهم غاية الاكرام وقدموا لهم الطعام والمدام وعاهدوهم على حفظ العهود والزمام ، فأقام بنو عبس في ذلك المكان ، في صفو عيش وامان ؟

مكيدة الربيع

قال الراوي : هذا ما كان من امر عنترة وانصاره وأما ما كان من الملك قيس واخباره ، فانه لما بلغه نزول عنترة على بني الجريش ، استشاط غضباً وندم على فراق عنترة وآل قراد لانهم كانوا ينصرونه على الاعداء والاضداد . اما عمارة فانه فرح بابتعاد عنترة ، ولكنه كان محروق القلب على عبلة فقال لاخيه الربيع : لقد اثلج ابتعاد هذا العبد الغدار ، وخروجه من هذه الديار ، فهل يمكنك ان تطرده من عند بني الجريش ؟ فقال الربيع : « اي نعم » . ثم ان الربيع اعد قدراً كبيراً من المسك والطيب ، وقدراً كبيراً من الدنانير الذهب . وبعث بها إلى النابغة ، شاعر بني ذبيان ، وقال له في رسالة : لقد ارسلت لك هذه الهدية على سبيل المودة الاخوية واريد منك خدمة يسيرة ، ولكنها عدي مكرمة كبيرة ، اريد ان تهجوا بشعرك عبلة ابنة مالك ، وتذكرها بالقبح والخنا . وتتهمها بالعشق والزنا وتنظم على لسانها بعض ابيات من الشعر في مراسلة معاوية بن شكر تذكر فيها انها تكره ابن عمها عنترة بن شداد وتحب معاوية بن شكر دون سائر العباد ، لما فيه من الحسن

والجمال والبهاء والكمال فلما وصل رسول الربيع الى ديار بني ذبيان ، دخل على النابغة في الصيوان، وسلمه رسالة الربيع فلما قرأ النابغة الخطاب وفهم فحواه وشاهد هدايا الربيع وعطاياه . فرح وقال للعبد : عد الى سيدك وابلغة مني السلام ، وقل له انني سأنفذ مـــا طلبه بدقة واحكام ثم انه اختلى بنفسه وزيف رسالة كتبها على لسان عبلة كلها غزل في معاوية ، وذيلها بأبيات من الشعر وهذا ما كتبه في الرسالة من عبلة المحبة العاشقة . والحبيبة الصادقة الى معاوية بن شكر صاحب الحسن الفائق والجمال الرائق ؛ والوجه الاقمر ، والجلين الازهر هذا كتاب اشرح فيه شوقي اليك والى نظرة من عينيك ، فاني والله قد وهن صبري وكاد ينفضح امري ، بعـــد ان اصبحت اسيرة غرامك ، ورهينة امرك واحكامك ، فانعم بموعد تزورني فيه او ازورك ، ويفيض علي فيه نورك ، فان قلبي يعيش مع زوجي العبد في ظلام ، ويوم لقائك عندي هو اسعد الأيام . ثم طوى النابغة الرسالة ، ودعا خادما من خدمه وقال له اذهب بهذه الرســـالة الى ديار بني الجريش والقها بالقرب من مضارب عنترة بن شداد فنفذ الخادم امر سيده والقى الرسالة تحت اقدام الابطال ، فالتقطها عبد من من عبيد بني الجريش، وكان لا يعرف القراءة واعطاها لرجال من بني شداد لكي يقرأها ، فلما قرأها تعجب مما فيها وتجمع حوله بعض آل شداد وبعض آل قراد ، ووقفوا على الرسالة وما فيها من غزل ... ورأى عنترة تجمع الناس فأسرع ليعرف الخبر واراد الرجل الذي عثر على الرسالة أن يخفيها إلا ان عنترة أخذها وقرأ ما فيها فلما اتم قراءتها دارت الدنيا في عينيه واشتد الأمر عليه واستهول هذا الامر واتقدت عيناه حتى اصبحتا كقطعتين من الجمر ثم سل حسامه وقـال لمن قرأ الرسالة : من اين وصلك هذا الخطاب ؟ فقال : « وجدته مع هذا العبد » فنظر عنترة الى عبد بني الجريش وسأله : « من أي الأقوام انت ؟» قال عبد من عبيد بني الجريش اصحاب هذه الأرض . فأيقن عنترة ان عبلـة قد خانته ، وانها كتبت الرسالة واعطتها لعبد بني الجريش ليوصلها إلى سيده معاويه ، وضرب العبد بسيفه ضربة غضب شطرته نصفين . فاضطربت الفرسان وهربوا من غضب عنترة وثورته وصرخ الحاضرون من بني الجريش واسرعوا الى سيدهم معاويه لتخبروه بما جرى ، فلما علم بذلك استشاط غضباً واضطرم فؤاده لهباً ، ولبس عدة القتال وركب جواده في الحال ، وذهب الى مضارب بني شداد فوجد عنترة وحوله الفرسان وقـــد لبسوا الدروع والمغافر ، وتقلدوا بالسيوف البواتر ورأى عنترة وهو ســائر يدمدم ويزأر كالأسد الكاسر ، فصرخ فيه معاوية بصوت عظيم وقال له : « ويلك ايها العبد الزنيم اين العهد الذي

عاهدتمونا عليه ؟ لقد صدق والله من وصفكم بالغدر واثارة الفتن ، فرد عليه عنترة قائلا :

تروم عبلة يا نسل اللئام وقد نادى بك الناعيان الشيب البكر
وكم همام شجاع راح ينظرها فابصر الموت من دا السيف يبتدر

وعندئذ ذهل معاوية من هذا الاتهام ، فهجم عليه عنترة وضربه بالسيف ضرب الحنق ، فقطع ذراعه فمزق معها اضلاعه فوقع معاوية على الأرض يعالج سكرات الموت ، وعندئذ طارت عقول بني الجريش غضباً لموت سيدهم وهاجموا بني شداد ودارت بينهم معركة تحير الالباب وتساقط الفرسان قتلى على التراب وكثرت الضحايا واشتدت الأهوال والبلايا ، وعنترة يصول فيهم ويجول ويضرب في اعناق الفرسان بالعرض وبالطول . وما زال على هذا الحال ، حتى فرق الرجال والأبطال وتبددوا بين الوديان والتلال فملك بنو عبس ديارهم واموالهم وأخذوا نوقهم وجمالهم وسبوا نساءهم وعيالهم .

قال الراوي : فلما هدأت الحال ، أراد عنترة خباء عبلة ليقتلها ، ولكن مقري الوحش . حلف عليه أن يمتهل ، فقد يكون في الأمر مكيدة . وقالت مسيكة ، زوجة مقري الوحش يا أبا الفوارس كيف تتهم عبلة بالخيانة ، وهي التي قاست من اجلك الأهوال وفضلتك على سائر الرجال والأبطال ؟ بالله عليك لا تتعجل الاحكام ، حتى لا تندم في مقبل الايام . وعندئذ هدأت نفس عنترة قليلا ، وجمع رجاله الغنيمة ، فكانت ذات قدر وقيمة ، اما بنو الجريش ، فكانوا قد جمعوا فلولهم وقصدوا ديار حليفهم عامر بن الطفيل ، وشكوا اليه امرهم فوعدهم برد أموالهم وفك اسر رجالهم ونساءهم وعيالهم وعند الصباح كتب كتاباً الى عنترة بن شداد يمدحه فيه ويثني عليه ، وصف له فيه شدة شوقه اليه ويسأله بحق ما بينهما من الوداد ان يرد لبني الجريش الأموال والنساء والأولاد فأخذ بنو الجريش الرسالة وقصدوا الى عنترة . فلما سلموه الكتاب اطاع ما فيه واستجاب . ورد الى بني الجريش جميع الاسلاب . وصمم على ان يترك الارض لبني الجريش . لكي تعيش فيها كما كانت تعيش . وأمر رجاله بالاستعداد المغادرة تلك البلاد .

قصة سعاد بنت حماد

قال الراوي : وسار بنو عبس وبنو شداد ، يقطعون البراري الواسعة ، والمسافات الشاسعة ، حتى اشرفوا على جبال « يقظان » وهي كثيرة الكثبان ،

واذا بهم يرون فرساناً في خراب وطراد وخيلا تأتي من كل واد ، وقد علا الضجيج والصياح حتى ملأت تلك البطاح فالتفت عنترة الى اخيه شيبوب، وقال له : اكشف لنا خبر هذه الموقعة ايها الاخ المحبوب ، فانطلق شيبوب كأنه الريح . ونزل عنترة عن جواده لكي يستريح ، وغاب شيبوب عن الاعين في تلك القفار وعاد لاخيه بصحيح الأخبار ، وقال له اعلم يا اخي ان صديقك دريد بن الصمة قد وقع في كارثة ملمة . وقد رأيته ينازل الابطال ، وليس معه الا القليل من الرجال وقد ضاق عليه المجال واشرف على الهلاك والوبال وان لم تدركوه ظفر به خصومه واهلكوه . فقفز عنترة الى ظهر الجواد ، وتبعه بعض فرسانه الاجواد وتركوا البعض الآخر لحفظ النساء والاولاد ولما اقترب عنترة من دريد وجده محاطاً بالاعداء وهو يقاتل قتال الصناديد ، ويجندل الفرسان على رمال تلك البيد ، وقد تصبب منه العرق حتى بلله ، وعلاه التراب والغبار حتى جلله . ووهن منه العزم واضمحل وكاد جواده من شدة التعب يشل ، فصاح عليه عنترة ابشر يا ابن الامجاد فقد جاءك صديقك عنترة بن شداد ، ثم اندفع بسيفه الى المعمعة وبضربة واحدة صرع من الخصوم اربعة ، وانثنى نحو بقية الفرسان واسترسل في الضرب والطعان ، وما زال يمزق الجموع حتى امتزج منهم العرق بالدم والدموع وتفرقوا هاربين في التلال ، وخلا الوادي فحط بنو عبس الرحال وتقدم دريد من عنترة وعانقه عناق المشتاق وقال له : والله يا ابا الفوارس لن انسى لك هذا الصنيع ، فان الجميل عند دريد لا يضيع ، ولكن قل ما الذي جاء بك الى هذا المكان ؟ فاني اظنك خرجت غاضباً على بني عبس وعدنان فقال عنترة : صدقت والله يا دريد ، قال والى اين تقصد من هذا البيد ؟ قال ديار بني مازن ، قال دريد : لا والله ما ادعك تقيم الا في دياري ، فاني اتشرف باقامتك في جواري ، فقال عنترة والله يا ابا النظر اني لا اريد ان اجيبك الى هذا السؤال خوفاً من ان نشتبك مع بعض القبائل في قتال فنجركم معنا الى المعمعة دون ان تعود عليكم فائدة ولا منفعة فقال دريد : دع عنك هذا الكلام وانزل علينا كما ينزل الكرام على الكرام ، واذا أرادكم قوم بسوء او شر فنحن نقاتلهم قبلكم عندئذ رضي عنترة بهذا وسار مع دريد الى موطنه وفي الطريق سأله عنترة وقال قل لي يا ابا النظر ما الذي جاء بك الى هذا المجال ؟ وما سبب هذا القتال ؟ قال دريد ان هذا له قصة عجيبة ورواية غريبه ، وهي ان لي عبداً اسمه دثار بن الصمصام ربيته وهو غلام واهتممت به غاية الاهتمام فنشأ فارساً جباراً اذا انقض على قوم اصلاهم ناراً حتى شاع ذكره في البلاد وهابه الفرسان وخافه القواد وكان يحب الخيل الحسان ويفضلها

على الاصحاب والخلان وعلم يوماً ان عند بني الريان جواداً يملكه سيدهم حماد بن حسان وانه ليس لهذا الجواد شبيه فصمم دثار على ان يقتنيه ولما ذهب الى ديار بني الريان صبغ جلده بطلاء اسود حتى صار مثل العبيد ونفش شعره حتى لا يعرفه قريب ولا بعيد واختفى حتى اظلم الليل واقترب خلسة من حظائر الخيل واذا به يرى جارية رائعة الجمال عديمة المثال تتمايل ذات اليمين وذات الشمال فهزه جمالها واسره اعتدالها فاقترب منها وناداها بصوت خفيض . فظنت انه سائل او مريض واقتربت منه لتعطيه صدقة ولكنها ما كادت ترى صورته حتى حسبته شيطاناً من الشياطين واسرعت الى مضرب ابيها حماد بن حسان وهي تصرخ وتستعيذ من الشيطان وعندئذ اسرع دثار وسرق الجواد وعاد وفي قلبه لهب من عشق هذه الجارية التي ملكت منه الفؤاد .

قال الراوي : فتعجب عنترة من هذه القصة وقال لدريد : أتم حكاية العبد ، فقال دريد : ومضت أيام والعبد دثار لا يأكل ولا يشرب ولا ينام وقد أضناه العشق وبراه الغرام فلما سألته عن حقيقة الحال قص علي ما ذكرته لك وأخذ في البكاء والانتحاب فطيبت خاطره ووعدته بان ارسل الى حماد بن حسان اخطب له منه هذه واوفدت بعض الاعيان فذهبوا الى حماد وخاطبوه في هذا الشأن ، ووصفوا له محاسن دثار وما هو عليه من القوة والاقتدار فقال لهم حماد : هذه الجارية ابنتي سعاد ، وقد رضيت بما طلبه دريد والله على ما أقول شهيد وعندئذ سمع القوم صوت الجارية تبكي من وراء الخباء وتقول : ماذا أصابك يا أبي حتى تزوجني عفريت أو غول ؟ فلما سمع أبوها خطابها ورأى حزنها واكتئابها قال لها : لقد بلغني من رسول دريد أن دثار من أجمل أهل زمانه وأوحد عصره وأوانه فلماذا تذمينه وأنت لا تعرفينه ؟ قالت : لقد كذب عليك الرسول وأنا رأيت وجهه في تلك الليلة كأنه الغول ، وإذ زوجتني اياه قتلت نفسي اوهمت على وجهي في الفلاة وعندئذ التفت ابوها الى رسول دريد وقال له : عد الى مولاك دريد وقل له : ان حماداً أجابك إلى ما تريد غير ان الجارية وقع في قلبها في دثار خوف شديد وهو يرجوا ان ترسل الغلام ، مع جماعة من قومك الكرام ، حتى تراه سعاد فان كان مثلما وصفتموه زوجناه وان كان غير ذلك ، فعذرنا لديه واضح .

قال الراوي : وأخذ دريد يسرد بقيه القصة على عنترة قال . فلما جاءني الرسول بما قال حماد ركبت مع الانفار من ذوي القدر والاعتبار وسرنا نقطع البراري والقفار حتى وصلنا إلى تلك الديار . ولما علم حماد بقدومنا ، خرج للقائنا وبعد

التحية والسلام انزلنا عنده وأكرمنا غاية الاكرام ، وكان دثار إلى جانبي وكأنه العروس وعليه ثياب من افخر الملبوس وكانت سعاد الى جانب أبيها في زي الرجال وهي تجول بعينيها بين الابطال فلم تر أحسن من دثار باهر الجمال رائع الوقار فقالت لابيها : (ان كان هذا هو خاطبي فأهلا وسهلا به يا أبي) فتقدم أبوها الي في الحال فقال لي (ايها السيد المفضال بن دثار من هؤلاء الابطال فأشرت الى دثار فخرج من بين الرجال كأنه الاسد الرئبال ووقف في مقام العرض وأطرق برأسه إلى الارض ثم قال لحماد (ايها السيد الجليل انا عبدك الذي جاء لابنتك خاطباً طالباً فان رضيتني لها بعلا فقد اخترت من كان لها اهلا) فقال حماد (اهلاً بك وسهلاً لقد رضيت بك لابنتي بعلا) ثم نحر النوق والجمال والاغنام واكرمنا سبعة ايام وزفت سعاد الى دثار وودعنا ابوها عند عودتنا إلى الديار) .

الفارس الملثم

واستمر دريد يقص على عنترة قصة دثار : (وسرنا عائدين بالعروس وقد صفت منا النفوس ولما اوغلنا في البراري والقفار ، رأينا عباراً من أمامنا قد ثار فتهيأنا للقاء القادمين ووقفنا في انتظارهم متحفزين ولما اقتربوا تبيناهم فاذا بهم الف فارس من بني الحارث كانوا قد كمنوا لنا في هذه القفار ليغيروا علينا لما لهم عندي من الثأر فدار بيننا وبينهم قتال وعراك حتى تناثرت الجثث هنا وهناك وعلى الرغم من كثرة الاعداء فقد ابلينا في قتالهم أحسن البلاء ولما طال القتال تضعضع عزم الرجال ، واحاط بنا الخصوم حتى توهمنا أنهم بعدد النجوم وعندئذ فضلت الموت على الهرب وايقنت ان الاجل قد اقترب فخضت فيهم كالمجنون واستعملت في قتالهم سائر الفنون حتى كل ساعدي وخارت قوتي واذا بي اراك تأتي لنصرتي فشكراً لك يا ابا الفوارس ولا عدمناك وها هو دثار يمشي الى جانب عروسه هناك . وكان لدريد مكان تتدرب فيه الفرسان وتقصد اليه الشجعان ويعتزوا بالمبارزة بالسيوف واللعب على ظهور الخيـــل وهم وقوف ، وبينما كان القوم يتبارزون في هذا المكان اذ نزل شاب طويل الباع . عريض الاكتاف والاضلاع ، فلاعب الفرسان وفاز عليهم أجمعين . وقهرهم حتى انتزع اعجاب الحاضرين ، ثم تقدم من عنترة وقال معتذراً يا أبا الفوارس ويا زين المحافل والمجالس فقد أسأت الادب بين يديك وتعديت عليك : ثم مال عنترة على دريد وسأله عن هذا الفارس ، فقال دريد انه غلام من أقرب الاحباب وهو من بني عمومتنا الانجاب ، واسمه خفاف بن ندبة ، جميل الخلق لطيف الصحبة وقد نشأ فارساً



شجاعاً وبطلا مناعاً وكان عبداً فالحقناه بالنسب لما اشتهر به من الشجاعه بين العرب فقال عنترة : والله ان قصته مثل قصتي وصفته مثل صفتي فقال دريد : نعم وكما أن لك عدواً هو الربيع بن زياد فان له عدواً يكرهه دون سائر العباد والعدو الذي يكرهه دون سائر الناس اسمه العباس بن مرداس . وفي اليوم التالي بينما كان الفرسان يلعبون في تلــك الساحة وكان خفاف بينهم يباريهم وينازلهم ويجاريهم ويتفقون عليهم في طرد الخيل والطعن بالرمح واذا بفارس غريب عليه زي عجيب

ذي هيبة ووقار وثياب تلفت بجمالها الانظار قد نزل الى الساحة بين الفرسان وعلى وجهه لثام ولما صار وسط الفرسان لعب بالسنان حتى حير عقول الشجعان ثم جرد سيفه والقي به في الهواء وانطلق بجواده وعاد مسرعاً كلمح البصر فتلقى السيف من الهواء قبل ان يقـــع في حركة سريعة وخفة بديعة ثم رد السيف الي ونادى في الفرسان دونكم وساحة الميدان فبرز له فارس مهول شديد العرض والطول فتباريا لحظة قصيرة هزمه بعدها الفارس الغريب ثم طلب منازلة غيره فكان كلما خرج له فارس لم يلبث امامة الا لحظات ينتهي بعدها الى الهزيمة واخيراً نادى الفارس الغريب وقال ابرزوا ايها الفرسان والابطال فان لم يكن فيكم واحداً كفئا فليبرز لي عشرة رجال فاني لا أرى فيكم من يباريني ولا أحد بينكم من يستطيع أن يحاربني » وما كاد ينتهي من كلامه حتى برز اليه خفاف بن ندبة واخذ يجول على جواده جولات انست الحاضرين جولات الفارس الغريب ثم تقدم منه خفاف وقال له (قد جاءك من ينسيك الغرور ويخرجك من هذه الساحة وانت مقهور) وعندئذ صاح الفارس الغريب وشتم خفافاً بأقبح الشتائم وقال له « ارجع يا ابن السواد فاننا لم نفرغ من منازلة السادات حتى تبرز لنا العبيد » ثم كشف عن وجهه اللثام فاذا به العباس بن مرداس فاستشاط خفافاً غضباً واشتعل فؤاده لهبا وهجم على العباس بقلب كالحديـــد وبارزه بالسيف مبارزة الخصم العنيد .

قال الراوي : وكان دريد وعنترة يشاهدان ما يجري في هذه الساحة فلما رأى دريد ما جرى بين خفاف والعباس ، خاف من عواقب الامور وقام من جانب عنترة كالليث الجسور ونزل الى الميدان وصاح في الفارسين ان يكفا عن القتال ، وأقلعـا عن النزال ، والا فرقت بينكما بهذا الحسام فتوقفا عن الصدام ، وانفض الامر بينهما بسلام . ولما جاء المساء سطع القمر في كبد السماء ، جلس القوم في نوره يتسامرون ويغنون ويرقصون وكان دريد جالساً مع عنترة على مائدة الطعام وأمامهم الوان شهية ومدام ، واذا بفرسان قد اقبلوا لهم صياح وهم يهزون في ايديهم الرماح ولما اقبلوا من دريد تقدموا اليه وسلموا عليه وقالوا له : (يا أبا النظر ادرك العباس وخفاف ، فقد وقع بينهما الشقاق والخلاف ، وانقسمت القبيلة الى قسمين ، وعمل السيف بين الفريقين ، وإن لم تدارك الامور ، تطورت الى شر من أفظع الشرور ! فقام دريد في الحال وركب وركبت معه الأبطال ، واتجهوا الى منازل بني سليم ، واذا بالقتال محتدم والشر محتكم ،فنزل دريد ومن معة وأوقفوا القتال وفرقوا بين الرجال ووبخ دريد الشبان والجهال وفض المعركة على أحسن حال .

امامة بنت همام

قال الراوي : ودخل خفاف على أمه في أشد الغضب فلما رأته كذلك سألته عن السبب ، فقال لها : ان العباس بن مرداس قد شتمني بين الناس ولولا أن منعني سيدي دريد ، لقتلت العباس دون أن يبدي او يعيد » فقالت له : « يا بني لا تعبأ به فانه يحسدك على ما انت عليه من الشجاعة ، وما شهدت لك به الابطال من البراعة وانا أشير عليك بأمر إذا فعلته ، هزمته وقهرته » ، قال وما هو هذا الامر ؟» قالت أعلم أن في بني النصير ، جارية كأنها البدر المنير ، اسمها « امامة بنت همام » إذا رآها العابد افتتن بها وهام ، وأن العباس يحبها ويهواها ، ولا ينام الليل من لوعة هواها ولكنه من شدة تكبره على أبناء جنسه يترفع عن أن يخطبها لنفسه وينتظر أن يأتي أبو الجارية اليه ، ويعرض ابنته عليه ، فاذا خطبتها أنت انفطرت مرارة العباس ، وفقد العقل والاحساس وصار اضحوكة بين الناس . فلما سمع خفاف هذا الكلام خف ما كان به من الغيظ والاضطراب وصبر حتى انجلى الظلام واجتمع بشيوخ قومه الكرام وطلب منهم أن يسيروا معه الى همام ، حتى يخطب ابنته وينال بغيته فأجابوه الى ما طلب وساروا معه حتى وصلوا الى ديار همام ونزلوا عليه فأكرمهم غاية الاكرام ثم نهض خفاف وقال له : (اعلم أيها السيد العظيم أنني جئت خاطباً ولابنتك راغباً فلا ترد من رغب فيك . ولا تخيب آمال قاصديك فاذا قبلت أن تزوجني بالصبية فمهرها عندي الف ناقة حجازية وعشرة رؤوس من أفضل الخيول العربية) . وبينما كان خفاف في هذا الحديث إذا بالعباس قد دخل وسلم وجلس بين الناس وقد عرف سبب قدوم خفاف فالتفت الى ابي الجارية وقال له : يا همام ... لا تزوج ابنتك بهذا الغلام ، فقد أتاك من هو أشرف منه وأرفع منزلة) فلما سمع الحاضرون ذلك المقال تملكهم الغيظ ووقف خفاف وفي فؤاده نار مشتعلة وقال للعباس : (لا تتكلم في هذا الشأن ، فقد سبقك اليها من أولى بها منك) فقال العباس هازئاً (ومن يكون هذا الرجل ؟) فقال خفاف (انا ... انا خفاف بن ندبة ، صاحب المنزلة رفيع الرتبة والمقدم في كل مقام) فصرخ فيه العباس اسكت يا قليل الأدب ويا أخس عبيد العرب) وعندئذ تحول الضياء في عيني خفاف الى ظلام وقام على قدميه وجرد الحسام وقال للعباس : « ليس لك عندي مرد باللسان ، وانما الرد في ساحة الحرب والطعان » . ثم انهما خرجا من دار همام وابتعدوا عن الخيام وركب مع كل منهما رجاله وتجمع حول فرسانه وابطاله ، وبدأ القتال ، واشتد

النزال ، واصطدمت الرجال بالرجال ، وتحولت الارض الى مسرح أهوال . وقبل ان تمضي ساعة كان الخبر قد وصل الى دريد فركب هو وعنترة ومقري الوحش وسائر الرجال وقصدوا الى بني النضير حيث ساحة القتال وبذلوا كل جهد حتى فرقوا الابطال ، وحاولوا دون هذا الشر والوبال . وأراد دريد أن يقبض على العباس وخفاف ، ويوثقهما حسماً للخلاف فنهاه عنترة عن ذلك وقال له : (اذا فوضتني في أمرهما كفيتك شرهما) فقال دريد : افعل ما تراه فالتفت عنترة الى الحاضرين وقال : يا وجوه العرب وسائر الرجال لقد فوضني عنترة في تسوية هذه الحال فان رضيتموني حكماً حكمت بالعدل والقسطاط فلا اميل نحو خفاف ولا اميل مع العباس ، فقال رضينا حكمك يا أبا الفوارس فقال : « إذن اذهبوا الآن واطلبوا الرقاد ، وغداً يفعل الله ما أراد لأني سأرجىء الحكم الى الصباح كي تخمد الاحقاد » .

قال الراوي : وفي صباح اليوم التالي حضر العباس وخفاف ، وتوافد السادات والأشراف ولما اكتمل الاجتماع ، تكلم عنترة وانصت القوم للاستماع والتفت عنترة الى خفاف وقال له : (ما سبب هذا النزاع ؟) فقال خفاف : (لقد خطبت ابنة همام ، فأجابني وكاد الأمر ينتهي بسلام ثم جاء العباس بن مرداس واعتدى علي بين الناس ، وعيرني بسواد جلدي ، وشتم أبي وجدي) . فضحك عنترة وقال : (لقد نطق بالصدق وتكلم بالحق ، فان سوادك ظاهر ولا تستطيع أن تستره ، ولا ان تنكره واذا كانوا قد عيروك بالسواد مرة ، فقد عيروني الف مرة ومع هذا فلم اغضب لأن السواد اختيار من الله) . ثم التفت الى العباس وقال : (وانت يا عباس ماذا أغضبك على خفاف ؟) قال : (أن خفافاً لا يقاس بي ، وليس أبوه كأبي حتى يجرؤ على ان يخطب من خطبت ، ويطلب من طلبت) . فقال عنترة : (لا تتكلم بهذا الكلام يا عباس ، ولا تتكبر على أحد من الناس ، ودع الكبر والخيلاء ، والغمز بالأمهات والآباء واعلم انه لا يزري بالرجال ، الا البخل والخوف في ساحة القتال وهاتان الصفتان بعيدتان عن خفاف ، والرأي عندي ان تترك الأمر لهمام ليختار منكما لابنته من يختار ، فهل تقبلون هذا الحكم ؟) قالا : (نعم نقبله) ... وعندئذ قال همام : والله يا أبا الفوارس لقد وضعتني في مأزق شديد الضيق وسددت علي كل طريق ، فهذا خفاف فارس نال الفخر بذراعه لا بحسبه ونسبه و كثرة أتباعه ، وهذا العباس فارس مغوار ، منيع الجانب عزيز الجانب ، فوق ماله من حسب ومال ، ونسب يعز على كثير من الرجال فاعفني من هذا الاختيار ، فانه أشق علي من القبض على النار . فتحير دريد وتملل ، وقال لعنترة

انظر ماذا نفعل . وابحث عن حل غير هذا الحل ! فابتسم عنترة وقال : (سأفعل ما تقول ، فعندي كثير من الحلول فلنترك الحكم الآن لامامة لتختار من الفارسين من الفارسين من تراه أهلا لها ، ومن ترضي بأن يكون بعلها) فوافق الجميع على هذا الرأي . ووقفت امامة خلف الخباء ، وسألها عنترة أي الرجلين تختارين ؟ فقالت (لن أقول ما أريد حتى يعدني دريد تنفيذ ما أريد) فوعدها دريد بذلك فقالت امامة (كلا الرجلين صاحب كرامة ، وبطل يستحق أن تعقد له الزعامة وانا لا أريد العباس ولا خفاف حتى أفض ما بينهما من خلاف ولن اتزوج أحدا منهما حقناً للدماء ، فليختر كل منهما من الزوجات من يشاء) .

وعندئذ فرح القوم بهذا القرار . واستبشروا غاية الاستبشار وبعد ان اقاموا عند هام عشرة ايام وعادوا متصلبين الى الديار . وبينما هم في الطريق اذ اقبل عليهم خمسة فرسان ينهبون الارض بخيولهم . فلما اقتربوا تبينهم دريد فاذا هم من رجاله الذين تركهم في دياره فسألهم : (الى اين انتم ذاهبون) قالوا : (جئنا نبحث عنك . لنخبرك بما جرى على قومك في غيابك . لقد دهمنا بنو عبس وعدنان وفزارة وذبيان. سلطهم علينا الملك قيس فسبوا الحريم والاولاد . وامنعوا في ارضنا بالتخريب والافساد . وقتلوا منا خمسمائة فارس ومائتي جواد) ، فلما سمع دريد ذلك تطاير الشرر من عينيه ، وسأل الرجال عن أخيه الامير خالد وماذا فعل فقالوا (لقد أخذوه أسيراً ، بعد ان دافع دفاعاً كثيراً فقال عنترة (ومن النساء اخذوهن سبايا) قالوا : فليفرحوا قليلا وعما قريب سنزيد لهم الصاع صاعين) ثم التفت الى دريد وقال : (والله يا ابا النظر ما عدت اجاور قومي ولا اعاشرهم ولا اعدهم الا من جملة الاعداء) .

قال الراوي : وكان السبب في ذلك الهجوم الا ان الربيع بن زياد بعد ان رحل عنترة مطروداً صار يوغر صدر الملك قيس عليه وزين له قتله حتى لا تطالبهم العرب بثأر من قتلهم عنترة ، وقال له : (ان دريد غائب عن الديار ومعه فرسانه وليس في الحلبة الا عنترة وقلة من آل قراد ، والفرصة سانحة للهجوم عليه ، واسره من غير قتال) فأرسل الملك قيس جيشاً من بني عبس وعدنان وفزارة وذبيان ، فلم يجدوا الا الامير خالد الذي دافع عن عشيرته دفاع الابطال حتى اخذوه اسيراً كما سبق القول .. والآن نعود الى سياق الكلام فان دريداً وعنترة لما سمعوا ما جرى على قومهم اسرعا بمن معهم في المسير ، فلما وصلوا الى الديار وجدوها تضج بالبكاء والنحيب فظل عنترة ومقرىي الوحص ليلتين لا يذوقون فيها طعاماً ولا مناماً حزناً

على زوجتها ، وفي الليلة الثالثة زاد الشوق بعنترة واقلقه الوجد والسهر وقال لمقري الوحش : (ويحك فارس الشام الى متى هذا القعود في الخيام فهلم بنا حتى نسير الى خلاص الحريم ، ولا تتكل على غيرنا في لقاء الغريم) فقال مقري الوحش : افعل ما بدا لك فاني لا اخالف مقالك ثم وثب كل واحد منها الى ظهر جواده بعد ما اعتد بفدة حربه ، ولم يعلم بها غير الامير شـــداد وتمام المائة فارس من بني قراد فساروا معها تحت أستار الظلام ولما تبطنوا البراري والآكام وبعدوا عن الخيام زاد بمقري الوحش القلق ، والشوق والارق ، وقد تذكر زوجته (مسيكة) وولده (صبيع اليمين) وما جرى عليها من المحن فأنشد يقول من فؤاد مبتول :

ما بال ربعك يا مسيكة قد خلا وبوحشه بعد الانيس تبدلا
بالامس كان محل غزلان النقا واليوم تحجل فيه غربان الفلا
كحلت أجفاني بكحل بزابه لما ذكرت به الغزال الا كحلا

فلما انتهى الوحش من هذا الكلام زاد بكاه وهاجت نيران جواه ، فأشفق عليه عنترة ونهاه وقال له : (لا بد أن نخلص أبنك وزوجتك ونأخذ لك بالثأر ، وتفعل كما تحب وتختار ، ومن الصواب أن تطيل صبرك ، وتشرح عند الملمات صدرك ، واذا أردت أن تبرد بالشعر والشكوى نيرانك ، فاذكر سيفك وسنانك ، لانهما اعدل الحكام ، وأفضل من كل مقام ، واعــلم أن ذكر الاطلال البالية والمنازل الخالية ، لا يصلح الا للكواعب والاتراب ، خلف الحجاب ثم انهم جدوا في قطع البراري والفلوات واذا بغبار قد ظهر من خلفهم وكان هذا الغبار غبار دريد بن الصمة وقد لحق بهم في عشرة آلاف فارس لانه كان قد عول في اليوم الثالث على المسير ، في هذا الجمع الغفير فطلب الامير عنترة فلم يقف له على خبر فعلم أنه قد سبقه وسار ليأخذ بالثأر ويطفي ما بقلبه من لهيب النار ، فتعجب من علو همته وشده نخوته ، ثم صاح على الفرسان والابطال ، ومن يعتمد عليهم من الرجال ، كونوا على أهبة القتال ، وما انتصف النهار حتى استعدت الشجعان ، وتلاحقت الفرسان وتبادروا اليه من كل جانب ومكان ، وركبوا الخيول وركب دريد ، وهو غائص في الحديد مسربل بالزرد النضيد ، ونشرت على رأسه الرايات . ومن حوله القواد والسادات . وسار بهذا الجيش ليلحق بعنترة حتى ادركه ، ولما اجتمعوا ببعضهم البعض في تلك الارض ، عتب دريد على عنترة بن شداد . لمسيره في حالة الانفراد . فقال له عنترة (والله يا ابا النظر لقد اتعبناك بنزولنا في ديارك وارهقناك وشغلنا افكارك فقال دريد : ما هذا المقال ، فوحق من يعلم وزن الجبال ، وكم فيها من ذرة ومثقال ،

ان هذه الامور لم تخطر لي على بال ، وقد مارستها وأنا صغير . وعرفت القليل منها والكثير . ثم انهم نزلوا في تلك الساحة ، بقدر ما أخذوا لانفسهم من راحة وبعد ذلك ركبوا ظهور الخيل والمهار ، وجدوا في قطع القفار والاودية والاوغار ، طالبين حي بني عبس وتلك الديار .

قال الراوي : وكان بنو عبس وذبيان . وفزارة وغطفان في انتظار عساكر النعمان . وكانوا قد استعدوا غاية الاستعداد ، وجعلوا على الطرقات العيون الارصاد فبينا هم في الانتظار ، اذ بلغتهم الاخبار بقدوم زيد وعنترة في ذلك الجيش والعسكر ، فاضطرب الملك قيس وحار . خوفاً من الدمار . واجتمع بمن له من الاصحاب والاحلاف والاحزاب وقال لهم وحق رب الارباب ان هذا الامر لم يخطر لنا في حساب . وما كنت اظن ايها السادة الانجاب . ان عنترة يخرج من بلاد اليمن وارض شريف ، ويقصدنا بهذا الجمع المخيف والابطال الغطاريف ونحن الى الآن لم تصل الينا عساكر النعمان وانا اعلم ان مثل عنترة لا يضام ولا يقهر ، ثم انه احضر سنانا وسادات بني فزارة وحدثهم بتلك العبارة فعظم عليهم الخوف والفزع . وخاب منهم الرجاء وانقطع . وقال ان سنان وحق الملك الديان ما بقي ينجينا غير الخداع والا بلينا بمصائب ليس لها اندفاع ، ونهب اموالنا وسبيت حريمنا فلما سمع الملك قيس ذلك قال له وكيف تكون الخديعة فقال سنان : اول ما نعمل من الاعمال نرضيهم باعطاء الحريم والعيال وتسليم الاموال من دون حرب ولا قتال واتقدم انا وانت في اول الابطال ونلتقي عنترة بالترحيب والاكرام ونقول له اننا ما قصدنا الى تلك الديار الا لكي نطلب منك السماح والغفران ونردك الى الاهل والاوطان لاننا عاملناك اسوأ معاملة ، وبادءناك بكل عمل بعيد عن المجاملة وقد اصبحت ارضنا بعدك بلا نصير وطمع فينا كل مكار شرير وقد رضينا ان ترجع معنا الى الاطلال حتى يهبك دم من قتل لنا من الرجال لان جورك علينا احب من عدل غيرك الينا واننا لما وصلنا الى ديار بني هوازن وتلك المنازل والاماكن بلغنا انك في بلاد اليمن مع دريد بن الصمة فصعب ذلك علينا وكبر لدينا فاجمع رأينا على أخذ عبلة ومن معها من نساء الحلة حتى اذا رجعت من بلاد شريف وسمعت بهذه الجرأة والجسارة تتبعنا الى الاطلال وانت ممتلىء غيظاً وحنقاً ونلقاك نحن بهذا الملتقى ويعود شملنا الى الالتئام ، فان خدعه هذا الكلام ونزل عندنا وطلب المقام باغتناه هو ومن معه في المنام ، ووضعنا فيهم الحسام ونهبنا الاموال والخيام ، وبلغنا غاية المرام وان لم ينطل عليه هذا المقال فهو يستحي ويرجع عنا في الحال .

ويقنع برجوع عبلة ومن معها من الحريم والعيال ونكون قـد راضيناه بالمكر والاحتيال ، احسن من ان نلقاه في الحرب والقتال ، لانى اعرفه انه قوي الجنان غير انه شديد الحياء دون كل انسان . فلما سمع قيس من سنان هذا الكلام ، ابدى الضحك والابتسام وقال له : وحق البيت الحرام ان هـذا الحديث لن ينطلي على عنترة ولا على غيره من البشر ، وان سمعه هو ودريـد ورجعا فما يكون الا حياء منها لا فزعا فقال له سنان : دعه فليكن كيفما كان اذ ليس قصدنا الآن الا المهلة حتى تصل الينا عساكر النعمان مع حسن بن حذيفة ، والربيع بن زياد ، وبعد ذلك نتبعه بالجيوش والاجناد ولو طار الى آخر البلاد ولا ننزل حتى نبلغ منه المنى . ونهب جسده باطراف القنا . فقال قيس « افعل ما بدا لك ، فما فينا من يخالف مقالك ، فرجع الشيخ سنان وهو مسرور فرحـان وأمر العبيد ان تنحر النوق والأغنام ، وتذوق المدام وتطهو الطعام . ولما اقبل الصباح واشرق بنوره ولاح ، اشرف عليهم الامير عنترة ودريد بن الصمة في سائر العسكر ، وكان القوم قد لبسوا السلاح ، واعتدوا للحرب والكفاح ، وارتفع منهم الضجيج والصياح واراد سنان ان يسبك الحيلة ، فأخرج كل امرأة وفتاة جميلـة وفي ايدهن الدفوف والمزاهر ، وقد البسهن ألواناً تدهش النواظر وتذهل العقول والبصائر وقال لهن ازعجن الدفوف غاية الازعاج ، واظهرن الفرح والابتهاج وارفعن اصواتكن بالغنـاء والنشيد . فضربت النساء بالدفوف ورفعن اصواتهن بالغناء حتى بانت الاعلام والرايات وكان عنترة في مقدمة العسكر ينظر من يقدم عليه او من بني عبس اليه ، فلم ير غـير المولدات وهن يضربن بالدفوف من سائر الجنبات ويمدحنه بتلك الابيات فأخذته الحيرة والتفت الى مقري الوحش وقال له : اني والله اخشى ان يكون قومنا قد زوجوا نسائنا الحرائر لغيرنا من سادات العشائر فضحك مقري الوحش من هذه العبارة وقال له : (جزاك الله خيراً على هذه البشارة) وبينما هم كذلك واذا بالملك قيس قد أقبل ومن حوله الابطال والفرسان والى جانبه الامير سنان وجميعهم بغير سلاح ولما اقتربوا من الامير عنترة ترجل الملك قيس ومن معه من العسكر وتقدم اليه سنان دون سائر الفرسان وقال له بمكره ودهائه (كنت تقول يا ابا الفوارس انه لاتنطلي عليك المحال فها قد اعدناك الى الاطلال بالخديعة والاحتيال ، ووهبناك ما فعلت في حقنا من قبيح الفعال . ونحن نسـأل الاله المتعـال ان يحفظك على كل حال لاننا لا نستقر بأمان ، ما لم تكن معنا في الاوطان) . ثم انه اخذ يخادعه بزخاريف الاقاويل حتى حار عنترة واندهل ولم يعلم ما يقول ويفعل ، ومن شدة

الحياء والخجل رد عنان الحصان وعول على الرجوع من الاوطان واذا بأخيه شيبوب تقدم الى سنان وقال له (يا شيخ الضلال ومعدن الخبث والاحتيال قد ذكرت الآن امام السادات والفرسان انكم ما سبيتم حريمنا والعيال الا لنعود اليكم فاذا كان الامر كما ذكرت فما هو ذنب دريد بن الصمة حتى قتلتم رجاله وسبيتم حريمه وعياله وانا اعلم يا ابن اللئام انك ما تكلمت بهذا الكلام الا من شدة الفزع والخوف وسوف نرد كيدك في نحرك وتندم على عاقبة غدرك فقال سنان لشيبوب (والله يا اخي ما تعرضنا لنساء دريد الا لكي يأتي مع اخيك الى هذه الديار ويخدمه في الليل والنهار لأجل ما فعل مع اخيك من الجميل والاحسان الذي يقصر عن وصفه اللسان امـــا تعرضنا لفرسانه وجنوده واعوانه فما كان ذلك باختيارنا ولا خطر في افكارنا وانما هم تبعونا فنشب بيننا القتال على اننا لن نجعل دريد في حل من اطلالنا حتى نحمل اليه دية اصحابه ونسامحه بدم رجالنا لأنه رجل رفيع المقام حري بالتوفيق والاحترام)
فلما سمع دريد من سنان هذا الكلام اخفي ما بقلبه من الكمد وأظهر الصبر والجلد وعلم انهم عجزوا عن الحرب والاعتقال وما تكلم سنان الا بالزور والاحتيال وأبصر الامير عنترة قد هم بالرجوع من شدة حيائه فارتد هو ايضاً وقال لعنترة : (لو كان غير قومك فعلوا معنا هذه الفعال لأنزلت بهم الهلاك والوبال فقال عنترة (والله انهم يستحقون مثل هذا واكثر ولكن من القى سلاحه حرم قتاله والآن ما دمنا قـــد بلغنا من خلاص اموالنا ما نريد ورأينا سادات قومنا بين أيديك مثل العبيد فلنبتعد عنهم ثم التفت الى اخيه شيبوب وقال له : (اذهب الى الملك قيس وقل له ان يرسل حريمنا الينا وان حيلة لن تنطلي علينا) فامتثل لما امر وفعل كما ذكر وامر دريد فرسانه بأن ترد المواكب وابتعدوا ونزلوا على بعض الغدران وما قر بهم القرار في ذلك المكان حتى جاءهم المال والحريم والعيال فالتقى كل واحد بحريمه واولاده ولقد خمدت نار قلبه وفؤاده واجتمع مقري الوحش بولده وزوجته مسيكة واجتمع عنترة بعبلة وبعد ذلك وصلت اليهم اسمطة الطعام والمدام فردوها وركبوا ظهور الخيل وساروا تحت جنح الليل طالبين ديار بني هوزان .

تكاثر الاعـــداء

ظلوا سائرين اربعة ايام وهم يقطعون والفيافي والأكام وفي اليوم الخامس عنـــد طلوع النهار بان لهم غبار فوقف دريد وعنترة مع باقي العسكر واذا بغبار آخر قـد اسودت به البراري والقفار ثم انكشف للعيون والابصار وبانت من تحته اعـــلام

عراقية وبيارق كسرويه ورايات نعمانية ورماح سمهرية وسيوف مشرقية بأيدي فرسان من تحتهم الخيول المضمرة العربية واذا بغبرة ثالثة قد ظهرت من جوانب الصحراء، تكشف عن ابطال وفرسان على خيول اخف من الغزلان ، وفي أياديهم السيوف القواطع ، والأسنة اللوامع وسمع عنترة ودريد صياح القوم وهم يقولون الى اين انتم سائرون يا انذال العرب ، ويا بنو فزارة وراء كم في الطلب ؟ اننا لم نسلمكم الاموال والحريم والعيال الا ريثما تكون قد وصلت الينا عساكر النعمان . وكان السبب في مجيء عساكر العراق هو الربيع بن زياد ، معدن الشر والفساد ، لأنه ذهب الى الملك النعمان مع حصن بن حذيفة ، وجماعة من الفرسان ، ليطلبوا منه الامداد في قتل عنترة بن شداد فلما وصلوا اليه ، وسلموا عليه وتمثلوا بين يديه ، فرد عليهم السلام واجلسهم في صدر المقام ، واكرمهم غاية الاكرام ، فقال الربيع : اعلم ايها الملك الهمام اننا ما اتينا الا خوفاً على انفسنا وعليك لأنه لا يخفى عليك حفظك الله وأبقاك ، ان عنترة من عظم تكبره وجهله وتجبره ، قد رحل من الاوطان الى ابعد مكان ، والتجأ الى من هو أحمق منه واشد جهلا واجبر منه واقل عقلا ، هو دريد بن الصمة الذي اتصف بالشجاعة وعلو الهمة ؛ وتفرد بالعمر الطويل ، واستطال على كل جيل . وقد ذللنا له ولعنترة خوفاً من الاذى والضرر ، ومنذ أيام ارسل الينا يتهددنا بالكلام ويقول لنا اعلموا يا بني عبس وعدنان ومن جاوركم من العربان . اني من الآن وصاعداً ما اراعي احداً ، لا شريفاً ولا اميراً ولا سيداً ولا وزيراً . ولا ملكاً جليلا ولا فارساً نبيلا من يأتي ويقدم علي ، ويقبل يد دريد ويخدمه ، ويجل قدره ويعظمه ويخضع لأوامره وان يكون حكامه جملة اعوانه وخدامه ، لأني عولت بمشيئة الرحمن أن أقيمه ملكاً على العربان ، مكان الملك النعمان وان تعصب له كسرى أنوشروان ، زلزلت على رأسه الايوان وهدمت بيوت النيران ، الحرب على قدم وساق ، وفتحت بسيفي بلاد العجم ، واقيم دريدا مكان كسرى ، ولو جرى مهما جرى لأنه يصلح لمثل هذا الحال ، لما فيه من العقل والكمال . وعلو الهمة وحسن الخصال فهلموا الى خدمته بسلام ، والا وحق البيت الحرام ، وزمزم والمقام قصدتكم تحت جنح الظلام وانتقمت منكم غاية الانتقام ، فلما بلغتنا هذه الرسالة وفهمنا ما فيها من تهديد ، خفنا أن نسير اليه ، لكثرة العرب الملتفين حوله ، ومن شدة خوف الملك قيس على نفسه وعليك،فاننا اليك انقدنا، وها نحن بين يديك . فلما سمع النعمان من الربيع هذا الكلام ، استشاط غضباً واهتز على سرير ملكه ، ومال وصدق هذه الاقوال ، والتفت الى من حوله من الحاضرين

وقال : وحق ذمة العرب الاخيار ، اني سمعت عن دريدهذه الأخبار جملة مرات وما دام الامر على هذه الحال لم يبق للسكوت مجال ثم ان الملك النعمان بعد هـذا الكلام التفت الى أكابر دولته وعظماء عشيرته ، واستشارهم في قضيته فقالوا : اعلم أيها الملك الكبير صاحب التاج والسرير . ان للملكة شروطاً لا تهمل والا وقع بها الخلل وتغلبت عليها المحن كسائر الدول: وهو بذل السيف فيمن طغى واقامة الهيبة على من عصى وبغى ومن الصواب ان ترسل الى هؤلاء القوم جيشاً كثير العدد حتى تبلغ الارب من دريد وذلك العبد الذي طغى وتمرد ، وبذلك تتأدب سائر القبائل . فلما سمع النعمان منهم هذا الخطاب رآه عين الصواب ثم انه اكرم القوم غاية الاكرام واضافهم عنده ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع امر سادات العشائر وقـواد الجيوش والعساكر فجمعوا من يعتمدون عليه من الابطال وصناديد الرجـال وفرسان المعارك والقتال فكانوا نحو مائة الف رجل من كل بطل مشهور وفارس مذكور ولما اكتمل العدد عقد لواءهم لأخيه الملك الاسود وعمرو بن هند السيد الامجد وامر آخاه الاسود ان يسير مع الربيع بن زياد في صحبته من الرجال الأجواد ويضع السيف فيمن طغى وتجبر ويأتيه بدريد وعنترة وانه كلما مر على قبيلة يأخذ منهـا عددا من العساكر والاجناد على سبيل المساعدة والامداد فامتثل الاسود وسارت الجيوش وقد ارتجت بهم الاراضي والسهول وكان الربيع بن زياد من افرح العباد لأنه ايقن ببلوغ المراد من دريد وعنترة بن شداد .

ولم يزالوا سائرين يقطعون الفيافي والآكام مدة تسعة ايام ، وفي اليوم العاشر وصلوا الى ديار بني عبس وهم في مائة وعشرين الف مقاتل وامتلأت بهم الروابي والبطاح وسدوا منافس الهواء باسنة الرماح وكان وصولهم بعد مسير دريد وعنترة بيوم واحد فاستقبلهم قيس وسنان مع جماعة من العظماء والاعيان وانزلوا اخاه النعمان ومن معهم من اكابر الفرسان في اعز مكان ونحروا لهم النوق والحملان ولما نزلوا في الخيام واكلوا واستراحوا اجتمع قيس بعمرو بن هند والملك الاسود وحدثهما بما جرى وكيف انهم اغاروا على بني هوزان وقتلوا الرجال ونهبوا الاموال وسبوا الحريم والعيال في غياب دريد وعنترة وكيف قصدهم دريد وعنترة بالابطال والفرسان وأعادوا عليهم القصة بالتمام والكمال وكيف انهم مدوهم بالمكر والاحتيال خوفاً من الحروب والقتال فلما سمع الاسود ذلك المقال التفت الى الملك قيس وقال وكم كان عدد هؤلاء الانذال ؟ قال : « نحو عشرة آلاف من الفرسان فضحـك الملك الأسود وقال : غداً ندركهم في الطريق ونعدمهم السعادة والتوفيق . ولما كان

اليوم الثاني اجتمع الربيع بن زياد بالملك الاسود وقال له اعلم ايها الملك المؤيد ان مرادي ان أسبقكم مع جماعة من شجعان العسكر لأعطل سير دريد وعنترة وأمسك عليهم الطريق حتى لا يهرب منهم هارب فقال : افعل ما تريد بلغك الله النصر والتأييد فركب في جموع بني فزارة . واخذ في صحبته نحو عشرين الف فارس من شجعان الفرسان وجد في قطع الفيافي والكثبان ثم ان الأسود بعد ذلك اضاف الي أخيه عمرو بن هند نحو عشرين الف فارس من كماة الرجال وصناديد الابطال وقال له : « سر في الحال وأمسك على القوم طريق الشمال » ثم ارسل الملك قيساً على الأثر في عشرين الف فارس ورحل هو بعد ذلك في بقية العسكر هذا وقد امتلأت البيداء بالمواكب والكتائب حتى ادركوا الامير عنترة في ذلك البر الأقفر كما تقدم الخبر .

قال الراوي : ورجعنا الآن الى سياق الكلام فلما ابصر دريد وعنترة تلك الحال اعتراهما الانذهال وخرجا عن دائرة الاعتدال وقال عنتره لدريد وقد احمرت عيناه وتقلصت شفتاه « وحق خالق البشر لقد ذهبنا يا أبا النظر فكن على حذر فقد ادركتنا العساكر من كل جانب ورمانا الزمان بسهام المصائب واليوم تباع النفوس بيع السماح وتتخضب الاجساد بدماء الجراح وتتكحل المقل بأسنة الرماح ثم انهما اخذا أهبتهما للحرب واستعدوا للطعن والضرب ووقفا في ذلك المكان بمن معهما من الفرسان وكانوا نحو عشرة آلاف مقاتل . وكان الملك الاسود لما ادركهم صاح على من حوله من الأبطال أن يردوا العساكر عن القتال حتى يراسلهم قبل ان يقاتلهم فامتثلوا وردوا العسكر وكتب من وقته كتاباً الى دريد بن الصمه يقول فيه : (اعلم يا من اتصف به العرب بالفضل والادب ان اخي الملك النعمان سيد العظماء والاعيان وخليفة كسرى أنو شروان والحاكم على قبائل العربان قد ارسلني الى هذه البلاد حتى اصلح ما وقع فيها من البغي والفساد واقتص من بني عبس عنترة ابن شداد على ما أبداه من البغي والعناد . وقد امرني ان ارسل اليه حتى تتمثل بين يديه لأجل أن يسألك عن شيء قد بلغه عنك من بعض الناس فان كنت تطيع الدولة الكسروية والاوامر السنية ، فانفذ حريمك وعيالك مع طائفة من رجالك ، الى اهلك واطلالك وأجب ملك العرب الى ما طلب . وان كان قد زين لك الجهل أن لا تخضع ، ولا تجيب ولا تسمع . فسأدركك بالجيوش والجحافل وأجعلك مثلا بين القبائل ، فالحذر ثم الحذر لمن عصى واستكبر والسلام لمن امتثل واجاب ، وما انا الا بانتظار الجواب ثم انه استدعى احد الفرسان المغاوير ، وأرسله الى دريد

بذلك التحرير . فلما وقف دريد على هذه الرسالة وسمع هذه المقالة، عظم الامر عليه، وكبر لديه واجتمع بعنترة وأعلمه بذلك الخبر ، فانذهل وتحير ، وطار من عينيه الشرر ، وقال للرسول وحق خالق البشر لو لم تكن في زي رسول لجعلتك من هذه العساكر اول مقتول ، فارجع الى الأسود وقل له لا يغتر بهذه الجحافل وأما اخوه النعمان الذي فضله على ملوك الزمان فانه اذل من ثعلب وأحقر من أن يأمر كلباً من كلاب دريد شيخ العرب لأنه أشرف قدرا وانفذ منه حكماً وامراً ، وما دام بنو عبس قد شكوا الى صهرهم ملك العراق وحرضوه على قتالي ، طمعاً بهلاكي ووبالي فلا بد أن انزل بهم أشد العذاب .

الخلاص غير المنتظر

بعد هذا الكلام ضرب عنترة الرسول فشج رأسه ، وكاد أن يخمد أنفاسه ، وقال له ارجع من حيث اتيت ، وحدث بما سمعت ورأيت فرجع الرسول على الاثر وأعلم مولاه بما سمع ونظر ، فلما سمع الاسود منه ذلك المقال ثار كما تثور النار في بطون الجبال ، وأقام ينتظر زوال الظلام وكان عنترة ودريد قد باتا يحرسان الحريم ويتشاوران في لقاء ذلك الجيش العظيم ، الى أن بدت غرة الصباح ، وماج البر حولهما بفرسان الكفاح ، فعند ذلك تأهبا للحرب والقتال، وصاح دريد في الفرسان والابطال فتبادروا الى ظهور الخيل ، اسرع من نزول السيل ، وكان قد قسمهم تحت ستور الغسق الى ثلاث فرق وجعل كل فرقة ثلاثة آلاف مقاتل ما بين فارس وراجل وكان الامير عنترة قد اقسم بخالق البشر ان لا يلقي بني فزارة الا بألف نفر هو مقري الوحش ولما اصطفت الصفوف وترتبت الالوف صاح دريد في بني هوزان فحملت على الاعداء وفي مقدمتها خفاف ودثار وحملت ابطال بني قراد مع الامير شداد وزخمة الجواد وحمل عروة بن الورد برجاله ومقري الوحش الى جانب الامير عنترة بن شداد فالتقت بهم عساكر النعمان بقلوب كالصوان وصاح واشتد الصياح وحجب الغبار نور الصباح .

قال الراوي : ودارت موقعة عظمة ، لم يسمع بمثلها في الايام القديمة وكان عنترة ودريد ومقري الوحش يقاتلون كالليوث وقد فتك عنترة ببني فزارة . واعاد ربحهم الى خسارة . وقتل منهم نحو الفي قتيل . وهو يطعن فيهم طعنات نافذة تهد الجبال الراسية ويحمل عليهم ويصيح ويقصد جمعهم فيتفرق . وكانت الابطال الشداد مثل مقري الوحش وشداد وخفاف بن ندبة وزخمة الجواد وغيرهم قد اضحوا

في حالة العدم من هول ذلك اليوم الذي لم يسمع بمثله في العرب والعجم . وكانوا قد فتكوا بتلك الخلائق والامم كما تفتك الذئاب بالغنم فرجعوا وقد تحطمت في اياديهم العدد وتخضبت بالدماء الدروع . وكان دريد قد قاتل القتال المنكر . ودحرج الرؤوس مثل الاكر وانصب على ذلك العسكر . كأنه عارض المطر . وطعن فيه طعناً يذهل النظر حتى كثرت فيه الجراح وسالت دماؤه على أسنة الرماح واما مقري الوحش فكان قد قتل جواده من نصف النهار فأدركه عنترة بن شداد وقاتل عنه في معركة الطراد حتى اتاه بجواد من خيول الاعداء ولم يزل القتال مستمرا حتى ولى النهار واقبل الليل فافترقوا ونزل بنو هوزان وجشم وقراد في تلك الوهاد مع دريد بن الصمة وعنترة بن شداد ولما قر بهم القرار اجتموا للمشورة في امر القتال فقال دريد : (لو كان قتالنا في جهة واحدة لما جرت علينا هذه المصائب الزائدة) ، فقال عنترة : (يا أبا النظر اذا كان الامر كما تقول فنحن عند الصباح ننزل العيال عن ظهور النوى والجمال ونأمر العبيد بالسوق الشديد ونحمل نحن بكل فارس صنديد ونطلب رايات الملك الاسود دون سائر العسكر حتى اذا وصلنا اليها بالجد والمكابدة جعلنا قتالنا من جهة واحدة وطلبنا من الله المعاونة والمساعدة وان رأينا ان الامر قد تعسر وخزنا الجمال بأسنة الرماح وملنا عليها كل الميل وصدمنا بها صدور الخيل حتى اذا تفرقت هذه البيد بلغنا ما نشتهي ونريد .

فاستصوب الرجال منه ذلك المقال واستقر رأيهم على هذه الحال هذا ما كان من دريد وعنترة واما ما كان من الملك الاسود فانه بات في هم ونكد لأنه كان قد بلغه من قواد العساكر وسادات القبائل والعشائر انه قد قتل من عسكره في ذلك اليوم ما يزيد عن عشرة آلاف ولما انتصف الليل سمع دريد وعنترة وقع حوافر الخيل وضجيج الابطال والفرسان فتقدما ليكشفا الخبر واذا بعساكر الاعداء وهي على اعقابها متتابعة على الطريق التي أتت منه راجعة فأنكر حالها وتعجبا من ارتحالها فقال عنترة : « وحق ذمة العرب ما عاد عنا هذا العسكر وارتد راجعاً الا لسبب عظيم وامر جسيم » فقال دريد : دعهم يذهبون الى حيث لا يرجعون ومن الصواب ان نسير الى الاوطان ونجمع الابطال والفرسان ونقصد الملك النعمان ونجازيه على هذه الفعال ونملك دياره . فلما سمع الامير شداد منه ذلك قال : (لقد صدقت وبالصواب نطقت لأن اكثر الجرحى بأسوأ حال) ثم انهم ساروا طالبين ديار بني هوزان وهم يتعجبون من رحيل هؤلاء العسكر بعدما كانوا منتشرين .

قال الراوي : وكان السبب في ذلك حديث عجيب وامر غريب وهو ان سنان

بن ابي حارثة صاحب الايمان الناكثة كان قد ارسل كتاباً الى الحارث ملك الشام يعلمه برحيل عنترة عن الاوطان ويحثه على قتال بني عبس وعدنان حتى يأخذ بثأر ولده بدر النصرانية ومن قتل له في شباب جبلة من سادات الطائفة المسيحية وكان في قلب الحارث على بني عبس النار التي لا تطفأ واللهيب الذي لا يخفى فصمم على ان يفني بني عبس بعساكر بني غسان ثم يقصد الى البيت الحرام ليحطم ما عليه من الاصنام ولهذا جمع الابطال والفرسان وارسل الهدايا والتحف الحسان الى رهبان نجران وطلب منهم الدعاء في الليل والنهار ليكتب له الانتصار على عبادة الاصنام والاحجار واراد بذلك ان تسمو منزلته السنية عند قيصر ملك القسطنطينية . وكان عدد الابطال الذين تجهزوا للقتال ثلاثمائة الف مقاتل ثم انه جد في المسير طالباً ارض الحجاز حتى وصل الى ديار بني عبس وعدنان وفزارة وغطفان وكان وصوله الى القوم بعد مسير قيس والملك الاسود بيوم فلم يجد غير المال والعيال وجماعـــة من الابطال تخلفوا للحراسة فأمر بالقبض على الرجال والمحافظة على النساء والاموال ونزل في السرداق الكبيرة ووقف في خدمته كل سيد وامير وكان قائد هذه الفرسان رجل عظيم الشأن يقال له دابـغ بن حسان فلما جلس الحارث في الصيوان استدعى دابغاً اليه فحضر وقبل الارض بين يديه فقال له الحارث : (اني ارى الاطلال خالية من الابطال وما فيها الا نفر قليل من الرجال فأريد منك ان تسأل بعض الفرسان عن بني عبس وعدنان حتى ندركهم بالعساكر وارسل في هذه الساعة فرقة من اهـــل الشجاعة ، لتأتي بعرب بني غطفان مصفدين بقيود الذل والهوان وفرق الكتائب والمواكب على الطريق والمذاهب حتى لا ينجو منه هارب . ثم سأل بعض اسر بني عبس وعدنان عن الابطال والفرسان فاعلموه انهم ساروا مع الاوطان من مائة الف من عساكر الملك النعمان في طلب عنترة ودريد وحدثه بما جرى ، وكيف ان النعمان ارسل اخويه عمرو بن هند والملك الاسود في هذا الجمع والعـدد لينتقم من دريد وعنترة ومن يلوذ بهما فلما وقف دابـغ على هذا الخبر فرح واستبشر ودخل على الحارث واوقفه على جلية الامور وقال له : « يا ملك الزمان من الصواب ان نقيم في هذا المكان الى ان تأتينا اخبار عنترة وعساكر النعمان ونعلم من الرابح والخسران وبعد ذلك ندرك الجميـع ونهلك الرفيـع منهم والوضيـع لأنهم من جملة اعدائك ومن هلك منهم بلغت غاية مناك » فقال الحارث : « لقد اشرت بالصواب فأرسل الآن الى بني غطفان من يأتي بهم في الحال لنذيقهم الذل والنكال لأنهم اشتركوا في دم من قتل لنا من الاصحاب يوم حرب الشعاب وانفذ جاسوساً من صناديد العسكر

ليكشف لنا خبر عساكر النعمان وعنترة فامتثل ما أمر وفعل كما ذكر وارسل من وقته الى بني غطفان عشرة آلاف فارس من جبابرة بني غسان مع قائد من عظماء الاعيان يقال له ضامر بن غنان .

خطــــاب من قيصر

قال الراوي : وكان قد هرب من بني عبس رجل يقال له سلامة بن عبد شمس فجد في قطع البراري حتى اشرف على قيس والملك الاسود واخبرهما بما جرى فلما سمع منه ذلك الخطاب غابا عن الصواب لأن العساكر والاجناد كانت محيطة بدريد وعنترة بن شداد كما تقدم فقال قيس للملك الاسود وقد زاد به الكمد : (والله لمن حسن حظ عنترة . لأننا ما عادينا ذلك الوجه الاغبر الا وتغلب وتقهر ونرى من العبر اموراً لا تخطر على قلب بشر فقال له الاسود وقد اظهر الصبر والجلد ، كن مطمئن الخاطر . فاننا سنظل نقاتل معك الاعداء حتى ننصرك عليهم ونبلغك القصد والمراد . ومن الرأي الاصوب ان نداوي من هذين المرضين المرض الاصعب . وهو أن نرجع الى منتصرة العرب ونخلص منهم المال ولا بد لي الآن ان أرسل الى اخي النعمان واعلمه بقدوم الحارث سيد بني غسان ، ليمدنا بالعساكر والشجعان ومتى بلغنا الآمال هن هؤلاء الانذال غزونا بلاد الشام .

فلما انتهى الاسود من هذا الكلام . ارسل عشرة من الفرسان يعلم اخاه النعمان بذلك . ويطلب منه المساعدة والامداد الى تلك البلاد ثم امر قــواد العساكر . وسادات العشائر . ان تنادي على الفرسان والابطال بسرعة الارتحال من تلــك الاطلال . فامتثلوا ما امر وفعلوا كما ذكر ، وما طلع النهار واسفر ، حتى رحل جميع العسكر .

هذا كان هو السبب في رحيل جيوش الملك الاسود والملك قيس كما تقدم وقد ظل الملك الأسود سائراً بتلك الجموع الكثيرة العدد . حتى اقترب من حي بني عبس فالتفت الى الفرسان والابطال ، ومن عليها من الرجال وقال لهم خذوا اهبتكم للحرب واستعدوا للطعن والضرب وابشروا بالنصر وبلوغ المرام من عساكر الشام ولما تم اللقاء بين الفريقــين ووقعت العين على العين وثار الغبار وارتجت الاقطار وفي اقل من ساعة ظهرت عساكر الشام وقد ملأت بكثرتهـــا الاودية والآكام . وتبادرت مواكبها وتقدمت كتائبها واطلقت أعنة الخيل . واندفعت مثل السيل فالتقت بها عساكر النعمان بقلوب كالصوان . واشتد الضرب والطعان بين الابطال

والفرسان وفاضت الدماء كالغدران ، وحاول بنو عبس وعدنان تخليص الاولاد والنساء فلم يستطيعوا بلوغ المرام من هول المقام وكثرة الازدحام . وما ولى النهار وأقبل الليل حتى تكست بنود الملك الاسود والملك قيس فألقى الجنود اسلحتهم . وبسطوا للفرار اجنحتهم وولوا على الاعقاب وانقلبوا شر انقلاب . ونفروا من وجه ذلك العذاب . كما تنفر الذئاب من ليوث الغاب وكان عدد من قتل من عساكر العراق في ذلك اليوم المر المذاق نحو عشرين الف مقاتل وامر اكثر من عشرة آلاف مقاتل من جملتهم الملك الاسود واخوه عمرو بن هند . وهرب الملك قيس مع من هرب من سادات العرب . وكذلك الربيع بن زياد واخوه عمارة فانهما طلبا الفرار وغاصا في جوانب القفار وكان قد قتل لهما ثلاثة اخوة من اهل الشجاعة والنخوة ، وقتل لقيس في تلك المعمعة اربعة اخوة وعمه صعصعة . وقتل من بني غسان خمسة آلاف من شجعان الفرسان ولما خمدت نيران الحرب وبطل الطعن والضرب جمع بنو غسان الاسلاب والاموال ورجع الحارث من معركة القتال بالعز والاقبال وهو مسرور الفؤاد بالنصر على الاعداء. وبات تلك الليلة في ذلك المكان واجتمعت حوله السادات والفرسان والعظماء والاعيان ولما اصبح الصباح عرضت عليه الاسرى والأموال فقال : اما الاموال التي صارت في قبضة ايديكم فهي هبة مني اليكم اما الأسرى فاضربوا رقابهم بحسامي واتركوا دماءهم تسيل امامي فقال له وزيره جبيرة بن هلال وكان من عقلاء الرجال ، وقد اتصف بالجود والفضل . واشتهر بالحلم والعدل : ارفق أيها الملك بأمراك ، وافعل فعالاً تزيد في مجدك وعلاك . واذكر أن العسكر الذي كنت قد ارسلته سابقاً الى هذه الديار تبدد وتفرق وهلك اكثره وتمزق . وقتل عنترة ولدك بدر النصرانية وسراج الملة المسيحية وهذه الامور صارت معلومة عند اهل الشام . فانحط بذلك قدرك وضعف عندهم امرك وعين الصواب أن تحمل هذا السبي الى الشام وتأمر العساكر والاجناد بأن تدور بالأسرى في جميع البلاد حتى يشتهر امرهم بين البلاد وترتجف قلوب الاعداء ويعلموا أن لهم ملكاً رفيع العماد لا سيما اذا عدت بقوي الوحش وعنترة بن شداد وبسبي بني عامر حتى اذا بلغ مسامع قيصر هذا الخبر يهبك حكم هذه البلاد وتصير بلاد العرب تحت لواء بني غسان وينشر دين المسيح في كل مكان وتهابك ملوك الزمان ثم تسير بالابطال الفرسان وتفتح مملكة النعمان وتتغلب على بلاد كسرى انو شروان وتهدم بيوت النيران ويمتد ملكك في جميع الاقاليم والبلدان .

قال الراوي : فلما سمع الحارث من وزيره هذا الكلام زاد به الطمع والغرور ،

قال له : دبر برأيك هذه الامور لأنك تكلمت بعين الصواب وأشرت بأمر ليس فيه ارتياب وبينما هم في الحديث واذا بنجاب قد دخل على الحارث الوهاب فسلم عليه وقبل الارض بين يديه وتناول من جيبه كتاباً وسلمه اليه فتصفحه واذابه من قيصر ملك القسطنطينية ، وسلطان سلاطين الدول المسيحية يقول فيه : « من قيصر ملك الغرب والشرق الى الحارث الوهاب صاحب دمشق من بعد السلام عليك وكثرة الشوق اليك اعلم ايها السيد المعظم المجاهد في طاعة عيسى بن مريم اني بعدما اذنت لك بالمسير الى بلاد العرب وردت علي في البحر سفائن ومراكب بعدد النجوم والكواكب وفيها طوائف مختلفة الاجناس من غزاة الافرنج اصحاب البأس ولهم قائد من عظماء الاعيان يقال له الخليجان وتفزع من صدماته الانس والجان . وهو الذي فتح جزائر البحار ودوخ المدن والامصار وقدجاء من البلادالافرنجية في هذه الجيوش لينتصر للديانة المسيحية ومراده ان يغزو بلاد الاعجام وينتقم منهم غاية الانتقام ويهدم بيوت الاصنام . وانا اريد منك يا ملك الشام متى اخذت بثارك من اعدائك وبلغت من العرب غاية مناك ان تسبقني الى العراق بعساكر غسان وتكفيني مؤونة الملك النعمان لأني قد عزمت على ان اقصد بلاد خراسان . وفي صحبتي الخليجان لقتال كسرى انو شروان وفتح تلك البلاد والسلام » .

فلما وقف الحارث الوهاب على هذا الكتاب سر وطاب وقال النجاب : « واين تركت الملك الكبير صاحب التاج والسرير ؟ » قال : « تركته ورفقاه بجانب نهر الفراة » فالتفت الى الوزير وقال له : (يا صاحب الرأي والتدبير بما اننا قد وقفنا على هذه البشارة فلا ترسل الاسرى حتى نضيف اليهم سبي بني عامر ومن جاورهم من العشائر ، ونرسلهم دفعة واحدة الى بلاد الشام ومتى بلغنا المرام من قتل هؤلاء اللئام سرنا الى خدمة الملك قيصر وبشرناه بهذا النجاح والظفر فلما سمع الوزير كلامه امر من وقته الامير دابغ بن غسان ان يركب في خمسين الف فارس ويقصد ديار بني عامر ويضع فيهم السيوف فامتثل دابغ لما امر وسار معه سنان في عشرة آلاف من الفرسان وداهموا بني عامر فلم يصمد امامهم ملاعب الاسنة ولا عامر بن الطفيل الا ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع قل عليهم الزاد والماء فاخذوهم اسرى في الحبال وغنموا بنو غسان الحلة بمن فيها من النساء والبنات والاطفال والنوق والجمال وقفل دابغ راجعا بمن معه من الفرسان الى ديار بني عبس وعدنان فلما دخل على الملك الحارث ومعه سنان عرضا الاسرى عليه ففرح واستبشر وقال لهما بعدما شكر فعلهما : « لماذا لم تسيرا من هناك بالعسكر لتأتياني بدريد وعنترة » فقال له سنان :

« اعلم يا ملك الزمان اني قد صرت كواحد منكم ويجب علي ان انصحكم ولا اتخلى عنكم ومن الصواب ان نتوقف عن قتالها ولا نتعرض لها لان عنترة نازل على دريد شيخ القبائل وعنده اليوم نحو مائة الف مقاتل بين فارس وراجل واخاف من ذلك العبد ان يعلم باننا سنرسل الغنائم والسبي الى الشام فيتبعه على الاثر ويسترده وهو من طبعه ان يحن الى قومه ولا يعمل معه الغضب او لا يقطع ما بينه وبين قومه من الحسب والنسب ولو قطعوا لحمه مع العصب ومن ان لا نبعد من هذا المكان ولا نتعرض لذلك الشيطان حتى يبعد السبي عن هذه الاوطان ويكون لنا جواسيس تعلمنا باخبار عنترة والنعمان حتى اذا قصدونا بالعساكر بادرناهم بالقتال فلما سمع الحارث الوهاب من سنان هذا الكلام رآه عين الصواب وانفذ من وقته الجواسيس الى اطراف البلاد ليكشفوا له اخبار النعمان وعنترة بن شداد وبعد ذلك قرن السبي بعضه الى بعض ، وقد ملأ بكثرته جوانب الارض وارسله الى دمشق الشام مع قائد رفيع المقام يقال له مبادر بن همام ومده بعشرة الاف من الفرسان واقام الحارث في تلك الديار بانتظار الاخبار وقد شاع ذكره في كل مكان وخضعت لهيبته قبائل العربان .

قال الراوي : وكانت الجواسيس التي سارت لتكشف اخبار دريد وعنترة قد رجعت وقالت للحارث : (اعلم ايها الملك المهاب اننا سرنا الليل والنهار وقطعنا السهول والاوعار حتى وصلنا الى ارض بني هوازن فاذا هي خالية من السكان ولا يسمع فيها صوت انسان) فلما وقف الحارث على هذا الخبر تعجب من رحيل دريد وعنترة وعلم انهما ما رحلا الا خوفاً من الهلاك وبعد عشرة ايام رجعت اليه الفرسان الذين ساروا ليستطلعوا اخبار النعمان فدخلوا عليه وقبلوا الارض بين يديه واعلموه بان النعمان قد جمع الابطال والشجعان من كل مكان وسار في مائة الف فارس وانه سوف يشرف عليهم بعد ثلاثة ايام فلما سمع الحارث ذلك اقسم ان لا يدع النعمان يبلغ الآمال بل يسير اليه بالرجال والابطال في الحال ثم امر العساكر بالرحيل .
هذا ما كان من ملك الشام واما ما كان من فارس الطراد الامير عنترة بن شداد فانه كان قد اقام في ديار بني هوازن وهو طيب القلب بعد ما قاسى من الحروب واستراح وراق له الزمان وجعل عبلة في الليل انيسه ومقري الوحش بالنهار جليسه وهدأ بال سادات بني قراد وعروة بن الورد والامير شداد ، وكانوا كلما اجتمعوا لمعاطاة المدام يتذكرون ما جرى لهم مع بني عبس من فعل اللئام وكيف انهم تبعوهم مع عساكر الملك الاسود الى ذلك المكان ويذكرون رجوعهم عنهم وهم لا يعلمون

لماذا حدث ذلك وكان كل منهم يشتهي ان يعلم سبب رجوع هذه الجيوش وما زالوا على ذلك الى ان بلغتهم الاخبار من التجار والسفار بخروج سيد بني غسان بالابطال والفرسان ووصوله الى ارض الحجاز وكيف الحقوا ببني عبس الذل والهوان فتعجب بنو هوازن وعنترة غاية العجب وقالوا والله لقد افتضحت بنو عبس بين العرب ثم انهم قاموا على ما كانوا عليه الى ان كان يوم من الايام ، بينما هم جالسون في الخيام اذ بلغهم ما جرى على عساكر النعمان وبني عبس وعدنان من عساكر غسان فتنفض عنترة وطار من عينيه الشرر وقال : هذا والله ما كنت اخشى على قيس ، وكثيراً ما حذرته من خيانة بني فزارة . فكان لا يسمع وما يزال يسمع في ابعادي ، ويسمع كلام اعدائي وحسادي ، حتى خربت اطلاله وقتلت رجاله وابطاله فلما سمع دريد كلام عنترة قال : لقد صدقت ولم يبق امامنا الا الحذر ولا بد ان تجعل لنا عيوناً وارصاداً في كل شعب وواد حتى اذا سمعنا بان هذه الجيوش زاحفة الينا سرنا بالحريم والعيال وقصدنا جبال غزية ، الشامخة العلية وتحصنا في مضايقها وشعابها وانا اعلم ان النعمان لا بد له ان يسير اليهم في جيوش كثيرة أملاً في خلاص اخويه من الاسر ثم ان دريد ارسل الجواسيس الى سائر الاقطار واقام بانتظار الاخبار ، حتى بلغهم حديث بني عامر وغطفان ، وما جرى عليهم من الذل والهوان ، وسبي حريهم وارسالهن الى ديار بني غسان ، وكيف اسر الحارث اشهر الابطال مثل ملاعب الاسنة والاخوص بن جعفر وعامر بن الطفيل وكيف انه سار الى قتال النعمان ، بعساكر لا يصفها اللسان ، فتأسف عنترة على فقد بني عامر ، وخفق فؤاد دريد كما يخفق جناح الطائر وقال : وحق العرب الكرام ان توانينا على عساكر الشام ، ملكوا البيت الحرام ، والقوا على ما الركن من الاصنام ، ثم ان دريداً استشار عنترة بن شداد ، وكان عنترة حزين الفؤاد على ما جرى لبني عبس من الهوان وكيف تبدلت افراحهم باحزان ، وكيف تكدر عيشه لانه كان كلما دخل على عبلة في الصباح والمساء يجدها تبكي مع البنات والنساء ، ويندبن الديار والاوطان ويتذكرن الاهل والجيران فيتألم قلبه لذلك الا انه كان يخفي الكمد ، ويظهر الصبر والجلد حياء من دريد كيلا يعتب عليه ويقول ان قومه طردوه وابعدوه واستخفوا به وازدروه ، وهو يشفق عليهم ويشتاق اليهم . فلما استشاره دريد في هذا الامر ، انفرج كربه وقال له : ايها السيد ، من الصواب ان نسير اليهم ونهجم عليهم ، لان لنا في ذلك فوائد كثيرة وهو اننا كلما رأينا منهم فرقة منفردة اهلكناها وكلما ارسلوا طليعه وقعنا بها ودمرناها وان التقينا بالسبي الذي ارسلوه الى الشام خلصناه بجد

الحسام ، وان فاتنا السبي ووقعنا بالنعمان وهو مهزوم نصرناه على بني غسان ونكون قد عرفناه قدره حتى يكف عنا شره ، وان وجد لنا مطمعاً في الاعداء هجمنا عليهم وشتتناهم . فلما سمع دريد كلام عنترة قال : لقد صدقت ، ومن الصواب ان نحصن الحريم والعيال في الشعاب والجبال ونترك عندهم من نعتمد عليهم من الرجال ، وبعد ذلك نسير للقتال ثم اعدوا الجيوش والجحافل فكانوا خمسة وثلاثين الف مقاتل ثم ان دريداً ارسل الى القبائل وامرهم بالمسير الى جبال بغزيه بالحريم والاموال والنوق والجمال فرحلت القبائل وتحصنت في تلك الشعاب والجبال فانتخب دريد منها خمسه عشر الفا من الابطال وامرهم باخذ اهبة القتال وترك عشرين الفاً عند النساء والعيال وجد في المسير للقاء ذلك الجيش الكثير وعنترة يتلهف للقاء عساكر الشام حتى يشفي فؤاده منهم ، لان عبلة كانت قد قرحت قلبه عند الرحيل وبكت من فؤاد عليل على اهلها وجيرانها واصحابها وخلانها وكذلك جرى لمقري الوحش عند فراقه ولده سبيع اليمن وزوجته مسيكة لانها كانت قد الفت ديار بني عبس ووجدت بها الانس وكان مقري الوحش وعنترة في مقدمه العسكر ولم يزالوا سائرين يقطعون الفيافي والاكام مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع بان لهم غبار كالغمام السيار فتقدموا نحوه حتى قاربوه واذا به ينجلي عن فرسان مكشوفي الرؤوس عليهم اثار الذل والبؤس لا بسون ثياب الرهبان كأنهم الغربان فلما رآهم عنترة على تلك الحال اعتراه الانذهال ووقف هو وباقي الرجال وعندئذ ترجل المقدم على اولئك الرجال هو ومن معه وصاحوا بصوت واحد : ايها السيد الكريم قد مسنا الضر العظيم وسلبنا الاعداء المال والحريم وقتلت ساداتنا وتهتكت بناتنا وخربت ابياتنا وتشتتنا في الفلوات وندمنا على ما فات وقد اتيناك معتذرين وبذنوبنا معترفين فاقبل عذرنا واكشف ضرنا فلما سمع عنترة ذلك تأمل في مقدم الفرسان واذا به الملك قيس سيد بني عبس وعدنان والى جانبه الربيع بن زياد واخوه عمارة ومن يلوذ به من الاهل والخلان وهم لابسون ثياب القسوس والرهبان بعدما كانت تهابهم العربان وكان عنترة لما عرف الملك قيس وحققه ترجل اليه واعتنقه، واقتدت به بقية الرجال والفرسان والابطال ، وبكوا لبكاه ، ورقوا لحاله وشكواه وتقدم اخوه الحارث ابن زهير الى عنترة وقال له : يا فارس ربيعة ومضر ان كنت لا تقبل عذرنا وخطابنا فسل حسامك واضرب رقابنا حيث لم يبق لنا في الارض سواك ولا من نعتمد عليه من الهلاك لان صهرنا الملك النعمان قد انكسر وهام على وجهه فالتفت عنترة الى الملك قيس وقال : (قد بلغنا في هذه الايام ما جرى بينكم وبين عساكر الشام ولكن

حزيمة الملك النعمان لم نسمع بها الا الآن ، فان كان الامر كذلك فما هم الا في خلق كثير وجمع غفير) فقال له : (واللّه انهم في عدد الجراد ومعه من الافرنج طائفة قوية) ثم ان قيسا بعد هذا الكلام اخذ يحكي لعنترة ما جرى وكيف انتصر عليهم بنو غسان وكسروا الملك النعمان قال (اننا لما رجعنا عن قتالكم بعد ما كنا احطنا بابطالكم انفذ الملك الاسود الى اخيه يعلمه بقدوم العساكر الشاميه ويطلب منه ان يمده بالرجال ، ولما التقينا بعساكر الشام هزمونا شر الانهزام فهربنا الى ان بلغنا الملك النعمان فلما سمع منا ما جرى جمع الابطال والفرسان وكتب كتاباً الى الملك كسرى يطلب منه نجدة من الديالم وطائفة من الاعاجم فلما وقف كسرى على هذا الخطاب كتب اليه يقول (انت يا نعمان عندك فرسان العربان وكماة الشجعان وجميعهم يمتثلون امرك فاجمع جيشك وتأهب للقائهم واجتهد ان نكفينا شرهم والسلام (فلما وقف النعمان على هذا الخطاب عظم الامر عليه وكبر لديه وندم على مكاتبة الملك كسرى في طلب النجدة ثم انه جمع عساكره وفرسانه واقام في ذلك المكان حتى تتابعت اليه الجيوش والفرسان من سائر حلل العربان وسرنا معه حتى التقينا بعساكر الشام ودارت علينا من اليمين واليسار بجيش كثير المقدار فتقطعت يا أبا الفوارس اصلاب ظهورنا وحرنا في امورنا ولم تكن الا ساعة من الزمان حتى وقع بيننا الضرب والطعن وحملت علينا الافرنج من سائر الجهات . فقال عنترة (لم يبق غير المسير الى بلاد الشام وتخليص السبي من الاعداء اللئام) فاستصوب دريد هذا الكلام ثم انهم اكلوا شيئاً من الطعام وباتوا ولما استيقظوا من المنام سرت فيهم الحمية وعصفت في رؤوسهم النخوة الجاهلية وتواثبوا على ظهور الخيل واندفعوا قاصدين بلاد الشام .

قال الراوي: هذا ما جرى لهؤلاء ، اما ما كان من الملك النعمان فانه لما انكسر اخذ يجد في السير والترحال حتى وصل الى بلاده فوجدها خالية من الرجال فأقام بها ثلاثة ايام بانتظار الفرسان ولما لم يقدم عليه احد اخذ اهله وماله وحريمه وعياله وخيله وجماله ورحل بهم الى المدائن طالباً حماية كسرى انو شروان فوجده قد خرج الى البرية وهو بانتظار عساكر النصرانية وقد ضربت السرادقات والخيام ورفعت الرايات والاعلام فدخل على كسرى وسلم عليه وقبل الارض بين يديه وبكى على ضياع دولته وشرح له جميع قصته ، فقال كسرى (وحق النار ذات الشرر لقد شغلت فكري ، وقطعت بمجيئك ظهري ، وإلى الآن لم تصل الينا عساكر خراسان وقد وردت علينا نهار امس الجواسيس واعلمتنا بان جيش الروم والافرنج قد اقترب

من مدينة هيس وهو يزيد على اربعمائة الف مقاتل ومن الصواب ان نبقى في المدائن ولا نحرك ساكناً ما دام العدو قد اقترب إلى هذه الاماكن لان قلوبنا تقوى ببلادنا وتقاتل امام حريمنا واولادنا إلى ان تقدم علينا الفرسان من تبريز وخراسان فاستحسن النعمان كلامه غاية الاستحسان وقال له : (هذا نعم الرأي يا ملك الزمان ولعل الامر يأتينا كما نشتهي ونختار . لان عند مسيري من الديار ارسلت الكتب والرسائل الى جميع القبائل وامرت سادات العشائر بان تجمع العساكر ، وتبادر في الحال للحرب والقتال) . ثم انهم اخذو يهيئون اسلحتهم وينتظرون قدوم الاعداء او من ينجدهم من الاصدقاء .

انذار لكسرى

قال الراوي : ولما كان اليوم الثاني اقبلت العساكر النصرانية ، والطوائف الافرنجية حتى سدت البراري والآكام وابصر كسرى تلك الحال فاعتراه الانذهال وصاح في الفرسان والابطال فتدرعوا بالدروع . واعتلوا ظهور الخيل وارتفع الصياح من سائر الجهات وجاء الملك قيصر بعزيمته المذكورة وراياته المشهوره واعلامه وصلبانه المرتفعه ومواكبه المزعجة وفرسانه المدججة ولما دخل في الصيوان دخل عليه ملك الافرنج الحيلجان فالتقاه قيصر بالترحيب والاكرام والاحتفال والاحترام وأجلسه بجانبه في صدر المقام واخذ في تنسيق خطط قتال الاعجام ورأى هو وقيصر ان يكتبا كتاباً الى كسرى ليكون على حذر فخط الكتاب في الحال وأرسلوه مع بعض الرجال وقالا فيه «من قيصر ملك القسطنطينيه والحيلجان عاهل الدول الافرنجية الى كسرى انو شروان ملك ملوك خراسان اما بعد فعند وقوفك على كتابنا وسماعك خطابنا ارحل من هذه البلاد في الحال قبل أن يحل بك النكال وندهمك بالفرسان والابطال وان تقيم في أرضك وبلادك مع من يلوذ بك من أهلك وأجنادك وتكون في أمان فعليك ان تهدم بيوت النيران وتكون لنا من جملة العمال والاعوان وتعتنق انت وباقي الرعية الديانة المسيحية وتعمر الكنائس في سائر الجهات وتعبد المسيح صاحب المعجاب وها قد انذرناك لتكون على حذر والسلام على من اتبع الهدى وعرف الحل واهتدى» .

قال الراوي : فلما وقف كسرى على هذا الكتاب وما فيه من غليظ الخطاب غاب عن الصواب والتفت الى الرسول وقال : وحق النار ذات الشرر لو لم تكن دولتنا قد عرفت بالانصاف والعدل لما كان جوابك الا القتل فعد الى مولاك قيصر

وقل له اني أقسمت بالنار ذات الشرر باني لن اترك من عساكره من يخبر بخبر ، وعن قريب يصح هذا القسم حتى وصلت عساكرنا من بلاد العجم. فلما سمع الرسول هذا الخطاب عاد الى الحيلجان وأوقفه على ذلك الجواب فتبسم وقال : وحق ديني وما اعتقده من صدق يقيني لأتركن لي في هذه الديار حديثاً يذكر . ولما اقبل الصباح ركبت العساكر الاعاجم والديالم ، وصطفت الافرنج تجاههم واذا بالحيلجان قد أقبل كأنه قطعة من جبل وهز القنطارية (اداة حرب) في يده وحمل على تلك الجحافل ، فتبعه جموع الافرنج وكذلك فعلت الروم اصحاب قيصر ، وانطبق العسكر على العسكر وتطاحنو بالعمد والقنطاريات والرماح والسيوف المشرفيات وكانت لهم وقعة تذكر ما دامت الشمس والقمر لان الالباب حارت والاحكام جارت والجياد ولت والكرام ذلت والخيل كلت والخطوب جلت والسيوف فلت اما الافرنج وعساكر قيصر فقد ثبتوا أشد ثبات واحاطوا باعدائهم من سائر الجهات وكذا الحيلجان فانه شرد الابطال الى اليمين والشمال وطرح اكثرهم على الرمال حتى ولت عساكر كسرى الادبار وطلبت الهزيمة والفرار واستترت وراء الاسوار ولما نزلت الطوائف في خيامها جلس كسرى على سريره واجتمع بوزرائه ومن يعتمد عليهم في شدته ورخائه وقال أما ترون يا قوم ما جرى علينا في هذا اليوم فوحق معابد النار ان لم تدركنا نجدة من خراسان انقرضت دولتنا واندثرت مملكتنا فقال له وزيره بزرجمهر وكان من أعقل البشر : من الصواب أن تأمر الرعايا جميعاً بان تعبر باموالها وعيالها الى الجانب الثاني من (الرستاق) ولا يبقى في هذا المكان الا الابطال والفرسان حتى اذا تغلب علينا الاعداء دخلنا البلد وهدمنا الجسر وتحصنا بالماء الى أن تدركنا النجدات فاستصوب كسرى هذا الرأي لانه رآه عين الصواب وبات تلك الليلة في قلق وضجر وخوف وحذر وقد تراكمت عليه الهموم ، وهو يتعوذ من قتال الافرنج والروم . ولما اقبل الصباح خرجت الرجال وعولت الافرنج من الحروب والقتال واذا بغبار من ناحية الكوفة قد ثار حتى سد الاقطار واظلم منه ضوء النهار ثم انكشف للعيون والابصار وبان من تحته لمعان الخوذ وبريق الزرد وابطال وفرسان على خيول اخف من الغزلان وهم يصيحون « يا لغسان يا لغسان ، ابشروا يا عباد النيران بالهلاك فقد اتاكم الحارث الوهاب بأبطال كأنهم ليوث الغاب ، لا تخاف من الموت ولا تهاب ونظر كسرى الى هذا المعسكر فخاف واندعر واخذه القلق والضجر وطار من انفه الشرر . وكان السبب في قدوم الحارث سيد بني غسان الى هذا المكان انه كان قد

تبع اثر الملك النعمان بعدما انهزم وانكسر ؛ وتفرق من معه من العسكر كما تقدم الخبر . ولما ابصر كسرى تلك الكتائب والمواكب امر وزراءه في الحال ان تفرق على الابطال الخلع الثمينة والأموال حتى تقوى في قلوبهم للقتال بطوائف العرب ثم التفت الى من حوله من الرجال وقال لهم « وحق الاله المتعال لو لم تكن هذه الفرسان سائرة لنصرة الملك النعمان لبدلت عزها بهوان ، وافراحها باحزان واخذت اسلابها ، وضربت رقابها » . ثم انه تحول نحو عمرو بن معه من الابطال ولما وصل اليه ، ترجل كل منهما الى صاحبه وسلم عليه ، واخبره عمرو ذا الخمار بما جرى على النعمان من الذل والهوان وكيف دهمته عساكر غسان بالابطال والفرسان وانه سائر بالنجدة اليه ولا يعلم ماذا جرى عليه . فقال ذو الخمار « اذا كان الامر كذلك يا صاحب الهمة فأنا اسير معك في هذه الخدمة ثم انهم بعد ذلك ركبا وجدا في قطع الوهاد وكان عمرو قد زاد به الفرح والاستبشار بصاحبته ذي الخمار وكان كلما وجدا رجلاً من السفار يسألانه عن حقيقة الاخبار وما زالا يسمعان اقوالاً مختلفة واخباراً غير مؤتلفة إلى ان أشرفا على الحيرة فوجداها خالية فسألا بعض من بقي في ذلك المكان فحدثوهما بان النعمان قد هرب الى المدائن ليحتمي بكسرى فلما سمعوا ذلك الخبر قال ذو الخمار لعمرو بن معدي كرب : وحق ذمة العرب ان توانينا عن نجدة النعمان ملكت الاعداء هذا القطر وبذلت سيوفها فينا وحتنا عن بكرة ابينا ومن الصواب ان نتبعه حتى نأخذ بثاره ونعيده الى دياره ثم انهما نزلا في تلك الساحة بقدر ما اخذا بعض الراحة وبعد ذلك عزما على الارتحال بمن بقي معهما من الابطال واذا بالامير حجار بن عامر قد اشرف عليهما في جماعة من سادات العشائر وفي صحبته ستة آلاف فارس فركبا للقائه وسلما عليه وحدثاه بما جرى على النعمان من عساكر غسان (وانهما سائران لنصرته لينقذاه من بلوته ويأتيا به الى كرسي مملكته فلما سمع منهما هذا الكلام صار الضياء في عينيه كالظلام ثم اتفقوا على المسير وبعد ذلك ساروا في عشرة آلاف من الشجعان حتى اشرفوا على ساحة المعركة فوجدوا القوم في اشد قتال وابصروا عساكر الافرنج والاروام مستظهرة على جيش الاعجام فهجموا كأنهم الآساد وطلبوا معركة الطراد، ونادوا بأنسابهم كما تقدم الايراد .

وكان كسرى والنعمان وعساكرهما قد عولوا على الفرار فلما رأوا هذه النجدات ارتدت ارواحهم اليهم يثبتون اشد ثبات وهجم ذو الخمار وعمرو بن معدي كرب والامير حجار ومن معهم من الاعوان والانصار على ذلك الجيش الجرار وحملوا

بقلوب قوية ، ونخوة وحمية وما زالوا على ذلك حتى اقبل الليل فتفرقوا عن بعضهم البعض ونزلت كل طائفة منهم في ناحية من الارض وباتوا على مثل ذلك حتى ادبر الليل بسواده الحالك فسارت الفرسان الى ظهور الخيل ، وكان الملك النعمان من افرح البشر بقدوم فرسان ربيعة ومضر فوثب ذا الخمار على ميمنة العسكر واردفه بألف فارس من جبابرة الجاهلية وجعله تجاه العساكر الافرنجية ورتب على المسيرة عمرو بن معدي كرب الفارس المنتخب واردفه بألف من الشجعان وجعله تجاه عساكر غسان واردفه الامير حجار بألف بطل وامره بالهجوم على طوائف الروم ووقف مع كسرى انو شروان في وسط عساكر خراسان ليشجعا الرجال على القتال واشتبكت الجنود في قتال شديد وضرب يحطم دروع الحديد الى ان ولى النهار واقبل الليل فعند ذلك اليوم افترق الجيشان ونزل كل فريق في مكان واسر في ذلك اليوم عمرو بن معدي كرب فلما علم الملك النعمان بذلك ضاق صدره ولما اصبح الصباح تقدم هو وذو الخمار صفوف المقاتلين وطلبا مبارزة الابطال فخرج لهما الخليجان وارجع جنوده وتقدم فالتقاه ذو الخمار كأنه القضاء النازل وزعق فيه صوتاً كالرعد الهائل وتطاعنا وما زالا في عراك وصدام حتى ايقنا بالهلاك وكان للخليجان اخوان فلما ابصرا قتال ذي الخمار لأخيهما علما انه فارس ثقيل العيار فخافا على اخيهما وهجما على ذي الخمار هجوماً يزعزع الجبال الا انهما ما ادركا اخاهما الا وهو جريح على وجه الارض طريح لأن ذا الخمار كان قد لاصقه وضايقه وضربه ضربة صادقة اشد من نزول الصاعقة فوقع السيف على الطارقة وجرحه فسقط عن ظهر الجواد كأنه طود من الاطواد وحاول ذو الخمار ان ينثني عليه واذا باخوته قد تقدما اليه وطعناه طعنتين صائبتين وقعت واحدة منها على كتفه فجرحته جرحاً شديداً فوقع على الارض ولما نظر النعمان الى هذه الامور صاح وقال اهجموا على هؤلاء الاشرار ، وخلصوا ذا الخمار ، فعند ذلك حملت الرجال ودار القتال وذاقت العجم والعرب كل اذلال .

قال الراوي وما ولى النهار حتى انكسرت عساكر كسرى اشد انكسار ورجعت النصارى بالانتصار بعدما اسروا ذا الخمار واسروا ملكهم الخليجان . هذا ما كان من قيصر والخليجان واما ما كان من الملك النعمان وكسرى انو شروان فانهما رجعا من المعركة خاسرين . ولما جلس كسرى على السرير قال : سأخرج بنفسي عند الصباح وأطلب ملك الافرنج الى الميدان واشترط عليه امام الفرسان انه اذا اسرني سلمته حكم البلاد ، وجعلته

يتصرف في المملكة كيفما اراد ، ودخلت في دينه وان انا قهرته وانتصرت عليه واسرته فرضت عليه الخراج في كل عام ، واطلب منه ان يرحل منهذه الديار بسلام ولما اقبل النهار خرج كسرى وارباب دولته حواليه واذا بالنعمان قد اقبل عليه ووقف بين يديه وقال له : اعلم ايها الملك الاكبر انه قد وصل الينا رسول الملك قيصر وهو يطلب الدخول عليك والمثول بين يديك وما اتى من عند مولاه حسب ما سمعنا منه وفهمناه الا في طلب عقد الصلح ورحيله من هذه البلاد ، فلما سمع كسرى هذا المقال اعتراه الانذهال وقال لمن حوله : وحق النار ان رحيله من هذه الديار وصلحه معنا بعد هذا الحصار واستظهاره علينا هذا الاستظهار ، ما هو الا ببركة النار ذات الشرر وقد استجابت دعانا ولم تخيب رجانا . ثم ان كسرى اظهر الفرح والطرب ، ثم امر باحضار الرسول . ليسمع ما يقول ، فاحضروه اليه ولما تمثل بين يديه سلم عليه وقال : اعلم يا ملك الزمان ان الملك قيصر يسلم عليك ويعتذر اليك ويقول لك انه ما سار اليك برضاه لانك من جملة احبابه واصدقائه وما حمل على هذه القضية الا ملك الطائفة الافرنجية ، ولم يستطع ان يتخلص عنه خوفاً منه لانه جمع الفرسان والقسوس والرهبان وجعلهم يأمرونه بأن يسير في صحبته والا عزلوه عن كرسي مملكته ، فاضطر للرضوخ وما دام الملك المذكور قد ندم على هذه الامور ومراده الآن ان يرجع الى الاوطان فقد انفذني مولاي اليك لاقص هذا الخبر عليك ، واعلمك بأنه سيرحل في هذا اليوم وعند وصوله الى ديار بني غسان يطلق اخوي النعمان ومن أسر معهما من الابطال والفرسان ما عدا بني عبس وعدنان ، وفزارة وغطفان ، لأن الحارث ملك الشام قد حلف بأعظم الاقسام ، ان لا يطلقهم من الاسر والاعتقال ، ما لم يتركهم عاما كاملا في القيود والاغلال وبعد ذلك يفتدون أنفسهم بالاموال ، واما فرسان العرب الذين عنده في الاسر ، فانه يطلقهم في غير هذا المكان لأنه يخاف اذا اطلقهم الآن ، يجمعون عليه الجموع ، ويعودون لقتاله . فلما سمع كسرى هذا الخبر فرح واستبشر واجاب الرسول بالايجاب وقال له : (متى وصلت اليه فسلم عليه وعاهده على الصلح والوداد وعلى ان يرحل من هذه البلاد) فامتثل الوزير وقدم لقيصر الهدايا والانعام وعقد معه صلحاً على اتم ما يرام ، ولما وصل عند كسرى حدثه بما تم ففرح غاية الفرح ونشر الاموال على الفرسان وعندما طلع النهار رحل قيصر بذلك العسكر الجرار وكان رحيله رحيل الاستعجال واتجه الى ناحية الفرات اما الحارث الوهاب فاتجه الى ناحية الحيرة .

وما أقبل الصباح الا وكانت الارض منهم خاوية فوقعت في المـــدائن البشائر وركب الملك كسرى والنعمان في موكب كبير من الفوسان وقد زالت من قلبه الهموم وتبدل خوفه بأمان .

الا انه ابصر جيش الاعداء وقد انقسم الى قسمين ، وافترق فرقتين تعجب غاية العجب ولما جلس في الايوان قال له الملك النعمان : (اعلم يا ملك الزمان ان رحيل هؤلاء من هذه الديار بعد انتصارهم ذلك الانتصار ، ما هو الا من امر عظيم ، وحادث جسيم ولولا هذا لما رحلوا بعد ما ظفروا ولا بد لي ان اقف على حقيقة سبب رحيلهم من هذه الديار بعد الغلبة والانتصار » . وكان لرحيل القوم سبب يا له من سبب ذلك انه في تلك الليل التي صمم فيها قيصر على ان يهجم على المدينة ويهدم ابراجهـــا الحصينة اشرف على الحارث الوهاب عشرة فرسان وهم في حالة الذل والاكتئاب ودخلوا وبكوا بين يديه وقالوا : ايها الملك الهمام قد خرجت من بلاد الشام وقتلت الرجال ، واسر اخوك الامير بسام وسبيت اهلك وعيالك واخذت خزائنك واموالك فبادر في الحال بالفرسان والأبطال ولا تطمع في ملك خراسان فتخرج من يـــدك مملكة غسان » .

فلما سمع الحارث هذا الكلام صار الضياء في عينيه كالظلام وقال لهم : (ويلكم ومن فعل هذه الفعال) قالوا : « هو عنترة بن شداد الذي اشتهر وساد وشاع ذكره في سائر البلاد ومعه نحو عشرة آلاف كلهم ابطال وشجعان قد تعودوا على الحرب والطعان » فغاب الحارث عن الصواب عند سماعه هذا الخطاب ثم سألهم عن السبي الذي ارسله الى بلاد الشام فقالوا قد خلصه عنترة وقتل كل من معه من العسكر ثم دخل مع ابطاله البلاد فخربوها ولم ينج منهم الا من فر او اسر . فلما سمع الحارث ذلك عظم الامر عليه وكبر لديه واسودت الدنيا في عينيه وكان سنان بن ابي حارثة خفق فؤاده وعظم بكاؤه وانتحابه ولطم رأسه بمداسه حتى وقعت عشرة من اضراسه فقال الحارث : دعنا الآن يا سنان من هذه الهموم والاحزان ودبر لنا وسيلة لخلاص المال والحريم والاولاد ، فقال سنان : « ما في نيتك ان تفعل ؟ » فقال : (أريد أن أدخل على الملك قيصر واعلمه بما جرى وأشير عليه بسرعة العودة لعلي أدرك السبي والمال ، وذلك العبد ابن الانذال) فلما سمع سنان هذا الخطاب ، قال (هذا هـــو عين الصواب وأنا اشير عليكم بأن لا ترحلوا من هـــذا المكان ، حتى تصالحوا

كسرى والنعمان وتقدمون لهم الاعتذار ، وتظهروا لهما الندم على قدومكما إلى هذه الديار والا وقعتم في الاخطار ، لا سيما اذا قدمت عساكر خراسان فيتبعكم كسرى والنعمان ، بالابطال والفرسان وانتم سائرون سير الخائف الفزعان فيحل بكم الذل والهوان ، وان اخطأكم كسرى انو شروان ووقع بكم دريد وعنترة ، فيكون ذلك هو الهوان الاكبر ، اذ لا بد لعنترة ان يقصدنا في هذه البلاد ، ليخلص الفرسان الذين عندنا في الاسر وهو اقل ما يكون اليوم في عشرين الف فارس) فلما سمع الحارث الوهاب ذلك القول قال (اذا كان الامر كذلك ، فيجب ان ننقسم عند عودتنا الى قسمين فأعود انا عن طريق الحجاز ، واترك قيصر يسير على شاطىء الفرات ، حتي لا يفوتنا عنترة وننجو بأموالنا وعيالنا) . فلما سمع سنان كلامه قال (لقد صدقت ، وكان مرادي ان أشير عليك بهذا الرأي السديد ، فكنت أنت اليه اسبق ، لأنك سعيد ومرفق فقم الآن ، وحدث الملك قيصر ، واعلمه بهذا الخبر) فنهض ودخل على قيصر فوجد عنده ملك الافرنج الحيلجان ، وجماعة من العظماء والاعيان ، وهم يتحدثون فيما تم وجرى ، ويستشيرون بعضهم بعضاً في طريقة الهجوم على مدائن كسرى ، فحياهم بالسلام ، وحدثهم بخبر الشام فتعجبوا من هذا الكلام ، وخاف ملك الروم من ضياع ملكه وقال للحارث : ما دام الامر على هذا الحال فيجب أن نرحل بالفرسان والابطال ونستدرك هذا الامر الذي جد . فلما سمع الحيلجان من قيصر هذا المقال ، غضب وقال (اذا كان الامر كذلك فارحل أنت من هذه البلاد ، ودعني أنا للحرب والجهاد فقال قيصر : (دع عنك هذا الكلام واعلم أن هذه البلاد لاتدوم على هذه الحال ، ومن الصواب أن نقصد اولئك الاعراب الذين أغاروا على بلادنا وهتكوا حرمتنا وكسروا أجنادنا ومتى بلغنا منهم غايتنا رجعنا إلى هنا وفتحنا هذه الديار) .

وبعد ذلك صالحوا كسرى كما تقدم الخبر وساروا بالجيش والعسكر وأخذوا معهم أسرى العرب مثل عامر بن الطفيل وملاعب الأسنة وذي الخمار وعمرو بن معدي كرب .

قال الراوي : وما زال قيصر يجد في السير مدة خمسة أيام وفي اليوم السادس وصل الى ارض كثيرة الزهور والنبات يقال لها العارضيات وهي ذات خلجان وانهار جارية فنزل هو والحيلجان في تلك الساحة لأجل النزهة والراحة ، وضربت لهما العبيد والخدام المضارب والخيام وصرفا باقي يومهما في ذلك المكان لانه كان من عجائب الزمان نظراً لكثرة غدرانه ووحوشه وغزلانه ، ولما اقبل الظلام ودبلت العيون

وتبدلت الحركات بالسكون التفت ذو الحمار إلى عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة وغيرهما من فرسان الخيل وقال : (الى متى نساق مع هؤلاء القوم في الوثاق ونرضى بهذا الذل والاسى ، ونهدد بالقتل في الصبح والمساء ، فهلموا بنا الآن أيها الفرسان حتى نأخذ سيوف هؤلاء اللئام الذين استغرقوا في المنام ، ونهجم على باقي أصحابهم ، ونشفي منهم غليل قلوبنا ، ثم نطلب لأنفسنا النجاة) . فقال عامر : (وأي رجل من اهل النخوة والحمية يقبل على نفسه هذه البلية فوحق رب الانام ، لولا هذه القيود لكنا ذبحناهم ذبح الاغنام) ، فقال ذو الحمار : (أما انا فقد قطعت اكتافي وخلصت اطرافي) ، ثم انه بعد هذا المقال ، نهض في الحال ، وفكهم من القيود والاغلال ، فنهضوا على الاقدام كأنهم ليوث الآجام وهجموا على الحراس وهم نيام وأخذوا ما كان معهم من السلاح وتركوهم أجساداً بدون ارواح وأخذوا لهم خيولاً من طرائف المعسكر وكانوا نحو مائة فارس نصفهم من سادات بني عامر والنصف الثاني من أبطال العشائر وبعد أن ركبوا الخيول وساروا تحت ستار الظلام وكان الحرس قد شكوا في أمرهم فتبعهم الفرسان على ظهور الخيل فأدركوهم بين التلال ودار بينهم القتال وما زالوا في ضرب وكفاح حتى بدت لهم غرة الصباح وكان ذو الحمار قد خاف على نفسه من الهلاك والبوار فالتفت الى عمرو بن معدي كرب وقال له : (هيا نهرب قبل أن نقتل أو نؤسر فقال عمرو : (من العار أن نطلب الفرار) فلما سمع منه هذا الكلام ترك رفاقه وأمعن في الفرار لأنه كان موصوفاً بالغدر ومجبولاً على الخبث والمكر وقاتل عمرو ومن معه من الابطال أحسن القتال ونازلوا أعظم نزال ولم يزالوا كذلك حتى ضاقت بهم المسالك ودارت عليهم رحى المهالك فبينما هم في أشد الضيق وقد سدت عليهم الافرنج الطريق واذا بغبار من ناحية الشام قد ثار حتى أظلم منه ضوء النهار وبعد ساعة علا وارتفع ثم ضربته الرياح فانقشع وبان من تحته رجال كأنهم السباع من خلفهم بكاء صبيان وعويل نساء وحنين نياق وامور تدل على انه صبي يساق فلما ابصرهم قيصر فرح وقال هذا جيش عنترة بن شداد الذي خرب البلاد وقتل العباد وها قد ساقهم أجلهم الى هنا حتى نهلكهم ونبلغ المنى ثم انه اجتمع بالحيلجان وقال له هذا وقتك فاحمل بمن معك من الابطال على هؤلاء الانذال وأرنا فعلك في هذا النهار فعند ذلك ركب الحيلجان وركب الفرسان وكان هذا الجيش القادم من ناحية الشام جيش ابي الفوارس الامير عنترة ودريد بن الصمة وفي صحبتهما عشرة آلاف من الابطال .

مقتل ملك الافرنج

قال الراوي : وكان السبب في مسير عنترة الى بلاد الشام ، من أعجب ما جرى في تلك الايام ، وذلك أن عنترة لما التقى بقيس بن زهير بين القفار واعتذر له وشكا ما حل به وبقومه من العبر ساروا يقطعون البراري والا كام، طالبين خلاص أموالهم وعيالهم من بلاد الشام وكان شيبوب مع هذا السير المتواصل ، يسبقهم الى الموارد والمناهل ويكشف لهم الطرقات والمنازل ، ولم يزالوا سائرين يقطعون الفيافي والا كام ، مدة ستة أيام ، وفي اليوم السابع اشرف عليهم شيبوب الذى كان قد سبقهم وقال لهم : ابشروا يا سادة العرب فقد ادركتم اعداءكم وسوف تبلغون غاية مناكم لأنهم ساروا اليوم من الاعناك فقد وجدت آثارهم هناك . فانزلوا على ظهور الخيل واستريحوا قليلا حتى يهجم الليل وبعد ذلك اركبوا خيولكم وتقلدوا بسيوفكم وجدوا في هذه البطاح ، وسوف تدركونهم قبل الصباح ، وتتحكمون فيهم كيفما تريدون ففرح دريد واستبشر ، عند سماعه هذا الخبر وقال له « لله درك يا شيبوب من بشير » وقال الملك قيس : اعلموا يا بني العم أن القوم ما رحلوا من الاعناك إلا وقد ارسلوا بشيراً يبشر بقدومهم بما معهم من السبايا والمواشي والانعام ، ولا بد لأهل المدينة إذا سمعوا هذا الخبر أن يخرجوا الى لقاءهم مع العسكر ، ومن الصواب أن يتجرد منا ألف بطل ، ويسيروا في الأول ويقتفوا آثار القوم. دون أن يظهروا أنفسهم لهم ابداً ، حتى اذا أشرفوا على المدينة وصح هذا الحساب يهجمون هجوم الذئاب ، ويسبقونهم الى المدينة ويملكون الابواب ، ونأتي نحن من خلف القوم على الاثر ، رنحكم فيهم السيوف ونشتتهم ونسترد أموالنا ونساءنا وعيالنا فلما سمعت الابطال من الملك قيس هذا المقال استحسنوا رأيه واستصوبوه ، وقال مقري الوحش اذا كان الامر كذلك ، فأنا اسبقكم الى هناك ، لأني أنا اخبر بالبلد من كل واحد . وأعرف من أي جهة أملك ابوابها وارغم انوف اصحابها فلما سمعوا مقاله اجابوا سؤاله ، ثم انهم نزلوا على ظهور الخيل واقاموا في ذلك المكان الى ان دخل الليل ، فعند ذلك تجرد مقري الوحش الى قضاء تلك المهمة وسار في صحبته الف من الابطال وبقي عنترة ودريد مع بقية الرجال، وقد ساعدتهم المقادير ونالوا مرادهم بهذا التدبير ، وخلصوا أموالهم وحريمهم وملكوا دمشق الشام كما تقدم الكلام .

قال الراوي : وبعد أن فتح عنترة ورجاله دمشق قصدوا مدائن خراسان لأجل

أن يكونوا في خدمة النعمان ، ومعاونة كسرى انو شروان ، ولم يزالوا يقطعون الفلوات حتى التقوا بالروم والافرنج في ارض العارضيات كما سبق القول ولما وقعت العين على العين ارتفعت الضجة من الجانبين ، وكان دريد بن الصمة والامير عنترة ومقري الوحش في مقدمة العسكر ، فلما ابصروا عامل بن الطفيل وعمرو بن معدي كرب وباقي فرسان العرب قد اشرفوا على العطب اطلقوا الاعنة وقوموا الاسنه ، وهجمت من خلفهم الفرسان وكان الملك الحيلجان قد بادر الى المعركة في مواكب أجناده وكان عنترة يقاتل ويحارب ويناضل ويطعن في صدور الخيل ، حتى اقترب من عامر بن الطفيل ، وقد كثر عليه العدد ولم يبق من أصحابه الا اربعون وهرب الباقون وكانوا قد اشرفوا على العطب ، وارتخت مناكبهم من شدة التعب . ولما ابصرهم عنترة على تلك الحال قال لمن حوله : اهجموا ولا تتأخروا واهزأوا من الموت واسخروا وحمل على مواكب الروم ففرق الوفهم ومزق صفوفهم .

قال الراوي : ولما سمع اصوات بني عامر يستجيرون من هول العدو عظم ذلك الامر عليه وسكر من غير راح وبذل نفسه لأسنة الرماح وعندما ابصرت عساكر الروم من عنترة هذه الفعال تأخرت عن القتال وما زال عنترة يفرق الخيل وينثر الرجال حتى وصل الى عامر بن الطفيل ونادى ابشر يا عامر بالسلامة فلما ابصر عامر عنترة فرح واستبشر وقال له : لله درك يا أبا الفوارس ويا زين المجالس فوحق ذمة العرب لقد اتيتنا في أضيق الاوقات ، واحييتنا بعد الممات . وكان شيبوب ينقل العدد الى الابطال ويأتيهم بالخيل الشارد من المجال ، وأظهر عمرو بن معدي كرب في ذلك اليوم العجب ولما اقبل الليل ، انفصل الفريقان ، واجتمع قيصر بالحيلجان وقال : لقد هلك منا اكثر الابطال ، وحل بهم الذل والنكال ، وان لم نتلاف قصتنا مع هؤلاء الرجال ، طال علينا المطال والرأي عندي ان ننفذ اليهم رسولا ونطلب منهم الصلح ونرحل عن هذه الارض .

فلما سمع الحيلجان من قيصر هذا الكلام كاد أن يغشى عليه ، وصاح في قيصر قائلا : لقد حدثتك نفسك بالمحال فان كنت تريد الرجوع الى البلاد وتترك العز والجهاد ، فارحل بمن معك ، أما انا فلا يمكنني ان اصالح هؤلاء العربان وأطلب منهم الامان ، ثم انه انفصل عن قيصر بمن معه من الفرسان . وانحاز الى جانب من ساحة الميدان. فلما رأت العرب عساكر الافرنج قد انقسمت الى قسمين تعجبت لذلك وقال عنترة لدريد بن الصمة : قلبي يحدثني بأن اعداءنا قد اختلفوا في هذا المقام ، ووقع بينهم الخلاف والانقسام ، ومن الصواب ان نحترز على انفسنا من الجهتين ،

ونقسم أصحابنا الى فرقتين بالابطال لنبلغ منهم الآمال فوافقه دريد على ذلك . ثم أن عنترة لوى عنان جواده ، وتقدم في خمسة عشر من الفرسان وترك الباقين حول اخوي النعمان وقصد ساحة المعركة ، واخذ يصول ويجول وقد امتلأ قلبه بالحماسة وأنشد يقول :

اذا مدار الغبار له رواقاً ... وورد الموت طاب لنا وراقا
اكر على الفوارس يوم حرب ... ولا اخشى المهندة الوقاقا
وتطربني سيوف الهند حتى ... اهيم الى مضاربها اشتياقا
واني اعشق السمر العوالي ... وغيري يعشق البيض الوثاقا
أنا العبد الذي يلقى المنايا ... غداة الروع لا يخشى المحاقا
واسعدني الزمان فصار سعدي ... يشق الحجب والسبع الطباقا
وكم من سيد خليت ملقى ... يحرك في الدماء قدماً وساقا

قال الراوي : ما ان انتهى عنترة من شعره حتى هجمت طوائف الافرنج وحملت من كل فج . وفي مقدمتها الحيلجان ، فتلقتها فرسان العرب كليوث الغـــاب اذا استبد بها الغضب وهجمت الامم على الامم واندفع عنترة يقطع بسيفه الدروع . ومال على ملك الافرنج وصاح فيه صيحة زلزلت اقدامه ووقف كالفأر قدامه فطعنه عنترة طعنة لو أصابت جداراً لهدمته ولو صدمت جواداً لأعدمته فوقع الرمـــح في صدره وخرج يلمع بالدم من ظهره وعندئذ اخذ الرعب جيوش الافرنـــج فولت الادبار وركنت الى الفرار وتفرقوا في جوانب القفار خوفاً من الهلاك والدمار .

قيصر يطلب الصلح

قال الراوي : ولما خمدت نيران الحرب ارسل قيصر رسولاً الى طوائف العرب يقول لهم: اعلموا ايها الابطال والفرسان ان الذي ارغمني على قتالكم هو ملك الافرنج الحيلجان الذي قتلتموه وانا ما رحلت من بلاد خراسان الا بعد ان صالحت كسرى أنو شروان وقد بلغني ما فعلتم في بلاد الشام من السبي والنهب العام ومع ذلك فلا عتب عليكم ولا ملام لأن هذه الحروب والفتن والقلاقل والاحن التي وقعت كانت بسبب بني غسان والآن رأيت من الصواب اتمام الصلح بيننا على أن نرحل من هذه الارض فقال عنترة : كيف يمكننا أن نجيب مولاي الى هذا الطلب وعامله الحارث الوهاب قد سار إلى بلاد الحجاز بعساكر كثيرة وجموع غفيرة حتى يهلك من بقي منا هناك وينهب الأموال ويخرب الأطلال ويسبي الحريم والعيال ويرسل السبايا الى بلاد الشام فوحق البيت المطهر لا نجيبكم على هذا السؤال الا بشرط ان تعطونا بعض ساداتكم كرهائن حتى يرجع الحارث من ديارنا بمن معـــه من الرجال .

فانتخب قيصر جماعة من قواده واكابر قومه وسلمهم لعنترة بن شداد ليكونوا عنده رهينه الى ان يطمئن هو وقومه على اموالهم وحريمهم وعيالهم وكتب الى الحارث سيد بني غسان يعلمـــه بما جرى ويأمره بسرعة الرجوع اليه الى الديار والاوطان ، وهكذا زال الشقاق وتم بينهم الصلح والوفاق وافترقوا بعضهم عن البعض وتوجه كل فريق منهم في طريق ورحل قيصر طالباً دياره وسار عنـــترة ومن معه طالبين مدائن كسرى انو شروان .

قال الراوي : وما زالوا سائرين بضعة ايام حتى وصلوا الى المدائن ومعهم الغنائم التي تضيق بها المخازن فخرج الى لقائهم الملك النعمان بالسادات واكابر الاعيان وتلقاهم بالترحيب والاكرام ثم انهم باتوا تلك الليلة في فرح وسرور وغبطة وحبور ولمـــا أصبح الصباح اذا بخيل قد اقبلت من ناحية الحجاز فلما ابصرته العرب اطلقت نحوها الاعنة ولم تكن الا ساعة من الزمان حتى تبينهم عنترة فاذا هم زهاء الفي بطل من بني عبس وبني غطفان فسألهم عنترة عما جاء بهم فقالوا قابلنا الحارث الوهاب سيد بني غسان في جيش كثير العدد وأخذ ما كان معنا من الفضة والذهب فسلمناه ما أراد خوفاً من الهلاك . فلما سمع عنترة هذا الكلام عظم عليه الأمر وقال لمن حوله من السادات (اني اعلم بان قيصر ملك الروم لا يحنث معنا في العهد لان أكثر الرهبان من أكابر مملكته وقد أصدر أمراً الى الحارث سيد بني غسان يخبره بما تم من الصلح ويأمره بالرجوع الى الأوطان . ولو كان وصل اليه ووقف عليه لامتثل ورجع إلى دياره في عجل دون ان يتعرض لناقة ولا جمل وانا في حيرة عظيمة من هذا الحادث ولا اعلم في أي طريق سار الحارث حتى اخلص منه النساء والاولاد) فقال دريد : (اذا كان الامر كذلك فأقم أنت هنا في نفر من قومك ودع باقي الابطال تسير الى اوطانها ومتى وصلوا اليها ارسلوا إلى الحارث الوهاب رجلاً من السادات يعلمه برهائن الروم وعندئذ يكون قد وصل اليهم المرسوم فيطلق الاسرى فاذا بلغك خبر اطلاق سراحهم فاطلق أنت رهائنهم وأرسلهم الى بلاد الأروام عن طريق دمشق الشام . وعندئذ أتفق رأيهم على أن يبقى عنترة في المدائن وترحل بقية العرب مع دريد بن الصمة سيد بني هوازن ويسير مقري الوحش معه في مائة من الفرسان لكي يأتي بالاموال والنساء الى ديار بني عبس وعـــدنان . وفي اليوم التالي رحلت العساكر والجنود وكان من جملة المتخلفين من سادات العشائر الامير حجار بن عامر لان النعمان كان قد اصطفاه لنفسه لشجاعته وفصاحته وبراعته وكان قد وعده بزواج ابنته الرباب وجعله حاجب الحجاب . ولما خلا قلب الملك كسرى وارتاح ، واظب على الافراح وجعل عنترة من ندمـــائه واحبائه وكذلك حجاز والنعمان وغيرهم من السادات والاعيان ، وكانت مجالسهم تنقضي في أكل الطعام وشرب المدام .

ظهور ولد لمالك

ثم ان القوم اقاموا عند كسرى عشرة ايام ، وبعدها استأذن عنترة من ى
في المسير الى الاوطان ، فأذن له . ومضى عنترة واصحابه ، حتى وصلوا الى الديار فخرج الرجال والنساء لاستقبال عنترة بالترحاب : وكان عنترة قد برح به الشوق الى عبلة ، فأسرع الى خبائها حيث وجدها طريحة الفراش من السقم ، فقد اضناها بعده عنها وخوفها عليه ، فلما رأته في باب الخباء جلست وبسطت له يديها ، فارتمى عليها وعانقها عناق الشوق ، وامتزجت دموعها بدموعه وما زال يطيب خاطرها حتى زال ما كان بها من السقم . وبعد ان استمتع باللقاء جاء مقري الوحش ليسلم عليه فالتقاه بالترحاب والاكرام وسأله عن الملك قيس فقال له : (اعلم يا ابا الفوارس ان الملك قيس قد قصد بلاد اليمن منذ ثلاثة ايام ليخلص ابن أخيه مالك) فتعجب عنترة من هذا الكلام وقال لمقري الوحش : (وهل لمالك ولد ؟) قال : (نعم لقد ظهر له ولد . وكان لظهوره قصة عجيبة فمنذ بضعة أيام بينما كان الملك قيس مع شيوخ العشيرة يشربون الراح . اذ جاء الى الحلة رجل غريب وطلب مقابلة الملك قيس . فلما ادخلوه عليه ، ومثل بين يديه سأله الملك عن سبب قدومه فقال له (اعلم يا سيدي انني رجل سلال امهر الخيل وقد سمعت ان في قبيلة بني كلب بن وبره جوادا ليس له نظير فصممت على سرقته ، واتجهت الى هناك ولما اقتربت من مراعي القوم رأيت إمرأة لم ار مثلها في الجمال ومعها غلام ، وكانت المرأة ترعى الغنم ثم جلست في ظل احد التلال واخذت الغلام في حجرها وصارت تقبله وتقول (ويلي عليك يا ولدي بليت باليتم وانت جنين في احشائي آه لو رأيت اباك لقد كان سيداً عظيما ، رحمك الله يا مالك بن زهير . فلما سمعت ذلك يا مولاي اقتربت من المرأة فارتاعت مني ولكنني طمأنتها وقلت لها اطلعيني على حالك وما زلت اطمئنها والح عليها حتى قالت لي قصتها وعلمت منها انها تزوجت اخاك مالكا وانه قتل في ليلة عرسه حين هاجمه اعداءه واخذوا زوجة مالك سبية وما زالت تتقاذفها الاقدار حتى وصلت الى تلك الديار حيث وضعت حملها اذ كانت قد حملت من مالك في ليلة عرسها وان هذا الغلام الذي في حجرها هو ابن اخيك واسمه مجيد . فلما سمع الملك قيس من السلال هذه الحكاية اكرمه ثم سار ليخلص زوجة اخيه وابنها وتركني في الديار لحفظ النساء والاولاد والاموال فلماسمع عنترة من مقري الوحش هذا الخبر صمم على ان يلحق بالملك قيس ليساعده في تخليص مجيد وسار عنترة في اليوم التالي مع مقري الوحش وشيبوب وعشرة من الفرسان قاصدين ديار بني كلب

حتى وصلوا الى ارض معشبة وجدوا فيها غديراً غزير الماء فشربوا حتى ارتووا وملأوا القرب واقاموا هناك في تلك الليلة وبينما هم في الحديث اذ قال عنترة لاخيه شيبوب : (ايها الاخ المحبوب ، الا تستطيع ان تحتال حتى تأتينا بجواد يركب بدلا من جواده الذي هلك) فقال شيبوب لك علي ذلك . واقام معهم حتى السحر ثم تسلل في الظلام حتى وصل الى خيام منصوبة فحل جواده من رباطه ومشى به بحذر فوجد خيمة لا يسمع من داخلها صوت فتسلل اليها فوجد فيها شيخا نائما وحوله اكياس فيها دقيق وقرب فيها سمن فحمل بعضها وخرج ثم وضع الاكياس والقرب على الجواد وانطلق الى حيث ترك اخاه وكان نور الفجر قد ظهر فلما رآه عنترة قال له : (سلم الله يداك ايها اللص المحبوب) فضحك شيبوب وقال : تقبل الله دعاءك حتى لا تموتوا من العطش والجوع وبعد ان اكلوا وشربوا واصلوا السير الى ديار بني كلب . هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من الملك قيس فانه كان قد سبق عنترة الى ديار بني كلب كما تقدم ، فلما أشرف عليها أرسل جاسوساً يستطلع احوال القوم وبعد ان غابت الشمس عاد الجاسوس وقال للملك قيس ان بني كلب مستعدون للقائهم وقد اعدوا سلاحهم وخيولهم فتعجب قيس من وصول خبر مسيره الى بني كلب واستشار عقلاء عشيرته فقال واحد منهم : الرأي عندي ان ندهم بني كلب قبل ان يتموا استعدادهم فاستصوب الجميع الرأي وهاجموا بني كلب واعملوا فيهم السيوف والرماح وثارت الحرب حامية الوطيس . اما سبب معرفة بني كلب بقدوم بني عبس فكان لمصادفة عجيبة ذلك ان ام مجيد جلست في ليلة من الليالي تداعب ولدها وتقول له : « اصبر يا ولدي فان الفرج اصبح قريبا وعما قريب يأتي اعمامك الامجاد ليخلصوك من هذا الهوان » فسمعها احد العبيد فذهب الى مولاه وأخبره بما سمع فجاء بام مجيد وهددها ان لم تطلعه من سبك قولها ولكنها انكرت صدور مثل هذا القول عنها ، ولكن سيد بني كلب هددها بابنها ووضع السيف على رقبته وقال لها : (والله ان لن تبوحي بالحقيقة لاقطعن رقبة هذا الغلام) فصاحت : لا تفعل يا مولاي وسأذكر لك الحقيقة . ثم قصت عليه حكاية السلال الذي التقى بها وسألها عن شأنها ، وكيف اقسم لها بان يذهب الى الملك قيس ليخبره بخبرها ، ويدعوه لتخليصها وعندئذ أمر سيد بني كلب بحبسها هي وولدها وتعذيبها أشد العذاب وأمر قومه بسرعة الاستعداد لملاقاة بني عبس وشداد .

قال الراوي: وما زال الحرب بين بني عبس وبني كلب مستعرة الاوار متطايرة الشرار ، حتى تشتت بنو كلب في القفار ، ودخل بنو عبس إلى الديار ، وبحثوا

عن أم ماجد فلم يجدوها وكان اختفاؤها لسبب من أعجب الاسباب ، ذلك انه كان في بني كلب فارس مشهور وبطل مذكور ، يقال له بدر بن شكر ، وكان يحب م مجيد حب مزاح . ولكنه كان يانف أن يتزوجها بعقد نكاح لانها جارية ، وكان يكثر من الذهاب إلى المراعي ليراها هناك ، فلما تردد على المرعى بضعة أيام ولم يراها تحسس أخبارها حتى علم ان مولاها قد سجنها هي وولدها ، فتحرى الأمر فعلم ان سبب حبسها انها أرسلت تستنجد باعمام ابنها وعلم ان أم مجيد كانت زوجة سيد من السادات عول على أن يخلصها ويتزوجها فلما ثارت الحروب بين بني عبس وبني كلب انتهز الفرصة وتسلل الى سجنها وفك قيودها هي وولدها وحملها على مريع وانطلق بها ومعهم ثلاثة من عنبيده قاصداً ديار بني عبس ..أما الملك قيس ، فلما يئس من العثور على أم مجيد عاد إلى دياره في حزن شديد ... وبينما هو وجيشه في الطريق اذ رأى غباراً مقبلا من بعيد فتحفز هو ومن معه للقاء القادمين ، ولما اقترب القادمون تبينهم فاذا هو عنترة وشيبوب ومقري الوحش ونفر من فرسان بني عبس الذين خرجوا من عنترة ، وعندئذ دار بينهم العناق . وتقدم عنترة من الملك قيس وسلم عليه ، وقبل يديه فقال الملك قيس :(ماذا جاء بك يا ابا الفوارس الى هذه الديار البعيدة ؟). فقال عنترة : لقد تبعتك عندما علمت بمسيرك خوفا من أن يصيبك مكروه من بني كلب والحمد لله على خلاص الامير مجيد بن أخيك . فدمعت عينا الملك قيس وقال في تحسر :) والله يا أبا الفوارس ما خلصناه ولا خرجنا من رحلتنا هذه الا خاسرين فقد بحثنا عن الغلام وامه فلم نقف لهما على أثر فضحك عنترة وقال : لا والله ما كانت الا رحلة مباركة ، فها هو مجيد وها هي امه ثم اشار الى آخر الركب ، فنظر الملك قيس ومن معه فرأى غلاماً كانه البدر وقد ركب على جواد أشهب فاسرع اليه ونظر في عينيه وبكى وانتحب ، وقال : اني اكاد ارى اخي مالكا بعينيه . رحمة الله عليه ثم عانق الغلام واحتضنه وصار يقبله وبعد أن أشبع حنان قلبه نظر الى عنترة وقال له وكيف وصلت إلى مجيد يا أبا الفوارس ؟ فقال جمعنا به حسن الحظ ، فان هذا الفارس الكريم خلف الغلام وامه وسار بهما الى ديارنا فالتقينا بهم في هذا الوادي.فتقدم الملك قيس نحو بدر بن شكر وصافحه وحياه ، ودعاه للاقامة في ديار بني عبس . وسار الجميع عائدين الى ديارهم ويكاد عنترة يطير من شدة الشوق الى حبيبته عبلة التي سلبت منه الفؤاد وكادت تفقده الرشاد .

تم الكتاب

الطبعة الثالثة

١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

اعيد الطبع : مطبعة دار القلم

رقم الايداع ١٩٢ لسنة ١٩٨٣

ثمن النسخة دينـار واحد
يطلب من دار التربية ـ بغداد
شـارع المتنبي هاتف ٨٨٨٧٨٦٤